علي

نهج السعادة

في

مستدرك نهج البلاغة

المجلد السابع

تأليف

الشيخ محمد باقر المحمودي

عنوان کتاب : نهج السعادة فی مستدرک نهج البلاغة
نام مولف : محمودی، محمدباقر,آل طالب، عزیز
نام ناشر : سازمان چاپ و انتشارات وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی
جلد : 7
بخش: ج7
نام و نام خانوادگی کاربر: علاء شبستری
نام سایت : www.noorlib.ir (کتابخانه دیجیتالی نور)
تاریخ دانلود : 1394/04/02
تعداد صفحات دانلود شده: 426
محدوده دانلود : از صفحه 5 تا صفحه 430

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

مقدّمة

أمّا بعد فهذا هو الباب الرابع من كتاب (نهج السعادة) في الوصايا وما يجري مجراها، من كلام سيّد الموحدين، وإمام المتّقين، ويعسوب الدّين، وقائد الغرّ المحجّلين، وقسيم الجنّة والسّجين، مولى الكونين، وإمام الثقلين، والمصلّي إلى القبلتين، ومبايع البيعتين، والشافع في النشأتين أعني أبا السبطين الطيّبين الطاهرين ـ الحسن والحسين ـ عليّ بن أبي طالب عليه وعلىٰ أولاده الطاهرين آلاف التحية والسّلام، وعلىٰ أعدائه وشانئيه أشدّ اللّعنة وسوء العذاب، مادامت السّماوات والأرضون.

جمعه وألّفه العبد القاصر محمد باقر ابن ميرزا محمد المحمودي، خدمة للدّين، وتقرّبًا إلى الله تعالىٰ، وترويجًا لمذهب سيّد الوصيّين، وأرجو من الله أن ينفعَ به العالَمين، ويجعله طريق سعادتهم وسبيل قربهم إلىٰ مرضاته، إنّه ولي التوفيق.

ـ ١ ـ

ومن وصيّةٍ لهُ عليه السّلام

في الحثّ على العلم

ثقة الإسلام محمد بن يعقوب قدّس الله نفسه الزّكية، عن عليّ بن محمد وغيره، عن سهل بن زياد، ومحمد بن يحيىٰ، عن أحمد بن محمد بن عيسىٰ جميعًا، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن أبي حمزة [الثّمالي] عن أبي إسحاق السّبيعي، عمّن حدّثه، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السّلام يقول:

أيُّهَا النّاسُ اعْلَمُوا أنَّ كَمالَ الدِّينِ طَلَبُ العِلْمِ وَالعَمَلُ بِهِ[١]، وَأنَّ طَلَبَ العِلْمِ أوْجَبُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِ المالِ[٢]، إنَّ المَالَ مَقْسُومٌ بَيْنَكُمْ، مَضْمُونٌ لَكُمْ، قَدْ قَسَمَهُ عادِلٌ بَيْنَكُمْ وَضَمِنَهُ، وَسَيَفِي لَكُمْ بِهِ، وَالعِلْمُ مَخْزُونٌ عَلَيْكُمْ عِنْدَ أهْلِهِ، قَدْ أُمِرْتُمْ بِطَلَبِهِ مِنْهُمْ فَاطْلُبُوهُ[٣]، وَاعْلَمُوا أنَّ كَثْرَةَ المالِ

---

(١) أي لا العلم وحده، كما عليه عمل نوع البشر فإنّهم راغبون في العلم غاية الرغبة، وزاهدون في العمل نهاية الزهد.

(٢) المستفاد من هٰذا الكلام الشريف، أنّ طلب العلم والمال كليهما واجبان، إلّا أنّ تحصيل العلم أوجب من تحصيل المال، واكتسابه أهمّ من اكتساب المال، وهٰذا هو المستفاد من الأدلّة العقلية والنقلية بأجمعها.

وأمّا مقدار الواجب منهما فخلاصته: أنّه يجب من العلم ما يؤدّىٰ بـه الواجـبات الاعتقادية والعملية وما يخرج به من خوف الهلاك، ويجب من المال قوته وقوت عياله، وكذا كل مال يتوقف عليه واجب مطلق أو واجب مشروط حصل شرطه.

(٣) إلىٰ هنا رواها ثقة الإسلام قدّس الله سرّه في الحديث ٤ من الباب ١ من كتاب العلم من الكافي بالسند الّذي مرّ، ورواها عنه الفيض الكاشاني رحمه الله في المحجة البيضاء ط ٢، ج ١، ص ٢٩ ، وللمقام بقية يأتي الكلام عنها بعد الفراغ من البحث الرجالي.

مَفْسَدَةٌ لِلدينِ، مَقْسَاةٌ لِلْقُلُوبِ، وَأَنَّ كَثْرَةَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِـهِ مَـصْلَحَةٌ لِـلدِّينِ سَبَبٌ إِلى الجَنَّةِ(٤)، وَالنَّفَقَاتُ تَنْقُصُ المَالَ، وَالعِلْمُ يَـزْكُـوُ عَـلَىٰ إِنـفاقِهِ(٥) وَإِنفاقُهُ بَثُّهُ إِلىٰ حَفَظَتِهِ وَرُواتِهِ(٦).

وَاعلَمُوا أَنَّ صُحْبَةَ العالِمِ(٧) وَاتِّباعَهُ دِينٌ يُـدانُ اللهُ بِـهِ(٨) وَطـاعَتَهُ

(٤) قوله عليه السّلام: مفسدة ومقساة ومصلحة وأضرابها، إمّا اسم فاعل، أو اسم مكان، أو اسم آلة، وفي بعضها لا يحتمل بعض الوجوه، والظاهر انها (هنا) مصادر ميمية، أو اسم مصدر، وفيها من المبالغة (علىٰ هذا التقدير) ما لا يفي به البيان، حيث حذّر عليه السّلام من تكثير المال بأنّه نفس الفساد وعين القساوة فليحذره العقلاء، ورغّب عليه السّلام من الإكثار من العلم بأنّه محض الصلاح، وعين السّبب الذي يجرّ إلى الجـنّة ويؤدّي إلىٰ جوار الصالحين ودار الكرامة التّي أعدّها تبارك وتعالى للمقرّبين، فليغتنمه الصلحاء والعارفون.

(٥) وهذا قريب جدّاً ممّا ذكره عليه السّلام في وصيّته إلىٰ كميل الآتية، مـن قـوله عـليه السّلام: «يا كميل محبّة العلم دين يدان الله به، به يكسب الإنسان الطـاعة في حـياته وجميل الإحدوثة بعد وفاته»، وقوله عليه السّلام: «العـلم يـزكو» أي يـنمو ويـزيد بالإنفاق، وإنفاقه بذله لمستحقة، وإنّما يزيد العلم بالإنفاق مع أن الأشياء تنقص به، لأن باذل العلم لا ينفك عن التعمّق فيه، والمباحثة مع التّلميذ والرّاوي، ونـفس التكـلم والتعمق فيه ومباحثته هو نماؤه، وهذا أمر جلي لمن صرف عـمره في تحـصيل العـلم والبحث مع ذويه في وقت ما.

(٦) ومن قوله عليه السّلام: «واعلموا أنَّ كثرة المال مفسدة للدين» ـ إلىٰ قوله: «بـثُّهُ إلىٰ حفظته ورواته» ـ مما تفرَّ د بروايته الحسن بن عليّ بن شعبة رحمه الله في كتابه تحف العقول، هذا بحسب النظر الإبتدائي، وأمّا النظر الدقيق فحاكم بأنَّ الكليني وصـاحب تحف العقول معًا اشتركا في نقل جميع الوصيّة، اذ ديدن الكليني رحمه الله والفقهاء تفريق جمل الروايات على الأبواب المناسبة، فالكليني قدّس الله نفسه لمّا فرّق فقرات الوصيّة الشريفة علىٰ أبواب الفقه، بقيت هذه القطعة مغفولاً عنها.

(٧) وفي بعض نسخ الكافي: «واعلموا نّ محبّة العالم واتباعه دين.. الخ». قال الفيض رحمـه الله: العالم هنا يحتمل معنيين: أحدهما الإمام المعصوم، والثاني الأعم منه ومن كلّ عالم عامل بعلمه، والأوّل أظهر.

(٨) المراد من الدّين هنا: الطريقة، هذا إن قُرِئَ ـ بكسر الدال ـ علىٰ ما هو الظاهر، ويحتمل

مَكسَبَةٌ لِلحَسَناتِ، ممْحاةٌ لِلْسَيِّئاتِ، وَذَخيرَةٌ لِلمُؤمِنِينَ، وَرِفعَةٌ في حَياتِهِم[٩] وَجَميلُ الأُحْدوثَةِ عَنْهُم بَعْدَ مَوتِهِم[١٠]، وأَنَّ العِلْمَ[١١] ذُو فَضائِلَ كَثيرَةٍ،

← ـ فتح الدال ـ أيضًا، وهو ـ بالفتح ـ بمعنى القرض المؤجل.

وقوله عليه السّلام: «يدان الله به»، إمّا أن يقصد به الجزاء كما في قولهم: كما «تدين تدان» ودان فلانا، أي جازاه.

وإمّا أن يقصد به الطاعة كما قالوا: دان زيد الخليفة، أي أطاعه.

وعلى التقديرين الفعل من باب باع، ولكن المراد يختلف، فعلى الوجه الأوّل معناه: إنّ الله يجزي بمحبّة العالم أو بصحبته، أي أن جزاء نعم الله وشكر آلاء الله تبارك وتعالىٰ هو صحبة العالم أو محبّته.

كما في الحديث المعتبر: «الصوم لي وأنا أجزي به»، وفيه من المبالغة ما لا يحيط به البيان، وأمّا على الوجه الثاني فمعناه: ان محبّة العالم وصحبته دين أي طريق يطاع الله به، وفيه حثّ على اتباع العالم والتمسك بذيل محبته، بأنّ اتباعه عين اتباع الله وإطاعته، فيكون الكلام نظير الآية ٨٠ من سورة النساء: ﴿مَنْ يُطِعِ ٱلرَّسولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللهَ... الخ﴾.

وعلى التقديرين تتجلىٰ صحة ما قاله المحقق الكاشاني رحمه الله: من أن المراد من العالم ـ هنا ـ على الأظهر هو الإمام المعصوم.

(٩) وفي بعض نسخ الكافي: «ورحمة فيهم في حياتهم، وجميل بعد مماتهم»

(١٠) من قوله عليه السّلام: «واعلموا أنّ صحبة العالم» إلىٰ قوله عليه السّلام: «وجميل الأحدوثة عنهم بعد موتهم» رواه الكليني في الحديث ١٤ من الباب ٨ من الكتاب ٤ من الكافي، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم عن أبي حمزة عن أبي إسحاق، عن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين: «واعلموا أنّ صحبة [محبّة «خ ل»] العالم.. الخ.

(١١) شبّه عليه السّلام العلم بشخص كامل روحاني له أعضاء وقوىٰ كلها روحانية بعضها ظاهرة، وبعضها باطنة، فالظاهرة كالرّأس والعين والأذن واللسان واليد والرّجل، والباطنة كالحفظ واللب والعقل والهمة والحكمة، وله مستقر روحاني ومركب وسلاح وسيف وقوس وجيش ومال وذخيرة وزاد ومأوىٰ ودليل ورفيق وكلها أمور معنوية.

ثمّ إنّه عليه السّلام بيَّن انطباق هذا الشخص الروحاني بجميع أجزائه علىٰ هذا الهيكل الجسماني إكمالاً للتشبيه، وافصاحًا بأنّ العلم إذا استقر في قلب إنسان يملك جميع جوارحه، ويُظهِرُ اثاره من كل منها، فرأس العلم ـ وهو التواضع ـ يملك هذا الرّأس البدني ويخرج منه التّكبّر والنّخوة التّي هو مسكنها، ويستعمله فيما يقتضيه التواضع من ←

فرأْسُهُ التَّواضُعُ، وَعَينُهُ البَراءَةُ مِنَ الحَسَدِ، وَأُذُنُهُ الفَهْمُ، وَلِسَانُهُ الصِّدقُ، وَحِفظُهُ الفَحْصُ، وَقَلبُهُ حُسنُ النِّيَّة، وَعَقلُهُ مَعرِفَةُ الأَسْبَابِ بالأمُورِ، وَيَدُهُ الرَّحمَةُ، وَهِمَّتُهُ السَّلامَةُ، وَرِجْلُهُ زِيارَةُ العُلماءِ، وحكمَتُهُ الوَرَعُ، ومَستَقَرُّهُ النَّجَاةُ، وَقائِدُهُ العافِيةُ، وَمَرْكَبُهُ الوَفاءُ، وسِلاحُهُ لينُ الكَلامِ، وَسَيْفُهُ الرِّضا، وَقَوسُهُ المُدَاراةُ، وَجَيشُهُ مُحاوَرَةُ العُلَماءِ، وَمالُهُ الأَدَبُ، وَذَخيرَتُهُ اجتِنابُ الذُّنُوبِ، وَزادُهُ المَعْرُوفُ، ومَأواهُ المُوادَعَةُ، وَدَلِيلُهُ الهُدىٰ، وَرَفيقُهُ صُحْبَةُ الأَخيارِ.

وقد تبيَّن ممّا تقدم أنَّ الكليني رحمه الله، يروي الوصيَّة الشّريفة، تارة من طريق سهل بن زياد عن رجال أبي إسحاق عن أمير المؤمنين عليه السّلام، وأخرىٰ يرويها من طريق أحمد بن محمد بن عيسىٰ، عن رجال أبي إسحاق أيضًا، عن أمير المؤمنين عليه السّلام كما في الحديث: ٤ من الباب ١ من كتاب فضل العلم من الكافي.

وثالثة من طريق إبراهيم بن هاشم، عن رجال أبي إسحاق عنه عليه السّلام كما في الحديث: ١٤ من الباب ٨ من كتاب الحجّة من الكافي.

ورابعة يرويها من طريق أحمد بن محمد بن عيسىٰ رحمه الله، عن الإمام الصادق عليه السّلام، عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السّلام كما في الحديث: ٢ من باب النوادر من فضل العلم من الكافي فإنّه روىٰ قوله: «و (اعلموا) أنَّ العلم ذو فضائل كثيرة» (إلىٰ آخر الوصيَّة الشريفة) عن عدَّة من أصحابنا، عن أحمد ابن محمد، عن نوح بن شعيب النيسابوري، عن عبيد الله بن عبد الله الدهقان عن درست بن أبي منصور، عن عروة ابن أخي [أخت «خ»] شعيب العقرقوفي، عن

← الانكسار والتخشّع، فكما أنَّ الرّأس البدني بانتفائه تنتفي حياة البدن، فكذا بانتفاء التواضع عند الخالق والخلائق تنتفي حياة العلم، فهو كجسد بلا روح، ولا يصير مصدرًا لأثر، وهاتان الجهتان ملحوظتان في جميع الفقرات.

شعيب، عن أبي بصير، قال: سمعت (الإمام) الصادق عليه السّلام يقول: كان أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: يا طالب العلم ـ إلىٰ آخر ما تقدَّم ـ

أقول: ورواها أيضًا بأسرها عليّ بن حسن بن شعبة رحمه الله في المختار: ٢٥ من كلام أمير المؤمنين عليه السّلام في كتابه تحف العقول، ص ١٣٧، طبع النجف، وفي ط ص ١٩٩.

ورواها عنه في الحديث ٤٠ من الباب ١ من أبواب فضل العلم من البحار: طبع الكمباني، ج ١، ص ٥٦.

وها هنا أبحاث

البحث الأوّل:

حول رجال السّند علىٰ سبيل الاختصار، ونقدِّم الأوّل فالأوّل علىٰ حسب ما ذكرناه، فنقول:

أمّا عليّ بن محمد، فهو مشترك بين جماعة من أجِلّاء مشايخ الكليني أعلى الله مقامه، وكفاهم بذلك جلالة وعظمة وفخامة ومكرمة.

وأمّا غيره (الّذي عطفه الكليني رحمه الله علىٰ عليّ بن محمد) فهو غير مشخَّص عندي فعلاً، وأيضًا وحدته وتعدده غير معلوم لدي، ولعله متعدد، فلابد من الرجوع إلى القرائن.

وأمّا سهل بن زياد الآدمي المكنّىٰ بأبي سعيد، فقد قال شيخ الطائفة رحمه الله: «إنَّه ثقة من أهل الري، وفاز بلقاء الإمام الجواد والعسكريين عليهم السّلام».

وممّا يدل علىٰ عظمته وكونه في أعلىٰ مراتب الثقة، أنَّه معدود من مشايخ الإجازة، وكذلك كثرة روايته المعمول بها عند أصحابنا، وشدَّة عنايته بنقل الأخبار السديدة عن المعصومين عليهم السّلام يرشدنا إلىٰ جلالته والوثوق به،

وأيضًا إكثار العلماء من الرواية عنه يسوقنا إلى الاعتراف والإذعان بديانته، وأنَّه من المعتمدين الّذين يركن إليهم، لا سيما إذا نظرنا إلىٰ صنيع ثقة الإسلام الكليني رحمه الله فإنَّه قد شحن كتابه الشريف (الكافي) بالنقل منه، والرواية عنه، مع العلم بغاية احتياطه، واجتنابه الرواية من المتهمين، خصوصًا إذا لوحظ تصريحه وقوله في مقدمة الكافي: «إنَّ فيه من جميع فنون الدّين ما يكتفي به المتعلِّم، ويرجع إليه المسترشد، ويأخذ منه من يريد علم الدّين والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصَّادقين عليهم السّلام، والسّنن القائمة الّتي عليها العمل».

انتهى المهم من محصل كلامه وملخّص مرامه، رفع الله درجاته في عليّين.

وأمَّا محمد بن يحيىٰ أبو جعفر العطّار الأشعري القمي فهو أستاذ الكليني رحمه الله، وقد أكثر من الرواية عنه، وذكره الشيخ رحمه الله في باب من لم يرو عن الأئمة عليهم السّلام[١٢] فقال: في كثير الرواية، روىٰ عنه الكليني رحمة الله عليهما. وقال النجاشي رحمه الله: محمد بن يحيىٰ أبو جعفر العطّار القمي شيخ أصحابنا في زمانه، ثقة عين كثير الحديث، له كتب، منها كتاب مقتل الحسين، وكتاب النوادر، أخبرني عدَّة من أصحابنا عن ابنه أحمد عن أبيه بكتبه.

وأمَّا أحمد بن محمد بن عيسىٰ بن عبد الله بن سعد بن مالك بن الأحوص ابن السائب بن مالك بن عامر الأشعري من بني ذخران بن عوف الجماهر ابن الأشعر، فقد كان رحمه الله شيخ الشيوخ، ورئيس علماء الفرقة المحقّة وأهل الرسوخ، وتشرف بلقاء الإمام الرِّضا وابنه أبي جعفر عليهما السّلام، وكان رحمه الله أحد الشهود علىٰ أبي جعفر الجواد عليه السّلام بالإمامة والوصاية من قبل أبيه الإمام الرِّضا عليه السّلام.

وقد جمع الله تعالىٰ لأحمد بن محمد هذا، رئاسة الدِّين والدُّنيا، وكان شيخًا

---

(١٢) قيل هذا اصطلاح، يعني انهم اذا أرادوا أن يبينوا أنَّ فلانًا لم يعاصر الأئمة عليهم السّلام أو لم يرو عنهم عليهم السّلام بلا واسطة، يقولون: لم يرو عنهم عليهم السّلام.

ويؤيده انهم أطلقوا هذه العبارة علىٰ من أكثر النقل والرواية عنهم عليهم السّلام بالواسطة كشيخنا المترجم له هنا والمجمع علىٰ عدالته وثقته.

فقيهًا، وعينًا وجيهًا من علماء قم، وكان وافدهم إلى الأئمّة صلوات الله عليهم أجمعين، وقد اتفقت كلمة الأصحاب علىٰ عدالته وجلالته، وانه من الأركان.

وأمّا ابن محبوب فهو كابن عيسىٰ، رفيع المقام، عظيم المنزلة، جليل القدر، منيع الساحة، محبوب الطائفة الحقّة.

قال الشيخ الطوسي رحمه الله في رجاله: «الحسن بن محبوب السرّاد، ويقال له: الزّراد أيضًا، ويكنّىٰ أبا عليّ، مولىٰ بجيلة، كوفي ثقة، روىٰ عن أبي الحسن الرّضا عليه السّلام وعن ستين من أصحاب أبي عبد الله عليه السّلام، وكان جليل القدر، يعدّ في الأركان الأربعة في عصره. وله كتب كثيرة، منها كتاب المشيخة، وكتاب الحدود، وكتاب الديّات، وكتاب الفرائض، وكتاب النكاح، وكتاب الطلاق، وكتاب النوادر نحو الف ورقة، أخبرنا بجميع كتبه ورواياته عدة من أصحابنا عن أبي جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن الهيثم بن أبي مسروق، ومعاوية بن حكيم، وأحمد بن محمد بن عيسىٰ، عن الحسن بن محبوب».

وقريب منه عن آية الله العلاّمة في الخلاصة، وابن داود في رجاله. وقريب منها عن السّيد ابن طاووس رحمه الله. وكلهم أرخّوا وفاته في آخر سنة أربع وعشرين ومائتين.

وقال ابن ادريس رحمه الله في مستطرفات السرائر: «إنّ كتاب المشيخة تصنيف الحسن بن محبوب السرّاد صاحب (الإمام) الرّضا عليه السّلام، وهو ثقة عند أصحابنا، جليل القدر، حسن الرواية، أحد الأركان الأربعة في عصره وكتاب المشيخة معتمد».

وأمّا هشام بن سالم الجواليقي الجعفي العلاّف مولىٰ بشر بن مروان أبو محمد أو أبو الحكم، فهو من أصحاب الإمام الصّادق والإمام الكاظم عليهما السّلام، قال النجاشي رحمه الله: «هشام بن سالم الجواليقي مولىٰ بشر بن مروان أبو الحكم، كان من سبي الجوزجان ثقة ثقة، روىٰ عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما

السّلام، وله كتاب يرويه جماعة، أخبرنا محمد بن عثمان قال: حدَّثنا جعفر بن محمد، قال: حدَّثنا عبيد الله بن أحمد، قال: حدَّثنا ابن أبي عمير عنه بكتابه وكتابه الحج، وكتابه التّفسير، وكتابه المعراج».

وقريب منه ذكره شيخ الطائفة رحمه الله في الفهرست، وآية الله العلامة في الخلاصة، وجميع من تأخَّر عنهم فانهم أطبقوا علىٰ توثيقه.

والمحكي عن السّيد ابن طاووس رحمه الله في التحرير الطاووسي انه قال: «إنَّ هشام بن سالم صحيح العقيدة، معروف الولاية، غير مدافع».

وأمّا أبو حمزة، فهو ثابت بن أبي صفية المتوفىٰ سنة خمسين ومائة هـ

قال النجاشي رضوان الله عليه: «ثابت بن أبي صفية أبو حمزة الثمالي مولىٰ كوفي ثقة، واسم أبي صفية: دينار، وكان آل المهلب يدَّعون ولاءه وليس من قبلهم، لأنّهم من العتيك».

قال محمد بن عمر الجعابي: «ثابت بن دينار، مولى المهلب بن أبي صفرة، وأولاده نوح ومنصور وحمزة قتلوا مع زيد، لقي عليّ بن الحسين وأبا جعفر وأبا عبد الله عليهم السّلام، وروىٰ عنهم، وكان من خيار أصحابنا وثقاتهم ومعتمديهم، في الرواية والحديث، وهو رحمه الله ممن يروي عنه العامة».

وروي عن أبي عبد الله عليه السّلام انه قال:

«أبو حمزة في زمانه مثل سلمان في زمانه».

وله رحمه الله كتب، وتوفي سنة خمسين ومائة».

وقال وذكر ابن النديم في الفهرست، في عنوان الكتب المصنَّفة في التّفسير: قال «ومنها كتاب تفسير أبي حمزة، واسمه ثابت بن دينار، وكنية دينار: أبو صفية وكان أبو حمزة من أصحاب عليّ بن الحسين عليه السّلام من النجباء الثقاة، وصحب أيضًا أبا جعفر عليه السّلام».

وأمّا أبو إسحاق السبيعي المتوفىٰ سنة ١٢٧ ـ وقيل ١٢٨، وقيل ١٢٩ ـ فهو كنية عمرو بن عبد الله بن عليّ الكوفي الهمداني من أجلّاء التابعين، قال معلّم

الأمّة الشيخ المفيد رضوان الله عليه في كتاب الاختصاص ط ٢، ص ٨٣: «روىٰ محمد بن جعفر المؤدِّب: إنَّ أبا إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي صلى أربعين سنة صلاة الغداة بوضوء العتمة، وكان يختم القرآن في كل ليلة، ولم يكن في زمانه أعبد منه، ولا أوثق في الحديث عند الخاص والعام، وكان من ثقاة عليّ بن الحسين عليه السّلام، وولد في الليلة التّي قتل فيها أمير المؤمنين عليه السّلام(١٣) وقبض وله تسعون سنة، وهو من همدان، اسمه عمرو بن عبد الله بن عليّ بن ذي حمير بن السبيع بن يبلع الهمداني، ونسب إلى السبيع لأنه نزل فيهم».

وقال المحدث القمي: «وكان أبو إسحاق المذكور ابن أخت يزيد بن حصين(١٤) من أصحاب الحسين عليه السّلام، وله رواية مرفوعة عن النبيّ صلى الله عليه وآله انّه قال: ألا أدلّكم علىٰ خير أخلاق الدُّنيا والآخرة: تصل من قطعك وتعطي من حرمك، وتعفو عمّن ظلمك».

وكان له مسجد معروف بالكوفة، قرأ ابن عساكر فيه الحديث سنة ٥٠١(١٥) على الشريف أبي البركات عمر العلوي.

قال صاحب رياض العلماء: وكان له ولد اسمه يونس كان محدِّثًا زاهدًا مثله، توفي سنة ١٦٠، ولولده يونس ولد اسمه إسرائيل، كان عابدًا زاهدًا توفي سنة ١٦٤. انتهىٰ ما عن المحدث القمي.

وقال أبو الفرج قيل لأبي إسحاق: «متىٰ ذلَّ الناس، فقال: حين مات

---

(١٣) هٰذا سهو من قلمه الشريف لاستفاضة النقل من الخاصة والعامة عن أبي إسحاق أنه قال: رفعني أبي علىٰ يديه فرأيت عليًّا يخطب على المنبر وهو شيخ أبيض الرأس واللحية، كما في البحار والمعجم الكبير للطبراني، ووفيات ابن خلكان وآخر ترجمة أمير المؤمنين عليه السّلام من أسد الغابة. ويجيء أيضًا في كلام ابن حجر من تذكرة الحفّاظ.

(١٤) والظاهر أنَّ هٰذا مصحّف عن «برير بن خضير» علىٰ ما اختصرناه في تسمية الشهداء من كتاب عبرات المصطفين: ط ١، ج ٢، ص ١٥٩.

(١٥) هٰذا لا يلائم ما ذكره الحموي في معجم الأدباء من ولادة ابن عساكر، في سنة ٤٩٩، بل قيل: إنَّ ابن عساكر نفسه أيضًا أرّخ ولادته بسنة (٤٩٩) هـ.

الحسن وادعىٰ زياد، وقتل حجر بن عدي».

وأيضًا قال أبو الفرج: «قال عمر بن ثابت: كنت اختلف إلىٰ أبي إسحاق السبيعي سنة أسأله عن الخطبة التّي خطب بها الحسن بن عليّ عليه السّلام عقيب وفاة أبيه، ولا يحدثني بها فدخلت عليه في يوم شات وهو في الشمس وعليه برنسه فكأنه غول، فقال لي: من أنت؟ فأخبرته، فبكىٰ وقال: كيف أبوك وكيف أهلك؟ قلت صالحون، قال: في أيّ شيء تتردد منذ سنة؟ قلت في خطبة الحسن بن عليّ بعد وفاة أبيه».

وقال ابن أبي الحديد: فأمّا أبو اسحاق السبيعي فقال: «إنّ معاوية قال في خطبته بالنخيلة: ألا إنّ كل شيء أعطيته الحسن بن عليّ، تحت قدميّ هاتين، لا أفي به. قال أبو إسحاق: وكان والله غدّارًا».

وذكره الذهبي أيضًا في تذكرة الحفاظ: ج ١، ص ١٠٧، وفي ط: ص ١٠١ «قال أبو إسحاق السبيعي عمرو بن عبد الله الهمداني الكوفي الحافظ، أحد الأعلام، رأىٰ عليًّا رضي الله عنه وهو يخطب، وروىٰ عن زيد بن أرقم، وعبد الله بن عمر، وعدي بن حاتم، والبراء بن عازب، ومسروق، وخلق كثير، يقال: حدّث عن ثلاثمائة شيخ.

وروىٰ عنه الأعمش، وشعبة والثوري وإسرائيل وزهير وأبو الأحوص وزائدة وشريك وأبو بكر بن عياش وسفيان بن عيينة وخلائق.

وكان قد قرأ القرآن علىٰ أبي عبد الرحمن السّلمي والأسود بن يزيد، عرض عليه حمزة الزيّات وقد غزا الروم في خلافة معاوية وقال: سألني معاوية كم عطاء أبيك؟ قلت: ثلاثمائة، ففرضها لي.

وقيل إنّه سمع من ثمانية وثلاثين صحابيًا.

قال أبو حاتم: ثقة يشبه الزهري في الكبر، وهو أحفظ من أبي إسحاق الشيباني، قال فضيل بن غزوان: كان أبو إسحاق يختم في كل ثلاث.

وقيل كان صوّامًا قوّامًا متبتلاً، من أوعية العلم.

ومناقبه غزيرة، قال أحمد ابن عبده: سمعت أبا داود الطيالسي يقول: وجدنا الحديث عند أربعة: الزهري وقتادة وأبي إسحاق والأعمش، فكان قتادة أعلمهم بالاختلاف، والزهري أعلمهم بالإسناد، وأبو إسحاق أعلمهم بحديث عليّ وابن مسعود، وكان عند الأعمش من كل هٰذا، ولم يكن عند واحد من هؤلاء إلّا الفين الفين».

قال يحيى القطان: «توفي أبو إسحاق السبيعي سنة سبع وعشرين ومائة، يوم دخل الضحاك بن قيس الكوفة، وكذا أرّخه جماعة وشذَّ أبو نعيم فقال: سنة ثمان وعشرين، قال مغيرة: كنت إذا رأيت أبا إسحاق ذكرت به الضرب الأول، قال أحمد بن عمران الأخنسي، أنبأنا أبو بكر بن عياش، سمعت أبا إسحاق يقول: ما أقلت عيني غمضًا منذ أربعين سنة، قال ابن عيينة: قال عون بن عبد الله لأبي إسحاق: ما بقي منك؟ قال: أصلي فأقرأ البقرة في ركعة، قال: ذهب شرّك وبقي خيرك. وقال أبو الأحوص عن أبي إسحاق، قد كبرت وضَعُفتُ، ما أصوم إلّا ثلاثة أيّام من الشّهر والإثنين والخميس والشّهور الحرم».

وقع لي عدة أحاديث من عوالي أبي إسحاق منها: «أنبأنا أحمد بن سلامة وغيره عن عبد المنعم بن كليب، أخبرنا عليّ بن بيان، أنبأنا ابن مخلد، أنبأنا إسماعيل الصفّار، أنبأنا الحسن بن عرفة، حدثني أبو بكر بن عياش، عن أبي إسحاق، عن البراء، قال: خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأصحابه، فأحرمنا بالحج فلمّا قدمنا مكة قال: اجعلوا حجكم عمرة، فقالوا: قد أحرمنا بالحج وكيف نجعلها عمرة؟ فقال: انظروا الّذي آمركم به فافعلوا، فردّوا عليه القول، فغضب، ثم انطلق حتّىٰ دخل علىٰ عائشة غضبان، فرأت الغضب في وجهه، فقالت: من أغضبك أغضبه الله، فقال: ومالي لا أغضب وأنا آمر بالأمر فلا اتبع».

وروي عن ميزان الذهبي أنّه قال في حقّ أبي إسحاق: «هو من أئمة التابعين بالكوفة، وأثباتهم».

وحكي عن التقريب أنّه قال: «إنَّ أبا إسحاق ثقة مكثر عابد».

هٰذا كله مختصر الكلام في الطريق الأول، والثاني.

وأمّا الطريق الثالث فالذي هو واسطة بين ثقة الإسلام الكليني رحمه الله وبين أبي إسحاق الراوي عن الحارث الأعور ـ علىٰ ما اخترناه ـ الذي سمع هذه الوصية من أمير المؤمنين عليه السّلام ـ جماعة أولهم: هو شيخ الكليني وأستاذه الّذي جلَّ نفائس الكليني وبضاعته الرابحة منه، وهو عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمّي العظيم الشأن، ونكتفي هنا بما أورده النجاشي في ترجمته من رجاله قال:

«عليّ ابن إبراهيم بن هاشم القمي، أبو الحسن القمي ثقة في الحديث ثبت معتمد، صحيح المذهب، سمع فأكثر، وصنَّف كتبًا، وأضرّ في وسط عمره، وله كتاب التَّفسير، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب قرب الإسناد، وكتاب الشرائع، وكتاب الحيض، وكتاب التوحيد والشرك، وكتاب فضائل أمير المؤمنين عليه السّلام، وكتاب المغازي، وكتاب الأنبياء، ورسالة في معنىٰ هشام ويونس، وجوابات مسائل سأله عنها محمد بن بلال، كتاب يعرف بالمشذَّر، الله أعلم أنَّه مضاف إليه.

أخبرنا محمد بن محمد وغيره، عن الحسن بن حمزة بن عليّ بن عبيد الله قال: كتب إليَّ عليّ بن إبراهيم بإجازة سائر حديثه وكتبه».

وقريب منه ذكره الشيخ الطوسي رحمه الله في الفهرست. ونُقل عن كتاب إعلام الورىٰ أنَّه قال: «عليّ بن إبراهيم من أجلّ رواة أصحابنا».

وبالجملة عدالته ومناعة محله غير خفية علىٰ أولي الألباب، وقد اتفقت عليها كلمة الأصحاب.

وأمّا أبوه إبراهيم بن هاشم فعند الدارسين ـ الّذين يدركون من عمل الأشخاص بواطنه وما انطوت عليه سريرته ـ لا يقل في الرّتبة عن ابنه عليّ، بل هو الأصل، وابنه من ثمرات تلك الشجرة الطيبة، وصدقة من صدقاته، لا سيما إذا أمعنَّا النظر فيما ثبت من المعصومين عليهم السّلام من قولهم: «اعرفوا منازل الرجال بقدر روايتهم عنَّا وفهمهم منَّا» وقد وردت بهذا المضمون روايات ست

ـ علىٰ ما اطّلعت عليه ـ مع العلم بأنّ كثيراً من الرّوايات ـ على الخصوص روايات الكافي ـ مروية عنه بواسطة ابنه عليّ، وبالأخص إذا تأملنا ما نقله الشيخ والنجاشي رحمها الله في قولها: «وأصحابنا يقولون: أوّل من نشر حديث الكوفيين بقم هم أبو إسحاق القمي إبراهيم بن هاشم وكان كوفي الأصل فانتقل إلىٰ قم». انتهىٰ ما عن الشيخ والنجاشي نقلاً بالمعنىٰ. فمن كان قاصرًا عن إدراك شواهد البواطن والأحوال من الأعمال، وكان متعبدًا بقول أهل الخبرة: فلان ثقة، وفلان عدل، فنقول له:

إنّه قد وثقه ابنه في أوّل تفسيره، وكذلك ادّعى الإجماع علىٰ وثاقته السّيد ابن طاووس رحمه الله في الفصل التاسع عشر من كتاب فلاح السائل ط ١، ص ١٥٨.

وأجمع المحققون من المتأخّرين أيضًا علىٰ توثيقه، كالمجلسيين، ووالد الشيخ بهاء الدين، والمحقق الأردبيلي، والمحقق الهمداني في كتاب الزكاة من المصباح، وغيرهم قدّس الله أسرارهم.

ونحن نقول قال المحقق الداماد: «مدح الأصحاب إبراهيم بن هاشم بأنه أوّل من نشر حديث الكوفيين بقم»، كلمة جامعة، وكلّ الصيد في جوف الفراء.

نعم، جميع مراتب كمالاته الظاهرية والباطنية باعتقاد معاصريه منطوية في هذه الجملة الّتي مدحوه بها، بعد ملاحظة معاملة القمّيين مع أرباب الحديث وطعنهم في الأجلّاء بأدنىٰ شيء، فالرجل في أعلىٰ مراتب العدالة، وهو في حدّ ذاته أجل من أن يحتاج إلى الموثق.

وأمّا الطّريق الرابع الّذي روىٰ عنهم الكليني رحمه الله في الحديث ٢، من باب النوّادر، من فضل العلم، من الكافي، بقوله «عدّة من أصحابنا...». فالعدّة هنا: من رجال أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري ـ دون البرقي ـ وهم ـ بناء علىٰ ما نقله الأصحاب من نصّ الكليني رحمه الله:

عليّ بن إبراهيم صاحب التّفسير. وأبو جعفر محمد بن يحيى العطّار

الأشعري القمي. وأبو سليمان داود بن كورة القمي. وعليّ بن موسى بن جعفر الكمنداني (الكميداني في نسخة) يعني القمي، وغيرهم.

ونظمهم العلامة الطباطبائي رحمه الله علىٰ ما حكي عنه وقال:

عدَّة أحمد بن عيسىٰ بالعدد	خمسة أشخاص بهم تَمَّ السَّند
عليّ العليٰ والعطّار	ثمَّ ابن إدريس وهم أخيار
ثمَّ ابن كورة وابن موسىٰ	فهؤلاء عدَّة ابن عيسىٰ

أمّا أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري، وعليّ بن إبراهيم، ومحمد بن يحييٰ العطّار الأشعري، فقد مرَّت خلاصة القول في ترجمتهم.

وأمّا أحمد بن إدريس بن أحمد، أبو عليّ الأشعري القمي المتوفىٰ سنة ست وثلاثمائة بالقرعاء من طريق مكة، فهو شيخ المحدثين، وأستاذ الدارسين، وثقة الرواة، وعلم الهداة.

قال النجاشي رحمه الله: «أحمد بن إدريس بن أحمد، أبو عليّ الأشعري القمي، كان ثقة فقيهًا في أصحابنا، كثير الحديث، صحيح الرواية، له كتاب النَّوادر، أخبرني عدَّة من أصحابنا إجازة عن أحمد بن جعفر بن سفيان عنه. ومات أحمد بن إدريس بالقرعاء، سنة ست وثلاثمائة، من طريق مكة علىٰ طريق الكوفة».

وقال الشيخ رحمه الله في كتاب الفهرست: «أحمد بن إدريس أبو عليّ الأشعري القمي، كان ثقة في أصحابنا كثير الحديث صحيحه، وله كتاب النَّوادر كتاب كبير كثير الفائدة، أخبرنا بسائر رواياته الحسين بن عبيد الله، عن أحمد بن محمد بن جعفر بن سفيان البزوفري، عن أحمد بن إدريس، ومات بالقرعاء(١٦) في طريق مكة، سنة ست وثلاثمائة».

ذكره أيضًا في الرقم: ٣٧، من باب من لم يرو عن الأئمة عليهم السّلام من

---

(١٦) القرعاء: منهل بطريق مكة، بين القادسية والعقبة.

رجاله ص ٤٤٤ قال:

«أحمد بن إدريس القمي الأشعري، يكنّىٰ أبا عليّ، وكان من القوّاد، روىٰ عنه التلعكبري، قال: سمعت منه أحاديث يسيرة في دار ابن همام، وليس لي منه إجازة».

وذكره أيضًا في باب الهمزة في أصحاب العسكري عليه السّلام وقال: «أحمد بن إدريس القمي المعلّم، لحقه عليه السّلام، ولم يرو عنه».

وأمّا أبو سليمان داود بن كورة القمي، فهو أيضًا من مشايخ ثقة الإسلام الكليني رحمه الله، وكفى للرجال مقامًا أن يعد من مشايخ الكليني، ويكون هو من خرّيجي مدرسته.

وذكره الشيخ رحمه الله في الفهرست والرجال قال: «داود بن كورة القمي بوّب كتاب النّوادر لأحمد بن محمد بن عيسىٰ، وله كتاب الرّحمة، مثل كتاب سعد ابن عبد الله».

وذكره أيضًا النجاشي رحمه الله: «داود بن كورة أبو سليمان القمي، وهو الّذي بوّب كتاب النّوادر لأحمد بن محمد بن عيسىٰ، وكتاب المشيخة للحسن بن محبوب السرّاد علىٰ معاني الفقه، وله كتاب الرّحمة في الوضوء والصلاة والزّكاة والصوّم والحج.

أخبرنا محمد بن عليّ القزويني، قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن يحيىٰ قال: حدّثنا داود به».

وأمّا عليّ بن موسىٰ بن جعفر الكُمنداني رحمه الله[١٧]، فهو أيضًا من مشايخ الكليني والصدوق الأوّل رحمهما الله، ولم نعرف من ترجمته غير هٰذا.

هٰذه خلاصة القول حول العدّة الّتي يروي الكليني عنهم عن الأشعري.

---

(١٧) وضبطه بعضهم بالياء، وقال: إنّه المعروف في زماننا عند أهالي تلك الديار. وقيل انّه اسم لبلدة قم في أيام الفرس، ولما فتحها المسلمون اختصروها وخففوها وقالوا: قم.

وأمّا نوح بن شعيب، فقد قيل: «إنّه البغدادي الّذي ذكر الفضل بن شاذان أنّه كان فقيهًا عالمًا صالحًا مرضيًّا». وقيل: إنّه نوح بن صالح كما في رجال الشيخ في أصحاب الإمام الجواد عليه السّلام. ووصفه بعضهم بالخراساني، وقيل: انهما متعددان.

وأمّا عبيد الله بن عبد الله الدهقان، فعدَّه الشيخ في كتاب الفهرست: ط ٢، ص ١٣٣، من المصنِّفين، وقال: «له كتاب رواه لنا ابن أبي جيد، عن ابن الوليد عن الصفّار، عن محمد بن عيسىٰ بن عبيد، عن عبيد الله بن عبد الله الدهقان».

وأمّا درست بن أبي منصور، فقد ذكره الشيخ رحمه الله في رجاله في غير مورد، وصرح أنّه واقفي.

وذكره أيضًا في كتاب الفهرست ص ٩٤ وقال:

«درست الواسطي، له كتاب، وهو ابن أبي منصور، أخبرنا بكتابه أحمد ابن عبدون عن عليّ بن محمد بن الزبير القرشي، عن أحمد بن عمر بن كيسبة، عن عليّ بن الحسن الطاطري، عنه. ورواه حميد، عن ابن نهيك عنه».

ذكره أيضًا النجاشي رحمه الله قال: «درست بن أبي منصور محمد الواسطي، روىٰ عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السّلام، ومعنىٰ درست بالفارسية صحيح، له كتاب يرويه جماعة، منهم: سعد بن محمد الطاطري، عم عليّ بن الحسن الطاطري. منهم: محمد بن أبي عمير.

أخبرنا الحسين بن عبيد الله، قال: حدّثنا أحمد بن جعفر، قال: حدّثنا حميد بن زياد، قال: حدثنا محمد بن غالب الصيرفي، قال: حدّثنا عليّ بن الحسن الطاطري، قال حدّثنا عمي سعد بن محمد أبو القاسم، قال: حدّثنا درست بكتابه.

وأخبرنا محمد بن عثمان قال: حدّثنا جعفر بن محمد، قال حدّثنا عبيد الله ابن أحمد بن نهيك، قال: حدّثنا محمد بن أبي عمير عن درست بكتابه».

وأمّا عروة فلم نعثر لحد الآن، علىٰ ترجمة له.

وأمّا شعيب العقرقوفي فعدّه الشيخ رحمه الله في رجاله من أصحاب الإمام الصّادق، والإمام الكاظم عليهما السّلام.

وذكره أيضًا في كتاب الفهرست، ص ١٠٨ قال: «شعيب بن يعقوب العقرقوفي، ابن أخت أبي بصير، له أصل، أخبرنا الحسين بن عبيد الله، عن الحسن بن حمزة العلوي، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسىٰ، ومحمد بن أبي عمير، عنه. وأخبرنا به ابن أبي جيد، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن يعقوب بن يزيد، وعليّ بن السندي، عن ابن أبي عمير، وحمّاد بن عيسىٰ، عن شعيب».

وذكره أيضًا النجاشي رحمه الله: «شعيب ابن العقرقوفي أبو يعقوب، ابن أخت أبي بصير (يحيىٰ بن القاسم)، روىٰ عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السّلام، ثقة عين، له كتاب يرويه حمّاد بن عيسىٰ، وغيره.

أخبرنا عدة من أصحابنا، عن الحسن بن حمزة، قال: حدّثنا ابن بطة قال: حدّثنا محمد بن الحسن الصفّار، قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن عيسىٰ عن الحسين بن سعيد، عن حمّاد، عن شعيب به».

وذكر الكشي رحمه الله في ترجمته رواية تدل علىٰ أنّه كان من حملة الأسرار للإمام الصّادق عليه السّلام.

وأمّا أبو بصير، فهو يحيى بن القاسم الأسدي، بقرينة رواية شعيب ابن أخته عنه، وهو رحمه الله وإن كان كثر الاختلاف فيه ـ وتحقيق حاله ونقض الأباطيل التّي وقعت من بعض يستدعي بسط الكلام ـ إلّا أنّا نكتفي بما أفاده المحقق النجاشي رحمه الله، ـ فإنّه، إذا قالت حذام فصدقوها ـ قال رحمه الله:

«يحيىٰ بن القاسم أبو بصير الأسدي، وقيل: أبو محمد، ثقة وجيه، روىٰ عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السّلام.

وقيل: يحيىٰ ابن أبي القاسم، واسم أبي القاسم إسحاق، وروىٰ عن أبي الحسن موسىٰ عليه السّلام، له كتاب يوم وليلة.

أخبرنا محمد بن جعفر، قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدّثنا يحيىٰ بن زكريا بن شيبان، قال: حدّثنا الحسن بن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير بكتابه، ومات أبو بصير سنة خمس ومائة».

وروى الكشي عن ابن أبي عمير، عن شعيب العقرقوفي، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السّلام: ربما احتجنا أن نسأل عن الشّيء، ممن نسأل؟ قال: عليك بالأسدي، يعني أبا بصير». كما في ترجمة أبي بصير ليث المرادي من رجال الكشي ص ١٥٣.

وحكي عن عليّ بن أحمد العقيقي أنّه قال: «يحيىٰ بن القاسم الأسدي مولاهم، ولد مكفوفًا، رأى الدُّنيا مرتين، مسح أبو عبد الله عليه السّلام علىٰ عينيه، وقال: انظر ما ترىٰ، قال: أرىٰ كوّة في البيت وقد أرانيها أبوك من قبل».

وذكره أيضًا الشيخ المفيد في كتاب الاختصاص: ط ٢، ص ٨٣ قال:

«ومن جملة أصحاب الإمام الباقر عليه السّلام أبو بصير يحيىٰ بن أبي القاسم مكفوف، مولىٰ لبني أسد، واسم أبي القاسم إسحاق، وأبو بصير كان يكنّىٰ بأبي محمد».

البحث الثاني:

تعليق علىٰ قوله عليه السّلام: «والعلم مخزون عليكم عند أهله، قد أمرتم بطلبه منه...».

فإن قيل: ما هو العلم الّذي قال عنه أمير المؤمنين هنا: انّكم قد أمرتم بطلبه منهم، وورد أيضًا في غير واحد من الأخبار إنّ طلبه فريضة علىٰ كل مسلم؟ هل المراد منه مطلق الكشف والإدراك القائم بالنّفس، سواء أكان المكشوف والمدرك من الأمور المعنوية المجردة، أم كان من الماديات؟ وبعبارة أخرىٰ: هل المراد من العلم الّذي قد حثّ الشارع علىٰ طلبه، هو خصوص علم المبدأ والمعاد، وعرفان الربّ والنّفس؛ أم المراد أعم منه ومن العلوم الّتي فائدتها

منحصرة في الحياة الدُّنيا، والاستنتاج والانتفاع من متاعها، كالصنائع والرياضيات والهندسيات وغيرها؟

ربّما ادّعىٰ بعض المشغوفين بنتائج الصنائع، القاصرين طرفهم على لذات الماديات، البعيدين عن الكمالات المعنوية: أنّ المراد من العلم الّذي وقع الحضّ عليه، والترغيب فيه من الشارع هو معناه العام، ومفهومه الشّامل!! الشّعي المنطبق بحسب وضعه اللغوي علىٰ كل إدراك وكشف قائم بالنّفس، سواء كان المنكشف دنيويًا أو أخرويًا، وسواء أكان من المعنويات والمجرّدات، أم من الماديات، وسواء أكان له مساس بعرفان الربّ والنّفس، أم لا.

ولكن يقال في جواب أصل السؤال، وفي تفنيد قول من زعم أنّ المراد من العلم مطلق إحاطة الفكر بالأشياء وخواصها ولوازمها ومنافعها:

إنّ المتأمل في الآثار الواردة عن الشّارع، وحفّاظ الشّريعة، وأوعية علم الله، يقطع بأنّ من العلم المرغّب فيه من جانب الشّرع، هو العلم الّذي ينجي من الهلاك، ويقرّب الإنسان إلى الله، ويعرفه الربّ، فيحمله علىٰ إطاعته وإطاعة سفرائه وخلفائه، ويعرفه نفسه، فيحمله على التحلّي بالكمالات النّفسانية، والتّخلّي عن الرّذائل الأخلاقية.

وإنّ من ادعىٰ بالنظر البدوي: شمول العلم حتّىٰ للصنائع والفنون المادية، فهو عن صراط الحقّ لناكب، وعن نيل الحقيقة لبعيد.

ومن تصفّح آثار المعصومين، وتعمّق فيها أدنىٰ تعمق ينكشف له جليًّا أنّ مرادهم من العلم الّذي حثوا عليه، ورغبّوا فيه غاية الترغيب، هو علم المبدأ والمعاد، وإنّ غيره ليس بعلم.

فالعلم في عرف الشّرع، إذا أطلق مجردًا عن القرينة يراد منه عرفان مقام الرّبوبية والعبودية، وما يتبعهما من معرفة النّبيّ والوصيّ، وما يقرّب إلى الله، وما يبعّد عنه.

فإن قيل: كيف يصح نفي العلم وسلبه عن الإدركات الفكرية المتعلقة

بالماديات، وهل هذا إلّا سلب الشّيء عن نفسه، ونفي الشّيء عن ذاته؟

قلنا: قد أغمضت النظر عن الاعتبارات العقلائية، والملاحظات العرفية. وإنّ الاعتبار أمر هيّن بملاحظة الأغراض المطلوبة من الأشياء جليلها وحقيرها وأنّه قد ينزّل وجود الشّيء منزلة عدمه لأجل فقدانه النتيجة المطلوبة، أو لما يترتب عليه من المضار والمفاسد، وأنّه قد ينزّل المعدوم منزلة الموجود، إرشادًا إلىٰ ما يترتب عليه أو يترقب منه في أزمنة وجوده، وذلك في العرفيات فوق حدّ الإحصاء، وملحوظ عند جميع الأمم، على اختلاف آرائها وألسنتها وأقطارها ومذاهبها، وقد اعتبره الشّارع في أمور كثيرة، واستعمله في كثير من المقامات.

وكفاك شاهدًا لما ذكرنا الصّوت السّماوي، والنّداء الملكوتي يوم بدر: لا فتىٰ إلّا عليّ، ولا سيف إلّا ذو الفقار.

وحسبك الخبر المعروف المشهور لدى الطّائفتين، المروي في الكافي والمعاني في الباب، ٧٧ ص ١٤١، وغيرهما من الكتب المعتبرة:

«إنّه دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم المسجد، فإذا جماعة قد أطافوا برجل فقال: ما هٰذا؟ قالوا: علّامة يا رسول الله، فقال، وما العلّامة؟ قالوا: أعلم النّاس بأنساب العرب ووقائعها وأيام الجاهلية وبالأشعار والعربية، قال: فقال النّبي صلى الله عليه وآله: ذاك علم لا يضرّ من جهله ولا ينفع من علمه، ثم قال النّبي صلى الله عليه وآله: إنّما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنّة قائمة، وما خلاهن فهو فضل. كما في الحديث ١ من الباب، ٢، من كتاب العلم، من الكافي ص ٣٢، وكما في الحديث ٦، من الباب ٦، من البحار: طبع الكمباني، ج ١، ص ٦٥».

وناهيك قول أمير المؤمنين عليه السّلام: «العالم من عرف قدره، ولم يتعدّ طوره، وكفىٰ بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره...» كما في المختار ٩٩، من خطب نهج البلاغة، إلىٰ غير ذلك من الشواهد الّتي لا تحصىٰ.

فإنْ سأل سائل وقال: ما مقصود أمير المؤمنين عليه السّلام من أهل

العلم، في قوله: «العلم مخزون عند أهله قد أمرتم بطلبه منهم...» هل لعلم الدّين أهل اختصاص يجب الأخذ منهم فقط، أم إنَّ علم الدّين أيضًا كسائر العلوم والصنائع يجوز أخذه وتعلمه من كل من كان عالمًا به؟

قلنا: نعم لعلم الدّين أهل اختصاص ، علموا الدّين وعقلوه عقل دراية ورعاية، لا عقل سماع ورواية، ويجب الأخذ منهم، ولا يجوز التّعدي عنهم، لقول النّبي صلى الله عليه وآله: «لا تتأخروا عنهم فتهلكوا، ولا تتقدموهم فتمرقوا».

فإنْ قيل: ومن هم المنعوتون بهذه الصّفات، وهل لمعرفتهم من سبيل؟

قلنا: المنعوتون بهذه الصّفات هم الّذين أمر الله النّاس بأن يكونوا معهم في قوله تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّادِقِينَ﴾(١٨) وأمر بإطاعتهم أيضًا في قوله عزّ من قائل: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾(١٩). ووصفهم بقوله: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾(٢٠). وبقوله: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ﴾(٢١). ومدحهم بقوله: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهلَ ٱلبَيتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطهِيرًا﴾(٢٢).

فإنْ قلت: لم يتضح المراد، فهل لك تعريف وطريق آخر يكشف عن مرادك جليًّا؟

قلنا: نعم لنا طرق كثيرة لتعريفهم، ونشير هنا إلىٰ بعضها ونقول: إنَّ المراد من أهل علم الدّين هو الّذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّه: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب، ومن أتاها من غير بابها يعدُّ سارقًا».

(١٨) الآية ١١٩، من سورة التوبة: ٩.
(١٩) الآية ٥٩، من سورة النساء: ٤.
(٢٠) الآية ١٢، من سورة الحاقة: ٦٩.
(٢١) الآية ٤٣، من سورة الرعد: ١٣.
(٢٢) الآية ٣٣، من سورة الأحزاب: ٣٣.

نعم إنَّ المراد من أهل علم الدّين هو الّذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّه: «عليّ مع الحقّ، والحقّ معه، يدور معه حيثما دار».

نعم إنَّ المراد من أهل علم الدين هو الّذي قال: «علمني رسول الله صلى الله عليه وآله الف باب من العلم، ينفتح من كل باب ألف باب». وفي طريق آخر: «ينفتح من كل باب ألف ألف باب».

نعم، إنَّ المراد من أهل العلم هو الّذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله في شأنه: «عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ».

نعم، إنَّ المراد من أهل العلم هو الّذي كان في صهوات المنابر يضع يده علىٰ صدره ويقول: «هٰذا سفط العلم، هٰذا ما زقّني به رسول الله زقًّا».

نعم، إنَّ المراد من أهل العلم هو الّذي يتنفّس الصعداء ويقول: ـ مشيرًا إلىٰ قلبه ـ إنَّ ههنا لعلمًا جمًّا، لو وجدت له حملة».

نعم، إنَّ المراد من أهل العلم الّذي يجب الأخذ منه ولا يجوز التعدي عنه، هو من كان يصيح على الأعواد: «سلوني قبل أن تفقدوني فإني بطرق السّماء أعلم مني بطرق الأرض».

نعم، إنَّ علم الدّين يجب أن يؤخذ ممن كان يقول: «فوالله، لو أشاء أن أخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكني أخاف أن تشركوا فيَّ برسول الله، فأفضيه إلى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه».

نعم، إنَّ المراد من أهل العلم هو الّذي كان يقول: «لو ثنيت لي الوسادة وجلست عليها، لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم...».

نعم، إنَّ المراد من أهل العلم هو الّذي كان يقول: «والله ما من آية نزلت في برٍّ أو بحر أو سفر أو حضر في جبل أو في سهل، إلّا وقد علمت فيمن نزلت، وعلىٰ ما نزلت...».

نعم، إنَّ المراد من أهل العلم هو الّذي يحكي عن نفسه الشّريفة بداية أمره

وحال صباوته، ويقول:

«ولقد كنت أتّبع النّبي اتّباع الفصيل لأمّهِ، وكنت أرىٰ نور الوحي وأشمّ ريح النّبوة، ولقد سمعت رنَّة الشّيطان إذ نزل على النّبي الوحي، فقلت: يا رسول الله ما هٰذه الرنَّة؟ فقال: هذه رنَّة الشّيطان، أيس أن يعبد بعد ذلك، إنّك ترىٰ ما أرىٰ، وتسمع ما أسمع، إلّا إنّك لست بنّبي، بل وزير...».

نعم، إنَّ أهل العلم هم الّذين قال النّبي صلى الله عليه وآله مرة بعد أخرىٰ في شأنهم: «إني تارك فيكم الثقلين، ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا، كتاب الله وعترتي، إنّهما لن يفترقا حتّىٰ يردا عليَّ الحوض...»

نعم، يجب أنْ يقتبس العلم من الّذين قال النّبي في حقّهم: مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوىٰ.

نعم، يجب تحمل العلم من الّذين شبههم النّبي صلى الله عليه وآله وسلّم بنجوم الهداية فقال: «مثل أهل بيتي مثل نجوم السّماء، كلما خوىٰ نجم طلع نجم آخر...».

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

نعم، أهل العلم هم الّذين نعتهم النّبي صلى الله عليه وآله بقوله: «إنَّ في كل خلف من أهل بيتي عدولاً، ينفون عن هٰذا الدّين تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين.

إنْ قلت: كل ما ذكرت جلي، وأدلّته غير محصورة، ومن يريد النجاةمن الهلاك الدائم، والاتصال بالمقربين في جوار ربِّ العالمين لا يترك عليًّا وأولاده المعصومين، ولا يتوصل بغيرهم ممن يشكّ في نجاته، وقد قال الله عزّ من قائل في الآية ٣٥ من سورة يونس:

﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلى الحَقِّ أَحقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٢٣].

---

(٢٣) الآية ٣٥، من سورة يونس: ١٠.

ولكن هل يجوز في أمثال زماننا هذا، أخذ العلم وتحمله من كل متلبس بالعلم وموصوف بالفقه، ولو لم يكن علمه مأخوذًا من الكتاب والسّنة بل كان مصدر فتياه القياس أو الرمل والإسطرلاب أو الإستخارة مثلاً، أو كان علمه متخذًا من الكتاب والسّنة، ولكن يكون منحرفًا عقيدةً أو عملاً أو تراكمت عليه ظلمات بعضها فوق بعض؟

وببيان آخر: هل يجوز اتباع كل عالم بالعلوم الشّرعية، وتصديقه بأن ما يقول هو حكم الله؟ وهل يجوز التحمل عنه والنقل عنه لغيره ولو لم يكن هذا العالم المأخوذ منه عادلاً عاملاً بالواجبات، وتاركًا للمحرمات، أو لو لم يكن علمه مأخوذًا من الكتاب والسّنة؟ أم جواز الأخذ والرّواية، والتصديق منوط وموقوف علىٰ أنْ يكون علم المفتي مأخوذًا من الكتاب الكريم، والسّنة الصحيحة، ومشروطاً أيضًا بصحة عقيدة المفتي، وكونه عاملاً بعلمه المعبّر عنه بالعدالة؟

قلت: أمّا تحّمل العلم ـ بمعنىٰ تصديق العالم فيما يخبر عن الله ـ فلا يجوز إلّا إذا كان العالم والمفتي من أهل الحقّ، وكان مخالفًا لهواه، ومطيعًا لأمر مولاه، وكان علمه مأخوذًا من الكتاب والسّنة المعتبرة، وأمّا تحمل العلم ـ بمعنى التعلم على العالم بالعلوم الشّرعية الاعتقادية والعملية، والتّلمذ له ثم النقل إليه ـ فإن كان المتعلم قاصرًا عن تشخيص الحقّ من الباطل، والغث من السّمين، عاجزًا عن معرفة الصّدق والصّواب، فلا يجوز له تعلّم المسائل الاعتقادية أو العلمية، ولا النّقل من غير أهل الحقّ ممن كان له انحراف اعتقادي أو عملي، لأنه لا يأمن الضّلال والهلاك، وأمّا لو كان المتعلّم راسخ القدم في العقائد، ثابت الأركان في عبادة الله، وبيده معرفة الحقّ والباطل، وله حذاقة في خصوصيّات الشّريعة بحيث لا تحركه العواصف ولا تكسره القواصف، فيجوز له التّعلم من غير صحيح الطّريقة اعتقادًا وعملاً، حيث إنّه مأمون من الضّرر، محفوظ من توجه الخطر، وكذا يجوز له أنْ ينقل عنه إلىٰ غيره، ويروي عنه إذا لم يوجب التباس الحقّ بالباطل، وإضلال عباد الله، والقسمان الأخيران وهما عدم جواز التّلمذ

والنقل في صورة احتمال الضّرر والإضلال، وجواز التّعلم والرّواية مع الأمن من الضّرر والإضلال، قياساتهما معهما، فهما مستغنيان عن الاستدلال وإقامة البرهان عليهما.

وأمّا القسم الأوّل (أي عدم جواز تحمل العلم ـ الّذي يعتبر فيه التّصديق والإذعان، أو الجري العملي عليه ونسبته إلى الشّارع ـ من علماء السّوء من حيث الاعتقاد أو العمل) فإليك دليله:

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من النّاس، ولكن يقبضه بقبض العلماء، فإذا لم ينزل عالم إلىٰ عالم يصرف عنه طلاب حطام الدّنيا وحرامها، ويمنعون الحقّ أهله، ويجعلونه لغير أهله، واتخذ النّاس رؤساء جهّالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»(٢٤).

٢ – وقال صلى الله عليه وآله: «الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدّنيا، قيل: يا رسول الله وما دخولهم في الدّنيا؟ قال: إتباع السّلطان، فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم علىٰ دينكم»(٢٥).

٣ – وقال صلى الله عليه وآله: «من أفتىٰ بغير علم لعنته ملائكة السّماء وملائكة الأرض»(٢٦).

٤ – وقال صلى الله عليه وآله: «تعلّموا من عالم أهل بيتي، وممن تعلّم من عالم أهل بيتي تنجوا من النار». دعائم الإسلام: ج ١، ص ٨٠.

---

(٢٤) الحديث ٨، من الباب ١٤، من البحار: ج ١، ص ٩٠.
وقريب منه في العقد الفريد: ج ١ ص ٢٦٩، ط ٢.
وكما في الحديث ٢٠، من الباب ١٥، من البحار: ج ١، ص ٩٩.
وكما في الحديث ٤١، من الباب ١٦، من البحار: ج ١، ص ١٠١.

(٢٥) الحديث ١٦، من الباب ١٦، من البحار: ج ١.
وقريب منه في دعائم الإسلام: ج ١، ص ٨١.

(٢٦) كما في الدعائم: ج ١، ص ٩٦، ورواه العامة عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلّم وعن أمير المؤمنين عليه السّلام.

٥ ـ وقال صلى الله عليه وآله في الحديث المتواتر بين الفريقين: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»[٢٧].

٦ ـ وقال صلى الله عليه وآله: «أربعة مفسدة للقلوب: الخلوة بالنساء، والاستماع منهنّ، والأخذ برأيهنّ، ومجالسة الموتىٰ، قيل: يا رسول الله! وما هم؟ قال: كلّ ضال وحائر في الأحكام».

٧ ـ وقال صلى الله عليه وآله: «لا تجلسوا عند كل عالم إلّا عالم يدعوكم من الخمس إلى الخمس: من الشّك إلى اليقين، ومن الكبر إلى التواضع، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن العداوة إلى النصيحة، ومن الرغبة إلى الزهد».

٨ ـ وعن أمير المؤمنين عليه السّلام إنّه قال: «يا معشر شيعتنا والمنتحلين مودتنا إياكم وأصحاب الرأي، فإنّهم أعداء السّنن، تفلّتت منهم الأحاديث أنْ يحفظوها، وأعيتهم السّنة أن يعوها، فاتّخذوا عباد الله خولاً وماله دُوَلاً، فذلّت لهم الرّقاب، وأطاعهم الخلق أشباه الكلاب، ونازعوا الحقّ أهله، وتمثّلوا بالأئمّة الصّادقين، وهم من الكفّار الملاعين، فسئلوا عما لا يعلمون، فأنفوا أنْ يعترفوا بأنهم لا يعلمون، فعارضوا الدّين بآرائهم، فضلّوا وأضلّوا، أما لو كان الدِّين بالقياس لكان باطن الرّجلين أولىٰ بالمسح من ظاهرهما».

٩ ـ وقال عليه السّلام: «تعلّموا العلم قبل أنْ يرفع، أمّا إنّي لا أقول: هكذا (ورفع عليه السّلام يده) ولكن يكون العالم في القبيلة فيموت فيذهب بعلمه ويكون الآخر في القبيلة فيموت فيذهب بعلمه، فإذا كان ذلك اتخذ النّاس رؤساء جهّالاً يفتون بالرأي، ويتركون الآثار فيضلون ويُضلّون فعند ذلك هلكت هذه الأمّة». دعائم الإسلام: ج ١، ص ٩٦.

١٠ ـ وقال عليه السّلام: «من دخل في الدّين بالرجال أخرجه منه الرجال كما أدخلوه فيه، ومن دخل فيه بالكتاب والسّنة، زالت الجبال قبل أن يزول» كما في مقدمة الرسالة السّعدية لآية الله العلامة الحلّي رحمه الله، ولكن لم يحضرني الآن،

(٢٧) ورواه في دعائم الإسلام: ج ١، ص ٨٠ بلفظ: «منزلة أهل بيتي فيكم...».

ولكن هذا اللفظ للإمام الصّادق عليه السّلام كما في الحديث ٦٦، من كتاب العلم، من البحار: ج ١، ص ٦٨[٢٨].

١١ ـ وقال السّبط الشّهيد صلوات الله عليه: «مجاري الأمور والأحكام علىٰ أيدي العلماء بالله، الأمناء علىٰ حلاله وحرامه...»[٢٩].

١٢ ـ وقال سيد السّاجدين الإمام زين العابدين عليه السّلام، في كلام طويل: «الرجل كل الرجل هو الّذي جعل هواه تبعًا لأمر الله، وقواه مبذولة في رضا الله، يرى الذّل مع الحقّ أقرب إلىٰ عزّ الأبد من العزّ في الباطل، ويعلم أنّ قليل ما يتحمّله من ضرّائها يؤديه إلىٰ دوام النعيم، في دار لا تبيد ولا تنفد، وأنّ كثير ما يلحقه من سرّائها إنْ اتّبع هواه يؤديه إلىٰ عذاب لا انقطاع له ولا يزول، فذلكم الرجل، نِعمَ الرجل فيه فتمسكوا، وبسنّته فاقتدوا، وإلىٰ ربّكم به فتوسلوا، فإنّه لا تردّ له دعوة، ولا تخيّب له دعوة، ولا تخيّب له طلبة». كما في الحديث ١٠، من الباب ١٤، من كتاب العلم، من البحار: ج ١، ص ٩١.

١٣ ـ وقال الإمام الباقر عليه السّلام: «أمّا إنّه ليس عند أحد من النّاس حقّ ولا صواب إلّا شيء أخذوه منّا أهل البيت، ولا أحد من النّاس يقضي بحقّ وعدل وصواب إلّا مفتاح ذلك القضاء وبابه وأوله وسببه عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، فإذا اشتبهت عليهم الأمور، كان الخطأ من قبلهم، والصواب من قبل عليّ بن أبي طالب عليه السّلام».

١٤ ـ وقال عليه السّلام: «كل ما لم يخرج من هٰذا البيت فهو باطل».

---

(٢٨) ان قلت: فعلىٰ هٰذا لا وجه لنسبته إلىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام بل اللازم روايته عن الإمام الصّادق عليه السّلام قلنا: نسبناه إلىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام لوجهين:

الأوّل: إنّ المغايرة بينهما لا تكون إلّا في ألفاظ طفيفة، ونقل الحديث بالمعنىٰ جائز باتفاق أهل العلم.

الثاني: ما ثبت من طريق أهل البيت عليهم السّلام من جواز نسبة ما ثبت عن بعضهم إلى البعض الآخر منهم.

(٢٩) كما في المختار ج ١ من كلمه عليه السّلام في تحف العقول.

١٥ ـ وقال عليه السّلام: «إنّا أهل بيت من علم الله علمنا، ومن حكمه أخذنا، ومن قول الصّادق سمعنا، فإن تتّبعونا تهتدوا».

١٦ ـ وروى الشيخ المفيد رحمه الله في كتاب الاختصاص. ط ٢، ص ٣١، أنّه قال عليه السّلام: «كل شيء لم يخرج من هذا البيت فهو وبال».

١٧ ـ وسأله زرارة عن قول أمير المؤمنين عليه السّلام «سلوني عما شئتم، ولا تسألوني عن شيء إلّا أنبأتكم به».

فقال: «إنّه ليس أحد عنده علم شيء إلّا خرج من عند أمير المؤمنين، فليذهب النّاس حيث شاؤوا فوالله ليأتينّ الأمر ها هنا»[٣٠].

١٨ ـ وقال عليه السّلام في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإنْسَانُ إلىٰ طَعامِهِ﴾[٣١] أي إلىٰ عمله الّذي يأخذه عمّن يأخذه[٣٢].

١٩ ـ وقال عليه السّلام: «أما إنّه ليس عند أحد علم ولا حقّ ولا فتيًا إلّا شيء أخذ عن عليّ بن أبي طالب، وعنّا أهل البيت، وما من قضاء يقضىٰ به بحقّ وصواب إلّا بدء ذلك ومفتاحه وسببه وعلمه من عليّ ومنّا، فإذا اختلف عليهم أمرهم قاسوا وعملوا بالرأي، وكان الخطأ من قبلهم إذا قاسوا وكان الصواب إذا اتّبعوا الآثار من قبل عليّ عليه السّلام»[٣٣].

٢٠ ـ وروىٰ بشير الدّهان، عن الإمام الصّادق عليه السّلام، أنّه قال: «لا خير فيمن لا يتفقّه من أصحابنا، يا بشير إنّ الرجل منكم إذا لم يستغن بعلمه، احتاج إليهم، فإذا احتاج إليهم أدخلوه في باب ضلالتهم وهو لا يعلم». كما في

---

(٣٠) الحديث ٣٣ من الباب، من كتاب العلم، من البحار: ج ١.

قال المجلسي رحمه الله: قوله عليه السّلام، ليأتين، بفتح الياء ورفع الأمر، أي يأتي الأمر وما يتعلق بأمور الخلق إلىٰ صدورنا، ويهبط إلينا، ويحتمل نصب الأمر فيكون ضمير الفاعل راجعًا إلىٰ كل أحد من النّاس، أو كل من أراد اتضاح الأمر.

(٣١) الآية ٢٤، من سورة عبس: ٨٠.

(٣٢) الحديث ٦ من رجال الكشي رحمه الله، ص ١١.

(٣٣) الحديث ٣٥، وقريب منه في الحديث ٣٤، من الباب، من كتاب العلم، من البحار: ج ١.

الحديث: ٥٨ من الباب ٦، من كتاب العلم، من البحار: ج ١، ص ٦٨.

٢١ ـ وقال عليه السّلام: «كذب من زعم أنّه يعرفنا وهو مستمسك بعروة غيرنا». كما في الحديث: ٧ و٤٨ من الباب، من كتاب البحار: ج ١، ص ٦٨.

٢٢ ـ وقال عليه السّلام: «إنَّ العلماء ورثة الأنبياء، وذلك إنَّ الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهمًا، وإنَّما ورثوا أحاديث من أحاديثكم، فمن أخذ شيئًا منها فقد أخذ حظًّا وافرًا، ، فانظروا علمكم هٰذا عمَّن تأخذونه، فإنَّ فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين».

٢٣ ـ وقال عليّ بن سويد: كتب إليَّ أبو الحسن موسىٰ بن جعفر عليه السّلام وهو في السجن: «لا تأخذنَّ معالم دينك من غير شيعتنا، فإنك إن تعديتهم أخذت دينك عن الخائنين الّذين خانوا الله ورسوله...» كما في الحديث: ٤ من رجال الكشي، والحديث: ٢ من الباب ٦، من كتاب العلم، من البحار: ج ١.

٢٤ ـ وروىٰ ثقة الإسلام الكليني قدس سرّه في الحديث: ٩٥ من روضة الكافي معنعنًا،!! إنّه عليه السّلام أجاب كتاب عليّ بن سويد بمطالب جمة إلىٰ أنْ قال عليه السّلام:

«فاستمسك بعروة الدِّين آل محمد، والعروة الوثـق الوصيّ بعد الوصيّ، والمسالمة لهم والرِّضا بما قالوا، ولا تلتمس دين من ليس من شيعتك، ولا تحبَّن دينهم فإنَّهم الخائنون الَّذين خانوا الله ورسوله، وخانوا أماناتهم...»(٣٤).

٢٥ ـ وقال الإمام الجواد عليه السّلام: «من أصغى إلىٰ ناطق فقد عبده فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله، وإنْ كان الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبد إبليس»(٣٥).

٢٦ ـ وكتب الإمام الهادي عليه السّلام، إلىٰ أحمد بن حاتم بن ماهويه وأخيه:

---

(٣٤) وقال العلامة المجلسي: إنّ للحديث ستّة طرق صحيحة.

(٣٥) تحف العقول، ٣٣٩.

«فاعتمدا في دينكما علىٰ مسنٍّ في حبّكما [علىٰ كبير في حبّنا «خ ل»] وكلّ كثير القدم في أمرنا، فإنّهم كافوكما إنْ شاء الله تعالىٰ»(٣٦).

٢٧ ـ وقال الإمام العسكري عليه السّلام، في حديث طويل: «فأمّا من كان من الفقهاء صائنًا لنفسه، حافظًا لدينه، مخالفًا لهواه، مطيعًا لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه، وذلك لا يكون إلّا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم فأمّا من ركب من القبائح والفواحش مراكب فسقة فقهاء العامة فلا تقبلوا منهم عنّا شيئًا، ولا كرامة...»(٣٧).

٢٨ ـ وعن الكليني رضوان الله عليه، عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمد ابن عثمان العمري رحمه الله أنْ يوصل لي كتابًا سألت فيه عن مسائل أشكلت عليَّ، فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السّلام: «وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلىٰ رواة أحاديثنا، فإنّهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله، الخبر»(٣٨).

إلىٰ غير ذلك من الأخبار الّتي ذكرها في كتاب العلم من البحار وسنذكر طرفًا آخر منها فيما سيأتي إنْ شاء الله تعالىٰ.

البحث الثالث:

في الإشارة إلىٰ نبذ من فضيلة العلم والعلماء، المنقولة من أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين.

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «العلم وديعة الله في أرضه، والعلماء أمناؤه عليه، فمن عمل بعلمه أدّىٰ أمانته، ومن لم يعمل بعلمه كتب في ديوان الله

---

(٣٦) الحديث ٤، من رجال أبي عمرو الكشي رحمه الله، ص ١٠.

(٣٧) الحديث ١١، من الباب ١٤، من كتاب العلم، من البحار: طبع الكمباني، ج ١.

(٣٨) الحديث ١٢، من الباب ١٤، من كتاب فضل العلم، من البحار: ج ١. ونقله أيضًا مع مسائل إسحاق بن يعقوب في البحار طبع الكمباني، ج ١٧، ص ٢١٩.

من الخائنين»(٣٩).

٢ ـ وقال صلى الله عليه وآله: «فضل العلم خير من فضل العبادة».

٣ ـ وقال صلى الله عليه وآله: إنّ قليل العمل مع العلم كثير، كما ان كثيره مع الجهل قليل. وهٰذان الحديثان رواهما ابن عبد ربّه في الكتاب ٦ من العقد الفريد: ط ٢، ج ١، ص ٢٦٦.

٤ ـ وعن ثقة الإسلام الكليني قدّس سره، في الحديث ١، و٢، من باب فرض العلم، من الكافي معنعنًا، بثلاثة أسانيد، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «طلب العلم فريضة علىٰ كل مسلم، ألا إنّ الله يحبّ بُغاة العلم».

٥ ـ وروى المجلسي في الحديث ٤٥، من الباب ٨، من كتاب العلم، من البحار: ج ١، ص ٧٦، نقلاً عن السرائر معنعنًا، عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال: «المؤمن العالم أعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله، وإذا مات ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدّها شيء إلىٰ يوم القيامة».

وهٰذا الحديث قد بلغ حد الاستفاضة عن غير واحد من المعصومين عليهم السّلام.

٦ ـ وعن كتاب قرب الإسناد معنعنًا، عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال: «إيّاكم والجهّال من المتعبّدين والفجّار من العلماء، فإنّهم فتنة كل مفتون».

ورواه عنه في الحديث ٣، من الباب ٥، من كتاب العلم من البحار: ج ١، ص ٦٤. وفي نفس الباب والباب ١٥، منه أخبار كثيرة بهذا المعنىٰ.

٧ ـ وروىٰ كثير من أصحابنا كالصدوق رحمه الله في الأمالي، وشيخ الطائفة في الحديث ٣٩، من المجلس ٧، من أماليه ص ٣١١، والطبرسي رحمه الله في مقدمة

---

(٣٩) الحديث ٣٩، من الباب، من كتاب العلم، من بحار الأنوار طبع الكمباني، ج ١، ص ٨٠، وكما في الحديث ٥٢٥، من مستدرك البحار: ج ١٧، ص ٤٢٣، س ٦.

مجمع البيان، وغيرهم بأسانيد كثيرة صحيحة، عن الإمام الرِّضا عليه السّلام، عن آبائه، عن النّبي صلوات الله عليهم أجمعين. وإليك الحديث بلفظ الطبرسي رحمه الله قال: وقد صح عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلّم فيما رواه لنا الثقات، بالأسانيد الصحيحة، مرفوعًا إلى إمام الهدىٰ، وكهف الورىٰ، أبي الحسن علي بن موسى الرِّضا عليه السّلام، عن آبائه سيّد عن سيّد، وإمام عن إمام، إلىٰ أن اتصل به عليه وآله السّلام، أنّه قال:

«طلب العلم فريضة علىٰ كل مسلم ومسلمة، فاطلبوا العلم من مظانه، واقتبسوه من أهله، فإنَّ تعلّمه لله حسنة، وطلبه عبادة، والمذاكرة به تسبيح، والعمل به جهاد، وتعليمه من لايعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة إلى الله تعالىٰ؛ لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل الجنة، والمونس في الوحشة، المصاحب في الغربة والوحدة، والمحدّث في الخلوة، والدليل على السرَّاء والضرَّاء، والسّلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم في الخير قادة تقتبس آثارهم، ويقتدىٰ بفعالهم، وينتهىٰ إلىٰ آرائهم، ترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، وفي صلواتها تبارك عليهم، يستغفر لهم كلّ رطب ويابس حتىٰ حيتان البحر وهوامه، وسباع البرّ وأنعامه، إنَّ العلم حياة القلوب من الجهل، وضياء الأبصار من الظلمة، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ بالعبد منازل الأخيار، ومجالس الأبرار، والدرجات العلىٰ في الآخرة والأولىٰ، الذّكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به يطاع الربّ ويعبد، وبه يوصل الأرحام، ويعرف الحلال والحرام، العلم أمام العمل، والعمل تابعه، يلهمه السّعداء، ويحرمه الأشقياء، فطوبىٰ لمن لم يحرمه الله منه حظه».

وهذا الخبر الشريف رواه العامة أيضًا، كما في محكي كتاب المختصر ص ٢٧، عن ابن عبد البرّ في العلم.

وروي أيضًا في حاشية دعائم الإسلام: ج ١، ص ٨١.

٨ ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلّم: «مجالسة العلماء عبادة، والنّظر إلىٰ عليّ عبادة، والنّظر إلى البيت عبادة، والنّظر إلى المصحف عبادة، والنّظر إلى الوالدين

عبادة»[٤٠].

٩ ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلّم: «النّظر في وجه العالم حبًّا له عبادة»[٤١].

١٠ ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلّم: «أربعة تلزم كل ذي حجًى وعقل من أمتي، قيل: يا رسول الله وما هي؟ قال: استماع العلم، وحفظه، والعمل به، ونشره». كما في دعائم الإسلام: ج ١، ص ٨١، والعقد الفريد: ج ١، ص ٢٦٦، ط ٢.

١١ ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلّم: «يحمل هذا العلم من كلّ خلف عدوله، ينفون عنه[٤٢] تحريف الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتأويل الغالين»[٤٣].

١٢ ـ وعن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال: «والله ما برأ الله من برية أفضل من محمد ومنّي وأهل بيتي وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطلبة العلم من شيعتنا»[٤٤].

١٣ ـ قال عليه السّلام:

«كفىٰ بالعلم شرفًا أنْ يدعيه من لا يحسنه ويفرح إذا نسب إليه، وكفىٰ بالجهل ذمًّا أن يبرأ منه من هو فيه». كما عن منية المريد، ومعجم الأدباء، ومن كلامه عليه السّلام أخذ الشاعر وقال:

---

(٤٠) رواه المجلسي نقلاً عن كشف الغمة معنعنًا في الحديث ٢٥، من الباب ٤، من كتاب العلم، من البحار: ج ١، ص ٦٤، طبع الكمباني.

(٤١) رواه المجلسي في الحديث ٣٠، من الباب ٤، من كتاب العلم، من البحار: ج ١، ص ٦٤، طبع الكمباني.

(٤٢) وروى الكشي رحمه الله في الحديث ٥، من رجاله ١٠، معنعنًا، أنّه قال صلى الله عليه وآله وسلّم:

«يحمل هذا الدّين في كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين، وانتحال الجاهلين، كما ينفي الكير خبث الحديد».

(٤٣) دعائم الإسلام: ط ١، ج ١، ص ٨١. والعقد الفريد: ط ٢، ج ١، ص ٢٦٦.

(٤٤) ورواه الشيخ المفيد في كتاب الاختصاص ص ٢٣٤، ط ٢، ورواه عنه المجلسي رحمه الله في البحار: ج ١، ص ٥٨.

كفىٰ شرفًا للعلم دعواه جاهل ويفرح أن يدعي إليه وينسب
ويكفي خمولاً للجهالة أنني أراع متىٰ أنسب إليها وأغضب

١٤ ـ وجمع الإمام المجتبى السبط الأكبر عليه السّلام بنيه وبني أخيه فقال: «إنكم صغار قوم، يوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلّموا العلم، فمن لم يستطع منكم أنْ يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته»(٤٥).

١٥ ـ وقال عليه السّلام: «علّم النّاس علمك، وتعلّم علم غيرك، فتكون قد أتقنت علمك، وعلمت ما لم تعلم»(٤٦).

١٦ ـ وقال صلى الله عليه وآله: «إذا خرج الرّجل في طلب العلم، كتب الله له أثره حسنات، فإذا التقىٰ هو والعالم فتذاكرا من أمر الله تعالىٰ شيئًا أظلتهما الملائكة، ونوديا من فوقهما أنْ قد غفرت لكما».

١٧ ـ وقال الإمام الباقر عليه السّلام: «من علّم باب هدًى كان له أجر من عمل به، ولا ينقص أولئك من أجورهم، ومن علّم باب ضلال كان عليه وزر من عمل به، ولا ينقص أولئك من أوزارهم».

كما في الحديث ٥٦، من الباب ٨: من كتاب العلم، من البحار: ج ١، ص ٧٥، معنعنًا ونقلاً عن محاسن البرقي.

١٨ ـ وقال عليه السّلام: «تذاكر العلم ساعة خير من قيام ليلة»(٤٧).

١٩ ـ وقال عليه السّلام: «رحم الله عبدًا أحيا العلم، فقيل: وما إحياؤه؟ قال: أنْ يذاكر به أهل الدّين والورع»(٤٨).

٢٠ ـ وقال عليه السّلام: «تذاكر العلم دراسة، والدّراسة صلاة حسنة». كما في الحديث ٣٧، من الباب ٤، من كتاب العلم، من البحار: ج ١، ص ٦٤.

---

(٤٥) منية المريد، ورواه منه في كتاب العلم، من البحار طبع الكمباني، ج ١، ص ١٢٠.
(٤٦) رواه المجلسي رحمه الله نقلاً عن كشف الغمة في البحار: ج ١٧، ص ١٤٦.
(٤٧) رواه المجلسي نقلاً عن كتاب الاختصاص في كتاب العلم، من البحار: ج ١، ص ٦٤.
(٤٨) رواه المجلسي رحمه الله نقلاً عن منية المريد في كتاب العلم، من البحار: ج ١، ص ٦٤.

٢١ ـ وقال الإمام الصّادق عليه السّلام: «العلماء أمناء، والأتـقياء والأوصـياء سادة».

٢٢ ـ وفي رواية أخرىٰ عنه عليه السّلام: قال: «العلماء منار، والأتقياء حصون، والأوصياء سادة». كما رواه الكليني رفع الله مقامه معنعنًا في الحـديث ٥، مـن الباب ٢، من باب فضل العلم والعلماء، من الكافي.

٢٣ ـ وقال عليه السّلام: «اطلبوا العلم، وتزيّنوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلّمونه العلم، ولا تكونوا علماء جبابرة، فيذهب باطلكم بحقكم». كـما في دعائم الإسلام: ج ١، ص ٨٠، وجاء أيضًا في غير واحد من المصادر.

٢٤ ـ وروى البرقي في كتاب المحاسن، والصدوق في كتاب الأمالي معنعنًا، أنّـه قال عليه السّلام: «لا يقبل الله عزّ وجلّ عملاً إلّا بمعرفة، ولا معرفة، إلّا بعمل، فمن عرف دلّته المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له، إنَّ الإيمان بعضه من بعض».

٢٥ ـ وبالسندين قال عليه السّلام: «العامل علىٰ غير بصيرة كالسّائر علىٰ غير الطّريق، ولا يزيده سرعة السير إلّا بعدًا».

كما في الحديث ١ و٢، من الباب ٥، من كتاب العلم، من البـحار: ج ١، ص ٦٤.

٢٦ ـ قال الإمام الكاظم عليه السّلام: «أولى العلم بك، ما لا يصلح لك العمل إلّا به، وأوجب العلم عليك، ما أنت مسؤول عن العمل به، وألزم العلم لك، ما دلّك علىٰ صلاح قلبك، وأظهر لك فساده، وأحلى العـلم عـاقبةً مـا زاد في عـملك العاجل، فلا تشغلنّ بعلم ما لا يضرك جهله، ولا تغفلنّ عن علم مـا يـزيد في جهلك تركه»(٤٩).

٢٧ ـ وقال عليه السّلام: «محادثة العالم على المزبلة خير من محادثة الجاهل على

(٤٩) رواه المجلسي نقلاً عن كتاب أعلام الدّين في البحار: ج ١٧، ص ٢٠٦، وقريب منه، رويناه عن أمير المؤمنين عليه السّلام كما يجيء في الباب الخامس من كتابنا هذا.

الزرابي»[٥٠]

٢٨ ـ وروى أبو الصّلت عن الإمام الرّضا عليه السّلام أنّه قال: «رحم الله عبداً أحيا أمرنا، فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلّم علومنا ويعلّمها النّاس، فإنّ النّاس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا، قال أبو الصّلت: قلت له: فقد روي لنا عن أبي عبد الله عليه السّلام أنّه قال: من تعلّم علمًا ليماري به السفهاء، أو يباهي به العلماء، أو ليقبل بوجوه النّاس إليه فهو في النّار، فقال عليه السّلام: صدق جدي عليه السّلام، أفتدري من السفهاء؟ فقلت: لا، يا ابن رسول الله، قال هم قصّاص مخالفينا، وتدري من العلماء؟ فقلت: لا، يا ابن رسول الله، فقال: هم علماء آل محمد الّذين فرض الله طاعتهم، وأوجب مودتهم، ثم قال: وتدري ما معنى قوله: «أو ليقبل بوجوه النّاس إليه»؟ قلت: لا، قال: يعني والله بذلك ادعّاء الإمامة بغير حقّها، ومن فعل بذلك فهو في النّار». كما في الحديث ١١، من الباب ٩، من كتاب العلم، من البحار: ج ١، ص ٧٨، عن العيون والمعاني معنعنًا.

٢٩ ـ وقال عليه السّلام: «مودة عشرين سنة قرابة، والعلم أجمع لاهله من الآباء». كما رواه المجلسي نقلاً عن كتاب عيون أخبار الرّضا معنعنًا في الحديث ٨، من الباب ١٢، من البحار: ج ١٦، ص ٤٨، طبع الكمباني.

البحث الرابع:

في ذكر ما ورد عن بعض أنبياء السلف والعلماء والصلحاء والحكماء والأمراء في فضيلة العلم والعلماء.

١ – روى المجلسي قدّس الله نفسه في البحار: طبع الكمباني، ج ١٧، ص ٢٦٧، عن الإمام الصّادق عليه السّلام، أنّه قال: «قال لقمان لابنه: يا بنيّ إن تأدّبت صغيرًا انتفعت به كبيرًا، ومن عُني بالأدب اهتمّ به، ومن اهتمّ به تكلّف علمه، ومن تكلّف علمه اشتدّ له طلبه، أدرك به منفعة فاتخذه عادة، وإيّاك والكسل منه

---

(٥٠) الحديث ٢٨، من الباب ٤، من كتاب العلم، من البحار: ج ١: ص ٦٤.

والطّلب لغيره، وإن غلبت على الدُّنيا فلا تغلبن على الآخرة، وإنّه إنْ فاتك طلب العلم فإنك لن تجد تضييعًا أشدّ من تركه، يا بنيّ استصلح الأهلين والإخوان من أهل العلم إنِ استقاموا على الوفاء، واحذرهم عند انصراف الحال بهم عنك، فإنّ عداوتهم أشدّ مضرّة من عداوة الأباعد، لتصديق النّاس إيّاهم لاطّلاعهم عليك».

٢ ـ وروي عنه بسند آخر أنّه قال: يا بنيّ أخلص طاعة الله حتّىٰ لا تخالطها بشيء من المعاصي، ثمّ زيّن الطاعة باتّباع أهل الحقّ، فإنّ طاعتهم متّصلة بطاعة الله تعالىٰ، وزيّن ذلك بالعلم، وحصّن علمك بحلم لا يخالطه حمق، واخزنه بلين لا يخالطه جهل، وشدّده بحزم لا يخالطه الضّياع، وامزج حزمك برفق لا يخالطه العنف.

٣ ـ وبهٰذا السند قال الإمام الصّادق عليه السّلام: «قال أمير المؤمنين عليه السّلام: قيل للعبد الصالح لقمان: أيّ النّاس أفضل؟ قال: المؤمن الغنيّ، قيل: الغنيّ من المال؟ فقال لا، ولكن الغنيّ من العلم، الّذي إن احتيج إليه انتفع بعلمه، وإن استغني عنه اكتفىٰ، قيل: فأيّ النّاس أشرّ؟ قال: الذي لا يبالي أنْ يراه النّاس مسيئًا».

٤ – وقال داود لابنه سليمان عليهما السّلام: «لفّ العلم حول عنقك واكتبه في ألواح قلبك». كما رواه ابن عبد ربّه في العقد الفريد: ط ٢، ج ١، ص ٢٦٤.

٥ ـ وروىٰ معلم الأمّة الشيخ المفيد رحمه الله معنعنًا، في الحديث ٢، من المجلس ٣٩، من أماليه عن عكرمة، قال:

«سمعت عبد الله بن عباس يقول لابنه عليّ بن عبد الله: ليكن كنزك الّذي تدّخره العلم، وكن به أشدّ اغتباطًا منك بكنز الذهب الأحمر، فإني مودعك كلامًا إنْ أنت وعيته اجتمع لك به خير الدُّنيا والآخرة [وهو]:

لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخّر التّوبة لطول الأمل، ويقول في الدُّنيا قول الزّاهدين، ويعمل فيها عمل الراغبين، إنْ أعطي فيها لم يشبع، وإنْ

منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي، ويأمر بما لا يأتي، يحبّ [يصحب «خ ل»] الصّالحين ولا يعمل عملهم، ويبغض الجاهلين وهو أحدهم، ويقول لم أعمل فأتعنّىٰ، ولا أجلس فأتمنّى[٥١] وهو يتمنّى المغفرة وقد دأب في المعصية، قد عمّر ما يتذكر فيه من تذكر، يقول فيما ذهب: لو كنت عملت ونصبت كان ذخراً لي، ويعصي ربّه عزّ اسمه فيما بقي غير مكترث، إنْ سقم ندم على العمل، وإنْ صحّ أمن واغترّ وأخّر العمل، معجب [معجبًا «خ»] بنفسه ما عوفي، وقانط [وقانطًا «خ»] إذا ابتلي، إن رغب أشر، وإنْ بسط [سخط «خ»] له هلك، تغلبه نفسه علىٰ ما يظنّ، ولا يغلبها علىٰ ما يستيقن، لا يثق من الرزق بما قد ضمن له، ولا يقنع بما قسم له، لم يرغب قبل أنْ ينصب، ولا ينصب فيما يرغب، إن استغنىٰ بطر، وإن افتقر قنط، فهو يبتغي الزّيادة وإنْ لم يشبع، ويضيّع من نفسه ما هو أكره [أكبر «خ»] يكره الموت لإساءته، ولا يدع الإساءة في حياته، إنْ عرضت شهوته واقع الخطيئة ثم تمنى التوبة، وإنْ عرض له عمل الآخرة دافع، ويبلغ في الرّغبة حين يسأل، ويقصّر في العمل حين يعمل، فهو بالطّول مدلّ، وفي العمل مقلّ، يبادر في الدُّنيا تعبًا لمرض، فإذا أفاق واقع الخطايا، ولم يعوض [ولم يعرض «خ»]، يخشى الموت. ولا يخاف الفوت، يخاف علىٰ غيره بأقلّ من ذنبه، ويرجو لنفسه بدون عمله، وهو على النّاس طاعن، ولنفسه مداهن، يرىٰ [يرجو «خ»] الأمانة ما رضي؟ ويرى الخيانة إن سخط. إنْ عوفي ظنّ أنّه قد تاب، وإن ابتلي طمع في العافية وعاد، لا يبيت قائمًا، ولا يصبح صائمًا يصبح وهمّه الغذاء، ويمسي ونيّته العشاء وهو مفطر، يتعوّذ بالله من هو فوقه، ولا ينجو بالعوذة منه من هو دونه، يهلك في بغضه إذا أبغض، ولا يقصر في حبّه إذا أحبّ، يغضب من اليسير، ويعصي على الكثير، فهو يطاع ويعصي الله، والله المستعان»[٥٢].

---

(٥١) كذا في أصلي.

(٥٢) هذا كله أخذه حبر الأمّة رحمه الله من باب مدينة علم النّبي صلى الله عليه وآله وسلّم ←

٦ ـ وقال بعض الحكماء: «ليس طلبي للعلم طمعًا في بلوغ قاصيته، واستيلاء علىٰ غايته، ولكن لالتماسي شيئًا لا يسع جهله، ولا يحسن بالعاقل خلافه».

٧ ـ وأيضًا قال بعض الحكماء: «إنْ لم تكن عالمًا فتعلّم، وإنْ لم تكن حكيمًا فتحكّم، فإنّه قلّ ما تشبّه رجل بقوم إلّا أنْ يكون منهم»(٥٣).

٨ – وأيضًا قال بعض الحكماء: «العلم روح، والعمل بدن، والعلم أصل، والعمل فرع، والعلم والد، والعمل مولود، وكان العمل بمكان العلم، ولم يكن العلم بمكان العمل».

٩ ـ وقال بعضهم: «من طلب العلم لرغبة أو رهبة أو منافسة أو شهوة كان حظّه منه، ومن طلب العلم لكرم العلم، والتمسه لفضل الاستبانة، كان حظّه منه بقدر كرمه، وانتفاعه به حسب استحقاقه».

١٠ ـ وقال بعضهم: «كلّ شيء يحتاج إلى العقل، والعقل يحتاج إلى العلم».

١١ ـ وقيل للخليل بن أحمد رحمه الله: «أيّهما أفضل العلم أو المال؟ قال: العلم. قيل له: فما بال العلماء يزدحمون علىٰ أبواب الملوك، والملوك لا يزدحمون علىٰ أبواب العلماء؟ قال: ذلك لمعرفة العلماء بحقّ الملوك، وجهل الملوك بحقّ العلماء».

١٢ ـ وقال الأحنف بن قيس: «كاد العلماء أنْ يكونوا أربابًا، وكلّ عزّ لم يكسب بعلم، فإلىٰ ذلّ ما يصير».

١٣ ـ وقال أبو الأسود الدؤلي رحمه الله: «الملوك حكّام على الدُّنيا، والعلماء حكّام على الملوك».

قال أبو جعفر المحمودي: «وهذا أخذه أبو الأسود رحمه الله من كلام سيد الموحدين عليه السّلام أمير المؤمنين عليه السّلام كما سيأتي في قصار حكمه

← وقاموس عيبة علم الله: أمير المؤمنين عليه السّلام كما سنفصل القول في ذلك إنْ شاء الله تعالىٰ.

(٥٣) هذا مروي عن أمير المؤمنين عليه السّلام إلّا أنّه عليه السّلام قال: «إن شاء لم تكن حليمًا فتحلم...».

عليه السّلام».

١٤ ـ وقالت الحكماء: «علّم علمك من يجهل، وتعلّم ممن يعلم، فإذا فعلت ذلك، حفظت ما علمت، وعلمت ما جهلت».

١٥ ـ وقالوا أيضًا: «العلم قائد، والعقل سائق، والنّفس ذود، فإنْ كان القائد بلا سائق هلكت، وإنْ كان سائق بلا قائد أخذت يمينًا وشمالاً، وإذا اجتمعا أنابت طوعًا أو كرهًا».

١٦ ـ قيل للمهلب: «بِمَ أدركت ما أدركت؟ قال: بالعلم، قيل له: فإنّ غيرك قد علم أكثر مما علمت، ولم يدرك ما أدركت؟ قال: ذاك علم حمل، وهذا علم استعمال».

١٧ ـ وقال بعضهم: «إنّ مذاكرة العلم عون علىٰ أدائه، وزيادة في الفهم، ولابدّ للعالم من الجهل، أي أن يجهل كثيرًا مما يسأل عنه، إمّا لأنه ما سمعه أو نسيه».

١٨ ـ وقال بعض حكماء الفرس: «الإنسان الواحد لا يحسن الأشياء كلّها، ولكن يحسن كلّ إنسان شيئًا».

١٩ ـ وقال بعض الأعلام: «إنَّ العزلة بدون عين العلم زلّة، وبدون زاء الزهد علّة».

البحث الخامس:

في شذرة ممّا أنشده العلماء من الشّعر في عظمة العلم.

قال أبو الأسود رحمه الله علىٰ ما في غير واحد من كتب الرجال:

العلم زين وتشريف لصاحبه ... فاطلب هديت فنون العلم والأدبا
كم سيّد بطل آباؤه نجب ... كانوا رؤوسًا، فأضحىٰ بعدهم ذنبا
ومقرف خامل الآباء ذي أدب ... نال المعالي بالآداب والرتبا(٥٤)

---

(٥٤) قيل: المقرف، هو الذي كانت أمّه كريمة، وأبوه غير كريم، والهجين: عكسه، والّذي كان

العــلم كــنز وذخــر لا نـفاد له ... نِعم القرين ونِعم الخدن إنْ صحبا
قد يجمع المال شخص ثم يحرمه ... عمّا قليل، فيلقى الذُّل والحربا
وجـامع العلم مغبوط به أبدًا ... فلا يحاذر فيه الفوت والسَّلبا
يا جامع العلم نِعم الذخر تجمعه ... لا تعدلنَّ به درًّا ولا ذهبا

وقال غيره:

العالم العاقل ابن نفسه ... أغناه جنس علمه عن جنسه
كم بين من تكرمه لغيره ... وبين من تكرمه لنفسه

وقال آخر:

العلم أنفس شيء أنت ذاخره ... من يدرس العلم لم تدرس مفاخره
أقبل على العلم واستقبل مقاصده ... فأوّل العلم إقبال وآخره

وأنشد الرياشي.

طلبت يومًا مثلًا سائرًا ... فكنت في الشعر له ناظما
لا خير للمرء إذا ما غدا ... لا طالب العلم ولا عالما

وقال آخر:

من كان مفتخرًا بالمال والنسب ... فإنّما فخرنا بالعلم والأدب
لا خير في رجل حرٍّ بلا أدب ... لا، لا، وإن كان عالي الرهط والنسب

وذكر العلامة الكراجكي رحمه الله لبعضهم، وكأنَّه أخذه من أبي الأسود، أو العكس:

العلم زين وتشريف لصاحبه ... فاطلب هديت فنون العلم والأدبا
لا خير فيمن له أصل بلا أدب ... حتّىٰ يكون علىٰ ما زانه حربا
كم من حسيب أخي عيٍّ وطمطمة ... فدم لدى القوم معروف إذا انتسبا

← أبواه كلاهما غير كريم يقال له: الضلنقس.

وخـــامل مـقرف الآبـاء ذي أدب   نـــال المـــعالي بـه والمـال والنسَّـبا
فـــالعلم ذخـــر وكـــنز لا نـفاد له   نِـعم القـرين إذا مـا عـاقلًا صـحبا

وقال آخر:

أرى العلم نـورًا والتأدب حـلية   فـخذ مـنهما في رغـبة بـنصيب
وليس يُتم العلم في النّاس للفتىٰ   إذا لم يكـــن في عـــلمه بأديب

وقال الحكيم مؤمن الجزائري:

يـنفع المـــرء عـلمه أبـدًا   دون مـــا لا يــزال يجـمعه
إنَّ مـن لا يكـون ذا سـعة   لا يكون الكمال يـنفعه(٥٥)

---

(٥٥) قال العلامة النراقي قدّس سرّه: وفي البيتين تناقض ظاهر، ودفعه ان قوله: لا يكون، ثانيًا تأكيد لفظي لقوله: لا يكون أولاً، ولا يفيد معنىٰ ثانيًا.

ـ ٢ ـ

ومن وصيةٍ له عليه السّلام

في الحثّ على التقوىٰ والزّهد

محمد بن يعقوب الكلينيّ أعلى الله مقامه، عن أحمد بن محمد بن أحمد الكوفي ـ وهو العاصميّ ـ عن عبد الواحد بن الصّوّاف، عن محمد بن إسماعيل الهمدانيّ، عن أبي الحسن موسىٰ بن جعفر عليه السّلام، قال: كان أمير المؤمنين عليه السّلام يوصي أصحابه ويقول:

أُوصِيكُم بِتَقْوَى اللهِ فإنَّها غِبْطَةُ الطَّالِبِ[١] الرّاجِي، وَثِقَةُ الْـهَارِبِ اللّاجِي وَاسْتَشْعِرُوا التَّقْوىٰ شِعارًا باطِنًا، واذكُرُوا اللهَ ذِكْرًا خالِصًا تُحْيَوْا بِهِ أفْضَلَ الحَياةِ، وتُسْلكُوا بِهِ طَرِيقَ النَّجاةِ[٢]، أُنْظُرُوا في الدُّنيا نَظَرَ الزَّاهِدِ[٣]

---

(١) سيجيء الكلام في التقوىٰ، وأمّا الغبطة فهو اسم من قولهم: غبطه (من باب ضرب ومنع) غبطًا وغبطة، أي تمنّىٰ مثل حال غيره من غير أنْ يريد زواله منه، وهو بخلاف الحسد فإنّه أمل عين النعمة الّتي أعطيت غيره، أو أمل مثلها مع إرادة زوالها منه، وهو من أكبر الكبائر، ولذا ورد في ذمّه وكونه مصدرًا للمهالك أخبار كثيرة، كقولهم عليهم السّلام: الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النّار الحطب، وأمّا الغبطة فإنّها ليست بمذمومة، بل بعض أقسامها ممدوح مثل أن يتمنّىٰ توفيق العلم أو بعض الأعمال الصالحة أو التحلي بالمكارم.

(٢) كأنّه إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ في الآية ٢٤، من سورة الأنفال: ﴿يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ ولِلرَّسُولِ إذا دَعاكُمْ لِما يُحيِيكُمْ﴾.

(٣) من قوله عليه السّلام: «انظروا في الدُّنيا» إلىٰ قوله: «.. والبقاء فيها إلى الضعف والوهن..» مذكور في صدر المختار ٩٩، أو ١٠١ من خطب نهج البلاغة.

وأيضًا رواه صاحب عيون الحكم والمواعظ، ومطالب السؤول ص ١٤٨ وص ١٤٩ ورواه المجلسي رحمه الله عنهما في البحار: ج ١٧، ص ١٢١، وص ٤٠٠.

المُفارِقِ لَها، فَإِنَّها تُزِيلُ الثَّاوِيَ السَّاكِنَ[٤]، وَتَـفْجَعُ المُـتْرَفَ الآمِـنَ[٥] لَا يُرجىٰ مِنها ما تولّىٰ فأدبَرَ، وَلا يُدْرىٰ ما هُوَ آتٍ فَيُنتَظَرُ، وَصَلَ البَلاءُ مِنْها بِالرَّخاءِ، وَالبَقاءُ مِنْها إلى الفَناءِ، فَسُرورُها مَشُوبٌ بِالْحَزَنِ، وَالْبَقاءُ فِيها إِلى الضَّعْفِ وَالْوَهَنِ، فَهِيَ كَرَوضَةٍ اعْتَمَّ مَرْعَاها[٦]، وَأَعْجَبَتْ مَنْ يَراها، عَذْبٌ شِرْبُها، طَيِّبٌ تُرْبُها[٧] تَمُجُّ عُرُوقُها الثَّرىٰ[٨] وَتَنْطِفُ فُرُوعُها النَّدىٰ[٩]، حتّىٰ

---

(٤) ثوىٰ يثوي «كرمىٰ يرمي» ثواء وثويًّا (علىٰ زنة هواء وهويًّا) المكان وفيه وبه، أي أقام فيه، ومنه قوله تعالىٰ في الآية ٤٥، من سورة القصص. ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا في أَهلِ مَدْيَنَ﴾ أي مقيمًا فيهم.

(٥) فجعه ـ فَجْعًا (من باب منع) وفجّعه الأمر تفجيعًا، أي جعله ذا وجع بنزول ما يكرهه، أو بإعدام ما يحبّه، والمترف: الطاغي من أترفته النّعمة، أي أطغته، أو المصرّ على البغي، أترف الرجل أي أصرّ على البغي، أو صار ذا بطر، من أترفه المال أي أبطره، والجميع متقارب.

(٦) اعتمّ النبت اعتمامًا: اكتهل أي تمّ طوله، وبلغ غاية الامتداد، وظهر نوره.

(٧) وفي نسخة الوافي وتنبيه الخواطر: طيّب تربتها. والترب والترباء والتربة ـ كقفل وفلس، وحمراء وحمرة: التراب. الأرض.

(٨) مجّ (من باب مدّ) مجًّا الشراب، أو الشيء وبه من فمه أي رمىٰ وقذف به. والثرىٰ ـ اريد به هٰهنا ـ النداوة والرطوبة. وفي تنبيه الخواطر: يبهج عروقها الثرىٰ، وينظف فروعها الندىٰ.

(٩) نطف (من باب ضرب ونصر) نطفًا وتنطافًا ونطافة ونطفانًا الماء، أي سال قليلاً قليلاً، ونطفت القربة الماء، أي رشته وصبته، أي ان الدُّنيا في بهائها ورونقها كأغصان أشجار من شدّة نضارتها وريعانها بحيث تتقاطر بالماء وترش به.

وقال المحقق الفيض رحمه الله: كان الأوّل كناية عن أحكام العروق وأعـراقـها في الأرض، والثاني عن نضرة الفروع وخضرتها وطراوتها.

وعلىٰ ما في نسخة تنبيه الخواطر، كأنّه عليه السّلام أراد من قوله «يبهج» التزيين والاهتزاز، وأيضًا المقصود من الثّرىٰ ـ بناء علىٰ هذه النسخة ـ: وجه الأرض، وكذا المراد من العروق كأنّه الأغصان الممتدّة، والأورراق المتدلّية، المنبسطة علىٰ وجـه الأرض، أي إنّ الدُّنيا كروضة اهتزّت الأرض ببهجتها، وزيّنت الغبراء والبسيطة بنضارة أغصان أشجارها، والتفاف أوراقها الرائعة عليها.

←

إذا بَلغَ العُشْبُ إبّانَهُ(١٠)، وَاسْتَوىٰ بَنانُهُ(١١) هاجَتْ رِيحُ تَحْتَ الْوَرَقِ، وَتَفَرَّقَ ما اَتَّسَقَ، فَأَصْبَحَتْ ـ كما قالَ اللهُ ـ ﴿هَشِيمًا تذْرُوهُ الرِّياحُ، وَكانَ اللهُ علىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾(١٢) أُنْظُرُوا في اَلدُّنيا فِي كَثْرَةِ ما يُعْجِبُكُمْ وَقلَّةِ ما يَنْفَعُكُم.

انتهى الحديث ٣، من روضة الكافي.

ورواه عنه الفيض الكاشاني رحمه الله في المختار ١ من باب مواعظه عليه السّلام من كتاب الوافي: ٤، ٦٢.

← وقوله عليه السّلام: «ينظّف فروعها الندىٰ» كأنّه إشارة إلىٰ ما عدّ في عصرنا من البديهيات،: من جذب الأشجار والنباتات الخضراء، الهواء الملوّث ونشر الهواء الملطّف، وإذاعة المروّح منها، عكس الحيوانات.

(١٠) العشب ـ كقفل ـ: الكلأ الرطب وإبّان الشيء: أوانه أو أوله، ومنه الحديث: كُلِ الفواكه في إبانّها.

(١١) وفي تنبيه الخواطر والوافي: واستوىٰ نباته.

(١٢) الآية ٤٥ من سورة الكهف.

والهشيم فعيل بمعنىٰ مفعول من قوله: هشم (من باب ضرب) هشماً الشيء أي كسره، إلّا أنّه يختص بكسر الشيء اليابس أو المجوف، وتذروه أي تطيّره وتفرّقه في كلّ جهة، وتجعله هباءً منثورًا.

ولطافة هذه الوصيّة الشريفة، والكلام القدسي لا تدرك كما هي إلّا بذكر تمام الآية الشريفة، وبذكرها والمقايسة بينهما تتجلّىٰ صحة ما قيل في وصف كلامه عليه السّلام: من أنّه دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوق، فأقول تمام الآية الكريمة هكذا: ﴿وَاضرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الحَياةِ الدُّنيا كماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الأَرضِ فاصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِياحُ وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ مُقْتَدِرًا﴾.

فدقق النظر كيف بيّن عليه السّلام تأثير الماء النازل من السماء في التراب القابل بقوله عليه السّلام: «فهي كروضة اعتمّ مرعاها وأعجبت من يراها».

وكيف كشف عليه السّلام عن حال النباتات في أوان اشتدادها، وحال ريعانها وأوقات اخضرارها بقوله: «تمج عروقها الثرىٰ وتنطف فروعها النّدىٰ...» وكيف شرح عليه السّلام عاقبة أمرها وما تؤول إليه من الانكسار والتّشتت في أيدي الدّواب والأنعام، ومن تفريقه وتطييره بكل ريح ونسيم يهيج، بقوله: «هاجت ريح تحت الورق وتفرّق ما اتسّق...».

ورواه أيضًا الشيخ الزّاهد الشيخ ورّام في تنبيه الخواطر ٣٤٢.

ورواه أيضًا الحسن بن عليّ بن شعبة في المختار ٤١، من كلامه عليه السّلام في تحف العقول ١٣٩.

ورواه أيضًا السيّد الرضي في المختار ٥٢، من الباب ٢، من مستدرك نهج البلاغة.

وههنا مباحث

البحث الأوّل:

في الإشارة إلىٰ ترجمة رواة الوصيّة.

قال النجاشيّ رحمه الله: أحمد بن محمد بن أحمد بن طلحة، أبو عبد الله ـ وهو ابن أخي أبي الحسن عليّ بن عاصم المحدث ـ[١٣] يقال له العاصمي كان ثقة في الحديث، سالمًا خيّرًا، أصله كوفي سكن بغداد، وروىٰ عن شيوخ الكوفيّين.

وله كتب، منها كتاب نجوم السّماء، وكتاب مواليد الأئمّة وأعمارهم، أخبرنا أحمد بن عليّ بن نوح، قال: حدَّثنا الحسين بن عليّ بن السّفيان عن العاصميّ.

وقريب منه ذكره شيخ الطائفة في كتاب الفهرست، والعلامة في كتاب الخلاصة، وابن شهرآشوب في كتاب معالم العلماء.

وقال (في محكي التعليقة): إنّه رحمه الله من الوكلاء الّذين تشرّفوا برؤية وليّ العصر عليه السّلام، ووقفوا علىٰ معجزاته.

وقال (في محكي الوجيزة): إنّه رحمه الله أستاذ الكلينيّ رحمه الله وحسبه بذلك فخرًا ومنقبة، وثوابًا وحسنة.

---

(١٣) وفي محكيّ رسالة أبي غالب الزراري: وقيل له العاصمي لأنّه كان ابن أخت عليّ بن عاصم.

وهو رحمه الله يروي عن عليّ بن الحسن [الحسين «خ ل»] التيميّ، ويروي عنه تلميذه الكلينيّ وأحمد بن عبدون، وابن الجنيد، والحسين بن عليّ بن سفيان، ومحمد بن أحمد النهديّ رحمهم الله جميعًا.

وأمّا عبد الواحد بن الصّوّاف فلم نقف علىٰ ترجمته فعلًا.

وأمّا محمد بن إسماعيل الهمدانيّ، فعدَّه الشيخ رحمه الله في رجاله من أصحاب الإمام الصّادق عليه السّلام، ولم نعرف فعلًا غير هٰذا من ترجمته.

البحث الثاني:

في التعليقات الرّاجعة إلىٰ متن كلامه عليه السّلام ولنبدأ بالتعليق علىٰ قوله عليه السّلام: أوصيكم بتقوى الله، وببيان حقيقة التّقوىٰ، فنقول:

التقوىٰ، استعملت في اللغة في معانٍ مختلفة كالصيانة والسّتر من الأذىٰ، ومخافة الله والعمل بطاعته، والخشية، والهيبة، وغيرها بحيث يظنّ في أوّل نظرة أنّها متباينة، وكلّ واحدة منها قسيم للآخر، ولكن بالنظر العميق يستكشف أنّها جمعاء ترجع إلىٰ معنًى واحد، وهو التّحفظ عن الوقوع في المكروه، وصون النّفس عن المكاره وسترها عن حلول الأذىٰ فيها. وهٰذا المعنىٰ يختلف في المقامات، فتارة يحصل صون النّفس وحفظها عن المضّرات بالعمل والقيام بفعل، وأخرىٰ يتوقف حفظ النّفس وصيانتها من الآلام والأذىٰ علىٰ ترك العمل وكفّ النّفس عن الفعل، فمرجع الجميع إلىٰ ما ذكر، هذا بحسب اللغة والعرف.

وأمّا بحسب الشّرع فلها مراتب؛ وأوّل مراتبها الّذي تنعقد به العدالة هو إتيان ما أوجب الله عليه، وترك ما نهى الله عنه، والظاهر إنّها عند الشارع أيضًا باقية علىٰ معناها الأولي، أي اللغوي والعرفي، إذ صون النّفس وحفظها عن سخط الله وعذابه علىٰ نحو اليقين والقطع يتوقف على العمل بما أوجب الله عليها، وترك ما حرَّم الله ونهاها عنه، فعلىٰ هٰذا يقال: إنّ حقيقة التّقوىٰ في اللغة والعرف والشرع، هو صون النّفس عن توجه الأذىٰ والألم إليها، والتّحرّز عن الضّرر وما

لا يلائم النّفس، وهٰذا المعنىٰ لا يكون مقطوعًا به للمكلف إلّا إذا أتىٰ بالواجبات وترك المحرمات.

وقال العلامة قدّس سره: «التّقوىٰ في اللغة، فرط الصيانة، وفي العرف هي صيانة النّفس عمّا يضرّها في الآخرة، وقصرها علىٰ ما ينفعها فيها، ولها ثلاث مراتب:

الأولىٰ: وقاية النّفس من العذاب المخلّد بتصحيح العقائد الإيمانية.

والثانية: الاجتناب عن كلّ ما يؤثم من فعل أو ترك، وهو المعروف عند الشّرع.

والثالثة: التّوقي عن كل ما يشغل القلب عن الحقّ، وهذه درجة الخواص، بل خاص الخاص».

أقول: ولعل هذه المرتبة مراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم من قوله: «لا يبلغ العبد حقيقة التّقوىٰ حتّىٰ يدع ما لا بأس به حذرًا مما به البأس».

وكذلك مقصود أمير المؤمنين عليه السّلام هي المرتبة الثالثة من قوله عليه السّلام حينما سئل عن التّقوىٰ، فقال عليه السلام ما معناه: المتّقي هو الذي لو وضع عمله علىٰ طبق مكشوف، ويدور به على العالمين، لم يكن فيه ما يستخفي به، ويستحيي منه(١٤).

وأيضًا الظاهر إنّ هٰذه المرتبة هي الّتي أرادها الإمام الصّادق عليه السّلام لمّا سئل عن التّقوىٰ فقال: «أنْ لا يفقدك حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك»(١٥).

وسئل بعض السّالكين عن التّقوىٰ، فقال: هل دخلتم أرضًا فيها شوك؟

---

(١٤) رواه جمال المفسرين أبو الفتوح الرازي رحمه الله بالفارسية في تفسير قوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدًى للمتّقين﴾.

(١٥) ويمكن إرجاع هٰذا إلىٰ ما ذكرناه أولًا، من أنّه أوّل المراتب الّتي تنعقد وتتحقق بها ومعها العدالة، من أنّه إتيان ما أوجب الله عليه، وترك ما حرّم الله عليه.

فقيل: نعم فقال: كيف تعمل وما تصنع؟ قيل: نتوقّىٰ ونتحرّز، فقال: إصنعوا في طريق الدِّين كذلك، فتوقّوا عن المعاصي، كما يتوقّىٰ الماشي رجله من الشّوك. ونظمها بعض الشعراء وقال:

خـلِّ الذنـوب صغيرها وكـبيرها فـهو التـقىٰ

واصـنع كـماشٍ فـوق أر ض الشّوك يحذر ما يرىٰ

لا تحـقرنّ صـغيرة إنّ الجـبال مـن الحـصىٰ

وقيل: التّقوىٰ بحسب العرف الشّرعي تعود إلىٰ خشية الله سبحانه المستلزمة للإعراض عن كلّ ما يوجب الالتفات عنه تعالىٰ، من متاع الدُّنيا وزينتها، وتنحية ما دون وجهة القصد.

وقيل: إنّ خيرات الدُّنيا والآخرة جمعت تحت لفظة واحدة، وهي التّقوىٰ، أنظر إلىٰ ما في القرآن الكريم عند ذكرها، فكم علّق عليها من خير ووعد لها من ثواب، وأضاف إليها من سعادة دنيوية، وكرامة أخروية.

وحكي عن ابن فهد رحمه الله، في كتاب عدة الداعي أنّه قال: التّقوىٰ هي العدة الكافية في قطع الطّريق إلى الجنة، بل هي الجنة الواقية من متالف الدُّنيا والآخرة، وهي الممدوحة بكلّ لسان، والمشرفة لكلّ إنسان، وقد شحن بمدحها القرآن، وكفاها شرفًا قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّينا الَّذين أوتوا الكِتابَ مِنْ قبلِكُمْ وإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ﴾(١٦) ولو كانت في العالم خصلة هي أصلح للعبد وأجمع للخير، وأعظم بالقدر، وأولىٰ بالإجمال، وأنجح للآمال من هذه الخصلة الّتي هي التّقوىٰ لكان الله أوصىٰ بها عباده لمكان حكمته ورحمته فلمّا أوصىٰ بهذه الخصلة الواحدة جميع الأولين والآخرين واقتصر عليها علم أنّها الغاية الّتي

(١٦) الآية ١٣١ من سورة النساء، وفي تفسير الآية الكريمة من تفسير الصافي نقلًا عن مصباح الشريعة أنّه قال الصّادق عليه السّلام: في هذه الآية قد جمع الله ما يتواصىٰ به المتواصون من الأولين والآخرين، في خصلة واحدة هي التّقوىٰ، وفيها جماع كل عبادة صالحة، وبها وصل من وصل إلى الدرجات العلىٰ.

لا يتجاوز عنها، ولا مقتصر دونها، والقرآن مشحون بمدحها وعدّد في مدحها خصالًا:

الأولى: المدح والثناء ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾. [١٨٦/ آل عمران: ٣].

الثانية: الحفظ والتحصين من الأعداء ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾. [١٢٠/آل عمران:٣]

الثالثة: التأييد والنصر ﴿أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾. [١٩٤/ البقرة: ٢]

الرابعة: إصلاح العمل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَولاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾. [٧٠ و ٧١ / الأحزاب: ٣٣]

الخامسة: غفران الذنوب ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾(١٧).

[٣١ / آل عمران: ٣]

السادسة: محبّة الله ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾(١٨)

السابعة: قبول الأعمال ﴿إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾. [٢٧ / المائدة]

الثامنة: الإكرام ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾. [١٣ / الحجرات: ٤٩]

التاسعة: البشارة عند الموت ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ البشرَىٰ فِي ٱلحَيَاةِ الدُّنْيا وَفِي الآخِرَةِ﴾. [٦٣ و٦٤/ يونس: ١٠]

العاشرة: النجاة من النّار ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ ٱتَّقَوا﴾. [٧٢ / مريم: ١٩]

الحادية عشرة: الخلود في الجنّة ﴿أُعِدَّتْ لِلمُتَّقِينَ﴾.

[١٣٣ / آل عمران: ٣]

الثانية عشرة: تيسير الحساب ﴿وَمَا عَلى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِنْ

---

(١٧) لم أجد آية راجعة إلى التقوىٰ بهذه اللفظة.

(١٨) وفي الآية (٧٦) من سورة آل عمران هكذا: ﴿بَلَى مَنْ أَوفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ المتَّقِينَ﴾.

شَيء﴾. [٦٩/ الأنعام: ٦]

الثالثة عشرة: النّجاة من الشّدائد والرّزق الحلال ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجعَلْ لَهُ مَخرَجًا﴾ ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بالِغُ أَمرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكلِّ شيءٍ قَدْرًا﴾. [٢ و ٣ / الطلاق: ٦٥]

فانظر ما جمعت هٰذه الخصلة الشريفة من السعادات فلا تنس نصيبك منها(١٩).

(التعليق الثاني): في ذكر بعض الآثار الواردة في الزهد في الدُّنيا عن المعصومين عليهم السّلام:

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «لا تكونوا ممن خدعته العاجلة، وغرّته الأمنية، فاستهوته الخدعة، فركن إلىٰ دار السوء، سريعة الزوال، وشيكة الانتقال إنّه لم يبق من دنياكم هٰذه في جنب ما مضىٰ إلّا كإناخة راكب أو صرّ جالب، فعلىٰ ما تعرّجون؟ ماذا تنتظرون؟ فكأنكم والله وما أصبحتم فيه من الدُّنيا لم يكن، وما تصيرون إليه من الآخرة لم تزل، فخذوا أهبة لازوال لنقلة (٢٠)، وأعدّوا الزّاد لقرب الرّحلة، واعلموا أنَّ كل امرئ علىٰ ما قدَّم قادم، وعلىٰ ما خلّف نادم.»

وقال صلى الله عليه وآله وسلّم: «يا معشر المسلمين شمّروا فإنَّ الأمر جدٌّ، وتأهبوا فإنَّ الرّحيل قريبٌ، وتزوّدوا فإنَّ السّفر بعيد، وخفّفوا أثقالكم فإنَّ وراءكم عقبة كؤودًا لا يقطعها إلّا المخفّفون، أيّها النّاس إنَّ بين يدي الساعة أمورًا شدادًا، وأهوالًا عظامًا، وزمانًا صعبًا يتملك فيه الظّلمة، ويتصدّر فيه الفسقة ويضام فيه الآمرون بالمعروف، ويضطهد فيه النّاهون عن المنكر، فأعدّوا لذلك

---

(١٩) ولا يخفىٰ أنّه ليس مراده الفوائد المرتبة في الذّكر الحكيم على التّقوىٰ، فيما ذكره، بل المقصود من كلامه الإشارة إلىٰ نتائج التّقوىٰ، وإنّ ما علّقه الله تعالىٰ في الموارد ممّا تحنّ إليه قلوب الأولياء، وتشتاق إليه نفوس الأزكياء والعارفين، فليشمّر المجدّون إليه، وليتنافس المتنافسون فيه.

(٢٠) كذا في أصلي.

الإيمان، وعضّوا عليه بالنواجذ، والجأوا إلى العمل الصالح، وأكرهوا عليه النّفوس، تفضوا إلى النّعيم الدّائم».

وقال السّبط الأكبر الإمام المجتبىٰ عليه السّلام: «اعلموا أنّ الله لم يخلقكم عبثًا، وليس بتارككم سدًى، وقسّم بينكم معايشكم ليعرف كل ذي لبٍّ منزلته، وأنَّ ما قدِّر له أصابه، وما صرف عنه فلن يصيبه، قد كفاكم مؤونة الدُّنيا، وفرغكم لعبادته، وحثّكم على الشّكر وافترض عليكم الذّكر. وأوصاكم بالتّقوىٰ، وجعل التّقوىٰ منتهىٰ رضاه، والتّقوىٰ باب كل توبة، ورأس كلّ حكمة، وشرف كلّ عمل بالتّقوىٰ. فاز من فاز من المتّقين، قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿إنّ للمتّقين مفازًا﴾ وقال: ﴿وينجّي الله الّذين اتّقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون﴾.

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أنّه من يتّق الله يجعل له مخرجًا من الفتن، ويسدّده في أمره، ويهيّئ له رشده، ويفلجه بحجته، ويبيّض وجهه، ويعطيه رغبته، مع الّذين أنعم الله عليهم من النّبيين والصّديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا».

البحار: ج ١٧، ص ١٤٦، طبع الكمباني.

وقال السّبط الشهيد بكربلاء، الحسين بن عليّ عليهما السّلام:

«أوصيكم بتقوى الله، وأحذّركم أيّامه، وأرفع لكم أعلامه، فكأن المخوف قد أفد بمهول وروده، ونكير حلوله، وبشع مذاقه، فاعتلق مهجكم، وحال بين العمل وبينكم، فبادروا بصحّة الأجسام، في مدّة الأعمار، كأنّكم ببغتات طوارقه، فتنقلكم من ظهر الأرض إلىٰ بطنها، ومن علوّها إلىٰ سفلها، ومن أنسها إلىٰ وحشتها، ومن روحها وضوئها إلىٰ ظلمتها، ومن سعتها إلىٰ ضيقها، حيث لا يزار حميم، ولا يعاد سقيم، ولا يجاب صريخ، أعاننا الله وإيّاكم علىٰ أهوال ذلك اليوم، ونجّانا وإيّاكم من عقابه، وأوجب لنا ولكم الجزيل من ثوابه.

عباد الله فلو كان ذلك قصر مرماكم، ومدىٰ مظعنكم، كان حسب العامل

شغلًا يستفرغ عليه أحزانه، ويذهله عن دنياه، ويكثر نصبه لطلب الخلاص منه، فكيف وهو بعد ذلك مرتهن باكتسابه، مستوقف علىٰ حسابه، ولا وزير له يمنعه، ولا ظهير عنه يدفعه، ويومئذ لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرًا قل انتظروا إنّا منتظرون.

أوصيكم بتقوى الله، فإنّ الله قد ضمن لمن اتقاه أن يحوله عمّا يكره إلىٰ ما يحبّ ويرزقه من حيث لا يحتسب، فإياك أنْ تكون ممن يخاف على العباد من ذنوبهم، ويأمن العقوبة من ذنبه، فإنّ الله تبارك وتعالىٰ لا يخدع عن جنّته، ولا ينال ما عنده إلّا بطاعته إن شاء الله».

وروى المحدّث النوري رحمه الله في الحديث: (٢٦) من كتاب معالم العبر المطبوع مع المجلد السابع عشر من بحار الأنوار: طبع الكمباني ص ٢٧٥ قال:

حدّث شاكر بن غنيمة بن أبي الفضل، عن عبد الجبار الهاشمي، قال: سمعت هذه الندبة من الشيخ أبي بشر بن أبي طالب الكندي، يرويها عن أبي عيينة الزّهري قال: كان عليّ بن الحسين عليه السّلام يناجي ويقول:

قل لمن قلَّ عزاؤه، وطال بكاؤه، ودام عناؤه، وبان صبره، وتقسّم فكره، والتبس عليه أمره، من فقد الأولاد، ومفارقة الآباء والأجداد، والامتعاض بشماتة الحسّاد، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾.

تعزَّ فكلٌّ للمنيّة ذائق ... وكلّ ابن أنثى للحياة مفارق
فعمر الفتى للحادثات ذريئة ... تناهبه ساعاتها والدّقائق
كذا تتفانىٰ واحد بعد واحد ... وتطرقنا بالحادثات الطوارق

فحسّن الأعمال، وجمّل الأفعال، وقصّر الآمال الطّوال، فما عن سبيل المنيّة مذهب، ولا عن سيف الحمام مهرب، ولا إلىٰ قصد النّجاة مطلب.

فيا أيّها الإنسان المتسخّط على الزّمان، والدّهر الخوان، مالك والخلود إلىٰ دار الأحزان؟ والسّكون إلىٰ دار الهوان؟ وقد نطق القرآن بالبيان الواضح في سورة الرحمن [بقوله:] ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ

وَالإِكرَام﴾:

وفيم وحتّام الشّكاية والرّدىٰ جموع لآجال البرية لاحق
فكل ابن أنثىٰ هالك وابن هالك لمن ضمّنته غربها والمشارق
فلابدّ من إدراك ما هو كائن ولابدّ من إتيان ما هو سابق

فالشّباب للهرم، والصّحة للسقم، والوجود للعدم، وكلّ حيٍّ لا شكّ مخترم، بذلك جرى القلم، علىٰ صفحة اللوح في القدم، فما هٰذا التلهف والندم، وقد خلت من قبلكم الأمم:

أترجو نجاةً من حياةٍ سقيمةٍ وسهم المنايا للخليقة راشق
سرورك موصول بفقدان لذّةٍ ومن دون ما تهواه تأتي العوائق
وحبُّك للدُّنيا غرور وباطلٌ وفي ضمنها للرّاغبين البوائق

أفي الحياة طمع؟ أم إلى الخلود نزع؟ أم لما فات مرتجع؟ ورحى المنون دائرة، وفراسها غائرة، وسطواتها قاهرة، فقرّب الزاد ليوم المعاد، ولاتتوطّ علىٰ غير مهاد، وتعمَّد الصّواب، وحقّق الجواب، فلكل أجل كتاب ﴿يمحو اللهُ ما يشاءُ ويثبتُ وعندهُ أمُّ الكتابِ﴾.

فسوف تلاقي حاكمًا ليس عنده سوى العدل لا يخفىٰ عليه المنافق
يميّز أفعال العباد بلطفه ويظهر منه عند ذاك الحقائق
فمن حسنت أفعاله فهو فائز ومن قبحت أفعاله فهو زاهق

أين السّلف الماضون؟ والأهلون والأقربون؟ والأوّلون والآخرون؟ والأنبياء والمرسلون؟ طحنتهم والله المنون، وتوالت عليهم السّنون، وفقدتهم العيون وإنّا إليهم صائرون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

إذا كان هٰذا نهج من كان قبلنا فإنّا علىٰ آثارهم نتلاحق
فكن عالمًا أنْ سوف تدرك من مضىٰ ولو عصمتك الرّاسيات الشّواهق
فما هٰذه دار المقامة فاعلمن ولو عمّر الإنسان ما ذرّ شارق

أين من شقّ الأنهار؟ وغرس الأشجار، وعمّر الدّيار؟ ألم تمح منهم الآثار؟ وتحلّ بهم دار البوار؟ فاخش الجوار، فلك اليوم بالقوم اعتبار، فإنّ الدُّنيا متاع والآخرة هي دار القرار.

تخرَّمهم ريب المنون فلم تكن ... لتنفعهم جنّاتهم والحدائق
ولا حملتهم حين ولّوا بجمعهم ... نجائبهم والصّافنات السّوابق
وراحوا عن الأموال صفرًا وخلّفوا ... ذخائرهم بالرّغم منهم وفارقوا

أين من بنى القصور والدساكر؟ وهزم الجيوش والعساكر؟ وجمع الأموال؟ وحاز الآثام والجرائر؟ أين الملوك والفراعنة؟ والأكاسرة والسّياسنة؟ أين العمّال والدّهاقنة؟ أين ذوو النّواحي والرساتيق؟ والأعلام والمجانيق؟ والعهود والمواثيق؟

كأن لم يكونوا أهل عزٍّ ومنعة ... ولا رفعت أعلامهم والمجانق
ولا سكنوا تلك القصور الّتي بنوا ... ولا أخذت منهم بعهد مواثق
وصاروا قبورًا دارساتٍ وأصبحت ... منازلهم تسفي عليه الخوافق

ما هٰذه الحيرة والسبيل واضح؟ والمشير ناصح؟ والصّواب لائح؟ عقلت فأغفلت، وعرفت فأنكرت، وعلمت فأهملت، هٰذا هو الداء الّذي عزَّ دواؤه، والمرض الّذي لا يرجىٰ شفاؤه، والأمل الّذي لا يدرك انتهاؤه أفأمنت الأيام، وطول الأسقام؟ ونزول الحمام؟ والله يدعو إلىٰ دار السّلام.

لقد شقيت نفسي تتابع غيّها ... وتصدف عن إرشادها وتفارق
وتأمل مالا يستطاع بحيلة [بحمله «خ»] ... وتعصيك إن خالفتها وتشاقق
وتصغي إلىٰ قول الغوي وتنثني ... وتعرض عن تصديق من هو صادق

فيا عاقلًا راحلاً، ولبيبًا جاهلاً، ومتيقظًا غافلاً، أتفرح بنعيم زائل؟ وسرور حائل؟ ورفيق خاذل؟ فيا أيّها المفتون بعمله، الغافل عن حلول أجله، والخائض في بحار زلله، ما هٰذا التّقصير وقد وخطك القتير؟ ووافاك النذير وإلى

الله المصير.

طــلا بك أمــر لا يــتمّ سروره وجهدك باستصحاب من لا يوافق
وأنت كــمن يــبني بناء وغيره يـــعاجله في هــدمه ويســابق
ويــنسج آمــالاً طــوالاً بعيدة ويعلم أنّ الدّهـر للـنّسج خـارق

ليست الطريقة لمن ليس له الحقيقة، ولا يرجع إلىٰ خليفة، إلىٰ كم تكدح ولا تقنع؟ وتجمع ولا تشبع؟ وتوفر لما تجمع؟ وهو لغيرك مـودع؟ مـاذا الرّأي العازب؟ والرّشد الغايب؟ والأمل الكاذب؟ ستنقل عن القصور وربّات الخدور، والجذل والسّرور، إلىٰ ضيق القبور، ومن دار الفناء إلىٰ دار الحبور، كلّ نـفس ذائقة الموت، وما الحياة الدُّنيا إلّا متاع الغرور.

فـعالك هٰــذا غــرّة وجــهالة وتحسب يا ذا الجهل أنّك حاذق
تــظنّ بجــهل منك أنّك راتــق وجــهلك بــالعقبى لديـنك فـاتق
تــوخّيك مــن هٰـذا أدلُّ دلالة وأوضــحُ بــرهانًا بأنّك مـائق

عجبًا لغافل عن صلاحه؟ مبادر إلىٰ لذاته وأفراحـه؟ والمـوت طـريده مساءه وصباحه، فيا قليل التّحصيل ويا كثير التّعطيل، ويا ذا الأمل الطّويل، ألم تر كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل، بناؤك للخراب، ومالك للذهاب، وأجلك إلىٰ اقتراب.

وأنت على الدُّنيا حريص مكاثر كأنّك مــنها بــالسّلامة واثــق
تحــدِّثك الأطــماع أنّك للــبقا خُلقت وأنّ الدّهر خلٌّ مـوافـق
كأنّك لم تـبصر أنـاسًا تـرادفت عليهم بأسباب المنون اللواحـق

هٰذه حالة من لا يدوم سروره، ولا تتمّ أموره، ولا يفكّ أسيره، أتـفرح بمالك ونفسك، وولدك وغرسك (وعرسك)، وعن قليل تصير إلىٰ رمسك، وأنت بين طي ونشر، وغنىً وفقر، ووفاء وغدر.

فيا من القليل لا يرضيه، والكثير لا يغنيه، إعمل ما شئت إنّك مـلاقيه

﴿يومَ يَفِرُّ ٱلمرءُ مِنْ أَخِيهِ، وأُمِّهِ وأَبيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ، لِكُلِّ ٱمرئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأنٌ يُغْنِيهِ﴾.

سيقفر بيت كنت فرحة أهله ... ويهجر مثواك الصّديق المصادق
وينساك من صافيته وألفته ... ويجفوك ذو الودّ الصّحيح الموافق
علىٰ ذا مضى النّاس اجتماع وفرقة ... وميت ومولود وقالٍ ووامق

أفٍّ لدُنيا لا يرقىٰ سليمها، ولا يصحّ سقيمها، ولا يندمل كلُومها، وعودها كاذبة، وسهامها صائبة، وآمالها خائبة، لا تقيم علىٰ حال، ولا تمتّع بوصال، ولا تسرّ بنوال!!

وتلك لمن يهوىٰ هواها مليكة ... تعبّده أفعالها والطرائق
يسرّ بها من ليس يعرف غدرها ... ويسعى إلىٰ تطلابها ويسابق
إذا عدلت جارت علىٰ إثر عدلها ... فمكروهة أفعالها والخلائق!!

فياذا السّطوة والقدرة، والمعجب بالكثرة، ما هٰذه الحيرة والفترة، [و] لك فيمن مضىٰ عبرة، وليؤذن الغافلون، عمّا إليه يصيرون، إذا تحققت الظّنون، وظهر السرّ المكنون، وتندمون حين لا تقالون، ثم إنكم بعد ذلك لميّتون.

سيندم فعّال علىٰ سوء فعله ... ويزداد منه عند ذاك التّشاهق
إذا عاينوا من ذي الجلال اقتداره ... وذو قوة من كان قدمًا يداقق
هنالك تتلوا كلّ نفس كتابها ... فيطفو ذو عدل ويرسب فاسق

إلىٰ كم ذا التشاغل بالتجاير والأرباح[٢١]؟ إلىٰ كم ذا التّهوّر بالسرور والأفراح؟ وحتّام التّغرير بالسّلامة في مراكب النياح[٢٢] من ذا الّذي سالمه الدّهر فسالم[٢٣]؟ ومن ذا الّذي تاجره الزّمان فغنم؟ ومن ذا الّذي استرحم الأيام

---

(٢١) كذا في النسخة المطبوعة من أصلي.
(٢٢) كذا.
(٢٣) كذا.

قرحم؟ اعتمادك على الصحة والسّلامة خرق، وسكونك إلى المال والولد حمق، والاغترار بعواقب الأمور خلق؟ فدونك وحزم الأمور، والتّيقّظ ليوم النشور، وطول اللبث في صفحات القبور، فلا تغرّنّكم الحياة الدُّنيا ولا يغرّنّكم بالله الغرور.

فمن صاحب الأيّام سبعين حجّة فلذّاتها لا شكّ منه طوالق
فعقبيٰ حلاوات الزّمان مريرة وإنْ عذبت حينًا فحينًا خرابق؟
ومن طرقته الحادثات بويلها فلابدّ أن تأتيه فيها الصواعق

فما هٰذه الطمأنينة وأنت مزعج؟ وما هٰذا الولوج وأنت مخرج؟ جمعك إلىٰ تفريق، ورفوك [ووفرك «خ»] إلىٰ تمزيق، وسعتك إلىٰ ضيق.

فيا أيّها المفتون، والطّامع بما لا يكون **﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثًا وأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾**(٢٤).

ستندم عند الموت شرَّ ندامة إذا ضمّ أعضاك الثّرىٰ والمطابق
وعاينت أعلام المنيّة والرّدىٰ ووافاك ما تبيضّ منه المفارق
وصرت رهينًا في ضريحك مفرداً وباعدك الجار القريب الملاصق

فيا من عدم رشده، وجار قصده، ونسي ورده، إلىٰ متىٰ تواصل بالذنوب وأوقاتك محدودة؟ وأفعالك مشهودة؟ أفتعوّل على الاعتذار؟ وتهمل الأعذار والإنذار، وأنت مقيم على الإصرار؟ **﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّما يُؤَخِّرُهُمْ لِيَومٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾**(٢٥).

إذا نصب الميزان للفصل والقضا وأبلس محجاج وأخرس ناطق
واجّجت النّيران واشتدّ غيظها إذا فتحت أبوابها والمغالق
وقطّعت الأسباب من كلّ ظالم يقيم علىٰ أسراره وينافق

(٢٤) آية ١١٥، من سورة المؤمنون: ٢٣.
(٢٥) آية ٤٢، من سورة إبراهيم: ١٤.

فقدم التوبة، واغسل الحوبة، فلابدّ أنْ تبلغ إليك النوبة، وحسّن العمل قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل، فكلّ غائب قادم، وكلّ عريب عازم؟ [وكلّ غريب غارم «خ»]، وكلّ مفرط نادم، فاعمل للخلاص قبل القصاص، والأخذ بالنّواص.

فإنّك مأخوذ بما قد جنيته وإنّك مطلوب بما أنت سارق
وذنبك إن أبغضته فمعانق ومالك إنْ أحببته ففارق
فقارب وسدّد واتق الله وحده ولا تستقل الزّاد فالموت طارق

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(٢٦).

ومن كلام بعض الحكماء: رحم الله امرأً لا يغره ما يرىٰ من كثرة النّاس، فإنّه يموت وحده، ويقبر وحده، ويحاسب وحده.

وقال بعضهم: لا وجه لمقاساة الهموم لأجل الدّنيا، ولا الاعتداد بشيء من متاعها، ولا التّخلي منها.

أمّا ترك الاهتمام لها، فمن جهة أنّه لا سبيل إلىٰ دفع الكائن من مقدورها.

وأمّا ترك الاعتداد بها، فإنّ مرجع كلّ إلىٰ تركها.

وأمّا ترك التّخلي عنها، فإنّ الآخرة لا تدرك إلّا بها.

وقال بعضهم: أفضل اختيار الإنسان ما توجّه به إلى الآخرة وأعرض به عن الدُّنيا، وقد تقدّمت الحجة، وأوذنّا بالرّحيل، ولنا من الدُّنيا على الدُّنيا دليل، وإنّما أحدنا في مدّة بقائه صريع المرض، أو مكتئب بهمٍّ، أو مطروق بمصيبة، أو مترقّب لمخوف، لا يأمن المرء من أصناف لذّته من المطعوم والمشروب أنْ يكون موته فيه، ولا يأمن مملوكه وجاريته أنْ يقتلاه بحديد أو سمٍّ، وهو مع ذلك عاجز عن استدامة سلامة عقله من زوال، وسمعه من صمم، وبصره من عمىً،

(٢٦) آية ٢٨١، من سورة البقرة: ٢.

ولسانه من خرس، وسائر جوارحه من زمانة، ونفسه من تلف، وماله من بوار، وحبيبه من فراق، وكلّ ذلك يشهد شهادة قطعيّة أنّه فقير إلىٰ ربّه، ذليل في قبضته، محتاج إليه، لا يزال المرء بخير ما حاسب نفسه، وعمَّر آخرته بتخريب دنياه، وإذا اعترضته بحار المكاره جعل معابرها الصّبر والتّأسي، لم يغترَّ بتتابع النّعم، وإبطاء حلول النقم، وأدام صحبة التُّقىٰ، وفطم النّفس عن الهوىٰ، فإنّما حياته كبضاعة ينفق من رأس المال منها، ولا يمكنه أن يزيد فيها، ومثل ذلك يوشك فناؤه، وسرعة زواله.

وقالت حرقة بنت النعمان، حين حضرت عند سعد بن أبي وقاص: إنَّ الدّنيا دار زوال، ولا تدوم علىٰ حال، تنتقل بأهلها انتقالاً، وتعقبهم بعد حالٍ حالاً، كنا ملوك هٰذا المصر، يجبىٰ لنا خراجه، ويطيعنا أهله مدى المدّة، وزمان الدّولة، فلمّا أدبر الأمر وانقضىٰ، صاح بنا صائح الدّهر، فصدع عصانا، وشتَّت شملنا، وكذلك الدّهر يا سعد، إنّه ليس يأتي قومًا بمسرَّة إلّا ويعقبهم بحسرة، ثمّ أنشأت تقول:

فبينا نسوس النّاس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة ليس نعرف
فأفّ لدنيا لا يدوم نعيمها تقلَّب تارات بنا وتصرف

فقال سعد: قاتل الله عدي بن زيد، كأنّه ينظر إليها حيث يقول:

إنَّ للدهر صولة فاحذرنها لا تبيتنَّ قد أمنت الدهورا
قد يبيت الفتىٰ معافىٰ فيردىٰ ولقد كان آمنًا مسرورا

فبينا هي واقفة، إذ دخل عمرو بن معديكرب، وكان زوّارًا لأبيها في الجاهلية، فلمّا نظر إليها، قال: أنت حرقة؟ قالت نعم. قال: فما دهمك فأذهب محمودات شيمك؟ وأين تتابع نعمتك، وسطوات نقمتك؟ فقالت: يا عمرو! إنَّ للدهر لسطوات وعثرات وعبرات، تعثر بالملوك وأبنائهم، فتخفضهم بعد رفعة، وتفردهم بعد منعة، وتذلهم بعد عزّة، وإنّ هٰذا الأمر كنا ننتظره، فلمّا حلَّ بنا لم ننكره.

البحث الثالث:

في ذكر جملة من الأشعار الّتي تناسب المقام.

نسب إلىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال:

تـزوّد مـن الدّنـيا فـإنّك راحـل ... وبادر فـإنّ المـوت لا شكّ نـازل
سرورك في الدّنيا غرور وحـسرة ... وعيشك في الدّنـيا محـال وبـاطل
ألا إنّمــا الدّنــيا كـمنزل راكب ... أناخ عشيًّا وهو في الصّبح راحـل

وقال عليه السّلام ـ علىٰ ما نسبه إليه العلامة النراقي في كتاب الخزائـن، ص ١٤٥ ـ:

هـوّن الأمـر تـعش في راحـة ... قـلّ مـا هـوّنت ألا سـيهون
ليس أمــر المـرء سهـلاً كـلّه ... إنّمــا الأمـر سهـول وحـزون
تــطلب الراحــة في دار العـنا ... خاب من يطلب شيئًا لا يكون

وقال الإمام المجتبىٰ عليه السّلام:

قــل للـمقيم بـغير دار إقـامة ... حان الرّحيل فـودّع الأحـبابا
إنّ الّــذين لقـيتهم وصـحبتهم ... صاروا جميعًا في القـبور تـرابـا

وقال السّبط الشّهيد الإمام التابع لمرضاة الله عليه السّلام:

نـاديت سكّـان القـبور فأسكـتوا ... فأجابني عن صمتهم تـربُ الجـثا
قالت أتدري ما صنعت بساكني؟ ... مـزّقت لحـمهم وخـرّقت الكسـا
وحشيت أعـينهم تُـرابًا بـعد مـا ... كانت تأذّىٰ بـالقليل مـن القـذىٰ
أمّـــا العــظام، فــإنّني مــزّقتها ... حتّىٰ تـباينت المـفاصل والشّـوىٰ
قطّعت ذا مـن ذا ومـن هٰـذا كـذا ... فــتركتها ممّـا يـطول بهـا البـلىٰ

قال أبو العتاهية:

ستباشر التربـاء خدّك — وسيضحك الباكون بعدك
وليــنزلنّ بك البلىٰ — وليخلقنّ الموت عهدك
وليــفنينّك مثلَ ما — أفنىٰ أباك به وجدّك
لو قد رحلت عن القصور — وطيبها وسكنت لحدك
لم تــنتفع إلّا بــفعل — صالح قد كان عندك
وترى الّذين قسمت ما — لك بينهم حصصًا وكدّك
يـتلذّذون بمـا جمـعت — لهـم ولا يجدون فقدك

قيل وجد مكتوبًا في خرابة:

هٰذا منازل أقوام عـهدتهم — في خفض عيش وعزّ ما له خطر
صاحت بهم نائبات الدّهر فانقلبوا — إلى القبور فلا عين ولا أثر

وقال التّهامي الشامي الشيعي رحمه الله:

ننافس في الدّنيا غرورًا وإنّما — قصارىٰ غناها أن تعود إلى الفقر
وإنّا لفي الدّنيا كركب سفينة — نظنّ وقوفًا والزّمان بنا يجري

وله رحمه الله في رثاء ولده وقد مات صغيرًا:

حكم المنيّة في البرية جاري — ما هٰذه الدّنيا بدار قرار
بينا يُرى الإنسان فيها مخبرًا — حتّىٰ يُرىٰ خبرًا من الأخبار
طُبعت علىٰ كدر وأنت تريدها — صفوًا من الأقذار والأقدار
ومكلّف الأيّام ضدّ طباعها — متطلبٌ في الماء جذوة نار
فالعيش نوم والمنيّة يقظة — والمرء بينهما خيال سار
فاقضوا مآربكم عجالاً إنّما — أعماركم سفر من الأسفار
إنّي وترت بصارم ذي رونق — أعددته لطلابة الأوتار
والنّفس إنْ رضيت بذلك أو أبت — منقادة بأزمّة المقدار

يا كوكبًا ما كان أقصر عمره ... وكذا تكون كواكب الأسحار
إنْ يحتقر صغرًا فربَّ مفخّم ... يبدو ضئيل الشّخص للنظّار
إنَّ الكواكب في علوّ محلها ... لترىٰ صغارًا وهي غير صغار
ولد المعزّىٰ بعضه فإذا مضىٰ ... بعض الفتىٰ، فالكلّ في الآثار
أبكيه ثمّ أقول معتذرًا له ... وفّقت حين تركت ألأم دار
جاورت أعدائي وجاور ربّه ... شتّان بين جواره وجواري
أشكو بعادك لي وأنت بموضع ... لولا الرّدىٰ لسمعت فيه مزاري
والشّرق نحو الغرب أقرب شقة ... من بعد تلك الخمسة الأشبار
فإذا نطقت فأنت أوّل منطقي ... وإذا سكت فأنت في مضماري
إني لأرحم حاسدي لحرِّ ما ... ضمنت صدورهم من الأوغار
نظروا صنيع الله بي فعيونهم ... في جنّة وقلوبهم في نار
لا ذنب لي قد رمت كتم فضائلي ... فكأنّما برقعت وجه نهار

وقال آخر:

فإنك لا تدري متىٰ أنت ميّت ... وقبرك لا تدري بأيِّ مكان
وحسبك قول النّاس فيما رأيته ... قد كان هٰذا مرّة لفلان

وقال المتنبي:

سُبقنا إلى الدّنيا فلو عاش أهلها ... مُنعنا بها من جيئة وذهوب
تملكها الآتي تملك سالب ... وفارقها الماضي فراق سليب

وروىٰ جمال المفسرين، أبو الفتوح الرازي رحمه الله، عن جرير بن عبد الله أنّه قال:

إنّ النعمان الأكبر خرج مع عدي بن زيد العبادي يومًا للتفرج، فلمّا وصلا إلىٰ مقابر الحيرة، قال عدي بن زيد: أبيت اللعن أيّها الملك، أتعرف ما يقول أهل

هٰذه المقابر؟ قال: لا. قال: يقولون:

أيّها الركب المخبّون على الأرض مجدّون
كما أنتم كنّا كما نحن تكونون

فرجع النعمان وقد نغص عليه تفرجه. فخرج للتفرج ثانيًا، بعد مضيّ أيام من المرة الأولىٰ، فصادفا جبّانة ومقبرة أخرىٰ، فقال عدي: أيّها الملك أتدري ما يقول أهل المقابر بلسان الاعتبار؟ قال: لا. قال: يقولون:

من رآنا فليحدّث نفسه أنّه موف علىٰ قرن الزّوال
وصروف الدّهر لا تبقىٰ لها ولما تأتي به صمّ الجبال
ربّ ركب قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال
والأباريق عليها فدم وعتاق الخيل تردىٰ في الجلال
عمّروا دهرًا بعيش حسن آمني دهرهم غير عجال
ثمّ أضحوا لعب الدّهر بهم وكذاك الدّهر حالاً بعد حال[٢٧]

وقال آخر:

قد نادت الدّنيا علىٰ نفسها لو كان في العالم من يسمع
كم واثق بالعمر واريته وجامع بددت ما يجمع

وقال آخر:

لا تغبطنّ أخا الدّنيا لزخرفها ولا للذّة وقت عجّلت فرحا
فالدّهر أسرع شيء في تقلّبه وفعله بيّن للخلق قد وضحا
كم شارب عسلاً فيه منيّته وكم تقلّد سيفًا من به ذبحا

وقال آخر:

وإذا رأيت بنيك فاعلم أنّهم قطعوا إليك مسافة الآجال

---

(٢٧) ويروى: وكذاك الدّهر يلهو بالرّجال.

وصل البنون إلىٰ محلّ أبيهم وتجهّز الآباء للترحال

وقال أبو الفتح ابن عميد القمي:

سكن الدّنيا أناس قبلنا رحلوا عنها وخلّوها لنا

ونزلناها كما قد نزلوا ونخلّيها لقوم بعدنا

ومر الصاحب بن عباد رحمه الله علىٰ باب داره بعد انقراضه، فلم ير هناك أحداً، بعد أن كان الدّهليز يغصّ من زحام النّاس، فأنشد:

أيّها الربع لِمَ علاك اكتئاب أين ذاك الحجاب والحجّاب؟

أين من كان يفزع الدّهر منه فهو اليوم في التّراب تراب؟

قل بلا رهبة وغير احتشام مات مولاي فاعتراني اكتئاب

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ـ ٣ ـ

ومن وصيّة له عليه السّلام

في مكارم الأخلاق

قال الإمام الكاظم صلوات الله عليه: كان أمير المؤمنين عليه السّلام يوصي أصحابه ويقول:

«أُوصيكمُ بالخَشْيَةِ مِنَ اللهِ في السِّرِّ وَالعَلانِيَةِ، وَالعَدْلِ فِي الرِّضا وَالغَضَبِ، وَالاكْتِسابِ فِي الفَقْرِ وَالغِنىٰ، وَأَنْ تَصِلُوا مَنْ قَطَعَكُمْ، وَأَنْ تَعْفُوا عَمَّن ظَلَمَكُمْ، وَتَعْطِفوا عَلىٰ مَنْ حَرَمَكُمْ؟ وَلْيَكُنْ نَظَرُكُمْ عِبرًا[1]، وَصَمْتُكُمْ فِكْرًا، وَقولُكُمْ ذِكْرًا، وَالسَّخاءِ[2] فإِنَّهُ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ بَخيلٌ، وَلا يَدْخُلُ النّارَ سَخِيٌّ».

وهٰذه الوصيّة الشّريفة رواها الحسن بن عليّ بن شعبة رحمه الله في كتابه

(١) العبرة: العظة، وإنّما حذف التاء ليتلاءم لفظًا مع قوله عليه السّلام: «وصمتكم فكرًا، وقولكم ذكرًا» أي إذا نظرتم إلىٰ شيء فليكن نظركم للاتعاظ لا سفهًا ولغوًا، وكذلك إذا سكتّم فليكن سكوتكم للتأمل في موجبات السّعادة وأيضًا إذا تكلمتم فاجعلوا كلامكم ذكر الله، أو تذكير عباد الله.

كتب سلمان الفارسي رضوان الله عليه إلىٰ أبي الدرداء:

«أمّا بعد فإنّك لن تنال ما تريد إلّا بترك ما تشتهي، ولن تنال ما تأمل إلّا بالصّبر علىٰ ما تكره فليكن كلامك ذكرًا، وصمتك فكرًا، ونظرك عبرًا، فإنّ الدّنيا تتقلب، وبهجتها تتغير، فلا تغتر بها...».

(٢) قوله عليه السّلام: «السخاء» مجرور بالعطف علىٰ قوله: «بالخشية من الله».

القيّم: تحف العقول ص ١٩١، عن العبد الصالح الإمام موسىٰ بن جعفر عليهما السّلام في ضمن وصاياه القدسيّة، وحكمه الرّبانية، الّتي ألقاها وحمّلها نصير أهل البيت: هشام بن الحكم رحمه الله.

ورواها المجلسي عن تحف العقول في الحديث ٣٠، من الباب ٣، من البحار: طبع الكمباني، ج ١، ص ٤٧، وفي ج ١٧، من البحار ص ١٩٩.

وهٰذه الوصايا وإنْ كان ناقلها ثبتًا معتمدًا، ومتنها أيضًا يشهد شهادة قطعيّة علىٰ أنّها من أهل بيت الوحي، وخزّان علم الله، ومن هٰذه الجهة لا نحتاج إلىٰ معاضد ومؤيد داخلي أو خارجي آخر، ولكن لما التزمنا نحن إحياء ذكر رواتها وإيفاء حقوقهم، فمن هٰذه الناحية مسّت حاجتنا إلىٰ تعيين نقلتها، وترجمة حفظتها، وتعدد طرقها، لنحيي ما دثر من مآثر الرواة، ونؤدّي ما وجب علينا من حقّ الحياة، ولأجله تفحصنا وبحثنا بقدر وسعنا في مظانّه من أسفار العلماء، وحملة أسرار أهل بيت النبوّة، فلم نجد الوصيّة الشّريفة مسندة إلّا في الحديث ١٢، من كتاب العقل، من الكافي، إلّا أنّ ثقة الإسلام الكليني رضوان الله عليه، لم يتعرّض لذكرها كاملة بل ذكر موضع حاجته منها. وحيث احتملنا تعدد الطّرق، وأنّ سند الكافي غير سند تحف العقول كففنا عن ترجمة الرّواة الّتي في سند الكافي.

وهٰهنا تعليقات

التعليق الأوّل:

فيما يتعلق بقوله عليه السّلام: والاكتساب في الفقر والغنىٰ.

أقول: إطلاق الاكتساب وإنْ كان يعمّ الاكتساب الدّنيوي والأخروي، لكن المتبادر إلى الذّهن، والمأنوس للخاطر من هٰذه العبارة، هو الاكتساب الدّنيوي أي الاشتغال بالعمل وتحمّل المشقة لازدياد المال والثّراء، ورغد العيش، وطيب الحياة، من الزراعة والتّجارة وكري الأنهار وتعمير القصور، وغير ذلك

مما يعمَّر به الدّنيا.

وممّا يدّل أيضًا على الأمر بالاكتساب وعدم إهمال أمر الدّنيا، ما ذكره السيّد الرضي رحمه الله عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال: «وأنْ تعمل لدنياك بقدر عمرك فيها، وأنْ تعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها...».

المختار ٩٥، من خطب نهج البلاغة

ويدل عليه أيضًا ما رواه المجلسي في البحار: ج ١٧، ص ٤٢٢، والشيخ ورّام في تنبيه الخواطر ٣٣٩، عن النّبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلّم إنّه قال لجابر:

«فاحرث حرث من يظن أنّه لا يموت إلّا هرمًا، واعمل عمل من يخاف أنّه يموت غدًا».

ويدّل عليه أيضًا ما أوصىٰ به لقمان ابنه من قوله: «يا بُنيّ لا تدخل في الدّنيا دخولاً يضرّ بآخرتك، ولا ترفضها كلّ الرّفض فتكون كَلًّا علىٰ غيرك».

والآثار من هٰذا النمط غير قليلة، ومن أراد الزيادة فعليه بمظانها. ونظير ما قاله عليه السّلام في صدر هٰذه الوصيّة، قد ورد عن غير واحد من المعصومين عليهم السّلام.

قال النّبي صلى الله عليه وآله وسلّم: «أوصاني ربّي بتسع أوصيكم بها، أوصيكم بالإخلاص في السرّ والعلانية، والعدل في الرّضا والغضب، والقصد في الغنىٰ والفقر، وأنْ أعفو عمَّن ظلمني، وأعطي من حرمني، وأصل من قطعني، وأنْ يكون صمتي فكراً، ونطقي ذكراً، ونظري عبراً».

رواه ابن عبد ربّه في العقد الفريد: ج ١، ص ٣٥٥.

وعن الشيخ المفيد رحمه الله، كما في الحديث الأخير من الفصول المختارة ص ١٢٣ معنعنًا، عن الإمام السجاد عليه السّلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: ثلاث منجيات، وثلاث

مهلكات، فأمّا المنجيات: فخوف الله في السرّ والعلانية، والعدل في الغضب والرّضا، والقصد في الغنىٰ والفقر، وأمّا المهلكات: فشحّ مطاع، وهوىٰ متّبع، وإعجاب المرء نفسه».

وقال السّبط الأكبر الإمام المجتبىٰ عليه السّلام:

«إنّ الله عزّ وجلّ أدّب نبيّه أحسن الأدب فقال: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾، فلمّا وعى الّذي أمره، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [٣] فقال لجبرئيل عليه السّلام: وما ألعفو؟ قال: أنْ تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمّن ظلمك، فلمّا فعل ذلك أوحى الله إليه: ﴿إنَّك لعلىٰ خلق عظيم﴾ كما في البحار: طبع الكمباني، ج ١٧، ص ١٤٧».

التعليق الثاني:

في الإشارة إلىٰ بعض ما ورد في الشّريعة، من الأمر بصلة الأرحام.

قال الله تعالىٰ في الآية (٢٧)، من سورة البقرة: ﴿ٱلَّذِين يَنْقُضُونَ عَهْدَ ٱللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ، وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ ٱللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلأَرْضِ أُولٰئِكَ هُمُ ٱلخَاسِرُونَ﴾. وقال تعالىٰ في الآية (٩٠) من سورة النحل: ﴿إِنَّ ٱللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَٱلإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي ٱلقُرْبَىٰ﴾. إلىٰ غير ذلك من الآيات الواردة في الذكر الحكيم.

وأمّا الآثار الواردة عن النّبي صلى الله عليه وآله، وعترته المعصومين عليهم السّلام في الحثّ علىٰ صلة الرّحم، والرّدع عن قطعها فكثيرة.

فعن ثقة الإسلام الكليني قدّس سرّه معنعنًا، في الحديث ٢، من الباب ٦٨، من كتاب الكفر والإيمان، من الكافي: «إنّ رجلاً أتى النّبي صلى الله عليه وآله

(٣) الآية ٧، من سورة الحشر: ٥٩.

وسلّم، فقال: يا رسول الله، أهل بيتي أبوا إلّا توثبًا عليَّ، وقطيعة لي، وشتيمة فأرفضهم؟ قال صلى الله عليه وآله: إذاً يرفضكم الله جميعًا، قال: فكيف أصنع؟ قال: تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمَّن ظلمك، فإنَّك إذا فعلت ذلك كان لك من الله عليهم ظهير».

وفي الحديث ٢١، من الباب معنعنًا، عنه صلى الله عليه وآله: «إنَّ القوم ليكونون فجرة، ولا يكونون بررة، فيصلون أرحامهم فتنمىٰ أموالهم، وتطول أعمارهم، فكيف إذا كانوا أبرارًا بررة».

وفي الحديث ٢٢، من الباب معنعنًا، عن أمير المؤمنين عليه السّلام: «صِلوا أرحامكم ولو بالتّسليم، يقول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَٱلأَرْحَامَ، إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾»[٤].

وروى العياشي رحمه الله عن الأصبغ بن نباتة رحمه الله قال: «سمعت أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: إنَّ أحدكم ليغضب، فما يرضىٰ حتّىٰ يدخل به النّار، فأيّما رجل منكم غضب علىٰ ذي رحمه فليدنُ منه، فإن الرّحم إذا مسّها الرّحم استقرت، وإنّها متعلقة بالعرش ينقضه انتقاض الحديد، فينادي: اللّهم صِل من وصلني واقطع من قطعني، وذلك قول الله في كتابه:

﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَٱلأَرْحَامَ، إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾

وأيّما رجل غضب وهو قائم فليلزم الأرض من فوره، فإنّه يذهب رجز الشّيطان.

وقالت الزهراء المرضية صلوات الله عليها في خطبتها: «فرض الله صلة الأرحام منماة للعدد...»[٥].

وعن الصّدوق رحمه الله بأسانيد ثلاثة، عن السّبط الشّهيد عليه السّلام، قال: «من سّره أن ينسأ في أجله، ويزداد في رزقه، فليصل رحمه». كما في

(٤) الآية ١، من سورة النساء: ٤.

(٥) الحديث ٢٦، من الباب ٣، من البحار: طبع الكمباني، ج ١٦، ص ٢٧.

الحديث ١٨، من الباب ٣، من البحار: ج ١٦، ص ٢٧، نقلاً عن كتاب عيون أخبار الرضا.

وعنه رحمه الله مسنداً، عن الإمام السّجاد عليه السّلام، قال: «ما من خطوة أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من خطوتين: خطوة يسدّ بها المؤمن صفًّا في الله، وخطوة إلىٰ ذي رحم قاطع» الخبر. كما في الحديث ٨، من الباب ٣، من الكتاب، ص ٢٦، نقلاً عن كتاب الخصال.

وفي الحديث ١٢، من الباب، من الكتاب، نقلاً عن الخصال معنعنًا، قال الإمام الباقر عليه السّلام: «أربعة أسرع شيء عقوبة: رجل أحسنت إليه ويكافيك بالإحسان إليه إساءة، ورجل لا تبغي عليه وهو يبغي عليك، ورجل عاهدته علىٰ أمر فمن أمرك الوفاء له، ومن أمره الغدر بك، ورجل يصل قرابته ويقطعونه».

وقال عليه السّلام: «إذا قطعت الأرحام، جعلت الأموال في أيدي الأشرار». كما في البحار: طبع الكمباني، ج١٦، ص ٢٧.

وعن أبي حمزة رحمه الله قال: «قال أبو جعفر عليه السّلام: صلة الأرحام تزكي الأعمال، وتنمي الأموال، وترفع البلوىٰ، وتيسّر الحساب، وتنسئ في الأجل».

وعن أبي حمزة رحمه الله، عن الإمام الصّادق عليه السّلام، قال: «صلة الأرحام تحسن الخلق، وتسمح الكفّ، وتطيّب النّفس، وتزيد في الرّزق، وتنسئ في الأجل». كما في شرح المختار (٢٣) من خطب نهج البلاغة، من منهاج البراعة: ج ٣، ص ٣٤٢.

وعن معلم الأمّة الشّيخ المفيد قدّس الله أسراره معنعنًا، عن داود الرقّي قال: «كنت جالسًا عن أبي عبد الله عليه السّلام إذ قال لي مبتدئًا من قبل نفسه: يا داود لقد عرضت عليّ أعمالكم يوم الخميس، فرأيت فيما عرض عليّ من عملك صلتك لابن عمك فلان، فسرّني ذلك، إني علمت أنّ صلتك له أسرع

لفناء عمره وقطع أجله.

قال داود: وكان لي ابن عم معانداً خبيثًا، بلغني عنه وعن عياله سوء حال، فصككت له نفقة ينفقها قبل خروجي إلىٰ مكة، فلمّا صرت بالمدينة خبّرني أبو عبد الله عليه السّلام بذلك».

وعن شيخ الطّائفة قدّس سرّه، في كتاب الغيبة معنعنًا، عن سالمة مولاة أبي عبد الله عليه السّلام قالت: «كنت عند أبي عبد الله عليه السّلام حين حضرته الوفاة وأغمي عليه فلمّا أفاق قال: أعطوا الحسن بن عليّ بن الحسين وهو الأفطس سبعين ديناراً، وأعطِ فلانًا كذا، وفلانًا كذا، فقلت: أتعطي من حمل عليك بالشّفرة يريد أن يقتلك؟ قال: تريدين أن لا أكون من الّذين قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخافُونَ سُوءَ ٱلحِسَابِ﴾(٦) نعم يا سالمة، إنّ الله خلق الجنة فطيّبها وطيّب ريحها، وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة ألفي عام، فلا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم»، كما في الحديث ٣٤، من الباب ٣، من البحار: ج ١٦، ص ٢٨. وقريب منه في تفسير الآية الكريمة من مجمع البيان.

وعن الرّاوندي رحمه الله في كتاب الدعوات قال: «روي أن موسىٰ بن جعفر عليه السّلام دخل على الرّشيد يومًا فقال له هارون: إني والله قاتلك، فقال: لا تفعل فإني سمعت أبي عن آبائه عليهم السّلام قال.. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: إن العبد ليكون واصلًا لرحمه وقد بقي من أجله ثلاث سنين، فيجعلها ثلاثين سنة، ويكون الرّجل قاطعًا لرحمه وقد بقي من أجله ثلاثون سنة، فيجعلها الله ثلاث سنين.

فقال الرّشيد: الله لقد سمعت هٰذا من أبيك؟ قال: نعم، فأمر له بمائة ألف درهم وردّه».

وعن الشّيخ المفيد رحمه الله في كتاب الاختصاص، ط ٢، ص ٥٥: أنه

---

(٦) الآية ٢١، من سورة الرعد: ١٣.

قال عليه السّلام لهارون: «حدثني أبي عن جدّي يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله: إنَّ الرّحم إذا مسّت رحمًا تحرّكت واضطربت...».

وعن الإمام الرّضا عليه السّلام قال: «يكون الرّجل يصل رحمه فيكون قد بقي من عمره ثلاث سنين، فيصيّرها الله ثلاثين سنة، ويفعل الله ما يشاء»، رواه المجلسي رحمه الله معنعنًا في الحديث: (٨٤) من الباب الثالث من بحار الأنوار طبع الكمباني، ج ١٦، ص ٣١.

وروىٰ شيخ الطائفة رحمه الله معنعنًا إنه: «بعث المنصور إلىٰ أبي عبد الله عليه السّلام وأمر له بفرش، فطرحت إلىٰ جانبه، فأجلسه عليها، ثم قال: عليَّ بمحمد، عليَّ بالمهدي، يقول ذلك مراراً، فقيل له: السّاعة السّاعة يأتي يا أمير المؤمنين، ما يحسبه إلّا أنه يبخر، فما لبث أن وافىٰ وقد سبقه ريحه، فأقبل المنصور علىٰ أبي عبد الله عليه السّلام فقال: حديث حدثته في صلة الرّحم، اذكره يسمعه المهدي، قال: نعم، حدثني أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ عليه السّلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: إنَّ الرّجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين، فيصيّرها الله عزّ وجلّ ثلاثين سنة، ويقطعها وقد بقي من عمره ثلاثون سنة فيصيّرها الله ثلاث سنين، ثم تلا عليه السّلام: ﴿يَمْحُو ٱللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ، وَعِندَهُ أُمُّ ٱلْكِتَابِ﴾ الآية.

قال: هٰذا حسن يا أبا عبد الله، وليس إيّاه أردت، قال أبو عبد الله: نعم، حدثني أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ عليه السّلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: صلة الرّحم تعمّر الدّيار، وتزيد في الأعمار، وإن كان أهلها غير أخيار.

قال: هٰذا حسن، وليس هٰذا أردت، فقال أبو عبد الله عليه السّلام: نعم حدثني أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ عليه السّلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: صلة الرّحم تهوّن الحساب، وتقي ميتة السوء، قال المنصور: نعم هٰذا أردت».

التعليق الثالث:

في الإشارة إلىٰ بعض ما ورد في مدح السّخاء وذمّ البخل.

فعن الشّيخ الصّدوق رحمه الله معنعنًا، عن أمير المؤمنين عليه السّلام، أنه قال: «سادة النّاس في الدّنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء».

كما رواه عنه المجلسي رحمه الله في البحار طبع الكمباني، ج ٢، ص ٢٠٠.

وعنه عليه السّلام أخذ تلميذه ابن عباس، كما في العقد الفريد ط ٢، ج ١، ص ١١٤.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «تجاوزوا عن ذنب السّخي، فإنَّ الله تعالىٰ آخذ بيده كلما عثر، وفاتح له كلما افتقر». كما رواه المجلسي رفع الله مقامه في البحار: ج ١٧، ص ٤٢٢، عن نزهة الناظر.

وعن الشّيخ المفيد مسنداً عنه صلى الله عليه وآله وسلّم قال: «إنَّ الله تعالىٰ يقول: أيما عبد خلقته فهديته إلى الإيمان، وحسّنت خلقه، ولم أبتله بالبخل، فإنّي أريد به خيراً».

وعن شيخ الطّائفة رحمه الله معنعنًا، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: إنَّ السخاء شجرة من أشجار الجنة، لها أغصان متدليّة في الدّنيا...».

وعن الشّيخ الصّدوق رحمه الله معنعنًا، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «السّخاء شجرة، في الجنة أصلها، وهي مظلّة على الدّنيا، من تعلّق بغصن منها أجرّته إلى الجنة».

وروى الكليني رفع الله مقامه في الكافي: ج ٤، ص ٤١ معنعنًا، عن الإمام الصّادق عليه السّلام أنّه قال لبعض جلسائه: «ألا أخبرك بشيء يقرّب من الله ويقرّب من الجنة، ويباعد من النّار؟ فقال بلىٰ، فقال: عليك بالسّخاء، فإنَّ الله

خلق خلقًا برحمته لرحمته، فجعلهم للمعروف أهلًا، وللخير موضعًا، وللنّاس وجهًا يسعى إليهم لكي يحيوهم كما يحيي المطرُ الأرضَ الجدبة، أولئك هم المؤمنون الآمنون يوم القيامة».

وعنه رحمه الله في الكافي: ج ٤، ص ٣٩، عن الإمام الكاظم عليه السّلام أنّه قال: «السّخي الحسن الخلق في كنف الله، لا يستخلي الله منه حتّىٰ يدخله الجنة، وما بعث الله عزّ وجلّ نبيًّا ولا وصيًّا إلّا سخيًّا، وما كان أحد من الصالحين إلّا سخيًّا، وما زال أبي يوصيني بالسّخاء حتّىٰ مضىٰ».

وعن كتاب الاختصاص للشيخ المفيد رحمه الله، وكتاب فقه الرّضا، أنّه روي عن العالم، أنّه قال: «السّخاء شجرة من الجنة، أغصانها في الدّنيا، فمن تعلّق بغصن منها أدّته إلى الجنة.

والبخل شجرة في النّار، أغصانها في الدّنيا، فمن تعلّق بغصن من أغصانها أدّته إلى النّار».

وذيل الرواية نقله ثقة الإسلام الكليني رحمه الله في الكافي مسنداً.

وعن الإمام الهادي عليه السّلام: «الجهل والبخل أذمّ للأخلاق».

وقال أرسطاطاليس: «من انتجعك من بلاده فقد ابتدأك بحسن الظّن بك والثّقة بما عندك».

وقال أبو ذرّ رحمه الله: «إنّ لك في مالك شريكين: الحدثان والوارث، فإن استطعت أن لا تكون أبخس الشركاء حظًّا فافعل».

وقال كسرىٰ: «عليكم بأهل السّخاء والشّجاعة، فإنّهم أهل حسن الظّن بالله، ولو أنّ أهل البخل لم يدخل عليهم من ضرّ بخلهم، ومذمّة النّاس لهم وإطباق القلوب علىٰ بغضهم، إلّا سوء ظنّهم بربّهم في الخلف، لكان عظيمًا».

ومنه أخذ محمود الورّاق فقال:

من ظنّ بالله خيراً جاد مبتدئًا والبخل من سوء ظنّ المرء بالله

وقال بزرجمهر: «إذا أقبلت عليك الدّنيا فانفق منها فإنّها لا تبقىٰ».

وقال الشاعر:

لا تبخلنَّ بدنيا وهي مقبلة　　فليس ينقصها التّبذير والسّرف
وإن تولّت فأحرىٰ أن تجود بها　　فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف

وقال آخر:

اسعد بمالك في الحياة فإنّما　　يبقىٰ خلافك مصلح أو مفسد
فإذا جمعت لمفسد لم يغنه　　وأخو الصّلاح قليله يتزيّد

وروى الغزالي في كتاب إحياء العلوم ـ كما في المحجة البيضاء: ج ٦، ص ٦٣ ـ قال: وقال عليّ عليه السّلام: إذا أقبلت عليك الدّنيا فانفق منها، فإنّها لا تفنىٰ، وإذا أدبرت عنك فانفق منها، فإنّها لا تبقىٰ، وأنشد:

لا تبخلنَّ بدنيا وهي مقبلة　　فليس ينقصها التّبذير والسّرف
وإن تولّت فأحرىٰ أن تجود بها　　فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف

ونسب أيضًا إليه عليه السّلام ـ كما في الديوان، ٨٩ ـ:

سأمنح مالي كل من جاء طالبًا　　وأجعله وقفًا على الفرض والقرض
فأمّا كريم صنت بالمال عرضه　　وأمّا لئيم صنت عن لؤمه عرضي

وعن الصّدوق رحمه الله معنعنًا قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ، لا تشاور جبانًا، فإنّه يضيّق عليك المخرج، ولا تشاور البخيل، فإنّه يقصر بك عن غايتك، ولا تشاور حريصًا، فإنّه يزيّن لك شرّهما، واعلم يا عليّ أنَّ الجبن والبخل والحرص غريزة واحدة، يجمعها سوء الظّن».

وسئل الإمام المجتبىٰ عليه السّلام عن البخل، فقال: «هو أن يرى الرّجل ما أنفقه تلفًا، وما أمسكه شرفًا».

كما رواه المجلسي أعلى الله مقامه في المختار ص ٤٢، ممّا اختار من كلمه عليه السّلام، في البحار: طبع الكمباني، ج ١٧، ص ١٤٧.

ـ ٤ ـ

ومِنْ وصيّةٍ لهُ عليه السّلام

حينما كان ينصرف من الصّلاة

وكان عليه السّلام! إذا انصرف من صلاته يقبل على النّاس بوجهه الكريم ويقول[١]:

كُونُوا مَصابِيحَ الْهُدىٰ وَلاٰ تَكُونُوا أَعْلَامَ ضَلالَةٍ وَاكْرَهُوا الْمِزاحَ بِما يُسْخِطُ اللهَ؟ وَلْيَهُنْ عَلَيْكُمُ الذَّمُّ فِيما يُرْضي اللهَ [وَ] عَلِّمُوْا النَّاسَ بِعِبَرِ أَلْسِنَتِكُمْ[٢] وَكُونُوا دُعاةً لَهُمْ بِفِعْلِكُمْ وَالْزِمُوْا الصِّدْقَ وَالْوَرَعَ.

سيرة أمير المؤمنين عليه السّلام من تاريخ اليعقوبي: ط ٢، ج ٢، ص ١٩٩.

---

(١) وهٰذا نقل بالمعنىٰ وفي أصلي: وكان عليه السّلام إذا انصرف من صلاته أقبل على النّاس بوجهه فقال...

(٢) كذا في أصلي.

ـ ٥ ـ

ومن وصيّةٍ لهُ عليه السّلام

في الحثّ علىٰ مداراة النّاس

رواها حافظ الشّيعة وصدوق الشّريعة ابن بابويه رحمه الله، عن إبراهيم ابن الوليد، عن محمد بن أحمد الكاتب رفعه، أنَّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال لبنيه:

يا بَنيَّ إيّاكُمْ وَمُعاداةَ الرِّجالِ، فإنَّهُم لايَخْلُونَ مِن ضَرْبَينِ، منْ عاقِلٍ يَمْكُرُ بِكُمْ، أو جاهِلٍ يُعَجِّلُ عَلَيْكُمْ، وَالكَلامُ ذَكَرٌ وَالجَوابُ أُنْثىٰ، فَإذا اجْتَمَعَ الزَّوجانِ فَلابُدَّ مِنَ النِّتاجِ، ثُمَّ أنشأ عليه السّلام يقول:

سَليمُ العِرضِ مَنْ حَذِرَ الجَوابا
وَمَنْ دارى الرِّجالَ فَقَدْ أَصابا

وَمَنْ هابَ الرِّجالَ تَهَيَّبُوهُ
وَمَنْ حَقَرَ الرِّجالَ فَلَنْ يُهابا[1]

---

(١) هاب يهاب ويهيب ـ (من باب خاف وباع) هَيْبًا وهيبةً ومهابة ـ فلانًا أي عظّمه ووقّره، ومراده عليه السّلام: إنَّ من أراد المهابة والجلالة والتوقير والاحترام فلابدّ من تجرع الغصص وتحمل المرارة بتعظيم النّاس، وغض النّظر عن سوء سيرتهم وسريرتهم، وأنّهم غير مستحقين للاحترام، بل أهل للتوهين والملام، إذ بالمعاملة بالمثل وقدر الاستحقاق يختلّ نظام المجتمع، ويؤول أمر الصّداقة والمحبة إلى العداوة والبغضاء ←

الحديث ١٠٩، من باب الاثنين، من كتاب الخصال.

ورواه عنه المجلسي رحمه الله في الحديث الأوّل، من الباب ٦٤، من البحار: ج ١٦، ص ١٧٤، طبع الكمباني.

← فلابدّ للعاقل أن لا ينظر إلىٰ قابلية الأشخاص، بل ينظر إلىٰ قابليته وشخصيته، فيصل من قطعه، ويقرّب من هجره، ويعفو عمن ظلمه، ويحسن إلىٰ من أساء إليه، ويذكر بالحسن من اغتابه وآذاه باللسان، ويتفقّد من نسيه، وينصر من خذله، إلىٰ غير ذلك من انحاء مجازاة الإساءة بالإحسان.

وهذا هو الّذي حثّ عليه الشّارع المقدس ببيانات مختلفة وتأكيدات بليغة لا تحصىٰ، وبهٰذا العمل يجتمع الشّمل المبدد، والنظام المختل، وبحسن هٰذا الصنيع ترتفع البغضاء، وترجع العداوة إلى الصّداقة، والمنافرة إلى المؤانسة والعلاقة، ويجتثّ أصل الحقد، ويستأصل بذر الغلّ، كما قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ إذ النفوس غالبًا مجبولة على المقابلة بالمثل، وجزاء الإحسان بالإحسان، ومكافاة الإساءة باضعافها من الشرارة والطغيان.

وأنشد الإمام الصادق عليه السّلام: «تنحّ عن القبيح فلا ترده. ثمّ قال لابنه الإمام الكاظم عليه السّلام وهو صبي: يا بني تمّمه، فأتمّه الإمام الكاظم عليه السّلام بقوله: ومن أوليته حسنًا فزده. ثمّ قال الإمام الصادق عليه السّلام: ستلقىٰ من عدوك كل كيد. فأجابه الإمام الكاظم عليه السّلام بقوله: إذا كاد العدو فلا تكده».

وروى الشّيخ الصّدوق طاب ثراه مسنداً في كتاب عيون أخبار الرّضا كلامًا طويلًا من أسئلة المأمون عن الإمام الرّضا عليه السّلام، منها: أنّه قال للإمام الرّضا عليه السّلام: «أنشدني أحسن ما رويته في استجلاب العدوّ حتىٰ يكون صديقًا، فقال، الرّضا عليه السّلام:

وذي غـلّة سالمته فقهرته … فأوقرته منّي لعفو التّجمل
ومن لا يدافع سيّئات عدوّه … بإحسانه لم يأخذ الطول من عل
ولم أر في الأشياء أسرع مهلكًا … لغمر قديم من وداد معجّل

فقال المأمون: ما أحسن هٰذا، هٰذا من قاله؟ فقال عليه السّلام: بعض فتياننا...».

وروى الشّيخ الطوسي رحمه الله في الحديث ٢٢، من المجلس من أماليه، مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «إيّاكم ومشاجرة النّاس، فإنّها تظهر الغرّة، وتدفن العزة».

- ٦ -

ومن وصيّةٍ لهُ عليه السّلام

لابنه محمّد بن الحنفية رفع الله مقامه

حافظ الشّيعة وصدوق الشّريعة: الشّيخ الصّدوق قدّس الله نفسه، عن أبيه، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسىٰ. عمن ذكره[١] عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام في وصيّته لابنه محمّد ابن الحنفية:

يا بُنَيَّ لا تَقُلْ ما لا تَعْلَمُ، بَلْ لا تَقُلْ كُلَّ ما تَعْلَمُ[٢] فَإِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ قَدْ فَرَضَ عَلَىٰ جَوارِحِكَ كُلِّها فَرائِضَ يَحْتَجُّ بِها عَلَيْكَ يَومَ القِيامَةِ، وَيَسْأَلُكَ عَنها، وَذَكَّرَها وَوَعَّظَها وَحَذَّرَها وَأَدَّبَها وَلَمْ يَتْرُكْها سُدًى، فَقالَ اللهُ عَزَّ وَجلَّ: ﴿وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤادَ كُلُّ أُوْلٰئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[٣]. وَقالَ عَزَّ وَجلَّ: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ

---

(١) سيجيء بعد ختام كلامه عليه السّلام أمور كلها تصلح أن تكون سنداً للوصية الشريفة.

(٢) نقل من هذه الوصيّة إلىٰ هنا معلّم الأمّة الشّيخ المفيد رحمه الله في الحديث (٣٣٣) من كتاب الاختصاص ط ٢، ص ٢٣١. ورواه عنه المجلسي في الحديث ٦٤، من باب السكوت والكلام، من البحار: ج ٢، من ١٥ ـ ١٨٧. ورواه أيضًا السيد الرضي في المختار (٣٨٢) من قصار نهج البلاغة. وانظر بحارالأنوار: ج ٦٩، ص ٢٣ ـ ٣٠ و ٧٣ ـ ٩٠. باب إن الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلها من الكافي: ج ٢ ص ٥٦، وفي طبعة، ج ٢، ص ٣٨.

(٣) الآية ٣٦، من سورة الاسراء: ١٧.

وَتَقُولُونَ بِأَفواهِكُمْ ما لَيسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظيمٌ﴾(٤) ثُمَّ استَعْبَدَها بِطاعَتِهِ فَقالَ عَزَّ وَجلَّ: ﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعبُدُوا رَبَّكُمْ وَافعَلُوا الخَيرَ لَعَلَّكُمْ تُفلِحُونَ﴾(٥). فَهذِهِ فَريضَةٌ جامِعَةٌ واجِبَةٌ عَلى الجَوارِحِ. وقال اللهُ عَزَّ وَجلَّ: ﴿وأنَّ المَساجِدَ للهِ فَلا تَدعُوا مَعَ اللهِ أحدًا﴾(٦) يَعني بِالمَساجِدِ الوَجْهَ وَاليَدَيْنِ وَالرُّكبَتَينِ وَالإبهامَينِ. وقال عَزَّ وَجلَّ: ﴿وَما كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ﴾(٧). يَعْني بِالجُلُودِ الفُرُوجَ. ثُمَّ خَصَّ كُلَّ جارِحَةٍ مِنْ جَوارِحِكَ بِفَرْضٍ وَنَصَّ عَلَيها، فَفَرَضَ عَلى السَّمع أن لا تُصغي بِهِ عَلى المعاصِي، فَقَالَ عَزَّ وَجلَّ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتابِ أنْ إذا سَمِعْتُم آياتِ اللهِ يُكْفَرُ بِها وَيُسْتَهزَأُ بِها فَلا تَقعُدُوا مَعَهُم حَتّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيرِهِ إنَّكُمْ إذاً مِثلُهُمْ﴾(٨). وَقالَ اللهُ عَزَّ وَجلَّ: ﴿وَإِذا رَأيتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ في آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيرِهِ﴾(٩). ثُمَّ اسْتَثْنىٰ عَزَّ وَجلَّ مَوضعَ النِّسْيانِ فَقالَ: ﴿وَإمّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيطانُ فَلا تَقْعُدْ بَعدَ الذِّكرىٰ مَعَ القَوْمِ الظّالِمِينَ﴾(١٠). وَقالَ عَزَّ وَجلَّ: ﴿فَبَشِّرْ عِبادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَولَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلئِكَ الَّذينَ هَداهُمُ اللهُ * وأُوْلئِكَ هُمْ أُولُوا

(٤) الآية ١٥، من سورة النور: ٢٤.
(٥) الآية ٧٧، من سورة الحج: ٢٢.
(٦) الآية ١٨، من سورة الجن: ٧٢.
(٧) الآية ٢٢، من سورة فصلت: ٤١.
(٨) الآية ١٤٠، من سورة النساء: ٤.
(٩) الآية ٦٨، من سورة الانعام: ٦.
(١٠) الآية ٦٨، من سورة الانعام: ٦.

الأَلْبابِ﴾(١١). وَقالَ عَزَّ وَجلَّ: ﴿وَإِذا مَرُّوا بِاللَّغوِ مَرُّوا كِرامًا﴾(١٢). وَقالَ عَزَّ وَجلَّ: ﴿وَإِذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾(١٣). فَهٰذا ما فَرَضَ اللهُ عَزَّ وَجلَّ عَلى السَّمْعِ وَهُوَ عَمَلُهُ.

وَفَرَضَ عَلى البَصَرِ أَنْ لا يَنْظُرَ إِلىٰ ما حَرَّمَ اللهُ عَزَّ وَجلَّ عَلَيْهِ، فَقالَ عَزَّ من قائِلٍ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾(١٤)، فَحَرَّمَ أَن يَنْظُرَ أَحدٌ إِلىٰ فَرْجِ غَيْرِهِ.

وَفَرَضَ عَلى اللِّسانِ الإِقْرارَ وَالتَّعْبِيرَ عَنِ القَلْبِ بِما عَقَدَ عَلَيهِ، فَقالَ عَزَّ وَجلَّ: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَما أُنْزِلَ إِلَيْنا﴾(١٥) وَقالَ عَزَّ وَجلَّ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾(١٦).

وَفَرَضَ عَلى القَلْبِ وَهُوَ أَمِيرُ الجَوارِحِ، الَّذي بِهِ تَعْقِلُ وَتَفْهَمُ، وَتَصْدُرُ عَنْ أَمْرِهِ وَرَأْيِهِ، فَقالَ عَز وَجلَّ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيمان﴾(١٧). وَقالَ تَعالىٰ حِينَ أَخْبَرَ عَنْ قَوْمٍ أُعْطُوا الإِيمانَ بِأَفْواهِهِمْ وَلَمْ تُؤمِنْ قُلُوبُهُمْ: ﴿الَّذينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفواهِهِم وَلَمْ تُؤمِنْ قُلُوبُهُم﴾(١٨). وَقالَ عَزَّ وَجلَّ: ﴿أَلا

---

(١١) الآياتان، ١٧، ١٨، من سورة الزمر: ٣٩.
(١٢) الآية ٧٢، من سورة الفرقان: ٢٥.
(١٣) الآية ٥٥، من سورة القصص: ٢٨.
(١٤) الآية ٣٠، من سورة النور: ٢٤.
(١٥) الآية ١٣٦، من سورة البقرة: ٢.
(١٦) الآية ٨٣، من سورة البقرة: ٢.
(١٧) الآية ١٠٦، من سورة النحل: ١٦.
(١٨) الآية ٤١، من سورة المائدة، وأول الآية الكريمة: ﴿يا أَيُّها الرَّسول لا يحزنك الَّذين يسارعون في الكفر من الَّذينَ قالوا آمنا﴾.

بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ﴾(١٩) وَقالَ عَزَّ وَجلَّ: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَو تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُم بِهِ اللهُ، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ﴾(٢٠).

وَفَرَضَ عَلى اليَدَينِ أَنْ لا تَمُدَّهُما إِلىٰ ما حَرَّمَ اللهُ عَزَّ وَجلَّ عَلَيْكَ، وَأَنْ تَسْتَعْمِلَهُما بِطاعَتِهِ، فقال عَزَّ وَجلَّ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُم إِلى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وجُوهَكُمْ وَأَيـديَكُمْ إِلى المَـرافِـقِ وَامْسَـحُوا بِـرُؤوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلى الكَعْبَينِ﴾(٢١). وَقالَ عَزَّ وَجلَّ: ﴿فـإِذا لَـقِيتُمُ الَّـذِينَ كَـفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾(٢٢).

وَفَرَضَ عَلى الرِّجْلَينِ أَنْ تَنْقُلَهُما فِي طاعَتِهِ، وَأَنْ لا تمْشيَ بِهِما مِشْيَةَ عاصٍ، فَقالَ عَزَّ وَجلَّ: ﴿وَلا تَمشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبالَ طُولاً، كُلُّ ذٰلِكَ كانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾(٢٣) وَقالَ عَزَّ وَجلَّ: ﴿اليَومَ نَخْتِمُ عَلىٰ أَفواهِهِمْ وَتُكَلِّمُنا أَيْدِيهِم وَ تَشـهَدُ أَرجُـلُهُمْ بِـما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾(٢٤) فَأَخْبَرَ عَنها أَنَّها تَشْهَدُ عَلىٰ صاحِبِها يَومَ القِيامة.

فَهٰذا ما فَرَضَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالىٰ عَلىٰ جَوارِحِكَ، فـاتَّقِ اللهَ يـا بُـنَيَّ وَاستَعمِلْها بِطاعَتِهِ وَرِضْوانِهِ وَإِيّاكَ أَنْ يَراكَ اللهُ تَعالىٰ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ(٢٥) أو

(١٩) الآية ٢٨، من سورة الرعد: ١٣.

(٢٠) الآية ٢٨٤، من سورة البقرة: ٢.

(٢١) الآية ٦، من سورة المائدة: ٥.

(٢٢) الآية ٤، من سورة محمد: ٤٧.

(٢٣) الآيتان ٣٧ و ٣٨، من سورة الإسراء: ١٧.

(٢٤) الآية ٦٥، من سورة يس: ٣٦.

(٢٥) وقال العلامة الكراجكي رحمه الله: ولقي حكيم حكيماً فقال: عظني وأوجز. قال: عليك بخصلتين: لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك من حيث أمرك. قال: زدني. قال: لا أجد للحالين ثالثة.

يَفْقِدَكَ عندَ طاعَتِهِ فَتَكُونَ مِنَ الخاسِرِينَ(٢٦) وَعَلَيْكَ بِقِراءَةِ القُرآنِ، والعَمَلِ بما فِيهِ، وَلُزُومِ فَرائِضِهِ وَشَرائِعِهِ وَحَلالِهِ وَحَرامِهِ وأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَالتَّهَجُّدِ بِهِ وَتلاوَتِهِ في لَيلِكَ وَنَهارِكَ، فإِنَّهُ عَهْدٌ مِنَ اللهِ تَبارَكَ وَتعالىٰ إلىٰ خَلْقِهِ، فَهُوَ واجِبٌ(٢٧) عَلىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَنْظُرَ كُلَّ يَوْمٍ في عَهْدِهِ وَلَو خَمْسِينَ آيَةً.

وَاعْلَمْ أَنَّ دَرَجاتِ الجنّةِ عَلىٰ عَدَدِ آياتِ القُرْآنِ، فإذا كانَ يَومَ القِيامَةِ يُقالُ لِقارِئِ القُرآنِ: اقْرَأْ وَارْقَ، فَلا يَكُونُ في الجَنَّةِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالصِدِّيقِينَ أَرْفَعُ دَرَجَةً مِنْهُ(٢٨).

وهنا تعاليق تعزيزية نقلية

التعليق الأوّل:

فيما يناسب المقام من ذكر قطعة من رسالة الحقوق للسيّد السّجاد، الإمام

(٢٦) من قوله عليه السّلام: وإيّاك أن يراك الله، إلىٰ قوله: فتكون من الخاسرين ـ ذكره السيد الرضيّ في المختار ٣٨٣، من قصار نهج البلاغة.

(٢٧) كذا في النسخة، والظاهر ان لفظة هو من زيادة الناسخ.

(٢٨) قال الصّدوق رحمه الله: والوصيّة طويلة أخذنا منها موضع الحاجة أقول: لم نظفر بتمام الوصيّة من طرفها الأوّل، إذ الصّدوق رحمه الله لم يذكرها مجموعة متوالية في محل واحد، بل فرقها في كتبه على الأبواب المناسبة لها، وما ذكر منها في موضع معيّن أيضاً لم يذكرها بأجمعها، بل ذكر ما هو الدخيل في غرضه، نعم من قوله عليه السّلام: يا بُنَيّ إيّاك والاتكال على الأماني فإنّها بضائع النوكى، (إلىٰ آخرها) ـ نقلها منسّقة مترتبة، إلّا انه أسقط منها ما لم يتعلق به غرضه، ومن قوله عليه السّلام: يا بُنَيّ البغي سائق إلى الحين (إلىٰ آخرها)، رواها بلا حذف، كلّ ذلك ممّا صرّح به الصّدوق رحمه الله في مواضع، فتخلص ان من أوّل الوصيّة (إلىٰ قوله: يا بُنَيّ إيّاك والاتكال على الأماني) يحتمل فيه الحذف والتقديم والتأخير، ومن قوله: يا بُنَيّ إيّاك والاتكال على الأماني، إلىٰ قوله: يا بُنَيّ البغي سائق إلى الحين ـ ممّا يتيقن فيه الترتيب والحذف والإسقاط، بتصريح الصّدوق رحمه الله ومن قوله: يا بُنَيّ البغي سائق إلى الحين (إلىٰ آخرها)، ممّا يعلم فيه التمام وعدم النقص، وبه أيضًا صرّح الصّدوق.

زين العابدين عليه السّلام، رواها الشّيخ الصّدوق في الفقية والخصال مسندًا، ورواها السيّد ابن طاووس رحمه الله عن رسائل الكليني رفع الله مقامه كذلك، ورواها الحسن بن عليّ بن شعبة رحمه الله في تحف العقول ص ١٨٣ مرسلًا، ونحن نذكرها من تحف العقول، قال عليه السّلام:

«اعلم رحمك الله إن لله عليك حقوقًا محيطة لك في كلّ حركة تحركتها، أو سكنة سكنتها، أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلبتها، أو آلة تصرفت بها، بعضها أكبر من بعض، وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالىٰ، من حقّه الّذي هو أصل الحقوق، ومنه تفرع.

ثُمّ ما أوجبه عليك لنفسك من قرنك إلىٰ قدمك على اختلاف جوارحك، فجعل لبصرك عليك حقًّا، ولسمعك عليك حقًّا، وللسانك عليك حقًّا، وليدك عليك حقًّا، ولرجلك عليك حقًّا، ولبطنك عليك حقًّا، ولفرجك عليك حقًّا، فهذه الجوارح السبع الّتي تكون بها الأفعال.

ثُمّ جعل عزّ وجلّ لأفعالك عليك حقوقًا، فجعل لصلاتك عليك حقًّا، ولصومك عليك حقًّا، ولصدقتك عليك حقًّا، ولهديك عليك حقًّا، ولأفعالك عليك حقًّا.

ثم تخرج الحقوق منك إلىٰ غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك، وأوجبها عليك حق أئمتك، ثم حقوق رعيتك، ثم حقوق رحمك، فهٰذه حقوق يتشعب منها حقوق:

فحقوق أئمتك ثلاثة، أوجبها عليك حقّ سائسك بالسلطان، ثم سائسك بالعلم، ثم سائسك بالملك، وكلّ سائس إمام(٢٩).

وحقوق رعيتك ثلاثة، أوجبها عليك حقّ رعيتك بالسلطان، ثم حقّ رعيتك بالعلم، فان الجاهل رعية العالم، وحقّ رعيتك بالملك من الأزواج وما

---

(٢٩) السائس: القائم بالأمر، والمدبّر له.

ملكت من الإيمان[٣٠].

وحقوق رحمك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة، فأوجبها عليك حقّ أمك، ثم حقّ أبيك، ثم حقّ ولدك، ثم حقّ أخيك، ثم الأقرب فالأقرب، والأول فالأوّل، ثم حقّ مولاك المنعم عليك، ثم حقّ مولاك الجاري نعمته عليك، ثم حقّ ذي المعروف لديك، ثم حقّ مؤذنك بالصلاة، ثم حقّ إمامك في صلاتك، ثم حق جليسك، ثم حق جارك، ثم حقّ صاحبك، ثم حقّ شريكك، ثم حقّ مالك، ثم حقّ غريمك الّذي تطالبه، ثم حقّ غريمك الّذي يطالبك، ثم حقّ خليطك، ثم حقّ خصمك المدّعي عليك، ثم حقّ خصمك الّذي تدّعي عليه، ثم حق مستشيرك، ثم حقّ المشير عليك، ثم حق مستنصحك، ثم حقّ الناصح لك، ثم حق من هو أكبر منك، ثم حقّ من هو أصغر منك، ثم حقّ سائلك، ثم حقّ من سألته، ثم حقّ من جرى لك علىٰ يديه مساءة بقول أو فعل، أو مسرة بذلك بقول أو فعل، عن تعمد منه أو غير تعمد منه، ثم حقّ أهل ملتك عامة، ثم حقّ أهل الذمّة[٣١]، ثم الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصرّف الأسباب، فطوبىٰ لمن أعانه الله علىٰ قضاء ما أوجب عليه من حقوقه، ووفّقه، وسدّده.

فأمّا حقّ الله الأكبر: فإنك تعبده ولا تشرك به شيئًا، فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك علىٰ نفسه أن يكفيك أمر الدّنيا والآخرة، ويحفظ لك ما تحبّ منها.

وأمّا حقّ نفسك عليك: فأن تستوفيها في طاعة الله، فتؤدي إلى لسانك حقّه، وإلىٰ سمعك حقّه، وإلىٰ بصرك حقّه، وإلىٰ يدك حقّها، وإلىٰ رجلك حقّها، وإلىٰ بطنك حقّها، وإلىٰ فرجك حقّه، وتستعين بالله علىٰ ذلك.

وأمّا حقّ اللسان: فإكرامه عن الخنا[٣٢] وتعويده على الخير[٣٣] وحمله

---

(٣٠) وفي الخصال: وما ملكت الإيمان.

(٣١) وفي من لا يحضره الفقية والخصال: ثم حقّ أهل ملّتك عليك، ثم حقّ أهل ذمّتك، الخ.

(٣٢) الخنا: الفحش في الكلام.

(٣٣) وفي من لا يحضره الفقيه والخصال هكذا: وتعويده الخير، وترك الفضول الّتي لا فائدة

على الأدب، وإجمامه[٣٤] إلّا لموضع الحاجة والمنفعة للدِّين والدّنيا، واعفاؤه عن الفضول الشنعة القليلة الفائدة الّتي لا يؤمن ضررها مع قلّة عائدتها، وبعد شاهد العقل والدليل عليه، وتزين العاقل بعقله حسن سيرته في لسانه، ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم.

وأمّا حقّ السمع: فتنزيهه[٣٥] عن أنْ تجعله طريقًا إلىٰ قلبك إلّا لفوهة كريمة تحدث في قلبك خيرًا، أو تكسب خلقًا كريمًا، فإنَّ باب الكلام إلى القلب، يؤدي إليه ضروب المعاني علىٰ ما فيها من خير أو شرّ، ولا قوة إلّا بالله.

وأمّا حقّ بصرك: فغضه عمّا لا يحل لك[٣٦] وترك ابتذاله إلّا لموضع عبرة تستقبل بها بصرًا أو تستفيد بها علمًا[٣٧]، فإنَّ البصر باب الاعتبار.

وأمّا حقّ رجليك، فأن لا تمشي بهما إلىٰ ما لا يحلّ لك[٣٨]، ولا تجعلهما مطيتك في الطريق المستخفّة بأهلها فيها، فإنّها حاملتك وسالكة بك مسلك الدِّين، والسبق لك، ولا قوة إلّا بالله.

وأمّا حقّ يدك: فأن لا تبسطها إلىٰ ما لا يحل لك، فتنال بما تبسطها من الله العقوبة في الآجل، ومن النّاس بلسان اللائمة في العاجل، ولا تقبضها ممّا افترض الله عليها، ولكن توقرها بقبضها عن كثير ممّا لا يحل لها، وبسطها إلىٰ كثير ممّا ليس عليها، فإذا هي قد عقلت وشرفت في العاجل، ووجب لها حسن الثواب في الآجل.

← فيها، والبرّ بالناس، وحسن القول فيهم، الخ.

(٣٤) قيل وفي بعض النسخ: وإجماعه. وفي بعضها: وحمله بالآداب واجمامه. واجمام اللسان: امساكه.

(٣٥) وفي محكي الفقيه والخصال: فتنزيهه عن سماع الغيبة، وسماع ما لا يحل سماعه.

(٣٦) والمحكي عن الفقيه والخصال: ان تغضّه عمّا لا يحل لك، وتعتبر بالنظر به.

(٣٧) وفي المحكي عن بعض النسخ: أو تعتقد بها علمًا.

(٣٨) وفي محكي الفقيه والخصال: وأمّا حقّ رجليك: أنْ لا تمشي بهما إلىٰ ما لا يحل لك، فبهما تقف على الصراط، فانظر أنْ لا تزال بك فتردىٰ في النّار.

وأمّا حقّ بطنك فأنْ لا تجعله[٣٩] وعاءً لقليل من الحرام ولا لكثير، وإنْ تقتصد له في الحلال، ولا تخرجه من حدّ التقوية إلىٰ حد التهوين وذهاب المروءة، وضبطه إذا همَّ بالجوع والظمأ، فإنَّ الشبع المنتهي بصاحبه إلى التخم مكسلة ومثبطة ومقطعة عن كلّ برّ وكرم، وإنَّ الري المنتهي بصاحبه إلى السكر مسخفة ومجهلة ومذهبة للمروءة.

وأمّا حقّ فرجك: فحفظه ممّا لا يحل لك[٤٠] والاستعانة عليه بغضّ البصر، فإنّه من أعون الأعوان، وكثرة ذكر الموت، والتهدد لنفسك بالله، والتخويف لها به، وبالله العصمة والتأييد ولا حول ولا قوة إلّا به...».

وروي في الحديث ١، من الباب ١٨، من كتاب الإيمان والكفر، في الكافي معنعنًا، عن أبي عمرو الزبيري، عن الإمام الصّادق عليه السّلام، قال: «قلت له: أيّها العالم أخبرني أي الأعمال أفضل عند الله؟ قال: ما لا يقبل الله شيئًا إلّا به. قلت: وما هو؟ قال: الإيمان بالله الّذي لا إله إلّا هو أعلى الأعمال درجة، وأشرفها منزلة، وأسناها حظًّا. قال قلت: ألا تخبرني عن الإيمان، أقولٌ وعمل، أم قول بلا عمل؟ فقال: الإيمان عمل كلّه، والقول بعض ذلك العمل بفرض من الله بيّن في كتابه، واضح نوره، ثابتة حجته، يشهد له به الكتاب ويدعوه إليه[٤١]. قال قلت: صفه لي جعلت فداك حتّىٰ أفهمه. قال: الإيمان[٤٢] حالات وطبقات ومنازل، فمنه التام المنتهي تمامه، ومنه الناقص البيّن نقصانه، ومنه الراجح الزائد رجحانه. قلت: إنَّ الإيمان ليتم وينقص ويزيد؟ قال: نعم. قلت: كيف ذلك؟ قال: لأنَّ الله تبارك فرض الإيمان علىٰ جوارح ابن آدم، وقسّمه عليها وفرّقه فيها، فليس من جوارحه جارحة إلّا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به اختها.

---

(٣٩) وفي محكي الفقيه والخصال: أنْ لا تجعله وعاءً للحرام، ولا تزيد على الشبع.

(٤٠) وفي المحكي عن الكتابين: وحقّ فرجك: أنْ تحصنه من الزنا، وتحفظه من أنْ ينظر إليه.

(٤١) يشهد له: أي لكونه عملًا، أو للعامل به، أي بذلك الفرض. ويدعوه إليه: أي يدعو العامل إلىٰ ذلك الفرض. كذا قيل.

(٤٢) وفي بعض النسخ: للإيمان حالات ودرجات، الخ.

فمنها قلبه الّذي به يعقل ويفقه ويفهم، وهو أمير بدنه الّذي لا تردّ الجوارح ولا تصدر إلّا عن أمره ونهيه.

ومنها عيناه اللتان يبصر بهما، وأذناه اللتان يسمع بهما، ويداه اللتان يبطش بهما، ورجلاه اللتان يمشي بهما، وفرجه الّذي الباه من قبله، ولسانه الّذي ينطق به، ورأسه الّذي فيه وجهه. فليس من هذه جارحة إلّا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها، بفرض من الله تبارك اسمه، ينطق به الكتاب لها، ويشهد به عليها.

ففرض على القلب غير ما فرض على السمع، وفرض على السمع غير ما فرض على العينين، وفرض على العينين غير ما فرض على اللسان، وفرض على اللسان غير ما فرض على اليدين، وفرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين، وفرض على الرجلين غير ما فرض على الفرج، وفرض على الفرج غير ما فرض على الوجه.

فأمّا ما فرض على القلب من الإيمان: فالإقرار والمعرفة والعقد والرّضا والتسليم بأنْ لا إلـه إلّا الله وحده لا شريك له إلهًا واحدًا لم يتخذ صاحبةً ولا ولدا، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلوات الله عليه وآله، والإقرار بما جاء من عند الله من نبي أو كتاب، فذلك ما فرض الله على القلب من الإقرار والمعرفة، وهو عمله، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿إلّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمانِ، وَلَكنْ مَنْ شَرَحَ بَالكُفْرِ صَدْرًا﴾(٤٣)، وقال: ﴿ألا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ﴾(٤٤) وقال: ﴿الّذينَ قالوا آمَنَّا بِأفْواهِهِمْ وَلَمْ تُؤمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾(٤٥) وقال: ﴿وَإن تُبْدُوا مَا في أنْفُسِكُم أو تُخفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ، فَيَغفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعذِبُ

---

(٤٣) الآية ١٠٦، من سورة النحل: ١٦.

(٤٤) الآية ٢٨، من سورة الرعد: ١٣.

(٤٥) الآية ٤١، من سورة المائدة، وتقدم ذكر الآية الشريفة في التعليق على كلام أمير المؤمنين عليه السّلام، والمذكور هنا إمّا سهو من الرواة، أو نقل بالمعنىٰ من المعصوم عليه السّلام أو من الرواة.

مَنْ يَشَاءُ﴾(٤٦). فذلك ما فرض الله عزّ وجلّ على القلب، من الإقرار والمعرفة، وهو عمله، وهو رأس الإيمان.

وفرض الله على اللسان، القول والتعبير بما عقد عليه وأقرّ بـه، قـال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاس حُسْنًا﴾(٤٧). وقال: ﴿قُولُوا آمنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلينَا وَمَا أُنزِلَ إِلىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وإِسْحَاقَ ويَعقُوبَ وَالأَسبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسىٰ وعيسىٰ وَمَا أُوتي النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ ﴿وإِلٰهنا وإِلٰهكم واحد وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(٤٨). فهذا ما فـرض الله عـلى اللسان وهو عمله.

وفرض على السمع أنْ يتنزّه عن الاستماع إلىٰ ما حرّم الله، وأن يعرض عمّا لا يحلّ له، ممّا نهى الله عزّ وجلّ عنه، والإصغاء إلىٰ ما أسخط الله عزّ وجلّ فقال في ذلك: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُم آياتِ اللهِ يُكْفَرُ بِـهَا وَيُسْتَهزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِـي حَـدِيثٍ غَـيرِهِ﴾(٤٩). ثم استثنى الله عزّ وجلّ موضع النسيان، فقال: ﴿وإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيطانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكرَىٰ مَعَ القَومِ الظَّالِمِينَ﴾(٥٠). وقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبادِ، الَّذين يَستَمِعُونَ القَوْلَ فَـيَتَّبِعُونَ أَحْسَـنَهُ، أُولٰـئِكَ الَّـذينَ هَـداهُـمُ اللهُ وأُولٰـئِكَ هُـمْ أُوْلُـوا الأَلْبَابِ﴾(٥١) وقال عزّ وجلّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ المؤمِنُونَ الَّذينَ هُمْ فِي صَلَاتِهم خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعرِضُون وَالَّذِينَ هُمْ للزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾(٥٢). وقـال: ﴿وَإِذَا سَمِعوا اللَّـغْوِ أَعـرضَوا عَـنْهُ وقـالوا لَـنَا أَعْـمَالُنا وَلَكُـمْ

(٤٦) الآية ٢٨٤، من سورة البقرة: ٢.

(٤٧) الآية ٨٣، من سورة البقرة: ٢.

(٤٨) الآية ١٣٦، من سورة البقرة، والآية ٤٦ من سورة العنكبوت: ٢٩.

(٤٩) الآية ١٤٠، من سورة النساء: ٤.

(٥٠) الآية ٦٨، من سورة الانعام: ٦.

(٥١) الآيتان ١٧،١٨، من سورة الزمر: ٣٩.

(٥٢) الآيات ١ ـ ٤، من سورة المؤمنون: ٢٣.

أعمالُكُمْ﴾[٥٣]. وقال: ﴿وإذا مَرُّوا باللَّغوِ مَرُّوا كِرامًا﴾[٥٤]. فهٰذا ما فرض الله على السمع من الإيمان أن لا يصغي إلىٰ ما لا يحلّ له، وهو عمله، وهو من الإيمان. وفرض على البصر أن لا ينظر إلىٰ ما حرم الله عليه، وأن يعرض عمّا نهى الله عنه ممّا لا يحل له، وهو عمله، وهو من الإيمان، فقال تبارك وتعالىٰ: ﴿قُلْ لِلْمُؤمنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبصارِهِمْ وَيَحفظُوا فُرُوجَهُم﴾[٥٥] فنهاهم أن ينظروا إلىٰ عوراتهم، وأن ينظر المرء إلىٰ فرج أخيه، ويحفظ فرجه أن ينظر إليه، وقال: ﴿وَقُل لِلمُؤمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[٥٦]. من أن تنظر إحداهنَّ إلىٰ فرج أختها، وتحفظ فرجها من أن ينظر إليها، وقال: كلّ شيء في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا إلّا هٰذه الآية فإنّها من النظر.

ثم نظم ما فرض على القلب واللسان والسمع والبصر في آية أخرىٰ فقال: ﴿وَمَا كُنتُم تَستَتِرُونَ أَن يَشهَدَ عَلَيْكُم سَمْعُكُم وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾[٥٧]. يعني بالجلود: الفروج والأفخاذ. وقال ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤادَ كُلُّ أُولٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤولًا﴾[٥٨] فهٰذا ما فرض الله على العينين من غضّ البصر عمّا حرّم الله عزّ وجلّ وهو عملهما، وهو من الإيمان.

وفرض الله على اليدين أن لا يبطش بهما إلىٰ ما حرّم الله، وأنْ يبطش بهما إلىٰ ما أمر الله عزّ وجلّ وفرض عليهما من الصدقة وصلة الرحم والجهاد في سبيل الله والطهور للصلاة فقال: ﴿يَا أَيُّها ٱلَّذين آمَنُوا إذا قُمتُم إِلى ٱلصَّلاةِ فَاغسِلوا وُجُوهَكُم وَأَيدِيَكُمْ إِلَى ٱلمَرَافِقِ وٱمْسَحُوا بِرُؤوسِكُمْ وَأَرجُلَكُم

(٥٣) الآية ٥٥، من سورة القصص: ٢٨.
(٥٤) الآية ٧٢، من سورة الفرقان: ٢٥.
(٥٥) الآية ٣٠، من سورة النور: ٢٤.
(٥٦) الآية ٣١، من سورة النور: ٢٤.
(٥٧) الآية ٢٢، من سورة فصلت: ٤١.
(٥٨) الآية ٣٦، من سورة الإسراء: ١٧.

إلى ٱلكَعْبَين﴾[٥٩]. وقال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُم ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا ٱلْوَثَاقَ، فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[٦٠]. فهٰذا ما فرض الله على اليدين لأنَّ الضرب من علاجهما[٦١].

وفرض على الرجلين أن لا يمشي بهما إلىٰ شيء من معاصي الله، وفرض عليهما المشي إلىٰ ما يرضي الله عزّ وجلّ فقال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا، إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾[٦٢]. وقال: ﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[٦٣]. وقال فيما شهدت الأيدي والأرجل علىٰ أنفسهما وعلىٰ أربابهما من تضييعهما لما أمر الله عزّ وجلّ به وفرضه عليهما: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِم وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكسِبُونَ﴾[٦٤]. فهٰذا أيضًا ممّا فرض الله على اليدين وعلى الرجلين، وهو عملهما، وهو من الإيمان.

وفرض على الوجه السجود له بالليل والنهار في مواقيت الصلاة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱرْكَعُوا وَٱسْجُدُوا وَٱعْبُدوا رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا الخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٦٥]. فهٰذه فريضة جامعة على الوجه واليدين والرجلين. وقال في موضع آخر: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَاجِدَ لِلهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ ٱللهِ أَحَدًا﴾[٦٦]. وقال فيما فرض على الجوارح من الطهور والصلاة بها وذلك أنَّ الله عزّ وجلّ لمّا صرف نبيّه صلّى الله عليه وآله إلى الكعبة عن البيت المقدّس فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا

(٥٩) الآية ٦، من سورة المائدة: ٥.

(٦٠) الآية ٤، من سورة محمد: ٤٧.

(٦١) العلاج: المزاولة.

(٦٢) الآية ٣٧، من سورة الإسراء: ١٧.

(٦٣) الآية ١٩، من سورة لقمان: ٣١.

(٦٤) الآية ٦٥، من سورة يس: ٣٦.

(٦٥) الآية ٧٧، من سورة الحج: ٢٢.

(٦٦) الآية ١٨، من سورة الجن: ٧٢.

كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٦٧). فسمّى الصلاة إيمانًا، فمن لقي الله عزّ وجلّ حافظًا لجوارحه موفيًا كل جارحة من جوارحه ما فرض الله عزّ وجلّ عليها لقي الله عزّ وجلّ مستكملًا لإيمانه، وهو من أهل الجنّة، ومن خان في شيء منها أو تعدىٰ ما أمر الله عزّ وجلّ فيها لقي الله عزّ وجلّ ناقص الإيمان.

قلت: قد فهمت نقصان الإيمان وتمامه، فمن أين جاءت زيادته؟ فقال: قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هٰذِهِ إيمانا، فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إيمانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾(٦٨). وقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًىٰ﴾(٦٩). ولو كان كله واحدًا لا زيادة فيه ولا نقصان، لم يكن لأحد منهم فضل على الآخر، ولاستوت النعم فيه، ولاستوى النّاس وبطل التفضيل، ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنة، وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله، وبالنقصان دخل المفرطون النّار». وقريب منه في المقدمة الأولىٰ من دعائم الإسلام.

وروىٰ في الحديث السابع ، من الباب، بسند آخر، عن حمّاد بن عمرو النصيبي قال: «سأل رجل العالم عليه السّلام، فقال: أيها العالم أخبرني أي الأعمال أفضل عند الله؟ قال: ما لا يقبل عمل إلّا به. فقال وما ذلك؟ قال: الإيمان ـ بالله ـ الّذي هو أعلى الأعمال درجة، وأسناها حظًّا، وأشرفها منزلة. قلت: أخبرني عن الإيمان، أقولٌ وعمل، أم قول بلا عمل؟ قال: الإيمان عمل كله، والقول بعض ذلك العمل بفرض من الله بيّنه في كتابه، واضح نوره، ثابتة حجته، يشهد به الكتاب ويدعو إليه. قلت: صف لي ذلك حتّىٰ أفهمه. فقال: إنَّ

---

(٦٧) الآية ١٤٣، من سورة البقرة: ٢.

(٦٨) الآيتان ١٢٤، ١٢٥، من سورة التوبة: ٩.

(٦٩) الآية ١٣، من سورة الكهف: ١٨.

الإيمان(٧٠) حالات ودرجات وطبقات ومنازل، فمنه التام المنتهي تمامه، ومنه الناقص المنتهي نقصانه، ومنه الزائد الراجح زيادته. قلت: وإنَّ الإيمان ليتم ويزيد وينقص؟ قال نعم. قلت: وكيف ذلك؟ قال: إنَّ الله تبارك وتعالىٰ فرض الإيمان علىٰ جوارح بني آدم، وقسّمه عليها، وفرّقه عليها، فليس من جوارحهم جارحة إلّا وهي موكلّة من الإيمان بغير ما وكلّت به أختها.

فمنها قلبه الّذي به يعقل ويفقه ويفهم، وهو أمير بدنه، الّذي لا تورد الجوارح ولا تصدر إلّا عن رأيه وأمره.

ومنها يداه الّلتان يبطش بهما، ورجلاه الّلتان يمشي بهما، وفرجه الّذي الباه من قبله، ولسانه الّذي ينطق به الكتاب، ويشهد به عليها، وعيناه الّلتان يبصر بهما، واذناه الّلتان يسمع بهما.

وفرض على القلب غير ما فرض على اللسان، وفرض على اللسان غير ما فرض على العينين، وفرض على العينين غير ما فرض على السمع، وفرض على السمع غير ما فرض على اليدين، وفرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين، وفرض على الرجلين غير ما فرض على الفرج، وفرض على الفرج غير ما فرض على الوجه.

فأمّا ما فرض على القلب من الإيمان: فالإقرار والمعرفة والتصديق والتسليم والعقد والرّضا بأن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، أحدًا صمدًا لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأنَّ محمدًا صلّى الله عليه وآله عبده ورسوله».

التعليق الثاني:

في ذكر ما ورد عن بقية المعصومين عليهم السّلام، ممّا يشبه لفظه عليه السّلام في قوله السالف: فواجب علىٰ كل مسلّم أنْ ينظر كلّ يوم في عهده ولو خمسين آية.

---

(٧٠) في بعض النسخ للإيمان.

فعن ثقة الإسلام الكليني رضوان الله عليه، في الحديث الأوّل، من الباب الخامس، من كتاب فضل القرآن، من الكافي معنعنًا، عن حريز، عن الإمام الصادق عليه السّلام قال: «القرآن عهد الله إلىٰ خلقه، فقد ينبغي للمرء المسلّم أن ينظر في عهده، وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية».

وعن شيخ الطائفة طاب ثراه معنعنًا، عن معمر بن خلاد، عن الإمام الرّضا عليه السّلام قال: سمعته يقول، ينبغي للرجل إذا أصبح أنْ يقرأ بعد التعقيب خمسين آية. كما في البحار: ج ١٨، ص ٤٧٤، نقلًا عن التهذيب.

التعليق الثالث:

في بيان الآثار الواردة عن سائر المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، مما يقرب من قوله عليه السّلام: واعلم أن درجات الجنة علىٰ عدد آيات القرآن،...

روى الكليني رحمه الله معنعنًا، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، أنه قال: «إنّ أهل القرآن في أعلىٰ درجة من الآدميين ما خلا النبيّين والمرسلين، فلا تستضعفوا أهل القرآن حقوقهم، فإنّ لهم من الله العزيز الجبّار لمكانًا عليًّا». الحديث ١، من الباب الثاني، من كتاب القرآن، من الكافي.

ورویٰ أيضًا في الحديث الثالث، من الباب معنعنًا، عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم، إنّه قال: «تعلّموا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة صاحبه في صورة شاب جميل شاحب اللون، فيقول له القرآن أنا الّذي كنت أسهرت ليلك، وأظمأت هواجرك، وأجففت ريقك، وأسلت دمعتك، أؤول معك حيثما ألت، وكل تاجر من وراء تجارته، وأنا اليوم لك من وراء تجارة كل تاجر، وستأتيك كرامة (من) الله عزّ وجلّ فابشر. فيؤتىٰ بتاج فيوضع علىٰ رأسه، ويعطى الأمان بيمينه، والخلد في الجنان بيساره، ويكسىٰ حلتين، ثم يقال له: إقرأ وارق، فكلما قرأ آية صعد درجة، ويكسىٰ أبواه حلتين إنْ كانا مؤمنين، ثم يقال لهما: هذا لما علّمتماه القرآن». وروى المجلسي قدّس سرّه، في الحديث ١٩، من الباب ١ من كتاب

القرآن، من البحار: ج ١٩، ص ٧، عن كتاب الإمامة والتبصرة معنعنًا، أنّه قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «عدد درج الجنة عدد آي القرآن، فإذا دخل صاحب القرآن الجنة، قيل له: إرق واقرأ لكل آية درجة، فلا يكون فوق حافظ القرآن درجة».

وروىٰ ثقة الإسلام الكليني رضوان الله عليه، في الحديث ٣، من الباب ٢، من كتاب القرآن، من الكافي:ج ٢، ص ٦٠٣، عنه صلّى الله عليه وآله معنعنًا: أنّه قال: «تعلموا القرآن فإنّه يأتي يوم القيامة صاحبه في صورة شاب جميل شاحب اللون، فيقول له القرآن: أنا الّذي كنت أسهرت ليلك، وأظمأت هواجرك، وأجففت ريقك، وأسلت دمعتك، أؤول معك حيثما ألت، وكل تاجر وراء تجارته، وأنا اليوم لك من وراء تجارة كل تاجر، وستأتيك كرامة (من) الله عزّ وجلّ فابشر. فيؤتىٰ بتاج فيوضع علىٰ رأسه، ويعطى الأمان بيمينه، والخلد في الجنان بيساره، ويكسىٰ حلتين، ثم يقال له: إقرأ وارق، فكلما قرأ آية صعد درجة، ويكسىٰ أبواه حلتين إنْ كانا مؤمنين، ثم يقال لهما: هٰذا لما علّمتماه القرآن».

وروى العلامة المجلسي رحمه الله، في الحديث ٨، من الباب الرابع، من كتاب القرآن، من البحار: ج، ١٩، ص ٥١، عن تفسير القمي، عن الإمام السجّاد عليه السّلام، أنّه قال: «عليك بالقرآن، فإنّ الله خلق الجنة بيده، لبنة من ذهب ولبنة من فضة، جعل ملاطها المسك، وترابها الزعفران، وحصباها اللؤلؤ، وجعل درجاتها علىٰ قدر آيات القرآن، فمن قرأ القرآن، قال له: إقرأ وارق، ومن دخل منهم الجنة لم يكن في الجنة أعلىٰ مقامًا منه، ما خلا النبيّين والصدّيقين».

وروى المجلسي الوجيه رحمه الله في الحديث العاشر: من الباب ٢١، من كتاب القرآن، من البحار: ١٩ و ٤٩، عن ثواب الأعمال معنعنًا، عن حفص بن غياث، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول لرجل: أتحبّ البقاء في الدنيا؟ قال: نعم، قال: ولم؟ قال: لقراءة قل هو الله أحد. فسكت عنه، ثمّ قال لي بعد

ساعة: يا حفص من مات من أوليائنا وشيعتنا ولم يحسن القرآن، علم في قبره ليرفع الله فيه درجته، فإن درجات الجنّة علىٰ قدر آيات القرآن، فيقال لقارئ القرآن: إقرأ وارقَ.

وروىٰ أيضًا في الحديث الرابع، من الباب ٢٤، منه عن الصّدوق رحمه الله في الأمالي معنعنًا، عن المفضل بن عمر، عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال: «عليكم بمكارم الأخلاق، فإنّ الله عزّ وجلّ يحبها، وإياكم ومذامّ الأفعال، فإنّ الله عزّ وجلّ يبغضها، وعليكم بتلاوة القرآن، فإنّ درجات الجنة علىٰ عدد آيات القرآن، فإذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن: إقرأ وارق، فكلّما قرأ آية رقي درجة، وعليكم بحسن الخلق، فإنه يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم، وعليكم بحسن الجوار فإنّ الله عزّ وجلّ أمر بذلك، وعليكم بالسواك فإنها مطهرة وسنّة حسنة، وعليكم بفرائض الله فأدوها، وعليكم بمحارم الله فاجتنبوها».

وروىٰ ثقة الإسلام الكليني طيب الله رمسه معنعنًا، في الحديث الحادي عشر، من الباب الأوّل، من كتاب فضل القرآن، من الكافي: ج ٢، ص ٦٠١، عن الإمام الصادق عليه السّلام أنه قال: «يجيء القرآن يوم القيامة في أحسن منظور إليه صورة، فيمر بالمسلمين، فيقولون: هٰذا الرجل منّا، فيجاوزهم إلى النبيّين، فيقولون: هو منّا، فيجاوزهم إلى الملائكة المقرّبين، فيقولون: هو منّا، حتّىٰ ينتهي إلىٰ ربّ العزة عزّ وجلّ فيقول: يا ربّ فلان ابن فلان أظمأت هواجره، وأسهرت ليله في دار الدّنيا، وفلان بن فلان لم أظمئ هواجره، ولم أسهر ليله، فيقول تبارك وتعالىٰ: ادخلهم الجنة علىٰ منازلهم فيقوم فيتبعونه فيقول: إقرأ وارقه. قال: فيقرأ ويرقىٰ حتّىٰ يبلغ كل رجل منهم منزلته الّتي هي له فينزلها».

وروىٰ أيضًا معنعنًا، في الحديث ١٢، من الباب، عن يونس بن عمار قال، قال أبو عبد الله عليه السّلام: «إنّ الدواوين يوم القيامة ثلاثة: ديوان فيه النعم، وديوان فيه الحسنات، وديوان فيه السيئات، فيقابل بين ديوان النعم وديوان الحسنات، فتستغرق النعم عامة الحسنات، ويبقىٰ ديوان السيئات، فيدعىٰ بابن آدم المؤمن للحساب، فيتقدم القرآن أمامه في أحسن صورة فيقول: يا ربّ أنا

القرآن، وهٰذا عبدك المؤمن قد كان يتعب نفسه بتلاوتي، ويطيل ليله بترتيلي، وتفيض عيناه إذا تهجّد، فأرضه كما أرضاني، قال: فيقول العزيز الجبّار: عبدي ابسط يمينك، فيملأها من رضوان الله العزيز الجبّار، ويملأ شماله من رحمة الله، ثم يقال: هذه الجنة مباحة لك، فاقرأ واصعد، فاذا قرأ آية صعد درجة».

وروىٰ أيضًا في الحديث الرابع، من الباب الثاني، منه معنعنًا، عن الإمام الصادق عليه السّلام أنه قال: «من قرأ القرآن وهو شاب اختلط القرآن بلحمه ودمه، وجعله الله عزّ وجلّ مع السفرة الكرام البررة، وكان القرآن حجيزًا عنه يوم القيامة، يقول: يا ربّ إنَّ كلّ عامل قد أصاب عمله غير عاملي، فبلّغ به أكرم عطاياك. قال: فيكسوه الله العزيز الجبّار حلّتين من حلل الجنة، ويوضع علىٰ رأسه تاج الكرامة، ثم يقال له: هل أرضيناك فيه؟ فيقول القرآن: يا ربّ قد كنت أرغب له فيما هو أفضل من هٰذا، فيعطي الأمن بيمينه، والخلد بيساره، ثم يدخل الجنة، فيقال له: إقرأ واصعد درجة، ثم يقال له: هل بلغنا به وأرضيناك؟ فيقول: نعم. قال: ومن قرأه كثيرًا وتعاهده بمشقة من شدة حفظه أعطاه الله عزّ وجلّ أجر هٰذا مرتين».

وروىٰ أيضًا في الحديث الثالث، من الباب الرابع، منه معنعنًا، عن يعقوب الأحمر قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السّلام: إنَّ عليّ دينا كثيرًا، وقد دخلني ما كان القرآن يتفلت مني. فقال أبو عبد الله عليه السّلام: القرآن القرآن، إنَّ الآية من القرآن والسورة لتجيء يوم القيامة حتّىٰ تصعد ألف درجة ـ يعني في الجنة ـ فتقول: لو حفظتني لبلغت بك ههنا». وقريب منه، عنه عليه السّلام في الحديث الّذي يليه.

وروىٰ أيضًا في الحديث العاشر، من الباب الثاني، من الكتاب معنعنًا، عن حفص قال: سمعت موسىٰ بن جعفر عليه السّلام يقول لرجل: «أتحب البقاء في الدّنيا؟ فقال: نعم. فقال: ولِمَ؟ قال: لقراءة قل هو الله أحد. فسكت عنه فقال له بعد ساعة: يا حفص من مات من أوليائنا وشيعتنا ولم يحسن القرآن علم في قبره ليرفع الله به من درجته، فإنَّ درجات الجنة علىٰ قدر آيات القرآن، يقال

له: إقرأ وارق، فيقرأ ثم يرقىٰ. قال حفص: فما رأيت أحدًا أشد خوفًا علىٰ نفسه من موسىٰ بن جعفر عليه السّلام، ولا أرجَى النّاس منه، وكانت قراءته حزنًا، فإذا قرأ فكأنه يخاطب إنسانًا».

وقال عليه السّلام في هٰذه الوصيّة:

وَٱعْلَمْ أَنَّ مُرُوءَةَ المَرْءِ المُسْلِمِ مُرُوءَتانِ، مُرُوءَةٌ في حَضَرٍ، وَمُرُوءَةٌ فِي سَفَرٍ، وَأَمّا مُرُوءَةُ الحَضَرِ فَقِراءَةُ القُرْآنِ، وَمُجالَسَةُ العُلَماءِ وَالنَّظَرُ فِي الفِقْهِ، وَالُمحافَظَةُ عَلَى الصَّلَواتِ فِي الجمّاعاتِ، وَأَمّا مُرُوءَةُ السَّفَرِ فَبَذْلُ الزّادِ، وَقِلَّةُ الخِلافِ عَلىٰ مَنْ صَحِبَكَ، وَكَثْرَةُ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ في كُلِّ مَصْعَدٍ وَمَهْبَطٍ وَنُزُولٍ وَقِيامٍ وَقُعُودٍ.

الخصال، ج ٧١ من باب الاثنين.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

تعليق تأييدي:

في معنى المروءة

روى الصّدوق رحمه الله معنعنًا عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنه قال: ستة من المروءة، ثلاث منها في الحضر، وثلاث منها في السفر، فأمّا الّتي في الحضر: فتلاوة كتاب الله تعالىٰ، وعمارة مساجد الله، واتخاذ الإخوان في الله عزّ وجلّ. وأمّا الّتي في السفر: فبذل الزاد، وحسن الخلق، والمزاح في غير المعاصي.

ورواه المجلسي رحمه الله عن الخصال والعيون وصحيفة الرّضا، في الباب ٥٩، من البحار: ج ٢، من الباب ١٦، ص ٨٨.

وروى الصّدوق أيضًا في الحديث السادس، من الباب ١٠٥، من الجزء الثاني، من معاني الأخبار: ص ٢٥٨، معنعنًا عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنه قال: «المروءة استصلاح المال».

وروىٰ أيضًا، في حديث طويل ذكره في مفتتح الباب الأوّل، من الجـزء الثاني، من المعاني ١٩٦، أنّه قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أقل النّاس مروءة من كان كاذبًا...».

وعنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا دين إلّا بمروءة».

وقال صلّى الله عليه وآله: «تجاوزوا لذوي المروءات عن عثراتهـم، فـو الّذي نفسي بيده إنَّ أحدهم ليعثر وإنَّ يده لبيد الله». ذكرهما في العقد الفريد: ط ٢، ج ١، ص ٢٩٢، والأخير أيضًا مروي من طرقنا.

وروى الصّدوق رحمه الله معنعنًا، في الحديث الأوّل، من الباب ١٠٥، من الجزء الثاني، من المعاني، ص ٢٥٧: أنّه خرج أمير المؤمنين عليه السّلام علىٰ أصحابه وهم يتذاكرون المروءة، فقال: «أين أنتم من كتاب الله؟ قالوا: يا أمير المؤمنين في أي موضع؟ فقال: في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالْإِحسَانِ[71]﴾ فالعدل: الإنصاف، والإحسان: التفضل».

وروى الصّدوق رحمه الله أيضًا، في الحديث الثاني، من الباب مرفوعًا: «أنَّ معاوية سأل الإمام المجتبىٰ عليه السّلام عن المروءة. فقال عليه السّلام: شحّ الرجل علىٰ دينه، وإصلاحه ماله، وقيامه بالحقوق. فقال معاوية: أحسنت يا أبا محمد، أحسنت يا أبا محمد. قال: فكان معاوية يقول بعد ذلك: وددت أنَّ يزيد قالها وإنْ كان أعور».

وروي أيضًا في الحديث الثالث، من الباب معنعنًا، عن الإمام الصادق عليه السّلام قال: «كان الحسن بن عليّ عليهما السّلام في نفر من أصحابه عند معاوية، فقال له: يا أبا محمد أخبرني عن المروءة. فقال: حفظ الرجل دينه، وقيامه في إصلاح ضيعته، وحسن منازعته، وإفشاء السّلام، ولين الكلام، والكفّ والتحبب إلى النّاس».

وروي أيضًا معنعنًا، في الحديث الرابع، من الباب: «أنَّ أمير المؤمنين

(٧١) الآية ٩٠، من سورة النحل: ١٦.

صلوات الله عليه قال لابنه الإمام المجتبىٰ عليه السّلام: يا بني ما المروءة؟ فقال: العفاف وإصلاح المال».

وروي أيضًا، في الحديث الخامس، من الباب معنعنًا، أنّه سئل الإمام المجتبىٰ عليه السّلام عن المروءة، فقال: «العفاف في الدِّين، وحسن التقدير في المعيشة، والصبر على النائبة».

وقال عليه السّلام: «السداد دفع المنكر بالمعروف، والشرف اصطناع العشيرة وحمل الجريرة، والمروءة العفاف وإصلاح المرء ماله». كما في البحار: ج ١٧، ص ١٤٧.

وروى الغزالي في فضيلة السخاء، من كتاب الاحياء: «أنّ معاوية سأل الحسن بن علي عليهما السّلام عن المروءة والنجدة والكرم. فقال: أمّا المروءة فحفظ الرجل دينه، وحرزه نفسه، وحسن قيامه بضيفه، وحسن المنازعة، والإقدام في الكراهية. وأمّا النجدة فالذبّ عن الجار، والصبر في المواطن. وأمّا الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال، والإطعام في المحل، والرأفة بالسائل مع بذل النائل». كما في المحجة البيضاء: ج ٦، ص ٦٤. ونقله في الهامش، عن تحف العقول، ص ٢٢٥، وحلية الأولياء لأبي نعيم: ج ٢، ص ٣٦، والفصول المهمة لابن الصبّاغ: ص ١٦٤، وتاريخ ابن كثير: ج ٨، ص ٣٩. قال: وفي جميع هٰذه المصادر: أنَّ أمير المؤمنين عليه السّلام سأل من الإمام الحسن عليه السّلام.

وروي أيضًا معنعنًا، في الحديث السابع، من الباب، عن الإمام الصادق عليه السّلام، أنّه قال: «تعاهد الرجل ضيعته من المروءة».

وروي أيضًا معنعنًا، عنه عليه السّلام في الحديث الثامن، أنّه قال: «المروءة مروءتان، مروءة الحضر ومروءة السفر، فأمّا مروءة الحضر فتلاوة القرآن، وحضور المساجد، وصحبة أهل الخير، والنظر في الفقه. وأمّا مروءة السفر فبذل الزاد، والمزاح في غير ما يسخط الله، وقلة الخلاف علىٰ من صحبك، وترك الرواية عليهم إذا أنت فارقتهم».

وروي أيضًا عنه عليه السّلام، في الحديث التاسع، أنه قال لأصحابه: «ما

المروءة؟ قالوا: لا نعلم. قال عليه السّلام: المروءة أن يضع الرجل خوانه بفناء داره، والمروءة مروءتان. فذكر نحو الحديث الّذي تقدم».

أقول: ورواها عنه رحمه الله بأجمعها في البحار: ج ٢، الباب ١٦، ص ٨٨.

وعن الصّدوق وشيخ الطائفة رضوان الله عليهما، في أماليهما معنعنًا، عن الإمام الصادق عليه السّلام عندما تذاكر النّاس عنده فقال: «تظنون أنَ الفتوّة بالفسق والفجور؟ كلا، الفتوّة والمروءة طعامٌ موضوع، ونائل مبذول، واصطناع المعروف، وأذًى مكفوف، فأمَّا تلك فشطارة وفسق. ثم قال عليه السّلام: ما المروءة؟ فقلنا لا نعلم. قال: المروءة ـ والله ـ أنْ يضع الرجل خوانه بفناء داره، والمروءة مروءتان، مروءة في الحضر، ومروءة في السفر، فأمَّا الّتي في الحضر: فتلاوة القرآن، ولزوم المساجد، والمشي مع الإخوان في الحوائج، والإنعام على الخادم، فإنه مما يسر الصديق، ويكبت العدو. وأمّا الّتي في السفر فكثرة الزاد وطيبه وبذله لمن كان معك، وكتمانك على القوم سرهم بعد مفارقتك إياهم، وكثرة المزاح في غير ما يسخط الله عزّ وجلّ، ثم قال عليه السّلام: والّذي بعث جدي بالحقّ نبيًّا إنَّ الله عزَّ وجلَّ ليرزق العبد علىٰ قدر المروءة، وإنَّ المعونة لتنزل من السماء علىٰ قدر المؤونة، وإنَّ الصبر لينزل علىٰ قدر شدة البلاء» ورواه المجلسي رحمه الله عنهما، في البحار: ج ٢، الباب ١٦، ص ٨٨.

وقال عليه السّلام في هٰذه الوصيّة:

إياكَ وَالعُجْبَ وَسُوءَ الخُلقِ، وَقِلَّةَ الصَّبْرِ، فَإنَّهُ لا يَسْتَقيمُ لَكَ عَلىٰ هٰذِهِ الخِصالِ الثَّلاثِ صاحبٌ، ولا يَزالُ لَكَ عَلَيها مِنَ النّاسِ مُجانِبٌ.

وَألْزِمْ نَفْسَكَ التَّوَدُّدَ، وَصَبِّرْ عَلىٰ مَؤوناتِ النّاسِ نَفْسَكَ، وَٱبذُلْ

لِصَدِيقِكَ نَفْسَكَ وَمَالَكَ وَلِعِرْفَتِكَ رِفْدَكَ وَمَحْضَرَكَ(٧٢)، وَلِلعامَّةِ بِشْرَكَ وَمَحَبَّتَكَ(٧٣)، وَلِعَدُوِّكَ عَدْلَكَ وَإِنْصافَكَ، وَاضْنَنْ(٧٤) بِدِينِكَ وَعِرْضِكَ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ فَإِنَّهُ أَسْلَمُ لِدينكَ وَدُنْياكَ.

تعليق وتحقيق:

حول قوله: إيّاك والعجب

إعلم أنَّ الإنسان إذا استعجب من شيء وباهىٰ به واستعظمه، فإمّا أنْ يكون المستعجب منه والمباهىٰ به والمستعظم حريًّا وموردًا للاستعجاب والمباهاة والاستعظام أو لا يكون. وأيا ما كان فإمّا أن يكون استعجابه واستعظامه مقرونًا بالتكبر والتعدي وغيرهما من أنحاء الإيذاء وتضييع حقوق النّاس، أو الامتنان على الله ـ ولله المنة عليه ـ أو نسيان عظيم نعم الله، أو ذهوله عن فلتاته وما صدر منه من الإجرام والخطايا، أو غفلته عن تفقد نفسه وأعماله، أو إهماله شرائط قبول عباداته، أو اغتراره بأعماله السابقة واتكاله عليها، وترك مواظبته لتكليفه الفعلي، أو غير ذلك من أنحاء التقصير والتمرد، أو لا يكون استعظامه مقرونًا بما ذكر من أقسام التجرّي والتمرد. فإذا استعجب الإنسان من نفسه أو

---

(٧٢) العرفة ـ كالقبلة ـ: الاستخبار والسؤال. والرفد كالحبر: المعونة والعطاء. أي اعط من يستخبر عنك ويسألك الصلة والعطاء ما أنعم الله عليك من الرزق وحسن المحضر.

(٧٣) البشر ـ علىٰ زنة شبر: طلاقة الوجه وانبساطه وبشاشته.

ومن قوله عليه السّلام: وابذل لصديقك مالك ـ وإلىٰ قوله واضنن بدينك وعرضك عن كل أحد. ذكره ابن أبي الحديد في المختار ٦٠١، مما استدركه على السيد الرضي رحمه الله، في قصار النهج.

(٧٤) اضنن ـ أمر من قولهم: ضنَّ يضنُّ ـ من باب ضرب ومنع ـ ضَنًّا وضِنًّا وضنانَةً ومَضِنَّةً بالشيء واضطن به أي بخل به، وتمسك عليه ولم يخرجه من يده نفاسة عليه وحبًّا له.

وتخصيص الدِّين والعرض بالذكر للإعلام بإنه لا شيء يوازيهما، فمن تحفّظ عليهما فقد جمع الدّنيا والآخرة، ومن بذلهما ولم يتمسك بهما فقد فاته الداران جميعًا، وتقديم الدِّين على العرض للايذان بأهميته وإنّه لايوازنه شيء.

نفسياته أو ما يتعلق به واستعظمه وباهىٰ به، فإنْ كان استطرافه واستعظامه نفسه وما يرتبط به ملازمًا للتعدي على الخلق وتضييع حقوق الخالق كما هو الغالب عند سواد النّاس فهٰذا هو العجب الّذي هو أحد المهلكات، وأمّا لو اعتقد الشخص عظمة نفسه أو ما ينتسب إليه، فاستطرفها وعدها عظيمًا ـ سواء كانت عظمتها تخيلية أو عظمة في الواقع وفي الأمر نفسه ـ ولم يقارن هٰذا الاستعظام التعدي وتضييع الحقوق وإهمال التكاليف، فليس هٰذا من العجب في شيء.

أمّا في صورة استعظام جهاته الشخصية باعتقاد عظمتها مع كون اعتقاده جهلًا مركّبًا ومخالفًا للواقع والأمر نفسه، فلو فرض انفكاك هٰذا الاستعظام ـ المسبب عن العظمة الخيالية ـ عن تضييع حقوق الخالق والخلائق، فلا دليل علىٰ قبحه فضلًا عن كونه من المهلكات والأدواء الدوية. وأمّا لو استعظم نفسه وحيثياته الشخصية بلا تضييع للحقوق وتفريط وتقصير في وظائفه مع كون استعظامه في محله، بأن تكون جهاته عظيمة واقعًا وحقيقةً، فلا يمكن عقلًا ولا شرعًا أنْ يكون هٰذا من العجب ويعد منه. أمّا الاستعظام ـ المسبب عن العظمة الواقعية ـ الذي يتولد من ضم صغرىٰ وجدانية إلىٰ كبرىٰ قطعية عقلية أو نقلية كعدم مساواة العالم والجاهل والمطيع والمتمرد، والراضي والكاره، وباذل النفس وباذل المال، ومؤثري غيرهم علىٰ أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وحاجة، إلىٰ غير ذلك من الكبريات الصادقة الّتي لو وجد شيء منها في غيره لكان اللازم عليه عقلًا وشرعًا الإذعان بجلالة قدره، وأنّ له عند الله زلفىٰ وحسن مآب، فلو أحسّ الإنسان بشيء منها من نفسه، لا يمكن تكليفه بوجوب إذعانه بخلاف ما تنتج القضية العقلية، أو بعدم اعتقاده لما استنتج منها، فإذا لم يمكن الزامه علىٰ خلاف ما استفاد من القضية، فالاعتقاد علىٰ وفاقه بما أنّه دليل بديهي عقلي قهري.

وأمّا شرعًا فالقرآن الكريم مشحون بعدم المساواة بين الجاهل والعالم، بل القرآن المقدس لوّح إلىٰ أنّ عدم المساواة بين الفاضل والمفضول أمر فطري، فقال علىٰ سبيل الاستنكار في الآية التاسعة من سورة الزمر: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ

ٱللَّيلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ ٱلآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا ٱلأَلْبَابِ﴾. وقال تعالىٰ في الآية ١٦ و١٩ من سورة الرعد: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ، أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَاتُ وَٱلنُّور﴾ ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيكَ مِنْ رَّبِّكَ ٱلحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا ٱلأَلْبابِ﴾ وقال تعالىٰ في الآية ١٨، من سورة السجدة: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لا يستَوُونَ﴾ إلىٰ غير ذلك من الآيات الكثيرة الكريمة. والسنن الصحيحة أيضًا متواترة في ذلك المعنىٰ، ووضوحها وظهورها يغني عن إيرادها.

إنْ قيل: إنَّ أدلة العجب غير قاصرة عن شمولها للقسمين الأخيرين، فكيف حكمت بخروجها عن العجب؟

قلت: إنَّ الأدلة ناظرة إلىٰ بعض سواد النّاس الّذين يصلّون ركعتين وينتظرون الوحي، ويعملون ببعض الواجبات ويرون وصولهم إلى الكمال بأقصى الغايات، وهؤلاء لا ينفك عجبهم عن التكبر والتنمّر، فالأخذ بإطلاق الأدلة لإدخال من لم يكن علىٰ هٰذه الصفة غير سائغ عند المتعلّمين، وقد قيدنا خروج القسمين عن العجب بما إذا خلا عن تضييع الحقوق، والخروج عن زي العبودية والانقياد لله تعالىٰ، وعن الغنوّ والعلوّ علىٰ عباد الله.

فإنْ قيل: هٰذا صرف فرض، ومجرد ملاحظة لمفهوم العجب من حيث هو، ولو نظرنا إلىٰ مفهوم العجب بلحاظ تحققه ووجوده في الخارج ـ كما إنه بلحاظ خارجيته منهيّ عنه ومورد للتحذير ـ فهو غير منفك عن التقصير وتضييع الحقوق.

قلنا: الأمر كذلك في جل المكلفين، وأمّا العارفون بالله المستولون علىٰ أنفسهم وشهواتهم، والعالمون بالحقائق، المميزون الداء من الدواء، والصواب من الخطأ، الآخذون بحكم العقل والشريعة، المواظبون دائمًا على استقامة الطريقة، فهم مبرأون عن التقصير في حقّ الخالق والخليقة، فمهما أدركوا عظمة نفوسهم، ورأوا أنهم أشرف من غيرهم بحسب إبداع الله، أو بحسب حسن اختيارهم

وإرادتهم فإنْ لم يكن هٰذا الإدراك سببًا لزيادة شكرهم وحسن صنيعهم فإنّه لن يكون موجبًا لتضييعهم حقوق الله وعبيده.

فإنْ قيل: لا شيء للإنسان حتّىٰ يعده من مفاخره ويعظم في عينه، ويحسبه في نفسه عظيمًا، فالعجب بماذا؟ فإنْ كان بلحاظ كونه ذا بسطة في العلم والجسم والقوة والإدراك وما يرتبط بجهات خلقه من النعم الّتي أنعم الله عليه بها ابتداءً، من غير سبق عمل للمكلف، ليتوهم أنّه أنعمها عليه جزاء لعمله، فلا ينبغي للعاقل أنْ يعجب بها، فإنها لم تكن لعظمته واستحقاقه ليتبجح بها ويعدها من مفاخره. وإنْ كان عجب الشخص لأجل أعماله وما كسبت يداه فالأمر كذلك، لأنَّ الشخص بجميع خصوصياته ومنها علمه الكسبي وقدرته وإرادته ملك لله، فبأي شيء يتبختر الإنسان ويزهو؟

قلنا: كل حيوان ـ بطبعه الأولي وجبلته غير المنحرفة عن مجراها ـ يعلم أنّه مختار في أكله وشربه وقيامه وقعوده وذهابه ومجيئه وفراغه وشغله، ويجد من نفسه أنه إن أتىٰ بشيء مما ذكر ونحوه فإنّه يأتيه بإرادة واختيار، وإنْ تركه يتركه اختيارًا، ويفرق بفطرته بين أخذه اللقمة ووضعها بيده في فمه، وبين ما لو جيء الغذاء في حلقه، ويميز بين نزوله شخصيًا من السطح، وبين أنْ يوثق ويرمىٰ به من السطح، والكل يعرف أنَّ الحيوان إذا جيء به إلىٰ شفا نهر فإنْ أمكنه الوثوب والعبور يثب ويعبر، وإلّا فلا، وأنَّ الأسد والهرة إذا شاهدا الصيد واللحم فإن لم يريا مزاحمًا ومدافعًا يثبان على الصيد، وإلّا يفران أو ينتظران انتهاء المزاحمة، وهٰكذا جميع الحيوانات، هٰذا هو مقتضى الفطرة، وإنما يعدل عنها لأجل أنّ بطانة الإنسان أو أبويه يشعرانه ويجبرانه أو يفوضانه، فمهما شكّ في شيء فلا ينبغي الشك في أنّ التحكم بالعمل وتوجيه الاختيار والإرادة بيد الإنسان فعلًا وتركًا، والتحكم بالعمل والاختيار في الطاعات يستحق الثواب، وبصرفهما في المعاصي يستحق الذمّ وعظيم النكال، فقدرة الإنسان ومبادئ علمه وإرادته وإن كان من الله، إلّا أنّ اختيار الفعل أو الترك والتحكم بالعمل بيد الإنسان، ولا تنافي بينهما ـ وإلّا فإنْ كان التحكم بإرادة المكلف في الفعل والترك وتوجيهها في

الخير والشر من الله لا من المكلف، وكانت نسبة الفعل إلى المكلف كنسبة الحرارة إلى النّار، والرطوبة إلى الماء، لزم ما ذكره أمير المؤمنين عليه السّلام في كلامه المتواتر(٧٥) : «لو كان قضاءً لازمًا، وقدرًا حاتمًا لبطل الثواب والعقاب، والوعد والوعيد، والأمر والنهي، ولم يكن علىٰ مسيءٍ لائمة، ولا لمحسن محمدة، ولكان المحسن أولى للائمة من المذنب، والمذنب أولى بالإحسان من المحسن؛ تلك مقالة عبدة الأوثان، وخصماء الرحمٰن وقدرية الأمّة ومجوسها..». ولا شيء منهما يضطر العبد لفعل من أفعاله، فالعبد وما يجد من نفسه من باعث على الخير والشر، ولا يجد شخص إلّا أن اختياره دافعه إلىٰ ما يعمل، والله يعلمه فاعلًا باختياره، إمّا شقيًّا به وإمّا سعيدًا. والدليل ما ذكره الإمام.

إذا تقرر ذلك، فلنذكر جملة من الآثار الواردة عن المعصومين عليهم السّلام فأقول:

روى الشيخ المفيد رحمه الله في الحديث ٢٩٠، من كتاب الاختصاص ط ٢، ص ٢٢١، معنعنًا عن أبي الربيع الشامي قال قال أبو عبد الله عليه السّلام: «من اعجب بنفسه هلك، ومن اعجب برأيه هلك، وإنَّ عيسىٰ بن مريم قال: داويت المرضىٰ فشفيتهم بإذن الله، وأبرأت الأكمه والأبرص بإذن الله، وعالجت الموتىٰ فأحييتهم بإذن الله، وعالجت الأحمق فلم أقدر علىٰ إصلاحه. فقيل: يا روح الله! وما الأحمق؟ قال: المعجب برأيه ونفسه الّذي يرى الفضل كله له لا عليه، ويوجب الحقّ كلّه لنفسه ولا يوجب عليها حقًّا فذلك الأحمق الّذي لا حيلة في مداواته».

ورواه عنه في الحديث ٣٦، من الباب ١٩، من البحار: ج ٣، من الباب ١٥، ص ٥٨. وفي الحديث ٣٨، من الباب، نقلًا عن عدة الداعي قال: «قال

---

(٧٥) كما سنفصل القول في ذلك في مناهج البلاغة إنْ شاء الله. ولله در محمد عبده وإنصافه حيث عدل عن طريقة أسلافه، واتبع الصراط السوي وباب مدينة علم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال في تعليقة في المختار ٧٨، من قصار نهج البلاغة: القضاء علم الله السابق بحصول الأشياء علىٰ أحوالها في أوضاعها، والقدر إيجاده لها عند وجود أسبابها.

رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ثلاث مهلكات، شح مطاع، وهوًى متّبع، وإعجاب المرء بنفسه، وهو محبط للعمل، وهو داعية المقت من الله سبحانه». ورواه في الحديث ١٢، من الباب معنعنًا، عن الخصال عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم. وكذا في وصايا النبيّ إلىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام، كما في الحديث الأوّل، من باب النوادر من كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٢٦٠، وفيها أيضًا: «لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أعود من العقل، ولا وحدة أوحش من العجب، ولا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف عن محارم الله تعالىٰ، ولا حسب كحسن الخلق، ولا عبادة مثل التفكر..» .

وأيضًا روي في الحديث الحادي عشر، من الباب التاسع عشر، نقلًا عن أمالي الصّدوق رحمه الله، عن الإمام الصادق عليه السّلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السّلام: من دخله العجب هلك».

وفي المختار ٤٦، من قصار النهج قال عليه السّلام: «سيئة تسوؤك خير عند الله من حسنة تعجبك». وقال عليه السّلام: «لا مال أعود من العقل، ولا وحدة أوحش من العجب ..». المختار ١١٣، من قصار نهج البلاغة. وقال عليه السّلام: «إنّ أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العجب..». المختار ٣٨، من قصار النهج. ورواه أيضًا عنه عليه السّلام ابن عساكر في ترجمته من تاريخ الشام. وكذلك صاحب دستور معالم الحكم، والأربلي في كشف الغمّة. وفي المختار ١٦٧، من قصار النهج: «الإعجاب يمنع الازدياد». وفي المختار ٢١٢، منها: «عجب المرء بنفسه أحد حسّاد عقله».

وفي الحديث ١٦، من الباب ١٩، من البحار: ج ٣، من الباب ١٥، ص ٥٧، عن الخصال، عن الأصبغ بن نباتة رحمه الله، قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «العجب هلاك، والصبر ملاك».

وقال عليه السّلام في وصيته إلى الإمام المجتبىٰ عليه السّلام: «واعلم أنّ الإعجاب ضد الصواب، وآفة الألباب..».

وفي مواعظ الإمام السجاد زين العابدين عليه السّلام للزهري: «هيهات هيهات إيّاك أن تعجب من نفسك..»(٧٦).

وروى الصّدوق رحمه الله معنعنًا، عن الإمام الباقر عليه السّلام أنّه قال: «ثلاث موبقات: شح مطاع، وهوًى متّبع، وإعجاب المرء بنفسه». الحديث ١٢، من الباب ١٩، من البحار: ج ٣ من الباب ١٥، ص ٥٧ نقلًا عن الخصال.

وفي الحديث ١٣، من الباب معنعنًا، نقلًا عن معاني الأخبار والخصال، عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «ثلاث هنّ قاصمات الظهر: رجل استكثر عمله، ونسي ذنوبه، وأعجب برأيه».

وفي الحديث الأوّل، من الباب ١٢٥، من كتاب الإيمان والكفر، من الكافي: ج ٢، ص ٣١٣، معنعنًا عن الإمام الصادق عليه السّلام قال: «إنّ الله علم أنّ الذنب خير للمؤمن من العجب، ولولا ذلك ما ابتلي مؤمن بذنب أبدًا».

وفي الحديث الثاني، من الباب، معنعنًا عنه عليه السّلام قال: «من دخله العجب هلك».

وفي الحديث السادس، من الباب، عن أحدهما عليهما السّلام قال: «دخل رجلان المسجد، أحدهما عابد والآخر فاسق، فخرجا من المسجد والفاسق صدّيق، والعابد فاسق، وذلك انه يدخل العابد المسجد مُدِلًّا بعبادته(٧٧) يدل بها، فتكون فكرته في ذلك، وتكون فكرة الفاسق في التندم علىٰ فسقه، ويستغفر الله عزّ وجلّ مما صنع من الذنوب».

وفي الحديث السابع منه، معنعنًا عن عبد الرحمٰن بن الحجاج قال، قلت لأبي عبد الله عليه السّلام: «الرجل يعمل العمل وهو خائف مشفق، ثم يعمل شيئًا من البرّ فيدخله شبه العجب به، فقال: هو في حاله الأولىٰ وهو خائف أحسن حالًا منه في حال عجبه».

---

(٧٦) وهو حديث لا نظير له من حيث اشتماله علىٰ معان بديعة وحكم فريدة، نزيّن الكتاب بذكر بعض فقراته فيما سيأتي إنْ شاء الله.

(٧٧) قيل: المدل: المنبسط المسرور الّذي لا خوف له من التقصير في العمل.

وفي الحـديث الثالث منه، معنعنًا عن علي بن سويد قال: «سـألت الإمام الكاظم عليه السّلام عن العجب الّذي يفسد العمل. فقال: العجب درجات، منها أنْ يزيّن للعبد سوء عمله فيراه حسنًا فيعجبه ويحسب أنّه يحسن صنعًا، ومنها أنْ يؤمن العبد بربّه فيمنّ على الله عزّ وجلّ ولله عليه فيه المنّ».

وقال الإمام الجواد عليه السّلام: «العجب صارف عن طلب العلم، وداع إلى الغمط».

التعليق الثاني:

في ما ورد في الشريعة في ذمّ سوء الخلق

الكليني رحمه الله في الحديث الأخير، من باب سوء الخلق، من الكـافي: ج ٢، ص ٣٢٢، معنعنًا عن الإمام الصادق عليه السّلام قال: أوحـى الله عـزّ وجلّ إلىٰ بعض أنبيائه: الخلق السّيئ يفسد العمل كما يفسد الخلّ العسل. ورواه في عيون الأخبار ص ٢٠٣، بأسـانيد. وروي في المسـتدرك: ج ٢، ص ٣٣٨. والبحار ج ١٧، ص ٢٦٧، معنعنًا عن الإمام الصادق عليه السّلام قال: «قـال لقمان عليه السّلام لابنه:

«يا بُني إيّاك والضجر وسوء الخلق، وقلّة الصبر، فلا يستقيم لك علىٰ هٰذه الخصال صاحب، وألزم نفسك التودد في أمورك، وصبّر علىٰ مؤونات الإخوان نفسك، وحسّن مع جميع النّاس خلقك، يا بُني إنْ عدمك ما تصل به قـرابـتك، وتتفضل به علىٰ إخوانك، فلا يعدمنّك حسن الخـلق، وبسط البـشر فـإنّه مـن أحسن خلقه أحبّه الأخيار، وجانبه الفجار، واقنع بقسم الله ليصفو عيشك، فإنْ أردت أن تجمع عزّ الدّنيا والآخرة فاقطع طمعك مما في أيدي النّاس، فإنّما بلغ الأنبياء والصدّيقون ما بلغوا بقطع طمعهم».

وقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: «خصلتان لا تجتمعان في مسلم، البخل

وسوء الخلق[٧٨]».

وعنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «الخلق السيّئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل». رواه في باب سوء الخلق، الحديث ٧، من البحار: ج ١٥، ص١٤٢، عن صحيفة الرّضا، وعيون أخبار الرّضا ص ٢٠٣، بثلاثة أسانيد. وكذلك في المستدرك: ج ٢، ص ٣٣٨.

وفي الحديث الثامن، من الباب معنعنًا عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم، نقلًا عن أمالي الطوسي: «من ساء خلقه عذّب نفسه».

وفي الحديث الأخير من الباب معنعنًا، نقلًا عن نوادر الراوندي رحمه الله، عن موسىٰ بن جعفر، عن آبائه عليهم السّلام قال، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أبيَ الله لصاحب الخلق السيّئ بالتوبة. فقيل: يا رسول الله! وكيف ذلك؟ قال: لأنه إذا تاب من ذنب وقع في ذنب أعظم من الذنب الّذي تاب منه». وهو الحديث السادس من الباب ٦٩، من جهاد النفس، من المستدرك. ورواه في أصول الكافي معنعنًا، عن الإمام الصادق عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وفي الحديث الأوّل من باب النوادر، من كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٣٣٤، معنعنًا عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في وصاياه لعليّ عليه السّلام: «يا عليّ لكلّ ذنب توبة إلّا سوء الخلق، فإنَّ صاحبه كلما خرج من ذنب دخل في ذنب، ـ إلىٰ أنْ قال صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ سوء الخلق شؤم، وطاعة المرأة ندامة..».

وفي صحيفة الرّضا، وعيون أخبار الرّضا ١٩٩، معنعنًا عنه عليه السّلام، عن آبائه عليهم السّلام، قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: عليكم بحسن الخلق، فإنَّ حسن الخلق في الجنة لا محالة، وإياكم وسوء الخلق فإنَّ سوء الخلق في النّار لا محالة».

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «الأخلاق منائح من الله عزّ وجلّ، فإذا

---

(٧٨) الحديث الخامس، من باب سوء الخلق، من البحار: ج ٣، من الباب ١٥، ص ١٤٢. والحديث الثاني، من الباب ٦٩، من جهاد النفس، من المستدرك: ج ٢، ٣٣٨.

أحب عبدًا منحه خلقًا حسنًا، وإذا أبغض عبدًا منحه خلقًا سيّئًا». ورواه أيضًا في الحديث ١٣، من باب جهاد النفس، من المستدرك: ج ٢، ص ٣٣٨ عن الاختصاص.

وفي الحديث العاشر، من الباب، نقلًا عن أبي القاسم الكوفي في كتاب الأخلاق، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، أنّه قال: «سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل».

وفي الحديث الحادي عشر، من الباب، عن جامع الأخبار، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال في حديث: «وسوء الخلق زمام من عذاب الله في أنف صاحبه، والزمام بيد الشيطان يجره إلى الشر، والشر يجره إلى النّار».

وفي الحديث الثامن، من الباب، عن أعلام الدّين، عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: خلقان لا يجتمعان في مؤمن: الشح وسوء الخلق.

وفي الحديث الرابع، من باب سوء الخلق، من البحار: ج ٣، من الباب ١٥، ص ١٤٢، عن قرب الإسناد، عن هارون، عن ابن صدقة، عن الصادق عليه السّلام، عن أبيه عليه السّلام، قال: «قال عليّ عليه السّلام لأبي أيوب الأنصاري: يا أبا أيوب! ما بلغ من كرم أخلاقك؟ قال: لا أوذي جارًا فمن دونه، ولا أمنعه معروفًا أقدر عليه. ثم قال: ما من ذنب إلّا وله توبة وما من تائب إلّا وقد تسلم له توبته ما خلا سيّئ الخلق لا يكاد[79] يتوب من ذنب إلّا وقع في غيره أشدّ [أشرّ «خ»]».

وفي الحديث الثاني عشر، من الباب ٦٩، من جهاد النفس، من مستدرك الوسائل: ط ١، ج ٢، ص ٣٣٨، نقلًا عن جامع الأخبار، قال: «سئل أمير المؤمنين عليه السّلام عن أدوم النّاس غمًّا. قال: أسوأهم خلقًا. وفي الحديث الرابع عشر وتواليه، من الباب، نقلًا عن الآمدي في الغرر، عن أمير المؤمنين عليه السّلام، أنّه قال: سوء الخلق نكد العيش وعذاب النفس».

---

(٧٩) وفي الوسائل ج ٦، ط ١، وج ١١، من الطبعة الحديثة، ص ٣٢٥، هكذا: «لأنه لا يتوب من ذنب إلّا وقع في غيره أشرّ منه».

وقال عليه السّلام: «سوء الخلق يوحش النفس، ويرفع الأنس».

وقال عليه السّلام: «سوء الخلق شؤم، والإساءة إلى المحسن لؤم».

وقال عليه السّلام: «سوء الخلق يوحش القريب، وينفر البعيد».

وقال عليه السّلام: «كلّ داء يداوى إلّا سوء الخلق».

وقال عليه السّلام: «من ساء خلقه عذّب نفسه».

وعن ثقة الإسلام: الكليني رفع الله مقامه، في الحديث الأوّل، من باب سوء الخلق، من الكافي: ج ٢، ص ٣٢١، وفي ط ١: ٤٥٩، معنعنًا عن الإمام الصادق عليه السّلام قال: «إنّ سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل».

وأيضًا في الحديث الثالث، من الباب معنعنًا عنه عليه السّلام: «إنّ سوء الخلق ليفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل».

وفي الحديث الرابع من الباب مسندًا عنه عليه السّلام قال: «من ساء خلقه عذب نفسه». ورواه الصّدوق رحمه الله في المجلس ٢٧، من الأمالي ١٢٤، بسند آخر، إلّا إنّ فيه: من أساء خلقه، الخ.

وفي الحديث الخامس، من الباب ٦٩، من جهاد النفس، من كتاب مستدرك الوسائل: ج ٢، ص ٣٣٨، ط ١، نقلًا عن الخصال معنعنًا، عن الإمام الصادق عليه السّلام قال: «لا سؤدد لسيّئ الخلق، الخبر».

وفي الحديث التاسع، من الباب، نقلًا عن نزهة الناظر، عنه عليه السّلام قال: «لو علم سيّئ الخلق أنّه يعذّب نفسه لتسمح في خلقه».

التعليق الثالث:

في الآثار الدالة على ذم قلة الصبر والضجر

روى الصّدوق رحمه الله، في الحديث الأوّل، من باب نوادر الفقيه: ج ٤، ص ٣٢٠، وفي ط، ج ٢، ص ٣٣٤، معنعنًا أنّه قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في وصاياه لعليّ عليه السّلام: «يا عليّ لا تمزح فيذهب بهاؤك، ولا تكذب

فيذهب نورك، وإيّاك وخصلتين: الضجر والكسل، فإنك إنْ ضجرت لم تصبر على حقّ، وإنْ كسلت لم تؤد حقًّا ـ إلىٰ أنْ قال صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد جمل ـ من استولىٰ عليه الضجر، رحلت عنه الراحة».

وروى الصّدوق رحمه الله أيضًا، في كتاب علل الشرائع: ص ١٩٦، معنعنًا عن عليّ عليه السّلام، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «علامة الصابر في ثلاث: أوّلها أن لا يكسل، والثانية أنْ لا يضجر، والثالثة أن لا يشكو من ربّه عزّ وجلّ، لأنه إذا كسل فقد ضيع الحقوق، وإذا ضجر لم يؤد الشكر، وإذا شكا من ربّه عزّ وجلّ فقد عصاه». ورواهما عنه في الوسائل، الطبعة الحديثة، ج ١١، ص ٣٢٠.

وفي الحديث ٦٢، من باب النوادر، من كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٣٩٢، معنعنًا عن الإمام الكاظم عليه السّلام أنه قال لبعض ولده: «يا بُنيّ إيّاك أنْ يراك الله عزّ وجلّ في معصية نهاك عنها، وإيّاك أنْ يفقدك الله عند طاعة أمرك بها[٨٠] وعليك بالجدّ، ولا تخرجنّ نفسك من التقصير عن عبادة الله، فإنّ الله عزّ وجلّ لا يعبد حق عبادته، وإيّاك والمزاح فإنه يذهب بنور إيمانك، ويستخف بمروءتك، وإيّاك والكسل والضجر، فإنّهما يمنعانك حظك من الدّنيا والآخرة». ورواه ابن إدريس في السرائر، ص ٤٧٣، عن كتاب المشيخة للحسن ابن محبوب رحمه الله. ورواه عنها وعن الكافي الشيخ الحرّ العاملي في الوسائل وهامشه الطبعة الحديثة، ج ١١، ص ٣٢٠.

وقال عليه السّلام في هٰذه الوصيّة

يا بُنَيَّ إيّاكَ وَالاتّكالَ عَلى الأمانِي فَإنَّها بَضائِعُ النَّوكى[٨١] وَتَثْبِيطٌ

---

(٨٠) وهٰذا الصدر له مصادر عن غير واحد من المعصومين عليهم السّلام.

(٨١) وهذه الفقرة قد تكررت في غير واحد من كلمه عليه السّلام وذكرها أيضًا في وصيّته ←

عَنِ الآخِرَةِ(٨٢) وَمِنْ خَيرِ حَظِّ المَرْءِ القَرِينُ الصَّالِحُ، جالِسْ أهْلَ الخَيرِ تَكُنْ مِنْهُمْ. بايِنْ أهلَ الشَّرِّ وَمَنْ يَصُدُّكَ عنْ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَذِكْرِ المَوتِ بِالأباطِيلِ المُزَخْرَفَةِ، وَالأراجِيفِ المُلَفَّقَةِ تَبِن مِنْهُمْ(٨٣)، وَلا يَغْلِبَنَّ عَلَيكَ سُوءُ الظَّنِ بِالله عَزَّ وَجَلَّ، فإنَّهُ لَنْ يَدعَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ خَلِيْلِك صُلْحًا(٨٤) أذْكِ بِالأدَبِ قَلْبَكَ كَما تُذْكِي النَّارَ بِالحَطَبِ(٨٥)، فَنِعْمَ العَونُ الأدَبُ لِلخِبْرَةِ،

← إلى الإمام المجتبىٰ عليه السّلام وأيضًا من هنا إلىٰ آخر الوصيّة المباركة نقلها الصّدوق رحمه الله متوالية إلّا أنه أسقط منها ما لا مساس له بغرضه في مواضع منها. والاتكال: الاعتماد والركون. والأماني جمع الأمنية، وهي الآمال الّتي يتمناها الإنسان من إدراك ما يشتهيه. والنوكىٰ: جمع أنوك وهي كالحمقىٰ والأحمق لفظًا ومعنى جمعًا وإفرادًا. قال الشاعر:

وكل الداء ملتمس دواء — وداء النوك ليس له دواء

(٨٢) التثبيت: التعويق. قال في لسان العرب: وثبته عن الأمر كثبطه. وقوله عليه السّلام عن الآخرة أي عن عملها. وقال الفيض رحمه الله: وفي بعض النسخ: وتقنط عن الآخرة. والأوّل أظهر.

(٨٣) الأباطيل: الترهات، وهو جمع الباطل، بمعنىٰ خلاف الحق، والأراجيف: الأخبار المختلقة السيئة، يقال: إذا وقعت المخاويف كثرت الأراجيف. والملفقة: المجتمعة. وقوله عليه السّلام: تبن منهم مجزوم بالطلب المتقدم، أعني بائن.

(٨٤) من اللوازم الّتي لا تنفك عن سوء الظّن: الاضطراب وعدم الاستقرار علىٰ ما صدر منه من الرأي والعمل، فن ساء ظنه مثله مثل الأطفال يبني فيعقبه بالهدم، ويعامل ثم يبطله بالفسخ، ويصادق فيبدلها بالمعاداة، ويعادي فتبدو له المحبة، وهكذا في جميع أعماله.

قال الفيض رحمه الله قوله عليه السّلام: «وبين خليلك صلحًا» أي وبين الله، أو المراد أنّ سوء الظن بخليلك لما لن يدع بينك وبين خليلك صلحًا، فإذا ظننت بالله ظنّ السوء لن يدع بينك وبين الله صلحًا.

أو المراد بسوء الظّن بالله بالنظر إلى الإخوان، يعني إذا رأيت من خليل لك من إخوانك مخالفة لله عزّ وجلّ فتظن أنّ الله يعذّبه فلا يمكنك الصلح معه.

(٨٥) ذكى النّار وأذكاها: أي أوقدها وأشعلها.

وَالتَّجارُبُ لِذِي اللُّبِّ(٨٦).

أُضمُمْ آراءَ الرِّجالِ إلىٰ بَعْضٍ، ثُمَّ ٱخترْ أَقْرَبَهَا إلى الصَّوابِ، وَأبعَدَها مِنَ الارْتِيابِ.

يا بُنَيَّ لا شرَفَ أعْلىٰ مِنَ الإسْلام(٨٧)، وَلا كَرَمَ أعَزُّ مِنَ التَّقْوىٰ، وَلا مَعْقِلَ أحْرَزُ مِنَ الوَرَعِ، وَلا شَفيعَ أنْجَحُ مِنَ التَّوبَةِ، وَلا لِباسَ أجْمَلُ مِنَ العافِيَةِ، وَلا وِقايَةَ أمْنَعُ مِنَ السّلامَةِ، وَلا كَنْزَ أغْنىٰ مِنَ القُنُوعِ، وَلا مالَ أذْهَبُ لِلفاقَةِ مِنَ الرِّضا بِالقُوتِ، وَمَنْ ٱقْتَصَرَ عَلىٰ بُلْغَةِ الكَفافِ فَقَدِ ٱنْتَظَمَ الراحَةَ، وَتَبوَّأَ خَفْضَ الدَّعةِ(٨٨).

الحِرْصُ داعٍ إلى التَقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ(٨٩)، ألقِ عَنْكَ وارداتِ الهُمُومِ بِعَزائِمِ الصَّبْرِ(٩٠)، عَوِّدْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ، فَنِعْمَ الخُلُقُ الصَّبْرُ، وَاحْمِلْها عَلىٰ ما

---

(٨٦) كذا في النسخة، والمستفاد من كلام الفيض رحمه الله أنّ في نسخته: نحيزة بدل الخبرة، فإنّه قال: أي نور بالأدب بمداومة الذكر ومراعاة الحياء قلبك، والنحيزة ـ بالنون المفتوحة ثم الحاء المهملة المكسورة ثم الزاء بعد المثناة التحتانية ـ: الطريقة والطبيعة.
أقول: الخبر والخبرة ـ كالقفل والأربة ـ هو العلم بالشيء عن تجربة، وهما مصدران، وفعلها كنصر، وقوله عليه السّلام والتجارب، عطف على الأدب، وقوله: لذي اللّب قيد للخبرة والتجارب معًا لا انّه قيد ومتعلق لخصوص الأخير.

(٨٧) من قوله عليه السّلام: يا بُنَيَّ لا شرف، إلىٰ قوله: إلى التقحّم في الذنوب، قد تواتر عنه عليه السّلام ونقله السيد رحمه الله في المختار ٣٧١، من قصار النهج، وهو مذكور أيضًا في أوائل الخطبة الوسيلة، وفي غيرها.

(٨٨) البلغة: الكفاية، واضافتها إليها بيانية.وخفض الدعة:سعة العيش والراحة.

(٨٩) التقحّم: الدخول في الشيء بلا روية، والحريص كذلك، لأنَّ حرصه لا يدعه لأن يقنع بالحلال، أو يتفكر في غاية ما يقدم عليه، ونتيجة ما يقبل إليه، فمهما خطر بباله نفع، أو تصور في ذهنه فائدة يهجم علىٰ اقتنائها.

(٩٠) أي بالمعزومات الّتي يجب الصبر عليها. أو المراد من عزائم الصبر: الجد والاستقامة، ←

أصابَكَ مِنْ أهْوالِ الدُّنيا وَهُمُومِها، فازَ الفائزونَ، وَنَجا الّذينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الحُسْنىٰ(٩١). فَإنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الفاقَةِ.

وَأَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي الأمُورِ كُلِّها إلى اللهِ الواحِدِ القَهّارِ، فإنَّكَ تُلْجِئُها إلىٰ كَهْفٍ حَصينٍ، وَحِرزٍ حَريزٍ وَمانِعٍ عَزيزٍ، وَأَخْلِصِ المَسألَةَ لِرَبِّكَ فانَّ بِيدِهِ الخَيرَ وَالشَّرَّ وَالإعطاءَ وَالمَنْعَ وَالصِلَةَ والحِرْمانَ.

وهنا فوائد

الفائدة الأولىٰ:

في الآثار الواردة عن أئمة الهدىٰ صلوات الله عليهم. في القرين الصالح ومن ينبغي مجالسته، فأقول:

روى الشيخ الصّدوق رحمه الله عن لقمان الحكيم انه قال لولده: «يا بُنَيَّ كن عبدًا للأخيار، ولا تكن ولدًا للأشرار. وقال أيضًا: يا بُنَيَّ جالس العلماء فزاحمهم بركبتيك، فإنَّ القلوب تحيا بالحكمة كما تحيا الأرض الميتة بوابل المطر».

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أسعد النّاس من خالط كرام النّاس». وأيضًا قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «سائلوا العلماء، وخالطوا الحكماء، وجالسوا الفقراء». وأيضًا قال صلّى الله عليه وآله: «الأنبياء قادة، والفقهاء سادة، ومجالستهم زيادة، وأنتم في ممر الليل والنهار، في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، والموت يأتيكم بغتة، فمن يزرع خيرًا يحصد غبطة، ومن يزرع شرًّا يحصد ندامة». الحديث ١١، من الباب ٤، من كتاب العلم، من البحار: ج ١،

← وإنّما عبر عليه السّلام بلفظ الجمع للاعلام بأنه يجب أن يجمع تمام جده، ويستقيم من جميع الجهات على الصبر.

(٩١) اقتباس من الآية ١٠١، من سورة الانبياء. وقوله عليه السّلام فاز الفائزون، أي بالصبر.

ص ٦٣. وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم في أوائل وصاياه لعليّ عليه السّلام: «يا عليّ من لم تنتفع بدينه ولا دنياه فلا خير لك في مجالسته، ومن لا يوجب لك فلا توجب له ولا كرامة..».

وفي الحديث الثالث، من الباب الثالث، من كتاب العشرة، من أصول الكافي معنعنًا، عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: انظروا من تحادثون، فإنه ليس من أحد ينزل به الموت إلّا مَثُلَ [مثلث «خ»] له أصحابه إلى الله[٩٢] إنْ كانوا خيارًا فخيارًا وإنْ كانوا شرارًا فشرارًا، وليس أحد يموت إلّا تمثلت له عند موته».

وفي الحديث الأوّل، من الباب معنعنًا، عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: «لا عليك أنْ تصحب ذا العقل وإنْ لم يحمد [وإنْ لم تجد «خ»] كرمه، ولكن انتفع بعقله، واحترس من سيّئ أخلاقه، ولا تدعن صحبة الكريم وإنْ لم تنتفع بعقله، ولكن انتفع بكرمه بعقلك، وافرر كلّ افرار من اللئيم الأحمق». ورواه في المختار ٣٠، من قصار كلمه عليه السّلام في تحف العقول، إلّا أنّه قال: «وافرر الفرار كلّه من اللئيم الأحمق». وعنه عليه السّلام معنعنًا أنّه قال «إنّ مجالسة الأشرار توجب سوء الظّن بالأخيار». وقال عليه السّلام: «أحيوا الطباع بمجالسة من يستحيا منه». كما في المحجة البيضاء ج ٣، ٣١٤، نقلًا عن احياء العلوم.

وقال الإمام السجاد عليه السّلام: «مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح، وآداب العلماء زيادة في العقل..». كما في وصايا الإمام الكاظم عليه السّلام لهشام ابن الحكم من الكافي: ج ١، ص ٢٠، وتحف العقول، ص ٢٩٠.

وفي الحديث الثاني، من الباب الثالث، من كتاب العشرة، من أصول الكافي معنعنًا، عن الإمام الباقر عليه السّلام قال: «إتبع من يبكيك وهو لك ناصح، ولا تتبع من يضحكك وهو لك غاش، وستردون على الله جميعًا

(٩٢) وفي المحكي عن الوافي: إلّا مثل له أصحابه في الله، الخ. وهو أظهر.

فتعلمون».

وقال الإمام الصادق عليه السّلام: «من غضب عليك من إخوانك ثلاث مرات فلم يقل فيك شرًّا فاتخذه لنفسك صديقًا» البحار: ج ١٦، ص ٤٨، الحديث ٢، من الباب ١٢، عن أمالي الصّدوق.

وفي الحديث ٤، من الباب الثالث، من كتاب العشرة، من الكافي: ج ٢، ص ٦٣٨، معنعنًا عنه عليه السّلام قال: «عليك بالتلاد[٩٣]، وإيّاك وكلّ محدث لا عهد له ولا أمان ولا ذمة ولا ميثاق، وكن على حذر من أوثق النّاس عندك». وحكي عن فصل الخطاب أنّه قال عليه السّلام: «إياكم وصحبة العاصين، ومعونة الظالمين، ومجاورة الفاسقين، احذروا فتنتهم، وتباعدوا من ساحتهم».

وقال الإمام الكاظم عليه السّلام، في وصاياه لهشام بن الحكم: «مجالسة أهل الدِّين شرف الدّنيا والآخرة، إيّاك ومخالطة النّاس والأنس بهم إلّا أن تجد منهم عاقلًا ومأمونًا فأنس به، واهرب من سائرهم كهربك من السباع الضارية...».

وقال الإمام العسكري عليه السّلام: «خير إخوانك من نسب ذنبك إليه». وقال أيضًا: «خير إخوانك من نسي ذنبك إليه، وذكر إحسانك إليه»[٩٤].

وعنهم عليهم السّلام: «إنْ كنت تحب أن تستتب لك النعمة[٩٥] وتكمل لك المروءة، وتصلح لك المعيشة فلا تشرك العبيد والسفلة في أمرك، فإنك إنْ ائتمنتهم خانوك، وإنْ حدثوك كذبوك، وإنْ نكبت خذلوك، ولا عليك أنْ تصحب ذا العقل فإنْ لم تحمد كرمه انتفع بعقله، واحترز من سيّئ الأخلاق، ولا تدع صحبة الكريم، وإن لم تحمد عقله، ولكن تنتفع بكرمه بعقلك، وفر الفرار كلّه من الأحمق اللئيم».

---

(٩٣) التلاد والتالد ـ نقيض الطارف ـ: المال القديم الأصلي.

(٩٤) كما في الحديث ٣٥و ٥٣، مما اختار من كلمه عليه السّلام في البحار: ج ١٧، ص ٢١٨.

(٩٥) يقال: استتب الأمر أي استقام واطرد واستمر.

الفائدة الثانية:

في ما يناسب المقام من الأشعار

ونسب إلىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام أشعار من جملتها هذه:

فلا تصحبنّ إلّا تقيًّا مُهذّبًا عفيفًا زكيًّا منجزًا للمواعد
وقارن إذا قارنت حرًّا مؤدبًا فتًى من بني الأحرار زين المشاهد
وكفّ الأذىٰ واحفظ لسانك واتقِ فديتك في ودّ الخليل المساعد
وكلّ صديق ليس في الله ودّه فنادِ عليه هل به من مزائد

ونسب إليه عليه السّلام:

تذلّل لمن ان تذلّلت له يرىٰ ذلك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لا يزال على الأصدقاء يرى الفضل له

وأيضًا نسب إليه عليه السّلام:

هموم الرجال في أمور كثيرة وهمّي من الدّنيا صديق مساعد
يكون كروح بين جسمين قسمت فجسمها جسمان والروح واحد

وأيضًا نسب إليه عليه السّلام:

واحذر مصاحبة اللئام فإنّهم منعوك صفو ودادهم وتصنعوا
أهل المودة ما أنلتهم الرّضا وإذا منعت فسمهم لك منقع

وما أحسن ما قاله الشيخ أمين الدّين العروضي الحلي:

عليك بأرباب الصدور فمن غدا مضافًا لأرباب الصدور تصدّرا
وإيّاك أن ترضىٰ صحابة ناقص فتحبط قدرًا من علاك وتحقّرا
فرفع أبو من ثم جرّ مزمل(٩٦) يبين قولي مغريًا ومحذرا

---

(٩٦) قوله: «فرفع ابو من» استشهاد لقوله: عليك بأرباب الصدور، الخ. وإشارة إلىٰ أنّ

وقال آخر:

تجنّب صديقًا مثل ما واحذر الّذي يكون كعمرو بين عرب وأعجم
فان صديق السوء يزري وشاهدي كما شرقت صدر القناة من الدّم

وقال آخر:

إذا جمع الفتىٰ حسبًا ودنيًا فلا تعدل به أبدًا قرينا
ولا تسمح بحظك منه بل كن بحظك من مودته ضنينا

وقال آخر:

عليك بإخوان الثقات فإنّهم قليل فصلهم دون من كنت تصحب
وما الخدن إلّا من صفا لك ودّه ومن هو ذو نصح وأنت مغيب

وقال آخر:

فلا خير في الدّنيا بغير تواصل ولا عيش في العقبىٰ بغير حبيب

وقال آخر:

امحض مودتك الكريم فإنّما يرعىٰ ذوي الإحسان كلّ كريم
وتواخ أشراف الرجال مروءة والموت خير من إخاءِ لئيم

← العرب إذا قالوا: علمنا أبو من زيد ونحوه، يجرون على المضاف حكم المضاف إليه، ويعطون بعض خواص المجاور لما جاوره، في المثال لما أضافوا لفظة (أبو) إلى كلمة (من) الواجبة التصدير المرفوعة، أجروا عليها حكمها فرفعوها، وان كان حقّها النصب لكونها مفعولًا لعلم، ولاجل اضافتها إلىٰ واجب التصدير اكتسبت الصدارة، فعلق علم عن العمل، واكتسبت أيضًا الرفع فعدل عن النصب، فأبو من ـ مبتدأ، وزيد خبر ـ أو العكس ـ والجملة في محل نصب سادة مسد مفعولي علم. وقوله: «ثم جر مزمل» إشارة إلىٰ قول امرئ القيس:

كأن أبانا في عرانين وبله كبير أناس في بجاد مزمل

حيث خفض مزمل لمجاورته للمخفوض وهو «بجاد» مع أنّ حقّه الرفع لكونه صفة لكبير المرفوع.

وقال آخر:

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردىٰ فتردىٰ مع الردي
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكلّ قرين بالمقارن يقتدي

وقال آخر:

اصحب ذوي الفضل وأهل الدِّين فالمرء منسوب إلى القرين

الفائدة الثالثة:

في الآثار الدالة علىٰ وجوب الفرار من الأنذال والفسّاق ومن تشين مصاحبته، الواردة عن المعصومين عليهم السّلام المناسبة لقوله: بائن أهل الشّرّ، الخ.

فعن المسعودي رحمه الله عن عيسىٰ ابن مريم عليه السّلام أنّه أوصى إلى الحواريين وقال:

«ارضوا بزيّ الدّنيا مع سلامة دينكم، كما رضي أهل الدّنيا بزيّ الدِّين مع سلامة دنياهم، وتحبّبوا إلى الله ببغض أهل المعاصي والبعد منهم. فقالوا: ومن نجالس يا روح الله؟ فقال: من يذكّركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله». والذيل رواه أيضًا في الكافي.

وأيضًا روىٰ ثقة الإسلام رحمه الله في الكافي معنعنًا، انّه قال: «إنَّ صاحب الشرّ يعدي، وقرين السوء يردي، فانظر من تقارن».

وأيضًا روىٰ ثقة الإسلام الكليني رحمه الله مسندًا عن لقمان الحكيم، انّه قال لابنه:

«يا بُنَيّ لا تقترب فتكون أبعد لك، ولا تبعد فتهان، كلّ دابة تحب مثلها، وان ابن آدم يحب مثله، ولا تنشر بزك إلّا عند باغيه، كما ليس بين الكبش

والذئب خلّة كذلك ليس بين البار والفاجر خلة. من يقترب من الزفت[٩٧] يعلق به بعضه، كذلك من يشارك الفاجر يتعلم من طرقه، من يحب المراء يشتم، ومن يدخل مداخل السوء يتّهم، ومن يقارن قرين السوء لا يسلم، ومن لا يملك لسانه يندم». وروىٰ معلم الأمّة الشيخ المفيد رحمه الله، في الاختصاص ط ٢، ص ٣٣٧، أنّه قال لابنه في مواعظ له: «يا بُنَيّ لا تجاورن الملوك فيقتلوك، ولا تطعهم فتكفر، ـ إلىٰ أنْ قال ـ: يا بني إني نقلت الحجارة والحديد، فلم أجد شيئًا أثقل من قرين السوء، يا بُنَيّ انّه من يصحب قرين السوء لا يسلم، ومن يدخل مداخل السوء يتهم، ـ ثم ساق مواعظه إلىٰ أنْ قال ـ: يا بُنَيّ إيّاك ومصاحبة الفسّاق، هم كالكلاب، إنْ وجدوا عندك شيئًا أكلوه، وإلّا ذمّوك وفضحوك، وإنما حبهم بينهم ساعة، يا بُنَيّ معاداة المؤمنين خير من مصادقة الفاسق ..».

وروي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «جالس الأبرار فإنّك إذا فعلت خيرًا حمدوك، وإنْ أخطأت لم يعنّفوك».

وعن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «الصاحب رقعة في الثوب فلينظر الإنسان بمَ يرقع ثوبه».

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «امتحنوا النّاس بإخوانهم». كما في العقد الفريد: ط ٢، ج ١، ص ٣٠٩ وص ٣٣٧.

وقال معلم الأمّة الشيخ المفيد رحمه الله، في الحديث الأخير من كتاب الاختصاص: «روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: اختبروا النّاس فإن الرجل يجاذب من يعجبه».

وفي العقد الفريد: ط ٢، ج ١، ص ٣١٣، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «شرّ النّاس من اتقاه النّاس لشرّه».

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إذا لقيت اللئيم فخالفه، وإذا لقيت الكريم فخالطه».

---

(٩٧) الزفت: القير.

وروى الصّدوق رحمه الله عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «أحكم النّاس من فرّ من جهّال النّاس، وأسعد النّاس من خالط كرام النّاس».

وفي الحديث ٤٠، من المجلس الثامن عشر، من أمالي الشيخ، معنعنًا عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «المرء علىٰ دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل».

ورواه الغزالي في الاحياء، وأبو داود في سننه، كما في المحجة ط ٢، ج ٣، ص ٣٠٩.

وروي عن فصل الخطاب أنّه قال الإمام المجتبىٰ عليه السّلام: «انظر إلىٰ كلّ من لا يفيدك منفعة في دينك فلا تعتدنّ به، ولا ترغبنّ في صحبته، فإنّ كلّ ما سوى الله مضمحل وخيم عاقبة».

وروى الصّدوق رحمه الله في الباب، من كتاب معاني الأخبار ص ٢٤٧، معنعنًا عن الأصبغ بن نباته، عن حارث الأعور، قال: «قال عليّ للحسن ابنه عليهما السّلام، في مسائله الّتي سأله عنها: يا بُنَيّ ما السفه؟ قال: اتباع الدناة، ومصاحبة الغواة».

وقال عليه السّلام: «إذا سمعت أحدًا يتناول أعراض النّاس فاجتهد أنْ لا يعرفك فإنّ أشق الأعراض به معارفه».

وقال عليه السّلام لبعض ولده: «يا بُنَيّ لا تؤاخ أحدًا حتّىٰ تعرف موارده ومصادره».

وقال السبط الشهيد عليه السّلام: «من علامات القبول الجلوس، إلىٰ أهل العقول».

وقال عليه السّلام: «مجالسة أهل الدناءة شر، ومجالسة أهل الفسق ريبة». كما في البحار: ج ١٧، ص ١٤٩.

وروى الصّدوق رحمه الله مسندًا عن الإمام السجاد عليه السّلام أنّه قال: «ليس لك أن تقعد مع من شئت، لأن الله تبارك وتعالىٰ يقول: ﴿وَإِذا رَأَيْتَ

ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ، وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾(٩٨) وليس لك أنْ تتكلم بما شئت لأنّ الله عزّ وجلّ قال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾(٩٩) ولأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «رحم الله عبدًا قال خيرًا فغنم، أو صمت فسلم» وليس لك أنْ تسمع ما شئت لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾(١٠٠).

وعن أبي عمرو الكشي عنه عليه السّلام أنّه كان يقول لبنيه: «جالسوا أهل الدّين والمعرفة، فإنْ لم تقدروا عليهم فالوحدة آنس وأسلم، فإنْ أبيتم إلّا مجالسة النّاس، فجالسوا أهل المروءات، فإنّهم لا يرفثون في مجالسهم»(١٠١).

وعن الإمام الصادق، عن أبيه عليهما السّلام قال: «أردت سفرًا فأوصىٰ أبي عليّ بن الحسين عليه السّلام، فقال في وصيّته: إيّاك يا بُنَيّ أنْ تصاحب الأحمق أو تخالطه، واهجره ولا تجادله، فإنّ الأحمق هجنة عيّاب غائبًا كان أو حاضرًا، إن تكلم فضحه حمقه، وإن سكت قصر به عيّه، وإن عمل أفسد، وإن استرعي أضاع، لا علمه من نفسه يغنيه، ولا علم غيره ينفعه، ولا يطيع ناصحه، ولا يستريح مقارنه، تود أمه ثكلته، وامرأته أنها فقدته، وجاره بُعدَ داره، وجليسه الوحدة من مجالسته، إنْ كان أصغر من في المجلس أعيا من فوقه، وإنْ كان أكبرهم أفسد من دونه». الأمالي.

وعن الإمام الصادق عليه السّلام قال: «كان أبي يقول: قم بالحقّ ولا تعرض لما نابك، واعتزل عمّا لا يعنيك، وتجنب عدوك، واحذر صديقك من الأقوام إلّا الأمين الأمين الّذي خشي الله، ولا تصحب الفاجر ولا تطلعه علىٰ سرّك». الاختصاص.

---

(٩٨) الآية ٦٨، من سورة الانعام.
(٩٩) الآية ٣٦، من سورة الإسراء.
(١٠٠) الآية ٣٦، من سورة الإسراء.
(١٠١) رَفَثَ رفثًا ورَفَثًا (من باب ضرب ونصر وعلم) وأرفث في كلامه: أفحش.

وفي الكافي معنعنًا، عن الإمام الصادق عليه السّلام: «لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم فتصيروا عند النّاس كواحد منهم، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: المرء علىٰ دين خليله وقرينه».

وفي الحديث ١٦، من باب النوادر، من كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٢٨٢، قال عليه السّلام: «أحكم النّاس من فر من جهال النّاس، وأسعد النّاس من خالط كرام النّاس..».

وقال المسعودي رحمه الله في إثبات الوصيّة: «روي أنَّ موسىٰ مات بموت السبعين الّذين اختارهم، فلذلك قال العالم عليه السّلام: لا تجالسوا المفتونين فينزل عليهم العذاب فيصيبكم معهم».

وقال الإمام الكاظم عليه السّلام: «من لم يجد للإساءة مضضًا، لم يكن للإحسان عنده موقع».

وقال الإمام الجواد عليه السّلام: «إيّاك ومصاحبة الشرير فإنّه كالسيف المسلول يحسن منظره ويقبح أثره».

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وقال الإمام العسكري عليه السّلام: «اللحاق بمن ترجو خير من المقام مع من لا تأمن شره».

وإن أردت المزيد فارجع إلى الأبواب الرابع، والخامس، والخامس عشر، من البحار ج ١، فإنَّ فيها شواهد لا تحصىٰ.

الفائدة الرابعة:

في بعض ما قيل في المقام من الشعر.

نسب إلىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام:

إذا المرء لم يحسن مع النّاس عشرة ... وكان بجهل منه بالمال معجبا

ولم تره يقضي الحقوق فإنّه ... حقيق بأنْ يقلىٰ وأنْ يتجنبا

وقال عليه السّلام علىٰ ما في المحجة: ج ٣، ص ٣١٠، نقلًا عن إحياء العلوم:

فلا تصحب أخا الجهل وإيّـاك وإيّـاه
فكم من جاهل أردىٰ حكيمًا حين آخاه
يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه
وللشيء على الشيء مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

وروي عن أيوب بن سليمان قال حدثنا أبان بن عيسىٰ، عن أبيه، عن ابن القاسم قال: بينما سليمان بن داود عليهما السّلام تحمله الريح إذ مرّ بنسر واقع علىٰ قصر، فقال له: كم لك مذ وقعت ههنا؟ قال: سبعمائة سنة. قال: فمن بنىٰ هٰذا القصر؟ قال: لا أدري، هٰكذا وجدته. ثم نظر فإذا فيه كتاب منقور بأبيات من شعر، وهي:

خرجنا من قرىٰ اصطخر إلى القصر فقلناه
فمن يسأل عن القصر فمبنيًّا وجدناه
فلا تصحب أخا السّوء وإيّـاك وإيّـاه
فكم من جاهل أردىٰ حكيمًا حين آخاه
يقاس المرء بالمرء إذا ما المرء ماشاه
وفي النّاس من النّاس مقاييس وأشباه
وفي العين غنًى للعين أنْ تنطق أفواه

وقال آخر:

لا خير في صحبة خوّان يأتي من العذر بألوان
فلعنة الله علىٰ صاحب له لسانان ووجهان

وقالوا: كل ألف إلى ألفه ينزع. قال الشاعر:

فــاعتبر الأرض بــاسمائها   واعتبر الصاحب بالصاحب

وقال آخر:

والالف ينزع نحو الآلفين كـما   طير السّماء عـلى آلافـها تـقع

وقال أبو عمرو بن العلاء رحمه الله:

لكلّ امرئٍ شكل من النّاس مثله   فأكـثرهم شكـلا أقـلهم عـقلا

لأنَّ صحيح العـقل لست بـواجـد   له في طريق حـين تـفقده شكـلا

وقال امرؤ القيس:

أجارتنا إنّا غـريبان هٰـهنا   وكلّ غريب للغريب نسيب

وقال آخر:

إنّي لآمـن مـن عـدو عـاقل   وأخاف خلّا يـعتريه جـنون

فالعقل فـنّ واحـد وطـريقه   أدرىٰ وأرصد والجنون فنون

وعن غير واحد من علماء الإمامية وأهل السنة معنعنًا ومرسلًا، عن يونس بن حبيب النحوي ـ وكان عثمانيًا ـ قال: قلت للخليل بن أحمد: «أريد أنْ أسألك عن مسألة فتكتمها عليّ؟ قال: إنْ قولك يدل علىٰ أنّ الجواب أغلظ من السؤال فتكتمه أنت أيضًا؟ قال: قلت: نعم أيام حياتك. قال: سل. قلت: ما بال أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله ورحمهم كأنهم كلّهم بنو أم واحدة، وعليّ ابن أبي طالب من بينهم كأنّه ابن علة(١٠٢)؟ قال: من أين لك هٰذا السؤال؟ قال: قلت: وعدتني الجواب. قال: قد ضمنت الكتمان. قال: قلت: أيام حياتك. فقال: إنّ عليًا عليه السّلام تقدمهم إسلامًا، وفاقهم علمًا، وبذهم شرفًا، ورجحهم زهدًا، وطالهم جهادًا، فحسدوه، والنّاس إلىٰ أشكالهم وأشباههم أميل منهم إلىٰ من بان منهم، فافهم.

وروى الصّدوق رحمه الله، عن أبي زيد الأنصاري قال: سألت الخليل بن

---

(١٠٢) ابن علة يقال للأولاد من أمهات شتّىٰ.

أحمد العروضي: لِمَ هجر النّاس عليًا، وقربه من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قربه، وموضعه من المسلمين موضعه، وعناؤه في الإسلام عناؤه؟ فقال: بهر والله نوره أنوارهم، وغلبهم علىٰ صفو كل منهل، والنّاس إلىٰ أشكالهم أميل، أما سمعت الأوّل حيث يقول:

وكلّ شكل لشكله آلف   أما ترى الفيل يألف الفيلا

قال الصّدوق: وأنشدنا الرياشي في معناه عن العباس بن الأحنف:

وقائل كيف تهاجرتما   فقلت قولًا فيه إنصاف
لم يك من شكلي فهاجرته   والنّاس أشكال وألّاف

الفائدة الخامسة:

فيما يتعلق بقوله عليه السّلام: «أذك بالأدب قلبك...» وبيان حقيقة الأدب.

قيل: الأدب يطلق علىٰ العلوم والمعارف مطلقًا. وقيل: الأدب اسم لخصوص المستظرف من العلوم ولا يطلق علىٰ غيره. وقالوا: الفرق بين الأديب والعالم أن الأديب من يأخذ من كل شيء أحسنه، والعالم من يقصد بفن من العلم فيتعمله. ولذلك قال عليّ عليه السّلام: «العلم أكثر من أن يحصىٰ فخذوا من كل شيء أحسنه. وقيل: الأدب هو الصبر على الغصّة حتّىٰ تدرك الفرصة».

أقول: الأدب عند أهل الدّنيا والذين ضلّ سعيهم في حياتها وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا عبارة عن تزيين الأقوال الكاذبة بألفاظ طريفة، وتحسين الكلمات الفارغة بعبارات ظريفة، وجذب القلوب بأكاذيب الأشعار، وسحر النفوس بتنميق المقال، وتحبير البيان.

وأمّا أهل المعنىٰ والروحانيون فالأدب عندهم عبارة عن رياضة النفس على التخلّق بمكارم الأخلاق، والاجتناب عن مساوئها، والتحلي بمحامد الأوصاف، والتخلّي عن رذائل السجايا. أو الأدب عندهم هو الملكة الحاصلة من الرياضة المذكورة. وأيًّا ما كان فلا خفاء في أنّ الأدب بالمعنى المذكور أحسن عون

ومساعد للطبيعة الإنسانية، أو لذوي العقول علىٰ تحصيل العلم بالأشياء عن تجربة واختبار.

فحاصل مراده عليه السّلام من قوله: أذك بالأدب قلبك... الخ. أنّ توقّد القلب وضياءه بالأدب والتحلّي بمعالي الصفات، والاجتناب عن السفاسف.

إذا تمهد هٰذا فلنذكر بعض الآثار الواردة عن المعصومين عليهم السّلام وغيرهم في الأدب فنقول: روي في معجم الأدباء: ج ١، ص ٣٨، وكذلك روىٰ ابن مسكويه في جاويدان خرد (الحكمة الخالدة) ص ١٠٥، وفي هامشه نقل عن الجامع الصغير: ج ٣، ص ٢٥٦، وعن الترمذي والحاكم في المستدرك: «أنّه قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن. ولمّا نزل قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[١٠٣] قالوا: يا رسول الله كيف نقي أنفسنا وأهلينا؟ قال: اعملوا الخير وذكّروا به أهليكم، فأدّبوهم علىٰ طاعة الله». دعائم الإسلام: ج ١، ص ٨٢.

وروى اليعقوبي رحمه الله عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال: «يا معشر الفتيان حصّنوا أعراضكم بالأدب، ودينكم بالعلم».

وقال عليه السّلام ـ علىٰ ما في سفينة البحار وكنز الفوائد ـ: «كفىٰ بك أدبًا لنفسك تركك ما كرهته لغيرك».

وفي المختار ٥٤، من قصار النهج: «لا غنىٰ كالعقل، ولا فقر كالجهل، ولا ميراث كالأدب..».

وفي المختار ١١٣: «لا مال أعود من العقل، ولا وحدة أوحش من العجب، ولا عقل كالتدبير، ولا كرم كالتقوىٰ، ولا قرين كحسن الخلق، ولا ميراث كالأدب».

وفي المختار ٣٦٥: «وكفىٰ أدبًا لنفسك تجنبك ما كرهته لغيرك».

---

(١٠٣) الآية ٦، من سورة التحريم: ٦٦.

وفي المختار ٤١٢: «كفاك أدبًا لنفسك ما تكرهه من غيرك».

وقال عليه السّلام في وصيّته للحسن عليه السّلام: «العاقل يتّعظ بالآداب، والبهائم لا تتّعظ إلّا بالضّرب...».

وقال عليه السّلام في المختار الرابع من القصار: «نعم القرين الرّضا، والعلم وراثة كريمة، والاداب حلل مجدّدة، والفكر مرآة صافية».

وعنهم عليهم السّلام: «خير ما ورث الآباء لأبنائهم الأدب».

وقال داود لابنه سليمان: «إجعل العلم مالك، والأدب حليتك». كما في مجمع البحرين والعقد الفريد: ط ٢، ج ١، ص ٢٦٤.

وقال لقمان الحكيم لابنه: «يا بُنَيّ إنْ تأدبت صغيرًا انتفعت به كبيرًا، ومن عني بالأدب اهتم به، ومن اهتم به تكلف علمه، ومن تكلف علمه اشتد له طلبه، أدرك به منفعة، فاتخذه عادة، وإيّاك والكسل منه والطلب لغيره، وان غلبت على الدّنيا فلا تغلبن على الآخرة...». البحار: ج ١٧، ص ٢٦٧.

وقال الإمام الصادق عليه السّلام: «أربع خصال يسود بها المرء: العفّة والأدب والجود والعقل».

وقال أيضًا: «لا مال أعود من العقل، ولا مصيبة أعظم من الجهل، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة، ولا ورع كالكفّ، ولا عبادة كالتفكّر، ولا قائد خير من التوفيق، ولا قرين خير من حسن الخلق، ولا ميراث خير من الأدب». الحديث ٣٩٧ و٤١٥، من كتاب الاختصاص ص ٢٤٤ و٢٤٦.

وروىٰ ثقة الإسلام رحمه الله معنعنًا عنه عليه السّلام في الحديث ١٣٢، من روضة الكافي أنّه قال: «إنّ خير ما ورّث الآباء لأبنائهم الأدب لا المال، فإنّ المال يذهب، والأدب يبقىٰ. قال مسعدة: يعني بالأدب العلم. قال: وقال أبو عبد الله عليه السّلام: ان أجلت في عمرك يومين فاجعل أحدهما لأدبك، لتستعين به علىٰ يوم موتك، فقيل له: وما تلك الاستعانة؟ قال: تحسن تدبير ما تخلف وتحكمه. وقال عليه السّلام: لا يزال العبد المؤمن يورث أهل بيته العلم والأدب

الصالح حتّىٰ يدخلهم الجنة جميعًا، حتّىٰ لا يفقد منهم صغيرًا ولا كبيرًا ولا خادمًا ولا جارًا، ولا يزال العبد العاصي يورث أهل بيته الأدب السيّئ حتّىٰ يدخلهم النّار جميعًا حتّىٰ لا يفقد فيها من أهل بيته صغيرًا ولا كبيرًا ولا خادمًا ولا جارًا». الحديث ١٤، من باب الرغائب في العلم، من دعائم الإسلام: ج ١، ص ٨٢.

ما قاله الحكماء والعظماء في الأدب:

وأمّا ما ورد عن الحكماء والعظماء فكثير أيضًا.

قال أرسطاطاليس: «ليت شعري أي شيء فات من أدرك الأدب، وأي شيء أدرك من فاته الأدب»!

وقال أفلاطون: «بَعُدَ الجاهل أن يلتحم به الأدب، كبعد النار تشتعل بالماء، فإذا رأيت المستمع غير قابل أثر الحكمة فلا تطمع في صلاحه».

وقال أرسطاطاليس في آدابه الّتي كتبها وكان يعلمها الإسكندر: «إذا تم العقل التحم به الأدب، كالتحام الطعام بالجسد الصحيح، فهو يغذيه ويربيه، وإذا نقص العقل نبا عنه ما يسمع من الأدب، كما نبا عن المصفور[١٠٤]، ما أكل من الطعام، وإنْ آثر الجاهل أن يحفظ شيئًا من الأدب، تحوّل ذلك الأدب فيه جهلاً، كما يتحوّل ما خالط جوف المريض من طيب الطعام داءً، فإذا كان الأمر علىٰ هذا، فأحمد العقلاء من كان عقله من صحّة طبيعةً وكان رأيه عن سببٍ معرفةً، وعلمه من قبل حجة، وزيّن منطقه من صدق مقال، وحسن عمله من حسن نيّة، وحسن أدبه من فضل رغبة، وحسن عطائه عن سماح نحيزة[١٠٥]، وأداء أمانته عن صدق عفاف، واجتهاد سعيه في قصد سبيل ثم وصل الطبيعة بحسن

---

(١٠٤) صفر الرجل ـ بالبناء للمجهول ـ: اجتمع في بطنه الصفار، فهو مصفور، وقيل دود في البطن.

(١٠٥) النحيزة: كالطبيعة لفظًا ومعنًى.

العادة، وذكاء العقل بشدة الفحص، ونفاذ الرأي بدرك المنافع، وصدق المنطق بحسن الأدب، وحسن الأدب بكثرة التعهد، وكثرة العطاء بصواب الموضع، واجتهاد السعي بشدة الورع...».

وقال بزرجمهر: «من كثر أدبه كثر شرفه وإنْ كان وضيعًا، وبعد صوته وإنْ كان خاملًا[١٠٦] وساد وإنْ كان غريبًا، وكثرت الحاجة إليه وإنْ كان فقيرًا».

وقيل: «عليكم بالأدب فإنّه صاحب في السفر ومؤنس في الحضر، وجليس في الوحدة، وجمال في المحافل، وسبب إلىٰ طلب الحاجة».

وقيل: «الأدب الصالح خير من الشرف المضاعف».

وقال أبو نؤاس: «ما استكثر أحد من شيء إلّا ملّة وثقل عليه إلّا الأدب، فإنه كلما استكثر منه كان أشهىٰ له وأخفّ عليه».

وقال: «الشره في الطعام دناءة، وفي الأدب مروءة» .

وقيل: «الأديب نسيب الأديب».

وقال ابن السكيت رحمه الله: «خذ من الأدب ما يعلق بالقلوب، وتشتهيه الآذان، وخذ من النحو ما تقيم به الكلام، ودع الغوامض، وخذ من الشعر ما يشتمل على لطيف المعاني، واستكثر من أخبار النّاس وأقاويلهم وأحاديثهم ولا تولعن بالغثّ منها»[١٠٧].

وقال أبو عمرو ابن العلاء رحمه الله: «قيل لمنذر بن واصل: كيف شهوتك للأدب؟ فقال: اسمع بالحرف منه لم اسمعه فتود أعضائي أنّ لها أسماعًا تتنعم مثل ما تنعمت الآذان، قيل: وكيف طلبك له؟ قال: طلب المرأة المضلّة ولدها وليس لها غيره. قيل: وكيف حرصك عليه؟ قال: حرص الجموع المنوع علىٰ بلوغ لذته في المال».

---

(١٠٦) الصوت بمعنى الصيت، وهو الذكر الحسن والسمعة.

(١٠٧) الغث: الرديء.

وقال الأصمعي: «قال لي أعرابي: ما حرفتك؟ قلت: الأدب. قال: نعم الشيء فعليك به، فإنّه ينزل المملوك في حد الملوك».

وقال اوشهنج في وصاياه لولده: «ثلاث ليس معهن غربة: حسن الأدب، وكف الأذىٰ، واجتناب الريب..».

وأوصىٰ رجل بنيه فقال: «يا بَنِيّ أصلحوا من ألسنتكم، فإنّ الرجل تنوبه النائبة، يحتاج أنْ يتجمل فيها(١٠٨) فيستعير من أخيه دابة، ومن صديقه ثوبًا، ولا يجد من يعيره لسانًا».

وقال آخر: «الأدب مال، واستعماله كمال».

وقيل: «أدب المرء خير من ذهبه».

وقيل لشريف ناقص الأدب: «إنّ شرفك بأبيك لغيرك، وشرفك بنفسك لك، فأفرق بين ما لك وما لغيرك، ولا تفرح بشرف النسب فإنّه دون شرف الأدب».

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ما قيل في الشعر في الأدب:

وأمّا ما قيل في الأدب من الشعر فغير معدود، وممّا نسب إلىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام من المنظوم في الموضوع قوله:

حرّض بنيك علىٰ الآداب في الصغر ... كيما تقر بهم عيناك في الكبر
وإنّما مثل الآداب تجمعها ... في عنفوان الصّبا كالنّقش في الحجر
هي الكنوز الّتي تنمو ذخائرها ... ولا يخاف عليها حادث الغير
إنّ الأديب إذا زلّت به قدم ... يهوى إلىٰ فرش الدّيباج والسّرر
النّاس اثنان ذو علم ومستمع ... واعٍ وسائرهم كاللّغو والعكر

(١٠٨) أي يظهر بمظهر الجمال ابتغاء سرور المحبين واتقاء شماتة الشامتين، قال الشاعر:
وإذا تصبك خصاصة فتجمل.

وأيضًا نسب إليه عليه السّلام:

كن ابن من شئت واكتسب أدبًا ... يغنيك محموده عن النّسب
فليس يغني الحسيب نسبته ... بلا لسان له ولا أدب
إنّ الفتىٰ من يقول هاأنذا ... ليس الفتىٰ من يقول كان أبي

وأيضًا نسب إليه عليه السّلام:

ليس الجمال بأثواب تزينها ... إنّ الجمال جمال العلم والأدب
ليس اليتيم الّذي قد مات والده ... إنّ اليتيم يتيم العقل والحسب

وأيضًا نسب إليه عليه السّلام:

أيّها الفاخر جهلًا بالنّسب ... إنّما النّاس لأم ولأب
هل تراهم خلقوا من فضة ... أم حديد أم نحاس أم ذهب
هل تراهم خلقوا من فضلهم ... هل سوى لحم وعظم وعصب
إنّما الفخر لعقل ثابت ... وحياء وعفاف وأدب

وأيضًا نسب إليه عليه السّلام:

أدّبت نفسي فما وجدت لها ... بغير تقوى الإله من أدب

وما أحسن ما قال الشاعر:

وإذا الهموم تضيقتك ولم تجد ... أحدًا وملّ فؤادك الأحبابا
فاعمد إلى الكتب الّتي قد ضمنت ... أوراقها الأشعار والآدابا
فهي الّتي تنفي الهموم ولم تجد ... أحدًا له أدب يملّ كتابا

وقال آخر:

أرى العلم نورًا والتأدب حلية ... فخذ منها في رغبة بنصيب
وليس يتم العلم في النّاس للفتىٰ ... إذا لم يكن في علمه بأديب

وقال آخر:

ذخائر المال لا تبقىٰ علىٰ أحد والعلم تذخرة يبقىٰ على الأبد
والمرء يبلغ بالآداب منزلة يذلّ فيها له ذو المال والعقد

وقال آخر:

ان الجواهر درها ونضارها[١٠٩] هنّ الفداء لجوهر الآداب
فإذا اكتنزت أو ادخرت ذخيرة تسمو بزينتها على الأصحاب
فعليك بالأدب المزين أهله كيما تفوز ببهجة وثواب
فلربّ ذي مال تراه مبعدًا كالكلب ينبح من وراء حجاب
وترى الأديب وإنْ دهته خصاصة لا يستخفّ به لدى الأتراب[١١٠]

وقال آخر:

ما وهب الله لامرئٍ هبة أحسن من عقله ومن أدبه
هما جمال الفتىٰ فإنْ فُقدا ففقده للحياة أجمل به

وقال البستي:

من شاء عيشًا رخيًّا يستفيد به في دينه ثم في دنياه اقبالا
فلينظرنَّ إلىٰ ما فوقه أدبًا ولينظرنَّ إلىٰ ما دونه مالا

وقال آخر:

ولم أر عقلًا صحّ إلّا بشيمة[١١١] ولم أرَ علمًا صحَّ إلّا علىٰ أدب

وقال آخر:

لكلّ شيء حسنٍ زينة وزينة العالم حسن الأدب
قد يشرف المرء بآدابه فينا وإنْ كان وضيع النسب

---

(١٠٩) النضار: الذهب والفضة. قيل: وقد غلب على الذهب.
(١١٠) دهته، أي أصابته، والخصاصة: الاحتياج، والأتراب جمع ترب: من كان في سنك.
(١١١) الشيمة: الخلق والسجيّة.

وقال آخر:

من كان مفتخرًا بـالمال والنّسب ... فـإنّما فـخرنا بـالعلم والأدب

لا خير في رجل حـرّ بـلا أدب ... لا لا، كـان منسوبًا إلى العـرب

وقال آخر:

لا فـقر أكـبر مـن فـقر بـلا أدب ... ليس اليسار بجمع المال والنّشب(١١٢)

مـا المـال إلّا جـزازات(١١٣) مـلفقة ... فـيها عـيون من الأشعار والخـطب

وقال آخر:

كـم مـن خسـيس القـدر ليس له ... في العزّ أصل ولا يـنمي إلىٰ حسب

قد صار بـالأدب المحمود ذا شرف ... عـالٍ وذا حسب محض وذا نسب

وقال البحتري:

رأيت القـنوع عـلى الاقـتصاد ... قنوعًا بـه(١١٤) ذلّـة في العـباد

وعـزّ بـذي أدب أن يـضيق ... بـعيشه وسـع هـذي البـلاد

إذا ما الأديب ارتضىٰ بالخمول ... فـا الحـظّ في الأدب المستفاد

وفي الحديث ٢٠، من المجلس ١٤، من أمالي الشيخ معنعنًا: أنشدني بعض أصحابنا شعرًا:

اجـعل تـلادك في المـهمّ ... مـن الأمـور إذا اقـترب

حسن التّصبر ما استطعت ... فـإنّه نـعم السّـبب

لا تَسه عن أدب الصغير ... وإنْ شكـا ألم التّـعب

ودع الكـبير لشأنـه ... كبر الكـبير عـن الأدب

---

(١١٢) النشب: العقار والمال.

(١١٣) جزازات، جمع جزازة، وهي من كل شيء ما يسقط منه عندَ جزّه.

(١١٤) قنوعًا حال، ويحتمل ان يكون مفعولاً لأجله.

لا تصحب النّطف المريب فقربه إحدى الرّيب
واعلم بأنَّ ذنوبه تعدي كما يعدي الجرب

وقال آخر:

إذا لم يكن للمرء عقل يزينه ولم يك ذا رأي سديد ولا أدب
فما هو إلّا ذو قوائم أربع وإنْ كان ذا مال كثير وذا حسب

الفائدة السادسة:

البحث حول قوله عليه السّلام: «أضمم آراء الرجال بعضها إلىٰ بعض...».

أقول: هٰذا القول وأشباهه ترغيب منه عليه السّلام في المشاورة، وحثّ على الإجتماع مع أرباب العقول الثاقبة، والحلوم الزاكية لإجالة الرأي، والمفاهمة، واصطفاء أصوب الفكرين، وأصحّ الرأيين، وأتقن النظرين، ليتوصّل به إلىٰ جلب المنافع، ودفع المضار، لا سيما عند انقلاب وضع النّاس، وتبدل سيرتهم، وطره الحوادث المدهشة، وهٰذا أمر ارتكازي قد أطبقت العقلاء عليه كافة، ولكن لأجل عروض دواعي الانحراف على العقلاء من العجب والتكبر وغيرهما وإهمالهم هٰذا الأمر الخطير، أو استنتاج المصالح الشخصية أو الدنيوية المضادة للمصالح الآخروية منه، حض الشارع المقدس عليه مع شرائط استعماله وبيان ما ينبغي أن يستعمل فيه. فخاطب نبيه صلّى الله عليه وآله وسلّم إرشادًا إلىٰ ما هو المعروف بينهم من قولهم: «إياكِ أعني واسمعي يا جارة» وتعليمًا للموحدين، وتأليفًا لقلوبهم، فقال في الآية ١٥٩، من سورة آل عمران: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ووصف الله المؤمنين مدحًا لهم بقوله في الآية ٣٨، من سورة الشورىٰ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾.

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «ما شقي عبد قطّ بمشورة، ولا سعد باستغناء رأي».

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاءكم، وأمركم شورىٰ بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، ولم يكن أمركم شورىٰ بينكم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها».

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «المستشار مؤتمن، والمستشير معان».

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار». رواها بأجمعها جمال المفسرين أبو الفتوح الرازي رحمه الله في تفسيره، والحديث الأخير رواه أيضًا في العقد الفريد: ط ٢، ج ١، ص ٣٣.

وفي الحديث ٦٦، من باب النوادر، من كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٢٩٣ معنعنًا، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «يا عليّ لا تشاورنّ جبانًا فإنّه يضيّق عليك المخرج، ولا تشاورنّ بخيلًا فإنّه يقصّر بك عن غايتك، ولا تشاورنّ حريصًا، فإنّه يزيّن لك شرّها، واعلم ان الجبن والبخل والحرص غريزة يجمعها سوء الظّن».

وقال لقمان الحكيم في مواعظه لابنه: «يا بُنَيَّ شاور الكبير، ولا تستحي من مشاورة الصغير..»(١١٥).

وروى البرقي عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم معنعنًا أنّه أوصىٰ عليًا عليه السّلام، وقال له فيما قال: «لا مظاهرة أوثق من المشاورة، ولا عقل كالتدبير». المحاسن ط ١، ص ٦٠٠، ورواه عنه في الوسائل: ج ٥، ص ٤٢٤، في الحديث ١، من الباب ٢١، من أحكام العشرة.

وعن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: «الحزم أنْ تستشير ذا الرأي وتطيع أمره». الحديث الرابع، من الباب ٢٠، من أبواب أحكام العشرة، من المستدرك: ج ٢، ص ٦٥.

وعن مجالس ابن الشيخ رحمه الله معنعنًا، قال قال النبي صلّى الله عليه

---

(١١٥) الاختصاص للشيخ المفيد رحمه الله ط ٢، ص ٣٣٨.

وآله: «استرشدوا العاقل ولا تعصوه فتندموا».

وعن أعلام الدّين عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: قال: «إذا شاور عليك العاقل الناصح فاقبل، وإيّاك والخلاف عليهم فإنّ فيه الهلاك»(١١٦)

وسئل رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقيل له: «ما الحزم؟ قال: مشاورة ذوي الرأي واتباعهم» . رواه في الحديث ١، من الباب ٢١، من أبواب أحكام العشرة، من الوسائل: ج ٥، ص ٤٢٤، عن المحاسن ص ٦٠١.

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام: «استشر أعداءك تعرف من رأيهم مقدار عداوتهم ومواضع مقاصدهم».

وفي المختار ١٦١، من قصار نهج البلاغة: «من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها».

وفي المختار ٥٤، منها: «ولا ظهير كالمشاورة».

وفي المختار ١١٣، منها قال عليه السّلام: «ولا مظاهرة أوثق من المشاورة».

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وفي المختار ٢١١، من القصار: «والاستشارة عين الهداية، وقد خاطر من استغنىٰ برأيه..».

وقال عليه السّلام في وصيته إلى الإمام المجتبىٰ عليه السّلام: «وإيّاك ومشاورة النساء، فإنّ رأيهنّ إلىٰ أفن، وعزمهنّ إلىٰ وهن..».

وفي الحديث الأربعمائة قال عليه السّلام: «ما عطب امرؤٌ استشار».

وروى العياشي عنه عليه السّلام أنّه قال: «من لم يستشر يندم». الحديث ١ و٢، من الباب ٢٠، من أحكام العشرة، من المستدرك: ج ٢، ص ٦٥.

وفي كنز الفوائد، للعلامة الكراجكي رحمه الله ط ١، ص ١٧١، عنه عليه السّلام: «لا رأي لمن انفرد برأيه».

(١١٦) الحديثان الثالث والرابع، من المستدرك: ج ٢، ص ٦٥.

وقال أيضًا: «ما عطب من استشار».

وقال عليه السّلام: «من شاور ذوي الألباب دلّ على الرشاد».

وروى البرقي رحمه الله في المحاسن ط ١، ص ٦٠١، عن الإمام الباقر عليه السّلام معنعنًا، أنّه قال: «في التوارة أربعة أسطر: من لا يستشر يندم، والفقر الموت الأكبر، كما تدين تدان، ومن ملك استأثر». ورواه عنه في الحديث ٣، من الباب ٢١، من أحكام العشرة من الوسائل: ج ٥، ص ٤٢٤.

قال الإمام الصادق عليه السّلام: «استشر العاقل من الرجال الورع، فإنّه لا يأمر إلّا بخير، وإيّاك والخلاف، فإنّ خلاف الورع العاقل مفسدة في الدّين والدّنيا».

وقال عليه السّلام: «ما يمنع أحدكم إذا ورد عليه ما لا قبل له به أنْ يستشير رجلًا عاقلًا له دين وورع. ثم قال عليه السّلام: أما إنّه إذا فعل ذلك لم يخذله الله، بل يرفعه الله، ورماه بخير الأمور، وأقربها إلى الله».

وقال أيضًا: «إنّ المشورة لا تكون إلّا بحدودها، فمن عرفها بحدودها، وإلّا كانت مضرتها على المستشير أكثر من منفعتها له. فأولها أن يكون الّذي يشاوره عاقلًا، والثانية أن يكون حرًّا متدينًا، والثالثة أنْ يكون صديقًا مؤاخيًا، والرابعة أنْ تطلعه علىٰ سرّك فيكون علمه به كعلمك بنفسك ثم يستر ذلك ويكتمه، فإنّه إذا كان عاقلًا انتفعت بمشورته، وإذا كان حرًّا متدينًا جهد نفسه في النصيحة لك، وإذا كان صديقًا مؤاخيًا كتم سرّك إذا أطلعته عليه، وإذا أطلعته علىٰ سرك فكان علمه به كعلمك تمت المشورة وكملت النصيحة..»(١١٧).

---

(١١٧) المحاسن للبرقي رحمه الله ط ١، ص ٦٠١، ورواها بأجمعها عنه في الأحاديث ٥ ـ ٨، من الباب ٢٢، من أحكام العشرة من الوسائل الطبعة الحديثة، ج ٥، ص ٤٢٦،. وبهذا وأمثاله ممّا بين فيه شرائط المشورة وحدودها يتضح بطلان ما يحكىٰ عن عبد الملك بن صالح الهاشمي من قوله: «ما استشرت واحدًا قط إلّا تكبّر عليّ، وتصاغرت له، ودخلته العزّة، ودخلتني الذلّة. فإيّاك والمشورة، وإنْ ضاقت عليك المذاهب، واستشبهت عليك

←

وقال عليه السّلام: «المستبدّ برأيه موقوف علىٰ مداحض الزلل».

وقال عليه السّلام: «لا تشر على المستبد برأيه».

وعنه عليه السّلام: «من استشار أخاه فلم يمحضه محض الرأي سلبه الله عزَّ وجلَّ رأيه». رواه البرقي رحمه الله في المحاسن ص ٦٠٢. وروى أيضًا معنعنًا عنه عليه السّلام في المحاسن ص ٦٠١، أنّه قال: «لن يهلك امرؤ عن مشورة». ورواهما عنه، في الحديث ٤، من البابين ٢١ و ٢٢، من أحكام العشرة، من الوسائل: ج ٥، ص ٤٢٤ و٤٢٧.

وعن الشهيد رحمه الله في الدرة الباهرة، قال: قال الإمام الكاظم عليه السّلام: «من استشار لم يعدم عند الصواب مادحًا، وعند الخطأ عاذرًا». الحديث ٦، من الباب ٢٠، من أحكام العشرة، من مستدرك الوسائل: ج ٢، ص ٦٥.

الفائدة السابعة

في ما قاله الحكماء والعظماء في المشاورة

سئل بعض الحكماء: أي الأمور أشدّ تأييدًا للعقل، وأيها أشدّ إضرارًا به؟ فقال: أشدها تأييدًا له ثلاثة أشياء: مشاورة العلماء، وتجربة الأمور، وحسن التثبت، وأشدها إضرارًا به ثلاثة أشياء: الاستبداد، والتهاون، والعجلة.

وأشار حكيم علىٰ حكيم برأي فقال: «لقد قلت بما يقول الناصح الشفيق الّذي يخلط حلو كلامه بمرّه، وسهله بوعره، ويحرك الإشفاق منه ما هو ساكن

← المسائل، وأدّاك الاستبداد إلى الخطأ الفادح».

وما قال عبد الله بن طاهر: «ما حكّ جلدك مثل ظفرك، ولئن اخطئ مع الاستبداد ألف خطأ أحبّ إليّ من أن أستشير وأرىٰ بعين النقص والحاجة. وكان يقال: الاستشارة إذاعة السرّ، ومخاطرة بالأمر الّذي ترومه بالمشورة، فربّ مستشار أذاع عنك ما كان فيه فساد تدبيرك».

من غيره، وقد وعيت النصح وقبلته إذ كان مصدره عند من لا يشك في مودته، وصفاء غيبه، ونصح حبيبه، وما زلت بحمد الله إلى الخير طريقًا واضحًا، ومنارًا بيّنًا».

وقال اوشنهج في وصاياه للملوك وولده: «أربع خصال ضعة في الملوك والأشراف: التعظم، ومجالسة الأحداث والنساء، ومشاورتهن، وترك ما يحتاج إليه من الأمور فيما يعمله بيده ويحضره بنفسه. لا يكون الملك ملكًا حتّىٰ يأكل من غرسه، ويلبس من طرازه، وينكح من تلاده، ويركب من نتاجه، وإحكام هٰذه الأمور بالتدبير، والتدبير بالمشورة، والمشورة بالوزراء الناصحين المستحقين لرتبهم..».

وأوصى ابن هبيرة ولده، فقال: «لا تكن أوّل مشير، وإيّاك والرأي الفطير، ولا تشر علىٰ مستبد، فإنّ التماس موافقته لؤم، والاستماع منه خيانة».

وكان ابن ظرب حكيم العرب يقول: «دعوا الرأي يغب حتّىٰ يختمر، وإياكم والرأي الفطير».

وكان المهلب يقول: «إنّ من البلية أنْ يكون الرأي بيد من يملكه دون من يبصره».

وقيل لرجل من عبس: «ما أكثر صوابكم. قال: نحن ألف رجل، وفينا حازم واحد، فنحن نشاوره فكأنّا ألف حازم».

وقال ابن أبي الحديد في شرح المختار ١٦١، من قصار النهج: «وأمّا المادحون للمشورة فكثير جدًّا، وقالوا: خاطر من استبد برأيه. وقالوا: المشورة راحة لك وتعب علىٰ غيرك. وقالوا من أكثر من المشورة لم يعدم عند الصواب مادحًا، وعند الخطأ عاذرًا. وقالوا: المستشير علىٰ طرف النجاح، والاستشارة من عزم الأمور. وقالوا: المشورة لقاح العقول ورائد لصواب. ومن ألفاظهم البديعة: ثمرة رأي المشير أحلىٰ من الأرْي المشور[١١٨] وقيل: إذا استشرت

(١١٨) الأرْي ـ كفلس ـ: العسل. والمشور: المستخرج.

إنسانًا صار عقله لك. وقال أعرابي: ما غبنت قطّ حتّىٰ يغبن قومي. قيل: وكيف ذاك؟ قال لا أفعل شيئًا حتّىٰ أشاورهم. وقيل: من أعطى الاستشارة لم يمنع الصواب، ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة، ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول، ومن أعطى الشكر لم يمنع المزيد».

وفي آداب ابن المقفع: «لا يقذفن في روعك أنك إذا استشرت الرجال ظهر منك للنّاس حاجتك إلىٰ رأي غيرك فيقطعك ذلك عن المشاورة، فإنك لا تريد الرأي للفخر، ولكن للانتفاع به، ولو أنك أردته للذكر، لكان أحسن الذكر عند العقلاء أن يقال: إنه لا ينفرد برأيه دون ذوي الرأي من إخوانه».

الفائدة الثامنة:

في نُبَذٍ مما قاله الشعراء في المشورة

قال الشاعر:

شاور صديقك في الخفيّ المشكل ... واقبل نصيحة ناصح متفضّل

فالله قد أوصىٰ بذاك نبيّه ... في قوله شاورهم وتوكّل

وقال آخر:

الرأي كالليل مسودّ جوانبه ... واللّيل لا ينجلي إلّا بإصباح

فاضمم مصابيح آراء الرّجال إلىٰ ... مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح

وقال الأرجاني:

شاور سواك إذا نابتك نائبة ... يومًا وإنْ كنت من أهل المشورات

فالعين تنظر منها ما دنا ونأىٰ ... ولا ترىٰ نفسها إلّا بمرآة

وقال آخر:

إذا كنت في حاجة مرسلًا ... فأرسل حكيمًا ولا توصّه

وإن ناب أمر عليك التوىٰ فشاور لبيبًا ولا تعصه
ونصّ الحديث إلىٰ أهله فإنّ الوثيقة في نصّه
إذا المرء أضمر خوف الإله تبيّن ذلك في شخصه

وقال بشار:

إذا بلغ الرأي النصيحة فاستعن بعزم نصيح أو مشورة حازم
ولا تجعل الشورىٰ عليك غضاضة فإنّ الخوافي عدة للقوادم

الفائدة التاسعة:

في معنى الصبر وفي الشواهد الّتي تناسب قوله عليه السّلام: «ألق عنك واردات الهموم بعزائم الصّبر».

قال المحقق الطوسي رحمه الله: «الصبر حبس النفس عن الجزع عند المكروه، وهو يمنع الباطن عن الاضطراب، واللسان عن الشكاية، والأعضاء عن الحركات غير المعتادة».

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وقال الراغب: «الصبر: الإمساك في ضيق، يقال: صبرت الدابة أي حبستها بلا علف، وصبرت فلانًا أي حلفته حلفة لا خروج له منها، والصبر حبس النفس علىٰ ما يقتضيه العقل والشرع، أو عمّا يقتضيان عنه، فالصبر لفظ عام وربّما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإنْ كان حبس النفس لمصيبة سمّي صبرًا لا غير، ويضاده الجزع، وإنْ كان في محاربة سمّي شجاعة ويضاده الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سمّي رحب الصدر، ويضاده الضجر، وإنْ كان في إمساك الكلام سمّي كتمانًا، ويضاده الإذاعة، وقد سمّى الله تعالىٰ كلّ ذلك صبرًا، ونبّه عليه بقوله: ﴿والصّابرين في البأساء والضّراءِ وحينَ البَأسِ﴾(١١٩) ﴿والصّابرينَ علىٰ مَا أصابَهُمْ﴾(١٢٠) ﴿والصّابرينَ

(١١٩) سورة البقرة ـ الآية ١٧٧.

والصَّابِراتِ﴾(١٢١). وسمّي الصوم صبرًا لكونه كالنوع له، وقوله: ﴿اصْبِروا وصَابِروا﴾(١٢٢) أي احبسوا أنفسكم على العبادة، وجاهدوا أهواءكم، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿واَصْطَبِرْ لِعبادَتِهِ﴾(١٢٣) أي تحمل الصبر بجهدك، وقوله ﴿أولَئِكَ يُجْزَونَ الغُرْفَةَ بِما صَبَرُوا﴾(١٢٤) أي بما تحملوه من الصبر في الوصول إلىٰ مرضاة الله.

إذا تقرر هٰذا فلنأت ببعض ما ورد عن المعصومين عليهم السّلام على الصبر فنقول: روي في الحديث الثاني عشر، من الباب ٤٧، من كتاب الكفر والإيمان، من الكافي ٩١، معنعنًا قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: سيأتي على النّاس زمان لا ينال الملك فيه إلّا بالقتل والتجبر، ولا الغنىٰ إلّا بالغصب والبخل، ولا المحبة إلّا باستخراج الدِّين(١٢٥) واتباع الهوىٰ، فمن أدرك ذلك الزمان فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنىٰ، وصبر على البغضة وهو يقدر على المحبّة، وصبر على الذلّ وهو يقدر على العزّ آتاه الله ثواب خمسين صدّيقًا ممن صدق بي». ورواه في البحار: ج ١٥، ص ١٤٥ عن عليّ عليه السّلام. وسأله جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله عن الإيمان. فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: الصبر والسماحة(١٢٦).

وفي الحديث الخامس عشر، من الباب، معنعنًا عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «الصبر ثلاثة، صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، ومن صبر على المصيبة حتىٰ يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة

---

(١٢٠) الآية ٣٥، من سورة الحج: ٢٢.

(١٢١) الآية ٣٥، من سورة الأحزاب: ٣٣.

(١٢٢) الآية ٢٠٠، من سورة آل عمران: ٣.

(١٢٣) الآية ٦٥، من سورة مريم: ١٩.

(١٢٤) الآية ٧٥، من سورة الفرقان: ٢٥.

(١٢٥) أي طلب خروج الدِّين من القلب، أو بطلب خروجهم من الدِّين.

(١٢٦) كما في شرح الخطبة ٢٢، من النهج من شرح ابن أبي الحديد: طبع بيروت، ج ١، ص ١٢٤.

درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء إلى الأرض، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلىٰ منتهى العرش». وقريب منه في باب الصبر، من البحار: ج ٢، من الباب ١٥، ص ١٤٥، نقلاً عن المجالس.

وروى ابن أبي الحديد، في شرح المختار ٢٢، من خطب النهج، عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم إنّه قال: «إنّ الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كلّه».

وقال عليّ عليه السّلام: «الصبر مفتاح الظفر، والتوكل على الله رسول الفرج».

وقال عليه السّلام: «انتظار الفرج بالصبر عبادة»(١٢٧).

وقال عليه السّلام: «لا يعدم الصبور الظفر وإنْ طال به الزمان». المختار١٥٣، من قصار نهج البلاغة. وفي المختار ٥٥ منها قال عليه السّلام: «الصبر صبران: صبر علىٰ ما تكره، وصبر عما تحبّ».

وقال عليه السّلام للأشعث بن قيس: «إنْ صبرت جرىٰ عليك القدر وأنت مأجور، وإنْ جزعت جرىٰ عليك القدر وأنت مأزور ..»، المختار ٢٩١، من قصار النهج وغيره.

وتواتر عنه عليه السّلام: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فلا خير في إيمان لا صبر معه، كما إنّه لا خير في جسد لا رأس معه».

ونقل أبي الحديد، في شرح المختار ٢٢، من خطب النهج أنّه قال عليه السّلام: «الصبر إمّا صبر على المصيبة، أو على الطاعة أو عن المعصية»(١٢٨).

وعنه عليه السّلام: «الحياء زينة، والتقوىٰ كرم، وخير المراكب مركب

(١٢٧) رواها ابن أبي الحديد، في شرح الخطبة المشار إليها مع كلم أخرىٰ مذكورة في النهج وفي كنز الفوائد.

(١٢٨) وهٰذا مروي عنه وعن الأئمة من ولده عليهم السّلام من طريقنا أيضًا.

الصبر».

وعنه عليه السّلام: «القناعة سيف لا ينبو، والصبر مطيّة لا تكبو، وأفضل العدّة الصبر على الشدّة».

وسئل عليه السّلام: «أي شيء أقرب إلى الكفر؟ قال: ذو فاقة لا صبر له».

وقال عليه السّلام: «الصبر يناضل الحدثان، والجزع من أعوان الزمان».

وفي باب الصبر. من البحار: ج ٢، الباب ١٥، ص ١٤٦، مرسلًا عن التمحيص قال: «قال أمير المؤمنين عليه السّلام: إنّ للنكبات غايات لابدّ أنْ تنتهي إليها، فإذا حكم على أحدكم بها فليطأطئ لها ويصبر حتّىٰ يجوز، فإنّ أعمال الحيلة فيها عند اقبالها زائد في مكروهها». وهٰذا الكلام نقلناه في الباب الخامس، من نهج السعادة، من طرق أخرىٰ أيضًا. وكلامه عليه السّلام في هٰذا المعنىٰ وأشباهه أكثر من أنْ يحصىٰ.

وقال الإمام المجتبىٰ عليه السّلام: «الحمد لله الّذي لو كلف [كلفنا «خ»] الجزع على المصيبة لصرنا إلىٰ معصيته، وآجرنا على الصبر الّذي لابدّ من الرجوع إليه»(١٢٩).

وقال عليه السّلام: «جرّبنا وجرّب المجرّبون فلم نر شيئًا أنفع وجدانا ولا أضرّ فقدانًا من الصبر، نداوي به الأمور، ولا يدواىٰ هو بغيره». رواه في شرح المختار ٢٢، من خطب النهج، من شرح ابن أبي الحديد: طبعة بيروت، ج ١، ص ١٢٣.

وقال الإمام السجاد عليه السّلام: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له». الحديث الرابع، من باب الصبر، من أصول

(١٢٩) جاويدان خرد: (الحكمة الخالدة) لابن مسكويه رحمه الله، ص ١١٧. وقريب منه في شرح المختار ١٤٤، من قصار النهج، من شرح ابن أبي الحديد إلّا إنّه قال: وكان الحسن يقول في قصصه: الحمد لله الّذي، الخ.

الكافي معنعنًا.

وفي الحديث الثالث عشر، من الباب معنعنًا، عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «لما حضرت أبي علي بن الحسين عليهما السّلام الوفاة ضمني إلىٰ صدره وقال: يا بُنَيّ أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة، وبما ذكر أنّ أباه أوصاه به: يا بُنَيّ إيّاك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلّا الله، يا بُنَيّ اصبر على الحق وإنّ كان مرًّا»(١٣٠).

وروي في البحار: ج ٢، من الباب ١٥، ص ١٤٥، عن المجالس، عن الإمام الرّضا عليه السّلام باسناده، عن علي بن الحسين عليه السّلام قال: «خمسة لو دخلتم فيهن لاصبرتموهن: لا يخاف عبد إلّا ذنبه، ولا يرجو إلّا ربّه، ولا يستحي الجاهل إذا سئل عمّا لا يعلم، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له».

وروىٰ ثقة الإسلام الكليني قدس سره، في الحديث السابع، من باب الصبر، من الكافي معنعنًا، عن الإمام الباقر عليه السّلام أنّه قال: «الجنة محفوفة بالمكاره والصبر، فمن صبر على المكاره في الدّنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات، فمن أعطىٰ نفسه لذتها وشهوتها دخل النار».

وفي الحديث الرابع عشر، من الباب معنعنًا، عنه عليه السّلام أنّه قال: «الصبر صبران: صبر على البلاء حسن جميل، وأفضل الصبرين الورع عن المحارم».

وفي الحديث ٢٢، من الباب معنعنًا قال عليه السّلام: «مروءة الصبر في حال الحاجة والفاقة، والتعفف والغنىٰ [والعناء «خ»] أكثر من مروءة الإعطاء».

---

(١٣٠) وهٰذا الحديث لم يذكره ثقة الإسلام رحمه الله بأجمعه في الباب المشار إليه. القطعة المتوسطة ذكرها في الحديث ٥، من باب الظلم. وروىٰ في الوافي: ط ٢، ج ٢، ص ٦٦، عن الصّدوق رحمه الله في من لا يحضره الفقيه، عن الثمالي قال قال أبو جعفر عليه السّلام: لما حضرت أبي الوفاة ضمني إلىٰ صدره وقال: «يا بُنَيّ اصبر على الحق وإنْ كان مرًّا توف أجرك بغير حساب».

وفي الحديث ٢٣، من الباب معنعنًا، عن جابر قال: «قلت لأبي جعفر عليه السّلام: يرحمك الله ما الصبر الجميل؟ قال: ذلك صبر ليس فيه شكوى النّاس».

وفي الحديث ٢٤، من الباب معنعنًا، عن أبي النعمان، عن أبي عبد الله ـ أو أبي جعفر عليهما السّلام ـ قال: من لا يعد الصبر لنوائب الدهر يعجز.

وفي باب الصبر، من البحار: ج ٢، الباب ١٥، ص ١٤٤، معنعنًا عن الخصال، عن الثمالي، عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «العبد بين ثلاثة: بلاء وقضاء ونعمة، فعليه في البلاء من الله الصبر فريضة، وعليه في القضاء من الله التسليم فريضة، وعليه في النعمة من الله الشكر فريضة».

وفي الباب أيضًا، ص ١٤٦، نقلًا عن مشكاة الأنوار قال: «قال الإمام الباقر عليه السّلام: من صبر واسترجع، وحمد الله عن المصيبة، فقد رضي بما صنع الله، ووقع أجره على الله، ومن لم يفعل ذلك جرىٰ عليه القضاء وهو ذميم، وأحبط الله أجره».

وفيه ص ١٤٥، نقلًا عن المجالس: سئل محمد بن علي عليه السّلام عن الصبر الجميل، فقال: شيء لا شكوىٰ فيه، ثم قال: وما في الشكوىٰ من الفرج فإنما هو يحزن صديقك، ويفرح عدوك.

وقال الإمام الصادق عليه السّلام لأصحابه: «عليكم بالصبر، فإنَّ به يأخذ الحازم، وإليه يعود الجازع»[١٣١]. (الحكمة الخالدة) لابن مسكويه رحمه الله ص ١١٧.

وفي الحديث الأوّل، من الباب ٤٧، من كتاب الإيمان والكفر، من الكافي: ج ٢، ص ٨٧، معنعنًا عنه عليه السّلام: «الصبر رأس الإيمان».

---

(١٣١) وفي شرح المختار ١٤٤، من قصار النهج، ص ٤١٨، قال ابن أبي الحديد: وكان أمير المؤمنين عليه السّلام يقول عند التعزية: «عليكم بالصبر فإنَّ به يأخذ الحازم، ويعود إليه الجازع».

وفي الحديث الثاني، من الباب معنعنًا، قال عليه السّلام: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان».

وفي الحديث الثالث، من الباب معنعنًا، عن حفص بن غياث، قال: «قال أبو عبد الله عليه السّلام: يا حفص إنّ من صبر صبر قليلًا، ومن جزع جزع قليلًا، ثم قال: عليك بالصبر في جميع أمورك، فإنّ الله عزّ وجلّ بعث محمدًا صلّى الله عليه وآله فأمره بالصبر والرفق فقال: ﴿واصبرْ علىٰ ما يقولون واهجرهم هجرًا جميلاً وذرني والمكذّبين أولي النّعمة﴾(١٣٢) وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿ادفع بالّتي هي أحسن السّيّئة فإذا الّذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم وما يلقّاها إلّا الّذين صبروا وما يلقّاها إلّا ذو حظّ عظيم﴾(١٣٣) فصبر رسول الله صلّى الله عليه وآله حتّىٰ نالوه بالعظائم ورموه بها(١٣٤)، فضاق صدره فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿ولقد نعلم انّك يضيق صدرك بما يقولون فسبّح بحمد ربّك وكن من السّاجدين﴾(١٣٥) ثم كذبوه ورموه فحزن لذلك فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿قد نعلم أنّه ليحزنك الّذي يقولون فإنّهم لا يكذّبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون، ولقد كذّبت رسل من قبلك فصبروا علىٰ ما كذّبوا واوذوا حتّىٰ أتاهم نصرنا﴾(١٣٦) فألزم النبي صلّى الله عليه وآله نفسه الصبر، فتعدوا فذكروا الله تبارك وتعالىٰ وكذبوه، فقال: قد صبرت في نفسي وأهلي وعرضي، ولا صبر لي علىٰ ذكر إلٰهي، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ولقد خلقنا السّمٰوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسّنا من لغوب فاصبر علىٰ

---

(١٣٢) الآيتان ١٠ و ١١، من سورة المزمل: ٧٣. والهجر الجميل هو أنّ يجانبهم ويداريهم ولا يكافيهم ويكل أمرهم إلى الله تعالىٰ.

(١٣٣) الآيتان ٣٤ و ٣٥، من سورة فصلت: ٤١.

(١٣٤) قيل: المراد من العظائم: الكذب والجنون والسحر.

(١٣٥) الآيتان ٩٧ و ٩٨، من سورة الحجر: ١٥.

(١٣٦) الآيتان ٣٣ و ٣٤، من سورة الأنعام: ٦.

ما يقولون﴾(١٣٧) فصبر النبيّ صلّى الله عليه وآله في جميع أحواله، ثم بشر في عترته بالأئمة ووصفوا بالصبر فقال جلّ ثناؤه: ﴿وجعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾(١٣٨) فعند ذلك قال صلّى الله عليه وآله: «الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد»، فشكر الله عزّ وجلّ له ذلك، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وتمّت كلمة ربّك الحسنىٰ علىٰ بني اسرائيل بما صبروا ودمّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾(١٣٩) فقال صلّى الله عليه وآله إنّه بشرىٰ وانتقام، فأباح الله عزّ وجلّ له قتال المشركين فأنزل الله: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كلّ مرصد﴾(١٤٠) وقال تعالىٰ ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾(١٤١) فقتلهم الله علىٰ يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله وأحبائه، وجعل له ثواب صبره مع ما ادخر له في الآخرة، فمن صبر واحتسب لم يخرج من الدنيا حتّىٰ يقر الله له عينه في أعدائه مع ما يدخر له في الآخرة». ورواه القمي أيضًا.

وروي في الوافي: ط ٢، ج ٢، ص ٦٥، عن الصّدوق رحمه الله في الفقيه قال، قال الصادق عليه السّلام: «الصبر صبران، فالصبر عند المصيبة حسن جميل، وأفضل من ذلك الصبر عمّا حرّم الله عزّ وجلّ ليكون لك حاجزًا». وقريب منه في باب الصبر من البحار: ج ٢ من الباب ١٥، ص ١٤٦، نقلًا عن التمحيص.

وفي الحديث الخامس، من باب الصبر، من الكافي معنعنًا عنه عليه السّلام: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان».

---

(١٣٧) الآيتان ٣٨ و ٣٩، من سورة ق: ٥٠.

(١٣٨) الآية ٢٤، من سورة السجدة: ٣٢.

(١٣٩) الآية ١٣٦، من سورة الأعراف: ٧.

(١٤٠) الآية ٥، من سورة التوبة: ٩.

(١٤١) الآية ١٩١، من سورة البقرة: ١٢١. ثقفه: صادفه أو أخذه أو ظفر به أو ادركه.

وفي الحديث الثامن، من الباب معنعنًا قال عليه السّلام: «إذا دخل المؤمن في قبره كانت الصلاة عن يمينه، والزكاة عن يساره، والبر مظل [مطل «خ»] عليه(١٤٢) ويتنحّى الصبر ناحية، فإذا دخل عليه الملكان الّلذان يليان مساءلته، قال الصبر للصلاة والزكاة والبر: دونكم صاحبكم، فإنْ عجزتم عنه فأنا دونه». ورواه في باب الصبر من البحار: ج ٢، من الباب ١٥، ص١٤٥، عن ثواب الأعمال معنعنًا.

وفي الحديث السابع عشر، من الباب معنعنًا، عنه عليه السّلام قال: «من ابتلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه، كان له مثل أجر ألف شهيد».

وفي باب الصبر، من البحار: ج ٢، الباب ١٥، ص ١٤٦، نقلًا عن التمحيص، عن ابن أبي عمير قال قال أبو عبد الله عليه السّلام: «اتقوا الله واصبروا، فإنّه من لم يصبر أهلكه الجزع، وإنما هلاكه في الجزع، إنّه إذا جزع لم يؤجر».

وفيه مرسلًا، نقلًا عن مشكاة الأنوار، قال وقال أبو عبد الله عليه السّلام: «المؤمن يطبع على الصبر على النوائب».

وفيه ص ١٤٥، نقلًا عن المجالس معنعنًا قال عليه السّلام: «كم من صبر ساعة قد أورثت فرحًا طويلًا، وكم من لذة ساعة قد أورثت حزنًا طويلًا».

وفيه الحديث ٤٤، نقلًا عن مصباح الشريعة، قال قال الصادق عليه السّلام: «الصبر يظهر ما في بواطن العباد من النور والصفاء، والجزع يظهر ما في بواطنهم من الظلمة والوحشة، والصبر يدعيه كلّ أحد، ولا يثبت عنده إلّا المخبتون، والجزع ينكره كلّ أحد، وهو أبين على المنافقين، لأنَّ نزول المحنة والمصيبة يخبر عن الصادق والكاذب.

وتفسير الصبر: ماء يستمر مذاقه، وما كان عن اضطراب لا يسمّىٰ صبرًا. وتفسير الجزع: اضطراب القلب، وتحزن الشخص، وتغير السكون، وتغير الحال،

(١٤٢) يقال: اطل عليه أي أشرف عليه.

وكل نازلة خلت أوائلها من الإخبات والإنابة والتضرع إلى الله تعالىٰ فصاحبها جزوع غير صابر، والصبر ماء أوّله مرّ، وآخره حلو، من دخله من أواخره فقد دخل، ومن دخله من أوائله فقد خرج، ومن عرف قدر الصبر، لا يصبر عمّا منه الصبر...».

وفي الحديث الأخير، من باب الصبر، من البحار: ج ٢، الباب ١٥، ص ١٤٧، معنعنًا عن كتاب المؤمن، عن أحدهما عليهما السّلام قال: «ما من أحد يبليه الله عزّ وجلّ ببلية فصبر عليها إلّا كان له أجر ألف شهيد».

وفي الحديث العاشر، من باب الصبر، من الكافي: ج ٢، ص ٩٠ معنعنًا، عن سماعة بن مهران، عن أبي الحسن عليه السّلام، قال قال لي: «ما حبسك عن الحج؟ قال قلت له جعلت فداك، وقع عليّ دين كثير وذهب مالي، وديني الّذي قد لزمني هو أعظم من ذهاب مالي، فلولا إنّ رجلًا من أصحابنا أخرجني ما قدرت أنْ أخرج. فقال لي: ان تصبر تغتبط، وإلّا تصبر ينفذ الله مقاديره راضيًا كنت أم كارهًا».

وقال الحسن بن شاذان الواسطي رحمه الله: «كتبت إلى الإمام الرّضا عليه السّلام أشكو جفاء أهل واسط وحملهم عليّ، وكانت عصابة من العثمانية تؤذيني، فوقع عليه السّلام بخطه: إنّ الله جلّ ذكره أخذ ميثاق أوليائنا على الصبر في دولة الباطل، فاصبر لحكم ربّك، فلو قد قام سيد الخلق لقالوا يا ولينا من بعثنا من مرقدنا. وقال عليه السّلام: المصيبة للجازع اثنتان، وللصابر واحدة». الأنوار البهية.

وقال رجل للإمام الجواد عليه السّلام: «عظني يابن رسول الله. فقال له أتقبل؟ قال نعم. فقال عليه السّلام: توسد الصبر، واعتنق الفقر، وارفض الشهوات، وخالف الهوىٰ، واعلم انك لن تخلو من عين الله فانظر كيف تكون».

الفائدة العاشرة:

في بعض ما روي عن الحكماء والملوك والعظماء من التوصية بالصبر.

قال بعض الحكماء: إنك لن تنال القليل مما تحبّ إلّا بالصبر على الكثير مما تكره.

وقال آخر: «بالصبر علىٰ مرارة العاجل ترجىٰ حلاوة الآجل».

وقال آخر: «أفضل العدّة، الصبر على الشدّة».

وقال آخر، «الصبر كاسمه، وثمرته ثمرته».

وكتب رجل إلىٰ أخيه: «الصبر مجنة المؤمن، وسرور الموقن، وعزيمة المتوكل، وسبب درك الحاجة، وإنما يوفى الصابرون أجورهم بغير حساب».

وقال ارسطاطاليس في الحكم الّتي علّمها وكتبها للإسكندر: «لا ينبغي للعاقل أنْ يحزن لأمرين: إمّا أن يكون ما أتاه من المكروه له مدفع فيحتال له بقلب غير مشغول بحزن، وإنْ لم ير لما أتاه وجهًا ولا مدفعًا ألزم قلبه الحيلة للصبر..».

وقال أوشهنج في وصيّته لولده وللملوك: «واعلم أنّ التمتع في أيام طويلة يوجد بالصبر علىٰ أيام قليلة؛ الغنى الأكبر في ثلاثة أشياء: نفس عالمة تستعين بها علىٰ دينك، وبدن صابر تستعين به في طاعة ربّك، وتتزود به لمعادك وليوم فقرك، وقناعة بما رزق الله باليأس عمّا عند النّاس ـ إلىٰ أنْ قال ـ: الكمال في ثلاث: الفقه في الدِّين، والصبر على النوائب، وحسن التقدير في المعيشة؛ ويستدل علىٰ تقوى المرء بثلاث: التوكل فيما لم ينل، وحسن الرّضا بما قد نال، وحسن الصبر عما فات؛ ذروة الإيمان أربع خلال: الصبر للحكم، والرّضا بالقدر، والإخلاص بالتوكل، والإستسلام للربّ».

ومن كلامهم: «الصبر مرٌّ لا يتجرّعه إلّا حرٌّ».

وقال أعرابي: «كن حلو الصبر عند مرارة النازلة».

وقال كسرىٰ لبزرجمهر: «ما علاقة الظفر بالأمور المطلوبة المستصعبة؟ قال: ملازمة الطلب، والمحافظة، وكتمان السر».

وقال الأحنف: «لست حليمًا إنما أنا صبور، فأفادني الصبر صفتي بالحلم.

وقيل له: إنك شيخ ضعيف، وإنّ الصيام يهدك. فقال: إني أعده لشرّ يوم طويل، وإنّ الصبر علىٰ طاعة الله أهون من الصبر علىٰ عذاب الله».

ومن كلامه: «من لم يصبر علىٰ كلمة سمع كلمات».

وقال أيضًا: «ربّ غيظ قد تجرعته مخافة ما هو أشد منه».

وقال يونس بن عبيد: «لو أمرنا بالجزع لصبرنا».

وقال ابن السماك: «المصيبة واحدة، فإنْ جزع صاحبها منها صارت اثنتين. يعني: فقد المصاب، وفقد الثواب».

وقال الحارث المحاسبي: «لكل شيء جوهر، وجوهر الإنسان العقل، وجوهر العقل الصبر».

وقال أكثم بن صيفي: «الصبر علىٰ جرع الحمام أعذب من جني الندم».

ومن كلام بعض الزهاد:«واصبر علىٰ عمل لا غناء بك عن ثوابه، واصبر علىٰ عمل لا صبر علىٰ عقابك به».

وكتب ابن العميد: «أقرأ في الصبر سورًا، ولا أقرأ في الجزع آية، وأحفظ في التماسك والتجلد قصائد، ولا أحفظ في التهافت قافية».

ووصف الحسن البصري عليًا عليه السّلام فقال: «كان لا يجهل، وإنْ جهل عليه حلم ولا يظلم، وإن ظلم غفر، ولا يبخل، وإنْ بخلت الدّنيا عليه صبر».

وقال بعضهم: «من تبصر تصبر، الصبر يفسح الفرج، ويفتح المرتّج، المحنة إذا تلقيت بالرّضا والصبر كانت نعمة دائمة؛ والنعمة إذا خلت من الشكر كانت محنة لازمة».

قيل لأبي مسلم صاحب الدولة: «بمَ أصبت ما أصبت؟ قال: ارتديت بالصبر، واتزرت بالكتمان، وحالفت الحزم، وخالفت الهوىٰ، ولم أجعل العدو صديقًا، ولا الصديق عدوًّا».

وحكي أنّ كسرىٰ سخط علىٰ بزرجمهر، فحبسه في بيت مظلم، وأمر أنْ يصفد بالحديد، فبقي أيامًا علىٰ تلك الحال، فأرسل إليه من يسأله عن حاله، فإذا هو منشرح الصدر مطمئن النفس، فقالوا له: أنت في هٰذه الحالة من الضيق، ونراك ناعم الحال! فقال: صنعت ستة أخلاط وعجنتها واستعملتها فهي الّتي أبقتني علىٰ ما ترون. قالوا صف لنا هٰذه الأخلاط، لعلنا ننتفع بها عند البلوىٰ. فقال: نعم، أمّا الخلط الأوّل فالثقة بالله عزَّ وجلَّ، وأمّا الثاني فكلّ مقدر كائن، وأمّا الثالث فالصبر خير ما استعمله الممتحن، وأمّا الرابع فإذا لم اصبر فماذا أصنع، ولا أعين علىٰ نفسي بالجزع، وأمّا الخامس فقد يكون أمر أشد ممّا أنا فيه، وأمّا السادس فمن ساعة إلىٰ ساعة فرج. فبلغ ما قاله كسرىٰ فأطلقه وأعزّه.

الفائدة الحادية عشرة:

في بعض ما يناسب المقام من الأشعار.

نسب إلىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام:

تردّ رداء الصّبر عند النوائب تنل من جميل الصّبر حسن العواقب
وكن حافظًا عهد الصّديق وداعيًا تذق من كمال الحفظ صفو المشارب
وكن صاحبًا للحلم في كلّ مشهد فما الحلم إلّا خير خدن وصاحب

وفي المختار ٢٧، من باب الراء، من الديوان المنسوب إليه عليه السّلام:

اصبر قليلًا فبعد العسر تيسير وكلّ أمر له وقت وتدبير
وللمهيمن في حالاتنا نظر وفوق تدبيرنا لله تدبير

وفي باب الهمزة من الديوان:

هي حالان شدّة ورخاء وسجالان نعمة وبلاء
والفتى الحاذق الأديب إذا ما خانه الدّهر لم يخنه العزاء

إنّ ألّمت ملمّة بي انّي | في الملمات صخرة صماء
صابر في البلاء علمًا بأن | ليس يدوم النّعيم والبلواء

وروى ابن الشيخ الطوسي رحمه الله في الحديث الأخير، من المجلس ٤٠، من الأمالي ٧٩، أنّه عليه السّلام قال:

صبرت علىٰ مر الأمور كراهة | وأيقنت في ذاك الصّواب من الأمر
إذا كنت لا تدري ولم تك سائلًا | عن العلم من يدري جهلت ولا تدري

ونسب إليه عليه السّلام في المختار الثالث، من باب الراء من الديوان:

إذا شئت أنْ تستقرض المال منفقًا | علىٰ شهوات النّفس في زمن العسر
فسل نفسك الإنفاق من كنز صبرها | عليك وانظارًا إلىٰ زمن اليسر
فإنْ سمحت كنت الغني وإنْ أبت | فكلّ منوع بعدها واسع العذر

وفي المختار الثامن، من حرف الباء، نقلًا عن كتاب الفرج بعد الشدة:

إنّي أقول لنفسي وهي ضيقة | وقد أناخ عليها الدّهر بالعجب
صبرًا علىٰ شدّة الأيام إنّ لها | عقبىٰ وما الصّبر إلّا عند ذي حسب
سيفتح الله عن قرب بنافعة | فيها لمثلك راحات من التعب

وفي المختار الثامن عشر، من حرف الميم، نقلًا عن الكتاب:

فما نوب الحوادث باقيات | ولا البؤسىٰ تدوم ولا النّعيم
كما يمضي سرورك وهو جمّ | كذلك ما يسوؤك لا يدوم
فلا تهلك علىٰ ما فات وجدًا | ولا تفروك بالأسف الهموم

وفي المختار التاسع عشر، من حرف اللام من الديوان:

يمثل ذو العقل في نفسه | مصائبه قبل أنْ تنزلا
فإنْ نزلت بغتة لم يرعْ | لما كان في نفسه مثلا
رأى الأمر يفضي إلىٰ آخر | فصير آخره أوّلا

وذو الجـهل يأمـن [يهمل خ] أيـامه ويـنسىٰ مصارع [مصائب خ] من قد خلا
فـإنْ بـدهته صروف الزمـان بـبعض مـصائبه اعـولا
ولو قـدم الحـزم في نـفسه لعـلمه الصـبر عـند البـلاء

ورویٰ في البحار: ج ١٧، ص ١٧٢، السطر الأخير: أنّ رجلاً من التجار كان يختلف إلىٰ جعفر بن محمد، وكان يخالطه ويعرفه بحسن حاله، فتغيرت حاله فجعل يشكو إلى الصادق عليه السّلام، فقال له:

فلا تجزع وإنْ أعسرت يومًا فقد أيسرت في زمن طـويل
ولا تيأس فـإنَّ اليأس كـفر لعـل الله يـغني عـن قـليل
ولا تظنّن بـربّك ظـنّ سـوء فـإنّ الله أولىٰ بـالجميل

وقال الشاعر:

اصبر لدهـر نـال مـنك فـهكذا مـضت الدهـور
فـرج وحـزن مـرّة لا الحزن دام ولا السرور

وقال ديك الجن:

من كان يبغي الذّلّ في دهـره فـليطلع النّـاس عـلىٰ فـقره
مـا للـفتىٰ إنْ عـضّه دهـره مـؤمّل أكـرم مـن صـبره

وقال آخر:

هي النّفس مـا حمـلتها تـتحمّل ولـلـدّهر أيـام تجور وتـعدل
وعـاقبة الصـبر الجـميل جـميلة وأفضل أخلاق الرجال التـحمّل

وقال آخر:

لا تـعتبنّ عـلى النّـوائب فالدّهر يرغم كلّ عـاتب
واصـبر عـلىٰ حـدثانه إنّ الأمـور لهـا عـواقب
كـم نـعمة مـطويّة لك بـين أثـناء النـوائب

ومسرّة قد أقبلت   من حيث تنتظر المصائب

وقال الأعشىٰ:

إنْ نلت لم أفرح بشيء نلته   وإذا سبقت به فلا أتلهف
ومتىٰ تصبك من الحوادث نكبة   فاصبر فكلّ غيابة تتكشف

وقال العتابي:

اصبر إذا بدهتك نائبة   ما عال منقطع إلى الصّبر
الصّبر أولىٰ ما اعتصمت به   ولنعم حشو جوانح الصّدر

وقال آخر:

ويوم كيوم البعث ما فيه حاكم   ولا عاصم إلّا قنا ودروع
حبست به نفسي علىٰ موقف الردىٰ   حفاظًا وأطراف الرماح شروع
وما يستوي عند الملمّات إنْ عرت   صبور علىٰ مكروهها وجزوع

وقال أبو حية النميري:

إني رأيت وفي الأيام تجربة   للصّبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في أمر يحاوله   واستصحب الصّبر إلّا فاز بالظفر

وقال عبد العزيز الكلابي:

قد عشت في الدهر أطوارًا علىٰ طرق   شتّى فقاسيت منه الحلو والبشعا
كلا بلوت فلا النعماء تبطرني   ولا تخشعت من لأوائها جزعا
لا يملأ الأمر صدري قبل موقعه   ولا يضيق به صدري إذا وقعا

وقال النمري في الرشيد:

وليس لأعباء الأمور إذا عرت   بمكترث لكن لهن صبور
يرىٰ ساكن الأطراف باسط وجهه   يريك الهوينا والأمور تطير

وقال نهشل بن حرى:

ويــــوم كأن المــصطلين بحــره وإن لم يكن جمرًا قــيام عــلىٰ جمـر
صــبرنا له حــتّىٰ تجــلىٰ وإنّمــا تــفرج أيــام الكــريهة بــالصّبر

الفائدة الثانية عشرة

في الآثار الدالة علىٰ وجوب اللجأ والاعتصام بالله المناسبة لقوله عـليه السّلام: «وألجئ نفسك في الأمور كلّها إلى الله الواحد القهّار، الخ».

فعن ثقة الإسلام الكليني رحمه الله، في الحديث الأوّل، من باب التفويض إلى الله، معنعنًا عن الإمام الصادق عليه السّلام قال: «أوحى الله عزّ وجلّ إلىٰ داود عليه السّلام: ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي، عرفت ذلك من نيته ثم تكيده السماوات والأرض ومن فيهن إلّا جعلت له المخرج من بينهن، وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي، عرفت ذلك مـن نـيته إلّا قطعت أسباب السماوات والأرض من يديه، وأسخت(١٤٣) الأرض من تحته، ولم أبالِ بأي واد هلك». ورواه في الباب العاشر، من أبـواب جـهاد النـفس، مـن المستدرك، من مشكاة الأنوار.

وفي الحديث التاسع، مـن البـاب الحـادي عـشر، مـن الكـتاب: ج ٢، ص٢٨٨، عن لب اللباب، عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «من توكل وقنع ورضي كفي المطلب».

وفي الحديث العاشر وما يليه منه قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «مـن أصابته فاقة فأنزلها بالنّاس لم يسدوا فاقتها، ومن أنزلها بالله أوشك الله له الغنىٰ، إما موتًا عاجلًا أو غنًى آجلاً».

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لو توكلتم على الله حقّ توكله، لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا».

---

(١٤٣) من الإساخة، بمعنى الخسف.

ورأىٰ صلّى الله عليه وآله وسلّم قومًا لا يزرعون، قال ما أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون، قال: لا. بل أنتم المتأكلون «ظ».

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا تتكل إلىٰ غير الله فيكلك الله إليه، ولا تعمل لغير الله فيجعل ثوابك عليه».

وروى الشيخ الطوسي رحمه الله، في الأمالي معنعنًا، عن محمد بن عجلان، قال: «أصابتني فاقة شديدة واضاقة، ولا صديق لمضيق، ولزمني دين ثقيل وغريم يلج باقتضائه، فتوجهت نحو دار الحسن بن زيد، وهو يومئذ أمير المدينة لمعرفة كانت بيني وبينه، وشعر بذلك من حالي محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين، وكان بيني وبينه قديم معرفة، فلقيني في الطريق فأخذ بيدي، وقال لي قد بلغني ما أنت بسبيله، فمن تؤمل لكشف ما نزل بك؟ قلت الحسن بن زيد، فقال إذا لا تقضىٰ حاجتك، ولا تسعف بطلبتك، فعليك بمن يقدر علىٰ ذلك، وهو أجود الأجودين، فالتمس ما تؤمله من قبله، فإني سمعت ابن عمي جعفر بن محمد يحدث عن أبيه، عن جده، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليهم السّلام، عن النبي صلّى الله عليه وآله قال: أوحى الله إلىٰ بعض أنبيائه، في بعض وحيه إليه: وعزتي وجلالي لأقطعن أمل كل مؤمل غيري بالاياس ولأكسونه ثوب المذلة في النار، ولأبعدنه من فرجي وفضلي، أيؤمل عبدي في الشدائد غيري والشدائد بيدي، أو يرجو سواي وأنا الغني الجواد، بيدي مفاتيح الأبواب، وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني، ألم يعلم أنّ ما دهته نائبة لم يملك كشفها عنه غيري، فمالي أراه بأمله معرضًا عني، قد أعطيته بجودي وكرمي ما لم يسألني، فأعرض عني ولم يسألني وسأل في نائبته غيري وأنا الله أبتدئ بالعطية قبل المسألة، أفأسأل فلا أجيب، كلا! أو ليس الجود والكرم لي، أو ليس الدّنيا والآخرة بيدي، فلو إنّ أهل سبع سماوات وأرضين سألوني جميعًا، فأعطيت كلّ واحد منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكي مثل جناح بعوضة، وكيف ينقص ملك أنا قيّمه فيا بؤس لمن عصاني ولم يراقبني.

فقلت له: يابن رسول الله أعد عليّ هٰذا الحديث، فأعاده ثلاثًا، فقلت لا والله، لا

سألت أحدًا بعد هٰذا حاجة، فما لبثت أنْ جاءني الله برزق وفضل من عنده».

وفي الحديث ١٤، من الباب ١١، من أبواب جهاد النفس، من المستدرك، ط ١، ج ٢، ص ٢٨٩، عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «قضى الله علىٰ نفسه أنّه من آمن به هداه، ومن اتقاه وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن أقرضه أغناه، ومن وثق به أنجاه، ومن التجأ إليه آواه، ومن دعاه أجابه ولباه، وتصديقها من كتاب الله ﴿وَمَنْ يؤمِنْ باللهِ يهدِ قلبه﴾(١٤٤) ﴿وَمَنْ يتّقِ اللهَ يجعلْ لهُ مخرجًا﴾(١٤٥) ﴿وَمَنْ يَتَوكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُه﴾(١٤٦) ﴿مَنْ ذا الّذي يقرضُ اللهَ قرضًا حسنًا فيضاعفه﴾(١٤٧) ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بالله فَقَدْ هُدِي﴾(١٤٨) ﴿وأنيبوا إلىٰ رَبّكم﴾(١٤٩) ﴿وَإذا سألك عبادي﴾(١٥٠)».

وفي الحديث السابع، من باب التوكل، من الكافي معنعنًا، عن الحسين بن علوان قال: «كنا في مجلس نطلب فيه العلم، وقد نفدت نفقتي في بعض الأسفار، فقال لي بعض أصحابنا: من تؤمل لما قد نزل بك؟ فقلت فلانًا. فقال إذًا والله لا تسعف حاجتك(١٥١)، ولا يبلغك أملك، ولا ينجح طلبتك. قلت: وما علمك رحمك الله؟ قال: إنّ أبا عبد الله عليه السّلام حدثني أنّه قرأ في بعض الكتب: أنّ الله تبارك وتعالىٰ يقول: وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي علىٰ عرشي لأقطعن أمل كل مؤمل [من النّاس] غيري باليأس، ولأكسونّه ثوب المذلّة عند

---

(١٤٤) الآية ١١، من سورة التغابن: ٦٤.

(١٤٥) الآية ٢، من سورة الطلاق: ٦٥.

(١٤٦) الآية ٣، من سورة الطلاق: ٦٥.

(١٤٧) الآية ١١، من سورة الحديد: ٥٧.

(١٤٨) الآية ١٠١، من سورة آل عمران: ٣.

(١٤٩) الآية ٥٤، من سورة الزمر: ٣٩.

(١٥٠) الآية ١٨٦، من سورة البقرة: ٢.

(١٥١) أسعف حاجته أي قضاها له. وفي بعض النسخ: لا يسقف، وفي أكثرها لا تسعف. وكذا قوله: لا تنجح، فيهما بالتاء علىٰ بناء المفعول، وبالياء على الفاعل، والنجاح: الفوز والوصول بالبغية.

النّاس، ولأنحينّه(١٥٢) من قربي ولأبعدنّه من فضلي، أيؤمل غيري في الشدائد، والشدائد بيدي، ويرجو غيري، ويقرع بالفكر باب غيري، وبيدي الأبواب وهي مغلقة، وبابي مفتوح لمن دعاني، فمن ذا الّذي أمّلني لنوائبه فقطعته دونها ومن ذا الّذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه مني، جعلت آمال عبادي عندي محفوظة، فلم يرضوا بحفظي وملأت سماواتي ممن لا يملّ من تسبيحي، وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي، ألم يعلم أنّ من طرقته نائبة من نوائبي إنّه لا يملك كشفها أحد غيري إلّا من بعد إذني، فمالي أراه لاهيًا عني، أعطيته بجودي ما لم يسألني ثم انتزعته فلم يسألني رده وسأل غيري، أفيراني أبدأ بالعطاء قبل المسألة، ثم أسأل فلا أجيب سائلي، أبخيل أنا فيبخلني عبدي، أو ليس الجود والكرم لي، أو ليس العفو والرحمة بيدي، أو ليس أنا محل الآمال، فمن يقطعها دوني، أفلا يخشى المؤملون أنْ يؤملوا غيري، فلو أنّ أهل سماواتي وأهل أرضي أملوا جميعًا، ثم أعطيت كلّ واحد منهم مثل ما أمل الجميع، ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة، وكيف ينقص ملك أنا قيّمه فيا بؤسًا للقانطين من رحمتي، ويا بؤسًا لمن عصاني ولم يراقبني».

وفي الحديث الثامن، من الباب معنعنًا، عن سعد بن عبد الرحمن قال: «كنت مع موسىٰ بن عبد الله بينبع وقد نفدت نفقتي في بعض الأسفار، فقال لي بعض ولد الحسين: من تؤمّل لما قد نزل بك؟ فقلت: موسىٰ بن عبد الله. فقال: إذًا لا تقضىٰ حاجتك، ثم لا تنجح طلبتك قلت: ولمَ ذاك؟ قال: لأني قد وجدت في بعض كتب آبائي: أنّ الله عزّ وجلّ يقول: وعزّتي وجلالي ـ ثم ذكر ما في الحديث السابق ـ فقلت: يابن رسول الله أمل عليّ، فأملاه عليّ. فقلت: لا والله ما أسأله حاجة بعدها».

وفي كنز الفوائد قال قال لقمان لابنه: «يا بُنَيّ ثق بالله عزّ وجلّ، ثم سل في النّاس هل من أحد وثق بالله فلم ينجه، يا بُنَيّ توكل على الله، ثم سل في النّاس

(١٥٢) أي لأبعدنه ولأزيلنه.

من ذا الّذي توكل على الله فلم يكفه، يا بُنَيّ أحسن الظّن بالله ثمّ سل في النّاس من ذا الّذي أحسن الظّن بالله فلم يكن عند حسن ظنّه به».

وفي كتاب الاختصاص ط ٢، ص ٣٣٧، والمستدرك: ج ٢، ص ٢٨٩، عنه، عن الأوزاعي عن لقمان قال لابنه: «يا بُنَيّ من ذا الّذي عبد الله فخذله، ومن ذا الّذي ابتغاه فلم يجده، ومن ذا الّذي ذكره فلم يجده، ومن ذا الّذي توكل على الله فوكله إلىٰ غيره، ومن ذا الّذي تضرع إليه جلّ ذكره فلم يرحمه.

وعن مشكاة الأنوار وفقه الرّضا: أوحى الله تعالىٰ إلىٰ داود عليه السّلام: أنّه ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيته ثم تكيده السماوات والأرض ومن فيهنّ إلّا جعلت له المخرج من بينهن، وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي عرفت ذلك من نيّته، إلّا قطعت أسباب السماوات من بين يديه، وأسخت الأرض من تحته ولا أبالي في أي واد هلك». الحديث الثالث، من باب وجوب الاعتصام بالله، من مستدرك الوسائل: ج ٢، ص ٢٨٨.

وفي الحديث الخامس، من الباب مسنداً، عن صحيفة الرّضا، ومرسلًا عن روضة الواعظين، عن النبي صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «يقول الله عزّ وجلّ: ما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني إلّا قطعت أسباب السماوات والأرض دونه، فإنْ سألني لم أعطه، وإنْ دعاني لم أجبه، وما من مخلوق يعتصم بي دون خلق إلّا ضمنت السماوات والأرض رزقه، فإن سألني أعطيته، وإنْ دعاني أجبته، وإن استغفرني غفرت له». وذكره الشيخ الطوسي رحمه الله أيضًا معنعنًا في أماليه.

وفي الحديث السادس، من الباب مرسلًا، عن الراوندي في لب اللباب، عن النبي صلّى الله عليه وآله قال: يقول الله: «ما من عبد نزلت به بليّة فاعتصم بي دون خلقي إلّا أعطيته أن يسألني».

وفي الحديث الثالث، من الباب الحادي عشر، من الكتاب معنعنًا، عن أمالي الطوسي، عن أبي ذرّ قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يا أباذرّ إنْ

سرّك أنْ تكون أقوى النّاس فتوكّل على الله، وإنْ سرّك أن تكون أكرم النّاس فاتق الله عزَّ وجلّ، وإنْ سرّك أن تكون أغنى النّاس فكن بما في يدي الله عزَّ وجلَّ أوثق بما في يديك، يا أباذرّ لو أنّ النّاس كلهم أخذوا بهذه الآية لكفتهم: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ ٱللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾(١٥٣).

وقال أمير المؤ منين عليه السّلام: «من اعتصم بالله نجّاه».

وقال أيضًا: «من اعتصم بالله لم يضره شيطان».

وقال عليه السّلام: «اعتصم في أحوالك كلها بالله فإنّك تعتصم منه سبحانه بمانع عزيز، ألجئ نفسك في الأمور كلها إلى إلٰهك، فإنك تلجئها الىٰ كهف حريز». رواها بأجمعها في الحديث السابع، من الباب العاشر، من أبواب جهاد النفس، من المستدرك: ج ٢، ص ٢٨٨، عن الآمدي في الغرر.

وفي الحديث الأوّل، من الباب الحادي عشر، من الكتاب معنعنًا، بإسناده عن الجعفريات والمحاسن وقرب الإسناد، قال: «قال أمير المؤمنين عليه السّلام: الإيمان له أركان أربعة: التوكل على الله، والتفويض إليه، والتسليم لأمر الله، والرّضا بقضاء الله تعالىٰ».

وفي الحديث التاسع عشر، من الباب، عن الكراجكي رحمه الله في معدن الجواهر، قال: «قال أمير المؤمنين عليه السّلام: خصلة من عمل بها كان من أقوى النّاس. قيل: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: التوكل على الله عزّ وجلّ».

وفي الحديث الأخير، من الباب، نقلًا عن تفسير الشيخ أبي الفتوح رحمه الله قال: «مرّ أمير المؤمنين عليه السّلام يومًا علىٰ قوم فرآهم أصحاء جالسين في زاوية المسجد، فقال عليه السّلام من أنتم؟ قالوا نحن المتوكلون. قال عليه السّلام: لا، بل أنتم المتأكلة، فان كنتم متوكلين فما بلغ بكم توكلكم؟ قالوا: إذا وجدنا أكلنا، وإذا فقدنا صبرنا. قال عليه السّلام: هٰكذا تفعل الكلاب عندنا.

---

(١٥٣) الآيات ١ ـ ٣، من سورة الطلاق: ٦٥.

قالوا: فما نفعل؟ قال: كما نفعل. قالوا: كيف تفعل؟ قال عليه السّلام: إذا وجدنا بذلنا، وإذا فقدنا شكرنا».

وفي الحديث الخامس عشر، من الباب، عن السبط الشهيد عليه السّلام قال: «إنّ الغنىٰ والعزّ خرجا يجولان، فلقيا التوكّل فاستوطنا».

وفي الحديث الثاني، من باب التوكل، من الكافي معنعنًا، عن الإمام السجاد عليه السّلام قال: «خرجت حتّىٰ انتهيت إلىٰ هٰذا الحائط فاتكأت عليه، فإذا رجل عليه ثوبان أبيضان ينظر في تجاه وجهي، ثم قال: يا علي بن الحسين ما لي أراك كئيبًا حزينًا، أعلى الدّنيا فرزق الله حاضر للبر والفاجر؟ قلت: ما علىٰ هٰذا أحزن وإنّه لكما تقول. قال: فعلى الآخرة، فوعد صادق يحكم فيه ملك قاهر (قادر). قلت ما علىٰ هٰذا أحزن وإنّه لكما تقول. فقال: مِمَّ حزنك؟ قلت: ممّا نتخوف من فتنة ابن الزبير وما فيه النّاس. قال فضحك، ثم قال: يا علي بن الحسين هل رأيت أحدًا دعا الله فلم يجبه..»

وفي الحديث السابع، من الباب ١٠، من المستدرك، عن روضة الواعظين، قال: «قال الإمام الباقر عليه السّلام: من توكل على الله لا يغلب».

قال الإمام الصادق عليه السّلام: «قال إبليس: خمسة أشياء ليس لي فيهنّ حيلة، وسائر النّاس في قبضتي، من اعتصم بالله عن نيّة صادقة، واتكل عليه في جميع أموره» الخبر. رواه في الحديث الأوّل، من الباب العاشر، من أبواب جهاد النفس، من مستدرك الوسائل معنعنًا، عن كتاب الخصال.

وفي الحديث الرابع، من الباب الحادي عشر، من الكتاب، نقلًا عن مشكاة الأنوار، عن المحاسن، قال قال أبو عبد الله عليه السّلام: «إنّ الغنىٰ والعزّ يجولان، فإذا ظفرا بموضع التوكل أوطناه». ورواه في الحديث الثالث، من باب التوكل، من الكافي، بسندين، عن جماعة من أصحابنا عنه عليه السّلام.

وفي الحديث الرابع، من الباب، من الكافي، معنعنًا عنه عليه السّلام قال: «أيما عبد أقبل قبل ما يحب الله عزّ وجلّ، أقبل الله قبل ما يحب، ومن اعتصم

بالله عصمه الله، ومن أقبل الله قبله وعصمه لم يبال لو سقطت السماء على الأرض، أو كانت نازلة نزلت علىٰ أهل الأرض فشملتهم بليّة كان في حزب الله بالتقوىٰ من كل بليّة، أليس الله عزَّ وجلَّ يقول ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾(١٥٤) » ورواه في الحديث ٢، من الباب ١٠، من أبواب جهاد النفس، من المستدرك، عن مشكاة الأنوار، عن المحاسن.

وفي الحديث السادس، من الباب، من الكافي معنعنًا، عنه عليه السّلام قال: «من أعطي ثلاثًا لم يمنع ثلاثًا: من أعطي الدعاء أعطي الإجابة، ومن أعطي الشكر أعطي الزيادة، ومن أعطي التوكل أعطي الكفاية، ثم قال: أتلوت كتاب الله عزَّ وجلَّ ﴿وَمَنْ يتوكل على الله فهو حسبه﴾(١٥٥) وقال: ﴿لئن شكرتم لأزيدنّكم﴾(١٥٦) وقال: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾(١٥٧)».

وفي الحديث الخامس، من الباب معنعنًا، عن علي بن سويد، عن أبي الحسن الأوّل عليه السّلام، قال: «سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾. فقال: التوكل على الله درجات، منها أنْ تتوكل على الله في أمورك كلها، فما فعل بك كنت عنه راضيًا، تعلم أنّه لا يألوك خيرًا وفضلًا(١٥٨) وتعلم أنّ الحكم في ذلك له، فتوكل على الله بتفويض ذلك إليه، وثق به فيها وفي غيرها.» ورواه في باب التوكل، من البحار: ج ٢، الباب ١٥، ص ١٧، عن التمحيص مرسلًا.

وقال الإمام الجواد عليه السّلام: «كيف يضيع من الله كافله، وكيف ينجو من الله طالبه، ومن انقطع إلىٰ غير الله وكله الله إليه». ومن أراد الزيادة فعليه بباب التوكل، من البحار: ج ٢، من الباب ١٥، ص ١٤٧.

---

(١٥٤) الآية ٥١، من سورة الدخان: ٤٤.

(١٥٥) الآية ٣، من سورة الطلاق: ٦٥.

(١٥٦) الآية ٧، من سورة ابراهيم: ١٤.

(١٥٧) الآية ٦٠، من سورة غافر: ٤٠.

(١٥٨) الالو: التقصير، وإذا عدي إلىٰ مفعولين ضمن معنى المنع.

وقال عليه السّلام في هٰذه الوصيّة:

يَا بُنَيَّ الرِّزْقُ رِزقَانِ رِزْقٌ تَطْلُبُهُ وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فإنْ لَمْ تَأْتِهِ أتَاكَ(١٥٩) فَلا تَحْمِلْ هَمَّ سَنَتِكَ عَلىٰ هَمِّ يَومِكَ، وَكَفاكَ كُلُّ يَومٍ مَا هُوَ فِيهِ، فإنْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فَإنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيُؤتِيكَ في كُلِّ غَدٍ بِجَدِيدِ ما قَسَمَ لَكَ، وَإنْ لَمْ تَكُنِ السَّنَةُ مِن عُمُرِكَ فَما تَصنَعُ بِغَمٍّ وَهَمٍّ مَا لَيسَ لَكَ.

وَاعْلَمْ أنَّهُ لَنْ يَسْبِقَكَ إلىٰ رِزقكَ طالِبٌ، وَلَنْ يَغْلِبَكَ عَلَيهِ غالِبٌ، وَلَنْ يُحْتَجَبَ عَنْكَ مَا قُدِّرَ لَكَ فَكَمْ رَأيْتَ مِنْ طَالِبٍ مُتْعِبٍ نَفْسَهُ، مُقْتَرٍ عَلَيهِ رِزْقُهُ، وَمُقْتَصِدٍ في الطَّلَبِ قَدْ ساعَدَتْه المَقادِيرُ، وَكُلٌّ مَقْرُونٌ بِهِ الفَناءُ، اليَومَ لَكَ وَأنْتَ مِنْ بُلُوغِ غَدٍ عَلىٰ غَيرِ يَقِينٍ، وَلَرُبَّ مُسْتَقْبِلٍ يَوماً لَيسَ بِمُسْتَدْبِرِهِ، وَمَغْبوطٍ في أوَّلِ لَيلِهِ قامَ فِي آخِرِها بَواكِيهِ، فَلايَغُرَّنَّكَ مِنَ اللهِ طُولُ حُلُولِ النِّعَمِ، وَإبْطاءُ مَوارِدِ النِّقَمِ، فَإنَّهُ لَو خَشِيَ الفَوْتَ، عاجَلَ بِالعُقُوبَةِ قَبْلَ المَوتِ.

يا بُنَيَّ اقبَلْ مِنَ الحُكَماءِ مَواعِظَهُمْ، وَتَدَبَّرْ أحْكامَهُمْ، وَكُن آخَذَ النَّاسِ بِما تَأمُرُ بِهِ وَأكفَّ النَّاسِ عَمّا تَنْهىٰ عَنْهُ، وَأمُرْ بِالمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أهْلِهِ، فَإنَّ اسْتِتْمامَ الأُمُورِ عِنْدَ اللهِ تَبارَكَ وَتَعالى الأمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهيُ عَنِ المُنْكَرِ(١٦٠) وَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ فإنَّ الفُقَهاءَ وَرَثَةُ الأنْبياءِ(١٦١) إنَّ الأنبياءَ لَمْ

---

(١٥٩) وقريب منه في المختار ٢٦٧ و ٢٧٩، من قصار النهج، وكذلك في وصيّته عليه السّلام إلى الإمام المجتبي عليه السّلام، بل هٰذا أيضًا مما تواتر عنه عليه السّلام.

(١٦٠) أي إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من متمّمات المصالح التشريعية والتكاليف الجعلية، فإنّ كل فرد من أفراد المكلفين يتوقف تحصيل مصالحه أولًا وبالذات على الإتيان بما هو وظيفته الشخصية وتكليفه الفردي، فإذا امتثله وخرج عن عهدته، فقد

←

يُوَرِّثُوا دِينارًا وَلا دِرْهَمًا(١٦٢) وَلٰكِنَّهُمْ وَرَّثُوا العِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ مِنْهُ أَخَذَ بِحَظٍّ

← حاز من نتائج أعماله ما هو الباعث للشارع الحكيم للجعل والتشريع من الثمرات الصالحة النافعة واللوازم الحسنة، ولكن تمامية هٰذه الثمرات وكمالها يتوقف علىٰ عمل سائر المكلفين أيضًا، ولأجل توقف عمل المكلفين جميعًا بحسب الغالب على الأمر بالمعروف والحث على الخيرات، والنهي عن المنكر والزجر عن القبائح، يتوقف أيضًا تتميم المصالح، وتكميل البركات المترتبة على الأعمال المشروعة، على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا حصلا تستتم الأمور، أي التكاليف المجعولة من قبل الشارع الحكيم، وإذا تركا بقيت المصالح ناقصة غير ناهضة لكمال السعادة في الدّنيا والآخرة، فكأن الأمور المشروعة غير تامة لعدم حصول الغرض الباعث على التشريع، هكذا أفاده أحد الأعاظم مد ظله.

(١٦١) وفي الحديث ٣١، من الباب السابع، من البحار: ج ١، ص ٦٧، عن عوالي اللآلي، قال: «قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه لولده محمد: تفقه في الدِّين فإنَّ الفقهاء ورثة الأنبياء» وأيضًا رواها عنه عليه السّلام العلامة رحمه الله في وصيته في خاتمة القواعد إلىٰ ولده. وفي فضيلة الفقه والفقهاء أخبار جمّة يأتي ذكر بعضها.

(١٦٢) إذ شان كل شخص أن يذر ويخلف بعد حياته ما كان جمعه في حال الحياة ممّا كان يروقه ويعظم في نظره ويحنّ قلبه إليه، ويهوىٰ فؤاده إليه، والأنبياء عليهم السّلام لم يجمعوا زخارف الدّنيا من الدراهم والدنانير وغيرهما ولم يهتموا بادخارهما، وما كانوا معجبين بهما، حتّىٰ يصرفوا عزائمهم ورغائبهم في تحصيلها وجمعها واستنمائها، بل كانوا فيهما من الزاهدين، وعن اقتنائها من الراغبين، وعن ذويها من المعرضين، إلّا بقدر البلغة وما تدفع به الضرورة الوقتية، فطبيعة حالهم اقتضت أن لا يكون لهم درهم ولا دينار، ولا ساكن ولا متحرك، ولا نضار ولا عقار، ولم يرد عليه السّلام نفي الإرث بين الأنبياء ومخلفيهم من الآباء والأبناء وبقية طبقات الورثة، فإنَّ هٰذا مما أجمع علىٰ بطلانه أعدال الكتاب، وفي طليعتهم سيد العترة وخليفة رسول الله ووصيّه بلا فصل أمير المؤمنين عليه السّلام، وقد ملئت الطوامير، وطرش الجهال والسماسير من تكذيبه عليه السّلام من ادعىٰ أنّ الأنبياء لا إرث لهم، وقد تواتر عنه عليه السّلام وأجمع أولاده المعصومون علىٰ أنّه عليه السّلام ادعىٰ ميراث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لزوجته وحبيبة رسول الله فاطمة الزهراء سلام الله عليها، وقد دوخ اذن الدهر حجاج الزهراء المرضية علىٰ أبي بكر لما طلبت إرثها من تركة رسول الله فصدقها عليّ والحسنان عليهم السّلام، وشهدوا لها بالميراث وصحة الدعوىٰ، وهم حكام عدل، ←

وافِرٍ.

وَٱعْلَمْ أنّ طَالِبَ العِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ حَتّى الطَّيْرُ فِي جَوِّ السَّماءِ [الهواء «خ»] وَالحُوتُ فِي البَحْرِ، وَإنّ المَلائِكَةَ لَتَضَعُ أجْنِحَتَها لِطالِبِ العِلْم رضًى بِهِ، وَفِيهِ شَرَفُ الدُّنْيا وَالفَوْزُ بِالجَنّةِ يَومَ القِيامَةِ، لأنَّ الفُقَهاءَ هُمُ الدعاةُ إلى الجِنَانِ، والأدِلّاءُ عَلى اللهِ تَبارَكَ وَتَعالىٰ.

وَأحْسِنْ إلىٰ جَمِيعِ النَّاسِ كَما تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إلَيْكَ، وَٱرْضَ لَهُمْ مَا ترْضاهُ لِنَفسِكَ(١٦٣) وَٱسْتَقبِحْ مِنْ نَفْسِكَ ما تستَقبِحُ مِنْ غَيْرِكَ، وحَسِّنْ مَعَ جَمِيع النّاسِ خُلُقَكَ حتّىٰ إذا غِبْتَ عَنْهُمْ حَنُّوا إلَيكَ(١٦٤) وَإذا مِتَّ بكَوا عَلَيْكَ

← وقولهم هو الفصل، ويستحيل أن يحمل على الهزل، بشهادة آية التطهير، وحديث الثقلين، وحديث السفينة، وحديث النجوم، وحديث الطائر، وحديث عليّ مع الحق، والحق معه، يدور معه حيثما دار، وحديث عليّ مع القرآن، والقرآن معه، وحديث: إبناي هٰذان إمامان قاما أو قعدا، وحديث: إنّ الله يرضى لرضا فاطمة، ويغضب لغضبها، إلىٰ غير ذلك ممّا تواتر عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، من طرق الفريقين، وقد تكفل لإثبات تواترها كتاب العبقات، وغاية المرام، والغدير، وغيرها.

وبالجملة فمن ضروريات فقه أهل بيت العصمة عليهم السّلام، أنّ الأنبياء عليهم السّلام كسائر النّاس يرثون ويورثون، فلو بقي منهم مال بعد وفاتهم فهو لورثتهم، ويمكن أيضًا حمل هٰذا الكلام وأشباهه على المعتاد المتعارف، حيث إنّ أهل الدّنيا لا يعدون المال القليل، وما كان بقدر البلغة مالًا، ولا يطلقون اسم التركة والميراث عليه، لتنزيله عندهم منزلة العدم، فيقولون فلان معدم لا مال له، وفلان مات فقيرًا ولم يخلف شيئًا، فمن لم يكن عنده وفر، ولم يدخر ثروة جمة يقولون فيه: ذهب ولم يترك لورثته ميراثًا، والأنبياء عليهم السّلام كانوا علىٰ هٰذه الحالة، إذ لم يدخروا مالًا للربح والازدياد، ولم يعمروا عقارًا للاستنماء، ولم يتخذوا الكنوز، ولم يقنطروا القناطير، ففي نظر أهل الدّنيا لا مال لهم حتىٰ يورثوا ويحظوا الورثة.

(١٦٣) من قوله عليه السّلام: وأحسن إلىٰ جميع النّاس ـ إلىٰ قوله: ما تستقبح من غيرك ـ مذكور أيضًا في وصيته عليه السّلام إلى الإمام المجتبىٰ مع زيادات لطيفة وعبارات أنيقة.

(١٦٤) هٰذا مأخوذ من الحنان بمعنى العطف والشفقة والرقة. أو من الحنين بمعنى الاشتياق

وَقالُوا: إنّا للهِ وَإنّا إلَيهِ راجِعُونَ، وَ لا تَكُنْ مِنَ الّذينَ يُقالُ عِنْدَ مَوْتِهِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ. وَاعْلَمْ أنّ رأسَ العَقْلِ بَعْدَ الإيْمانِ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ مُداراةُ النّاسِ(١٦٥) وَلا خَيْرَ فِيمَنْ لا يُعاشِرُ بَالمَعْرُوفِ مَن لابُدَّ مِنْ مُعاشَرَتِهِ حتّىٰ يَجْعَلَ اللهُ إلى الخَلاصِ مِنْهُ سَبيلاً، فَإنِّي وَجَدْتُ جَميعَ ما يَتَعايَشُ بِهِ النّاسُ

← وفرط الرغبة. يقال: حَنَّ ـ حنينًا إليه، أي اشتاق. صوّت عن حزن أو طرب. وحنَّ ـ (من باب فرَّ أيضًا) حنة وحنانًا عليه: عطف وشفق. وتحنن عليه: ترحم. وتحان واستحن إليه: اشتاق. وهٰذا الكلام الشريف قريب مما ذكره السيد رحمه الله في المختار التاسع من قصار النهج، وممّا ذكرناه في المختار من باب الوصايا.

(١٦٥) قال المحقق الكاشاني رحمه الله: «مراده عليه السّلام من المداراة التقيّة ومن المعاشرة بالمعروف: المعاملة بما يعد في العرف حسنًا، يعني كل ما يمكن من أفعال النّاس أنْ يحمل على الوجه الحسن فليحمل عليه، وما لم يمكن فيه ذلك يتغافل عنه ولا يلتفت إليه، وذلك إذا خاف منهم علىٰ نفسه، وإلّا فهو مداهنة محرمة إلّا ما لا يتعلق بالدِّين».
أقول: بيانه عليه السّلام، وإن كان مطلقًا إلّا ان المنساق منه إلى الذهن هو المداراة والمسامحة في أمورهم الدنيوية، وعدّ أعمالهم حسنة مع كونها قبيحة، وأشخاصهم شرفاء مع كونهم وضيعين، وعن المعنويات عريًا، وملخص مرامه عليه السّلام من هٰذا الكلام عدم المداقة مع النّاس، وقطع الطمع عن طلب المعالي منهم، والإغماض والتجاهل عن فلتاتهم، والتجاوز عن قبيح أفعالهم، ونحن اختبرنا النّاس ثلاثين سنة فمن لم يفعل معهم ما ذكره عليه السّلام، كان غير معدود عند النّاس من المجتمع البشري، ويؤيد ما ذكرناه من أنّ مراده عليه السّلام هو المداراة في الأمور الدنيويّة ما رواه في الحديث ٦، من الباب ٦، من أبواب جهاد النفس، من المستدرك: ط ٢، ج ٢، ص ٢٨٢، عن مشكاة الأنوار عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال: ذللوا أخلاقكم بالمحاسن، وقودوها إلى المكارم، وعوّدوها الحلم، واصبروا على الإيثار علىٰ أنفسكم فيما تحمدون عنه قليلًا من كثير، ولا تداقّوا النّاس وزنًا بوزن، وعظموا أقداركم بالتغافل من الدني من الأمور، وأمسكوا رمق الضعيف بالمعونة له بجاهكم، وإنْ عجزتم عمّا رجا عندكم فلا تكونوا بحاشن عما غاب عنكم فيكثر عائبكم وتحفظوا من الكذب فإنه من ارقّ الأخلاق قدرًا، وهو نوع من الفحش، وضرب من الدناءة، وتكرّموا بالغنىٰ عن الاستقصاء، وروىٰ بعضهم: بالتغامس عن الاستقصاء. ورواه ابن شعبة رحمه الله في تحف العقول ضمن قصار كلمه عليه السّلام قبل المختار الأخير بواحد.

وَبِهِ يَتَعاشَرُونَ مِلءَ مِكْيالٍ ثُلْثاهُ اسْتِحْسانٌ، وَثُلُثُهُ تَغافُلٌ.

وَما خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ شَيئًا أَحْسَنَ مِنَ الكَلامِ(١٦٦) وَلا أَقْبَحَ مِنْهُ، بالكَلامِ ٱبيَضَّتِ الوُجُوهُ، وَبِالكَلامِ ٱسوَدَّتِ الوُجُوهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ الكَلامَ في وَثاقِكَ ما لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ، فإِنْ تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ في وَثاقِهِ(١٦٧) فاخْزُنْ لِسانَكَ كَما تَخْزُنُ ذَهَبَكَ وَوَرِقَكَ فإِنَّ اللسّانَ كَلْبٌ عَقُورٌ(١٦٨) فإِنْ أَنْتَ خَلَّيْتَهُ عَقَرَ وَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً(١٦٩) مَنْ سَيَّبَ عُذارَهُ قادَهُ إِلىٰ كُلِّ كَرِيهَةٍ وَفَضِيحَةٍ(١٧٠) ثُمَّ لَمْ يَخْلُصْ مِنْ دَهْرِهِ إِلّا عَلىٰ مَقْتٍ مِنَ اللهِ وَذَمٍّ مِنَ النّاسِ.

قَدْ خاطَرَ بِنَفْسِهِ مَنْ استَغْنىٰ بِرأْيِهِ(١٧١) مَنْ ٱسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الآراءِ عَرَفَ

---

(١٦٦) ونظير هٰذا ما رواه عنه عليه السّلام في المختار ١٢٥، مما اختار من كلامه عليه السّلام في تحف العقول طبع النجف، ص ١٥٠، قال وسئل عليه السّلام: أي شيء مما خلق الله أحسن؟ فقال عليه السّلام: الكلام. فقيل: أي شيء مما خلق الله أقبح؟ قال: الكلام، ثم قال عليه السّلام: بالكلام اسودت الوجوه، وبالكلام ابيضت الوجوه.

(١٦٧) من قوله عليه السّلام: واعلم ـ إلىٰ قوله عليه السّلام: سلبت نعمة ـ مذكور في المختار ٣٨١، من قصار النهج باختلاف ما، وكذلك في كتاب الاختصاص وروضة الواعظين، كما في البحار: ج ١٥، ص ١٨٧. والوثاق ـ كسحاب ورقاب ـ: ما يشد به، من قيد وحبل ونحوهما، جمع: وثق.

(١٦٨) قال الشيخ المفيد رحمه الله في الحديث ٣٢١، من كتاب الاختصاص: ط ٢، ص ٢٢٩ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام في وصيته لمحمد بن الحنفية: واعلم أنّ اللسّان كلب عقور، إنْ خليته عقر، وربَّ كلمة سلبت نعمة، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك، من سيب عذاره قاده إلىٰ كل كريهة. وقريب منه أيضًا عن جامع الأخبار.

(١٦٩) وهٰذا مروي عنه عليه السّلام من طريق آخر، مع زيادة قوله، وجلبت نقمة.

(١٧٠) العذار من الفرس، كالعارض من الإنسان، سمي الستر الّذي يكون عليه اللجام عذرًا باسم موضعه، فقوله عليه السّلام: من سيَّب عذاره، كناية عن إهمال اللسّان وارخائه وتركه بحاله.

(١٧١) من قوله عليه السّلام: قد خاطر بنفسه ـ إلىٰ قوله: يؤمنك من الندم ـ ذكره عليه

مَواقعَ الخَطأ، وَمَنْ تَورّطَ فِي الأُمُورِ غَير نَاظِرٍ فِي العَواقِبِ فَقَدْ تَعرَّضَ لِمُفْظعاتِ النَّوائِبِ(١٧٢) وَالتدْبِيرُ قَبْلَ العَمَلِ يُؤْمِنُكَ مِنَ النَّدَمِ(١٧٣) وَالعاقِلُ مَنْ وَعَظَتْهُ التَجارِبُ وَفي التَّجارِبِ عِلْمٌ مُسْتَأنَفٌ(١٧٤) وَفي تَقَلُّبِ الأَحْوالِ عُلِمَ جَواهِرُ الرِّجال، الأَيّام وتَهْتِكُ لَكَ عَنِ السَّرائِرِ الكامِنَةِ(١٧٥)، تَفَهَّمْ

← السّلام، في خطبة الوسيلة أيضًا باختلاف ما. وكذلك في المختار ١٧٣، و٢١١، من قصار النهج.

(١٧٢) قال الفيض رحمه الله: المفظعات: المصائب الشديدة الشناعة. وبالقاف والطاء المهملة، أي اللازمة كالجبّة اللاصقة بالبدن.

(١٧٣) من قوله عليه السّلام: قد خاطر بنفسه ـ إلىٰ قوله: والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم ـ حثّ وترغيب منه عليه السّلام، على المشاورة في كل أمر لم يتبين غيّه من رشده، ونفعه من ضرره، وتبيين منه عليه السّلام علىٰ أنّ في التشاور في كل ما ينبغي التشاور فيه، فائدة لا تزال النفوس تشتاق إليها وترغب فيها، وأنّ في الاستبداد بالرأي وترك المشاورة والتدبير مفسدة قد جبلت نفوس ذوي الأرواح من الهرب عنها، والفرار منها، فكشف عليه السّلام بقوله: «قد خاطر بنفسه من استغنىٰ برأيه» وبقوله: ومن تورط في الأمور... ـ أي من دخل فيها بلا رويّة ومشورة ـ إنّ المستبد بالرأي وتارك التدبير والاحتياط لا يكون واثقًا من النجاح، ولم يأمن من الفظيعة والفضيحة. وصرح بقوله عليه السّلام: من استقبل وجوه الآراء، الخ. وبقوله التدبير قبل العمل... ـ إلىٰ إنّ صاحب المشورة قد يبين له الصواب من الخطأ، والنفع من الخسارة، فهو مقدم على الأمر عن بصيرة، فقلبه مطمئن بالربح، وباله مأمون من الندم، وماله محفوظ من التلف.

(١٧٤) وقال السبط الشهيد الإمام الحسين عليه السّلام: «دراسة العلم لقاح المعرفة، وطول التجارب زيادة في العقل، والشرف التقوىٰ، والقنوع راحة الأبدان، ومن أحبك نهاك، ومن أبغضك أغراك». البحار: ج ١٧، ص ١٥١.

وقال سحبان بن وائل: «العقل بالتجارب، لأنّ عقل الغريزة سلم إلىٰ عقل التجربة».

وقال أفلاطون: «إذا لم تعظك التجربة فلم تجرب بل أنت ساذج كما كنت».

وقال المتكلمون: «العقل نوعان: غريزي ومكتسب، فالغريزي العلوم البديهية، والمكتسب ما أفادته التجربة».

(١٧٥) الجملة الثانية كالتأكيد للأولىٰ، أي إنّ في اختلاف الحالات كالقدرة بعد الضعف، والغنىٰ ←

وَصِيتِّي هٰذِهِ، وَلا تَذهَبَنَّ عَنْكَ صَفحًا، فَإِنَّ خَيْرَ القَوْلِ مَا نَفَعَ.

إِعْلَمْ يا بُنَيَّ أَنَّهُ لابُدَّ لَكَ مِن حُسْنِ الارتيادِ(١٧٦) وَبَلاغِكَ مِنَ الزّادِ مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ(١٧٧). فَلا تَحْمِلْ عَلىٰ ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ فَيَكُونَ عَلَيكَ ثِقْلاً فِي حَشْرِكَ وَنَشْرِكَ في القِيامَةِ، فَبِئسَ الزّادُ إلى المَعادِ العُدْوانُ عَلَى العِبادِ(١٧٨).

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمامَكَ مَهالِكَ وَمَهاوِي وَجُسُورًا وَعَقَبَةً كَؤودًا(١٧٩) لا مُحالَةَ أَنْتَ هابِطُها إِمّا علىٰ جَنّةٍ أَو عَلىٰ نارٍ. فَارْتَدْ(١٨٠) لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ

← بعد الفقر، والغضب بعد الرّضا، والتعب بعد الراحة، والسفر بعد الحضر، يعرف ما في كمون الرجال ونفسياتهم، ولمّا كان هٰذا متوقفًا علىٰ طروء الحالات المختلفة، المتوقفة علىٰ مضي الأيام، فالأيام هي الكاشفة للضمائر، الهاتكة لستور السرائر الكامنة في النفوس، المخبوءة في الصدور.

(١٧٦) الارتياد: الطلب، ولعل مراده عليه السّلام، من حسن الطلب أن يكون عمل العامل، بين طلب الزاهد والراغب.

وقال الفيض رحمه الله: حسن الارتياد، أي طلب الآخرة على الوجه الأحسن في المجاهدة.

ثم لا يخفىٰ أنّ هٰذا الكلام مع أكثر ما يذكر بعده، ممّا ذكره عليه السّلام أيضًا في وصيّته إلى الإمام المجتبىٰ عليه السّلام.

(١٧٧) البلاغ من الزاد: ما يبلغك حاجتك، ويكفيك لسفرك، أي لابدّ لك من زاد الآخرة ما يبلغك إلىٰ حاجتك، ويكفيك لسفر الآخرة (حال كونك خفيف الظهر عن تبعات العباد وغيرها)، ولا يكون ناقصًا عن البلاغ فتنقطع في سفر الآخرة بلا زاد، ولا يزيد عن البلاغ فيكون ثقلًا عليك في عقبات الآخرة.

(١٧٨) وهٰذا قد تواتر عنه وعن أبنائه المعصومين عليهم السّلام، وذكره السيد رحمه الله في المختار ٢٢١، من قصار النهج.

(١٧٩) المهاوي جمع المهوى والمهواة ـ علىٰ زنة المرضىٰ والمرضاة ـ وهي مسقط الشيء من محل عال، ولذا يستعمل فيما بين الجبلين ونحوه من الفرجة والوهدة العميقة. والعقبة: اسم لقطعة من الجبال يصعب ارتقاؤها، وكؤود وكأداء ـ كثمود وصحراء ـ أي شاقة المصعد.

(١٨٠) أي فاطلب المنجي لنفسك قبل نزول دركات الآخرة، وحلول عقبات القيامة، إذ بعد

إيّاها، وَإذا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ زادَكَ إلى القِيامَةِ(١٨١) فَيُوافِيكَ بِهِ غَدًا حَيثُ تَحْتَاجُ إلَيهِ، فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ وَأكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلا تَجِدُهُ وَإيَّاكَ أنْ تَثِقَ لِتَحْمِيلِ زادِكَ بِمَنْ لا وَرَعَ لَهُ وَلا أَمانَةَ. فَيَكُونُ مَثَلُكَ مَثَلَ ظَمْآنٍ رَأى سَرابًا حَتّىٰ إذا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيئًا(١٨٢) فَتَبقىٰ في القِيامَةِ مُنْقَطِعًا بِكَ.

← النزول فيها لا حيلة لاختيار ما ينجي وتحصيل ما ينتفع به.

(١٨١) وما في هٰذا البيان الرباني من الحث والتأكيد علىٰ إعانة الضعفاء، واغتنام الإنفاق في سبيل الله عند القدرة مما لا يحيط به البيان، ولا يجري لشرحه كما هو حقّه قلم ولا لسان.

وقال الفيض رحمه الله: حمل زاد القيامة أهل الفاقة كناية عن الإنفاق في سبيل الله، وكلّ خير معروف لله.

(١٨٢) هٰذا الكلام يحتمل معنيين: الأولىٰ ـ أنْ يكون تحذيرًا عن صرف المعروف في غير أهله، وبذل الإحسان لغير مستحقه، فمن وضع نائله في غير الصلحاء، وجاد بمعروفه علىٰ غير مستحقيه من المساكين والفقراء، يحسب أنّه يحسن صنعه، وحصّل زاده، فـإذا قـامت القيامة، وكشف عنه غطاؤه، علم أنّ ما تخيله ماء لم يكن إلّا سرابًا فيبقىٰ في عـقبات القيامة بلا زاد.

وهٰذا المعنىٰ اخترناه سابقًا، وسنذكر شواهده من الأخبار.

وهٰذا المعنىٰ اخترناه أن يكون مراده عليه السّلام من الكلام التحذير من ايكـال الأمر ـ وما ينبغي للمكلف أن يأتي به بنفسه من الواجبات والمستحبات ـ إلىٰ غيره، إذا لم يكن الموكول إليه ورعًا ولا أمينًا. فمن لم يعمل هو بوظيفته، ولم يؤد بنفسه خيراته إلىٰ أهله، بل فوّض اداء خيراته أو تكاليفه القابلة للنيابة إلىٰ غيره مع كونه غير أمين ولا ورع ـ بل مع عدم إحراز أمانته وورعه ـ فقصته بالنسبة إلىٰ زاد القيامة، والإدخار ليوم الفاقة كقصة ظمآن رأىٰ سرابًا بقيعة فحسبه ماءً حتّىٰ إذا جاءه لم يجده شيئًا فبقي عطشانًا في وادي الهلاك.

وهنا موائد

المائدة الأولىٰ في حقيقة الرّزق

الرزق في اللغة استعمل في معان: (١) كل ما ينتفع به. (٢) ما يخرج للجندي نهاية كلّ شهر. (٣) العطاء، وقيل العطاء الجاري. (٤) ما يفرض للمقاتلة. (٥) ما يعين للفقراء. (٦) المطر، وفي القرآن الكريم: ﴿وما انزل الله من السّماء من رزق فأحيا به الأرض﴾[١٨٣]. (٧) الشكر. قيل: وهي لغة أزدية، وفي القرآن المقدس: ﴿وتجعلون رزقكم أنّكم تكذبوٰن﴾[١٨٤]. (٨) النصيب. (٩) ما يصل إلى الجوف ويتغذىٰ به[١٨٥].

وقال الراغب في المفردات: الرزق يقال للعطاء الجاري تارة، دنيويًّا كان أم أخرويًّا، وللنصيب تارة[١٨٦] ولما يصل إلى الجوف ويتغذىٰ به تارة، يقال: أعطى السلطان رزق الجند، ورزقت علمًا، قال [تعالىٰ]: ﴿وأنفقوا ممّا رزقناكم من قبل أنْ يأتي أحدكم الموت﴾[١٨٧] أي من المال والجاه والعلم. وكذلك قوله: ﴿وممّا رزقناهم ينفقون﴾[١٨٨] وقوله: ﴿كلوا من طيّبات ما

---

(١٨٣) الآية ٥، من سورة الجاثية: ٤٥.

(١٨٤) الآية ٨٢، من سورة الواقعة: ٥٦.

(١٨٥) وغير خفي على البصير أنّ هٰذه المعاني لا تضاد بينها، أي ليس كلّ واحد منها نقيضًا للآخر، بل اغلبها يرجع إلىٰ معنىً عام مشترك، وبما أنّ اللغويين ليس لهم سبيل إلى الوضع، بل غاية بضاعتهم الاطلاع علىٰ موارد الاستعمال، ورأوا أنّ أهل اللسّان استعملوا اللفظ في هٰذه المعاني ظنوا أنّ كلّ واحد منها موضوع له في مواجهة الآخر.

(١٨٦) وقال بعض المحققين: الرزق في اللغة: العطاء، ويطلق على النصيب المعطى نحو ذبح ورعي ـ بالكسر ـ للمذبوح والمرعي. وقيل: هو بالفتح مصدر، وبالكسر اسم، الخ.

(١٨٧) الآية ١٠، من سورة المنافقون: ٦٣.

(١٨٨) الآية ٣، من سورة البقرة: ٢.

رزقناكم﴾(١٨٩) وقوله: ﴿وتجعلون رزقكم أنّكم تكذّبون﴾(١٩٠) أي تجعلون نصيبكم من النعمة تحري الكذب. وقوله: ﴿وفي السّماء رزقُكُم﴾(١٩١) قيل: عنىٰ به المطر الّذي به حياة الحيوان. وقيل: هو كقوله: ﴿وأنزلنا من السّماء ماءً﴾(١٩٢) وقيل: تنبيه (علىٰ) أنّ الحظوظ بالمقادير. وقوله تعالىٰ: ﴿فليأتكم برزق منه﴾(١٩٣) أي بطعام يتغذىٰ به. وقوله تعالىٰ: ﴿والنخل باسقات لها طلع نضيد، رزقًا للعباد﴾(١٩٤) قيل: عنىٰ به الأغذية. ويمكن أن يحمل على العموم فيما يؤكل ويلبس ويستعمل، وكلّ ذلك ممّا يخرج من الأرضين وقد قيضه الله بما ينزله من السماء من الماء. وقال في العطاء الأخروي: ﴿وَلا تَحسبنّ الّذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا، بل أحياء عند ربّهم يرزقون﴾(١٩٥) أي يفيض الله عليهم النعم الأخروية. وكذلك قوله: ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًّا﴾(١٩٦) وقوله: ﴿إنّ الله هو الرزّاق ذو القوّة﴾(١٩٧) فهذا محمول على العموم. والرازق يقال لخالق الرزق ومعطيه والمسبب له وهو الله تعالىٰ، ويقال ذلك للإنسان الّذي يصير سببًا في وصول الرزق(١٩٨) والرزاق لا يقال إلّا لله تعالىٰ. وقوله:

(١٨٩) الآية ٥٧، من سورة البقرة: ٢.

(١٩٠) الآية ٨٢، من سورة الواقعة: ٥٦.

(١٩١) الآية ٢٢، من سورة الذاريات: ٥١.

(١٩٢) الآية ٢٢، من سورة الحجر: ١٥.

(١٩٣) الآية ١٩، من سورة الكهف: ١٧.

(١٩٤) الآية ١١، من سورة ق: ٥٠.

(١٩٥) الآية ١٦٩، من سورة آل عمران: ٣.

(١٩٦) الآية ٦٢، من سورة مريم: ١٩.

(١٩٧) الآية ٥٨، من سورة الذاريات: ٥١.

(١٩٨) قال الله تعالىٰ في الآية ٥، من سورة النساء: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم الّتي جعل الله لكم قيامًا، وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولًا معروفًا﴾ وقال في الآية الثامنة منها: ﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربىٰ واليتامىٰ والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولًا معروفًا﴾ وقال تعالىٰ في الآية ١١٤، من سورة المائدة: ﴿وأنت خير ←

﴿وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين﴾(١٩٩) أي بسبب في رزقه، ولا مدخل لكم فيه. وقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ شَيْئًا ولا يَسْتَطِيعونَ﴾(٢٠٠) أي ليسوا بسبب في رزق بوجه من الوجوه، وسبب من الأسباب. ويقال: ارتزق الجند، أي أخذوا أرزاقهم، والرزقة: ما يعطونه دفعة واحدة.

وأمّا الرزق بمعناه العرفي والشرعي فقد اختلف فيه. قال بعض المحققين ما حاصله: الرزق عند الأشاعرة ما انتفع به حيّ سواء كان بالتغذي أو غيره، مباحًا كان أو حرامًا.

وربما قال بعضهم: هو ما تتربىٰ به الحيوانات من الأغذية والأشربة لا غير. قال الآمدي: والتعويل على الأوّل.

وأمّا المعتزلة، فلمّا أحالوا تمكين الله تعالىٰ من الحرام، لأنّه منع من الانتفاع به، وأمر بالزجر عنه قالوا: الرزق ما صحّ الانتفاع به وليس لأحد منعه منه، فلا يكرم الحرام رزقًا. واستدلوا بقوله تعالىٰ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾(٢٠١) حيث أسند الرزق إلىٰ نفسه، إيذانًا بأنهم ينفقون من الحلال الطيب الطلق، فإنّ إنفاق الحرام بمعزل عن إيجاب المدح. وبقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَأَيتمْ مَّا أَنزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ

← الرازقين﴾ وفي الآية ٥٨، من سورة الحج: ﴿وإنَّ الله لهو خير الرازقين﴾ وفي الآية ٧، من سورة المؤمنون: ﴿وهو خير الرازقين﴾ وفي آخر سورة الجمعة: ﴿والله خير الرازقين﴾.

وقال عويف:

سميت بالفاروق فافرق فرقه   وارزق عيال المسلمين رزقه

ويقال: رزق الطائر فرخه، أي أطعمه طعامًا، قال الأعشىٰ:

وكأنما تبع الصوار بشخصها   عجزاء ترزق بالسلي عيالها

(١٩٩) الآية ٢، من سورة الحجر: ١٥.

(٢٠٠) الآية ٧٣، من سورة النحل: ١٦.

(٢٠١) الآية ٣٥، من سورة الحج: ٢٢.

رِزقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾(٢٠٢). حيث ذمَّ المشركين علىٰ تحريم ما رزقهم الله.

وتمسكت الأشاعرة لشمول الرزق للحلال والحرام معًا بما رووه عن صفوان بن أمية قال: «كنّا عند رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ جاء عمر ابن قرّة فقال: يا رسول الله إنّ الله كتب عليّ الشقوة، فلا أراني ارزق إلّا من دفي بكفي فأذن لي في الغناء. فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: لا آذن لك، ولا كرامة، ولا نعمة، كذبت أي عدو الله، والله رزقك حلالًا طيبًا، فاخترت ما حرّم الله من رزقه، مكان ما أحل الله لك من حلاله. وبأنّه لو لم يكن الحرام رزقًا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقًا، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللهِ رِزْقُها﴾(٢٠٣).

وأجابت المعتزلة عن الحديث بالطعن في سنده تارة، وبالتأويل علىٰ تقدير صحته أخرىٰ، وتأويله أنّ إطلاق الرزق على الحرام لمشاكلة قوله: فلا أراني ارزق، كقوله تعالىٰ ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ﴾(٢٠٤)، وباب المشاكلة وإنْ كان نوعًا من المجاز، لكنه واسع كثير الورود في القرآن والحديث، فاش في نظم البلغاء ونثرهم.

وعن قولهم: لو لم يكن الحرام رزقًا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقًا، بأنَّ مادة النقض لابدّ وأن تكون متحققة، وليس الأمر كذلك إذ يتصور حيوان كذلك، أمّا غير الإنسان فلأنّه لا يتصوّر بالنسبة إليه حلّ ولا حرمة، وأمّا الإنسان فلو لم يكن يأكل من الحلال إلّا مدة عدم التكليف لكفىٰ في دفع النقض(٢٠٥).

---

(٢٠٢) الآية ٥٩، من سورة يونس: ١٠.

(٢٠٣) الآية ٦، من سورة هود: ١١.

(٢٠٤) الآية ٥٤، من سورة آل عمران: ٣.

(٢٠٥) وبعبارة واضحة: أعمال الإنسان ـ ومنها تغذيه ـ قبل البلوغ بحسب الحكم الشرعي ←

وأيضًا فالرزق أعم من الغذاء بإجماع المعتزلة وجمهور الأشاعرة، ولا يشترط الانتفاع به بالفعل، فالنقض بالمتغذي طول عمره بالحرام إنّما يرد لو لم ينتفع مدة عمره بشيء انتفاعًا محللًا، ولا يشرب الماء ولا يتنفس الهواء، بل ولا يتمكن من الانتفاع بذلك أصلًا، وظاهر أنّ هٰذا مما لا يوجد.

وللمعتزلة أن يقولوا أيضًا: لو مات حيوان قبل أن يتناول شيئًا ـ لا من الحلال ولا الحرام ـ يلزم أنْ يكون غير مرزوق، فما هو جوابكم هو جوابنا، انتهىٰ.

وقال بعض الأكابر: لاشك أنّ ما نشاهده من الموجودات أعمّ من الجماد والنبات والحيوان والإنسان لا يكفيها أصل الوجود للبقاء، بل تستمد في بقائها بأمور أخر خارجة عن وجودها، إمّا بضمها إلىٰ أنفسها بالإقتيات والاغتذاء، أو بوجه آخر بالإيواء واللبس والتناسل ونحوها، وهٰذا المعنىٰ في الإنسان وسائر أقسام الحيوان أوضح، وهو الرزق الّذي عليه يتوقف بقاء أقسام الحيوان، من غير فرق في ذلك بينها أصلًا، وقد قال تعالىٰ: ﴿ وما من دابة في الأرض إلّا على الله رزقها﴾ فالرزق مما لا يستغني عنه موجود في بقائه، وإذ خلق الله هٰذه الأشياء لبقائها، فقد خلق لها رزقًا، فاستناد البقاء إليه تعالىٰ يوجب استناد الرزق إليه من غير شك، قال تعالىٰ: ﴿فو ربّ السّماء والأرض إنّه لحقّ مثل ما أنّكم تنطقون﴾(٢٠٦) وكون الرزق بهٰذا المعنىٰ أمرًا تكوينيًا غير مربوط بعالم التكليف كالشمس في رابعة النهار، فإنّ الحدوث والبقاء ولوازم كلّ منهما أمور

← كأعمال الحيوان لا تتصف بالإباحة ولا الحرمة ولا غيرهما من الأحكام الخمسة، فلايتصور بالنسبة إلى الصبيان وغير البالغين التغذي بالحرام، وأمّا بعد البلوغ فلأنه بعد ما كان الرزق أعم من الغذاء باتفاق المعتزلة والأشاعرة يشمل التنفس في الهواء، ومعلوم أنّه مباح في حقّه قطعًا فلم يوجد حيوان لا رزق له إلّا الحرام طول عمره، ويوضحه أنّه لو مات إنسان قبل أنْ يأكل شيئًا، لزم أن يكون غير مرزوق، فما هو جواب الأشاعرة فهو جواب المعتزلة.

(٢٠٦) الآية ٢٣، من سورة الذاريات: ٥١.

تكوينية بلا ريب، ثم إنّ الإنسان لما تعلق التكليف ببعض أفعاله المتعلقة بالأرزاق كالأكل والشرب والنكاح واللباس ونحوها، والرزق مما يضطر إليه تكوينًا، كان لازم ذلك أنْ لا تتعلق الحرمة والمنع إلا بما لا مندوحة عنه، وإلّا كان تكليفًا بما لا يطاق قال تعالىٰ: ﴿وما جعل عليكم في الدِّين من حرج﴾(٢٠٧) وقال: ﴿إنّ الله لا يأمر بالفحشاء﴾(٢٠٨) وكان لازم ذلك أنّ في موارد المحرمات ارزاقًا إلٰهية محللة هي المندوحة للعبد، وهي الأرزاق المنسوبة إليه تعالىٰ بحسب النظر التشريعي دون المحرمات.

فتحصل أنّ الرزق رزقان: رزق تكويني وهو كل ما يستمد به موجود في بقائه كيف كان. ورزق تشريعي وهو الحلال الّذي يستمد به الإنسان في الحياة، دون الحرام فإنه ليس برزق منه تعالىٰ، هٰذا هو الّذي يتحصل من الكتاب والسنّة بعد التدبّر فيهما.

وقال الحكيم القدوسي، المحقق الطوسي أعلى الله مقامه: «الرزق ما صح الانتفاع به ولم يكن لأحد منعه، والسعي في تحصيله قد يجب وقد يستحب وقد يباح وقد يحرم».

أقول: الرزق قد يطلق ويراد منه ذوات الأشياء الّتي خلقها الله تبارك وتعالىٰ لانتفاع الحيوان بها وتغذيه منها، وهٰذا القسم ما دام لم يحرزه أحد، ولم يتسلط عليه بأحد العناوين المملّكة أو المخصّصة، أو المبيحة بحكم الشرع أو العقل، لا يصح أنْ ينسب إلىٰ شخص معين وحيوان مخصوص، فيقال مثلًا: الفاكهة الموجودة في جزيرة البحر غير المملوكة أو المحجوزة رزق لزيد. إذ نسبتها إلىٰ زيد وغيره علىٰ حد سواء، فما دام لم تحصل جهة تخصصها بفرد معين لا تصح إضافته إليه، وذلك مثل جميع الأغذية الموجودة في البراري وقُلل الجبال المحفوظة عن استيلاء البشر عليها، وكذلك اللؤلؤ والمرجان، والكنوز الثابتة في

(٢٠٧) الآية ٧٨، من سورة الحج: ٢٢.

(٢٠٨) الآية ٢٨، من سورة الأعراف: ٧.

قعر البحار وشواهق الجبال فإنها كما يصح إطلاق المال أو الغذاء أو الحلي أو الطعام عليها، كذلك يصح إطلاق الرزق عليها بمعنىٰ إنها مما يصح أن تجعل غذاء، وإنها مما أوجدها الله تعالى لتقوت الحيوان وتغذيه منها، وكما لا يصح أنْ ينسب إلىٰ شخص معين بإنّها ماله أو غذاؤه أو حليّه أو طعامه، لا يصح أيضًا أنْ يقال إنّها رزقه، فترىٰ ما هٰذا سبيله في حين إنها رزق على الحقيقة، ليس برزق لمعين أيضًا على الحقيقة، وقد يطلق الرزق ويراد منه ما له إلىٰ شخص معين علاقة وإضافة خاصة سواء كان حدوث هٰذه العلاقة ناشئًا من عمل الحيوان واختياره كما إذا حاز الأغذية المباحة أو تملكها ببيع أو موهبة أو صلح أو غيرها، أو كانت العلاقة الحادثة غير اختيارية له، كما إذا مات مورثه، أو حملت الريح الفلك المملوء من الجواهر الّتي أبيد أهلها إليه، أو انشقت الأرض أو الجبال بالزلزال فألقيت الكنوز في حجره، أو غيرها من أنحاء الاستيلاء المبيح للانتفاع شرعًا وعقلًا، فإذا حدثت هٰذه العلاقة بين شخص وما أعدّه الله للانتفاع به، فلا يكون رزقًا لغير صاحب العلاقة، ولا يجوز في حال الاختيار الانتفاع به من دون رضا صاحبه، فمن حال بينه وبين ذي العلاقة فهو ظالم، وجميع انتفاعاته حرام، وفاعله مستحق للعقوبة، وحينئذ نسأل الأشاعرة القائلين: بأنّ الرزق ما أكل ولو كان حرامًا. أو ما ساقه الله إلى الحيوان فانتفع به(٢٠٩)، ونقول لهم: هل مجرد الأكل والانتفاع من طعام أحد أو ماله يوجب سلب علاقته منه، وإيجاد علاقة مماثلة لتلك العلاقة للآكل والمنتفع؟! فحينئذ جميع الغاصبين والظالمين يأكلون أرزاقهم، فما معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**إنّ الّذينَ يأكلون أموال اليتامىٰ ظلمًا إنّما يأكلون في بطونهم نارًا وسيصلون سعيرًا**﴾(٢١٠)؟! وما معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**والسّارقُ**

---

(٢٠٩) وهٰذا أيضًا يشمل الأوّل، إلّا أنّه أعم منه، فيشمل الملبوس والمنكوح، فمن اشتبه الأمر عليه فعقد علىٰ أمه أو أخته أو بنته وعمل ما يعمله الرجال مع النساء فهٰذا رزقه، وكذا لو تخيل أنها زوجته فبان الخلاف.

(٢١٠) الآية ١٠، من سورة النساء: ٤.

والسّارقةُ فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله﴾(٢١١).

فلو كان الغاصب والسارق قد أخذا ما رزقهما الله تعالىٰ وساقه إليهما لكان المطالب له بردّ ما أخذا ظالمًا لهما، ولم يجز في شريعة العدل أنْ يعاقبا عليه، لا في الدّنيا ولا في الآخرة، بل كانا ممدوحين على انفاقهما منه، كما مدح الله تعالىٰ من أنفقه من حلّ، قال: ﴿إنّما المؤمنون الّذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلىٰ ربّهم يتوكلون، الّذين يقيمون الصلاة وممّا رزقناهم ينفقون، أولئك هم المؤمنون حقًّا لهم درجات عند ربّهم ومغفرة ورزق كريم﴾(٢١٢) فجعل إنفاق الرزق من صفات المؤمنين، فلما لم يكن للغاصبين إنفاق ما اغتصبوه وكانوا مذمومين عليه معاقبين علىٰ تصرفهم فيه، دلّ ذلك علىٰ أنّ الله تعالىٰ لم يرزقهم إيّاه في الحقيقة، وإذا لم يكن رزقًا للغاصب فهو رزق للمغصوب منه، وإنْ حال الغاصب بينه وبينه.

ونقول أيضًا: الشيء الّذي يصح الانتفاع به إذا استولىٰ عليه غير صاحبه هل يجوز له أن يصلي فيه لو كان ملبوسًا أو مسكونًا، وهل يجب الحج على المسيطر عليه، لأجل أنّه انتفع به وصار ذا مكنة، وهل يجب الزكاة عليه إذا قلبه فنما وربح حتّىٰ بلغ حد النصاب، إلىٰ غير ذلك من الفروع ؟!

وليعلم أنّ النزاع مع الأشاعرة في أمثال المقام لا طائل تحته، بعد اعتقادهم بالجبر، وأنّ جميع ما يصدر من المكلفين فهو علىٰ سبيل الاضطرار كإشراق الشمس وحرارة النار، ورطوبة الماء، وأنّ لا صنع ولا أثر إلّا لله تعالىٰ، وأنّ الظالم مقهور على الظلم ولا يمكنه الكف، فقابيل لم يكن قادرًا علىٰ ترك قتل هابيل، بل القتل ما صدر من قابيل بل الله هو القاتل، إذ لو كان القتل من قابيل لزم أنْ يكون في دار الوجود مؤثر غير الله!! وكذا الّذي قطع رأس يحيىٰ ووضع المنشار علىٰ رأس زكريا هو الله المتفرد بالمؤثرية، وإلّا لزم وجود مؤثر غير الله!!

---

(٢١١) الآية ٣٨، من سورة المائدة: ٥.

(٢١٢) الآيات ٢ ـ ٤، من سورة الأنفال: ٨.

بل جميع الأنبياء والأولياء والصلحاء الّذين ابتلوا وأوذوا أشد الإيذاء وقتلوا تقتيلاً، كان إيذاؤهم وقتلهم من الله!! بل إنّ معصية الشيطان واباءه أيضًا من الله، وإلّا يلزم وجود مؤثر غير الله!! وفساد هذا المذهب أظهر من فساد عقيدة النصارىٰ في الاقانيم الثلاثة والقول بالتثليث، واستحالته أوضح من استحالة الدور والخلف والتناقض، فإنْ كنت في شك مما قلنا فارجع إلىٰ كتاب احقاق الحقّ للشهيد القاضي نوّر الله مرقده، لأنّه يشتمل علىٰ كتاب فاضل أهل السنة ابن رزوبهان، وغرة بياض علماء الإمامية العلامة الحلي رحمه الله يجسّم ويمثّل لك خارجيًا دعاوي الطرفين وبراهين الخصمين. وأنْ تراجع كتاب دلائل الصدق أيضًا فنعم البديل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

المائدة الثانية:

في أنّ الرزق هل يقبل الزيادة والوفرة بالسعي والاكتساب أم لا؟

ظاهر كثير من الأدلة عدم قبوله للازدياد والتكثير، ولو يطلب بتمام الجدّ، ويسعى له في جميع الآفاق.

وصريح بعض الأدلة، وظاهر كثير منها أنّ بعض أقسامه يقبل التكثير بالاكتساب، وبالحذاقة في التدبير، واقتناء المال.

أمّا القسم الأوّل فنشير إليه علىٰ طريق الإجمال ومن باب بيان نموذج منه فنقول: ممّا يدل علىٰ عدم قبول الأرزاق للتكثير ما رواه غير واحد (بل كثير) من الخاصة والعامة ورواه في مستدرك البحار: ج ١٧، ص ٤١٤، عن أصل عاصم بن حميد(٢١٣) ورواه الكليني رحمه الله في الحديث الثاني، من الباب ٣٦،

---

(٢١٣) ورواه في الحديث ١، من الباب ١٠، من مستدرك الوسائل: ج ٢، ص ٤١٨ عن أصل عاصم. وفي الحديث ١٠، عن ابن عمر. وفي الحديث ٤، من التمحيص. وفي الحديث ١٣ عن كتاب الأخلاق. وفي الحديث ١٥، عن كتاب علاء بن زرين. وفي الباب أخبار كثيرة شاهدة للمدّعي.

من كتاب الإيمان والكفر من الكافي: ج ٢، ص ٧٤، معنعنًا أنّه خطب رسول الله صلّى الله عليه وآله في حجة الوداع فقال: «يا أيها النّاس والله ما من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلّا وقد أمرتكم به، وما من شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلّا وقد نهيتكم عنه، ألا وإنّ الروح الأمين نفث في روعي أنّه لن تموت نفس حتّىٰ تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحمل أحدكم استبطاء شيء من الرزق أن يطلبه بغير حلّه، فإنّه لا يدرك ما عند الله إلّا بطاعته». وقريب منه في البحار: ج ٢٣، ص ١٠، عن أمالي الصّدوق، وص ١١، عن تفسير القمي، وص ١٢، عن التمحيص.

وروي في فلاح السائل عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «إنّ من ضعف اليقين أنْ ترضي النّاس بسخط الله تعالىٰ، وأنْ تحمدهم علىٰ رزق الله تعالىٰ، وأنْ تذمّهم علىٰ ما لم يؤتك الله، إنّ رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهة كاره».

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أيها النّاس إنّ الرزق مقسوم، لن يعدو امرأً ما قسم له، فأجملوا في الطلب، وإنّ العمر محدود لن يتجاوز أحد ما قدر له..». البحار: ج ٢٣، ص ١٠.

وروى ابن أبي الحديد في شرح المختار ٣١، من كتب النهج عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «وإنْ يقدر لأحدكم رزق في قبة جبل أو حضيض بقاع يأته».

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم عند منصرفه من أُحد: «أيها النّاس أقبلوا علىٰ ما كلفتموه من إصلاح آخرتكم وأعرضوا عمّا ضمن لكم من دنياكم، ولا تستعملوا جوارح غذيت بنعمته في التعرض لسخطه بمعصيته، واجعلوا شغلكم في التماس مغفرته، واصرفوا همّكم بالتقرب إلىٰ طاعته، من بدأ بنصيبه من الدّنيا فاته نصيبه من الآخرة، ولم يدرك منها ما يريد، ومن بدأ بنصيبه من الآخرة وصل إليه نصيبه من الدّنيا، وأدرك من الآخرة ما يريد، إنّ الله يعطي الدّنيا بعمل الآخرة، ولا يعطي الآخرة بعمل الدّنيا». البحار: ج ٢٣، ص ١٠.

وأمّا كلام أمير المؤمنين عليه السّلام في هٰذا المعنىٰ فكثير أيضًا، من قوله عليه السّلام في المختار الأوّل، من الوصايا: «إنّ المال مقسوم مضمون لكم، قد قسمه عادل بينكم، وسيفي لكم..». ومنه قوله عليه السّلام في المختار ٩٠، من خطب نهج البلاغة: «عياله الخلق، ضمن أرزاقهم، وقدر أقواتهم...».

وقال عليه السّلام: «قد تكفل لكم بالرزق، وأمرتم بالعمل، فلا يكونن المضمون لكم طلبه أولى(٢١٤) بكم من المفروض عليكم عمله». المختار ١١٠، من خطب النهج.

وقال عليه السّلام: «وقدّر الأرزاق فكثّرها وقلّلها وقسّمها على الضيق والسعة، فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها ومعسورها، وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيّها وفقيرها»المختار ٨٧، أو ٨٩ من خطب النهج ص ١٧٧.

وفي مستدرك الوسائل ج ٢، ص ٤١٩، عن الآمدي رحمه الله في الغرر عنه عليه السّلام قال: «الرزق يسعىٰ إلىٰ من لا يطلبه».

وقال عليه السّلام: «لن يفوتك ما قسم لك، فأجمل في الطلب، ولن تدرك ما زوي عنك فأجمل في المكتسب».

وقال عليه السّلام: «الأرزاق لا تنال بالحرص والمغالبة».

وقال عليه السّلام: «أجملوا في الطلب، فكم من حريص خائب، ومجمل لم يخب».

وقال عليه السّلام: «ذلّل نفسك بالطاعة، وحلّها بالقناعة، وخفّض في الطلب، وأجمل في المكتسب».

وقال عليه السّلام: «رزقك يطلبك فأرح نفسك من طلبه».

وقال عليه السّلام: «سوف يأتيك أجلك، فأجمل في الطلب، سوف يأتيك ما قدر لك، فخفض في المكتسب».

---

(٢١٤) قيل: طلبه مبتدأ وخبره أولىٰ، والجملة خبر يكون.

وقال عليه السّلام: «عجبت لمن علم أنّ الله قد ضمن الأرزاق وقدرها وأنّ سعيه لا يزيده فيما قدر له منها وهو حريص دائب في طلب الرزق».

وروى السيد المرتضىٰ رحمه الله في الحديث الرابع، من الفصل الأخير، من الفصول المختارة: «أنّ الإمام المجتبىٰ عليه السّلام قال لرجل: يا هٰذا! لا تجاهد الطلب جهاد المغالب، ولا تتكل على التقدير اتكال المستسلم، فإنّ ابتغاء الفضل من السنة، والإجمال في الطلب من العفة[٢١٥] وليست العفة بدافعة رزقًا، ولا الحرص بجالب فضلًا، فإنّ الرزق مقسوم، والأجل موقوت، واستعمال الحرص يورث المأثم». ورواه أيضًا في البحار: ج ١٧، ص ١٤٥، عن تحف العقول. ورواه أيضًا في المجلد ٢٣، منه ص ١٢، عن قصص الأنبياء علىٰ نحو ما استصوبناه. ورواه في الحديث ٨، من الباب ١١، من كتاب التجارة، من مستدرك الوسائل: ج ٢، ص ٤٢٠، عن كتاب التمحيص.

ويدل عليه أيضًا ما يجيء من قول السبط الشهيد عليه السّلام:

فإنْ تكن الأرزاق قسماً مقدرًا فقلة حرص المرء في السعي أجمل

بل جميع ما نذكر من الكلام المنظوم المنسوب إلىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام ظاهر في ذلك.

وما قاله الإمام السّجاد زين العابدين عليه السّلام، في المختار الأوّل، من الصحيفة السجادية من قوله عليه السّلام: «جعل لكل روح منهم قوتًا معلومًا مقسومًا من رزقه، لا ينقص من زاده ناقص، ولا يزيد من نقص منهم زائد، الخ»[٢١٦].

---

(٢١٥) هٰذا هو الصواب، وفي النسخة: فإنّ ابتغاء الفضل من السنة في الإجمال والطلب، الخ. ورواه في البحار: ج ٢٣، ص ١٠، عن الحسين عليه السّلام، وفي آخره: فإنّ اتباع الرزق من السنة، والإجمال في الطلب من العفة، الخ.

(٢١٦) قال بعض المحققين من الشرّاح: وفي نسخة قديمة: «وجعل لكل ذي روح منهم قوتًا، الخ».

←

وما رواه العياشي، عن الحسين بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السّلام، قال: «قلت له: جعلت فداك، إنهم يقولون: إنّ النوم بعد الفجر مكروه، لأنّ الأرزاق تقسم في ذلك الوقت. فقال: الأرزاق موظوفة مقسومة، ولله فضل يقسمه من طلوع الفجر إلىٰ طلوع الشمس، وذلك قوله: ﴿وَاْسأَلُوا الله من فضله﴾(٢١٧) ثم قال: وذكر الله بعد طلوع الفجر أبلغ في طلب الرزق من الضرب

← والقوت ـ بالضم ـ ما يؤكل ليمسك الرمق، ومنه الحديث: «اللّهم اجعل رزق آل محمد قوتًا» أي بقدر ما يمسك الرمق من المطعم، وفي الدعاء من طريق العامة: «وجعل لكل منهم قيتة مقسومة من رزقه» وهي فعلة من القوت، أي كمية من القوت، ومن في قوله عليه السّلام: منهم ـ ابتدائية أو بيانية ـ وقوله عليه السّلام: معلومًا، أي معلوم الوصف والقدر والوقت، علىٰ حسب ما تقتضيه الحكمة، وتستدعيه الإرادة التابعة لها، لا بما تقتضيه القدرة، فإنّ ذلك غير متناه، إذ تخصيص كل شيء بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود دون ما عدا ذلك مع استواء الكل في الإمكان واستحقاق تعلق القدرة به، لابدّ له من حكمة تقتضي اختصاص كل ذلك بما اختص به، وهذا البيان سر عدم تكوين الأشياء لا علىٰ وجه الكثرة حسب ما هو في خزائن القدرة، كما قال تعالىٰ ﴿وَإنْ من شيء إلّا عندنا خزائنه وما ننزّله إلّا بقدر معلوم﴾ (٢١ الحجر).

وقوله عليه السّلام: مقسومًا، أي معينًا مفروزًا عن غيره قسمة تقتضيها مشيئته المبنية على الحكمة والمصلحة، ولم يفوض أمره إليهم علمًا منه بعجزهم عن تدبير أنفسهم، كما قال تعالىٰ: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا..﴾ (٣٢ الزخرف).

قوله عليه السّلام: من رزقه، وإمّا متعلق بجعل، أو بقوله: مقسومًا. (ومن) يحتمل أن تكون ابتدائية وبيانية وتبعيضية. والضمير إمّا راجع إلى الله فيكون من باب إضافة الشيء إلىٰ فاعله، تأكيدًا لجعله أو قسمته، ليثق الإنسان بوصول ما قدره الله إليه، فيكفّ عن الحرص والهلع في طلبه، أو إلى الروح فيكون من باب إضافة الشيء إلىٰ صاحبه بيانًا لعنايته سبحانه، وتمليكه ما يحتاج إليه.

وقوله عليه السّلام: من زاده، مفعول مقدم، وناقص فاعله، وهو اسم فاعل منه. وكذا قوله: من نقص منهم مفعول، ومفعول نقص محذوف، أي نقصه منهم، والمعنىٰ أنّ من زاد الله قوته أو رزقه منهم لا ينقصه ناقص، ومن نقصه سبحانه لا يزيده زائد، وقدم المفعول في الفقرتين لمزيد الاعتناء ببيان فعله تعالىٰ، من الزيادة والنقصان.

(٢١٧) الآية ٣٢، من سورة النساء: ٤.

في الأرض. الحديث ٧، من كتاب العدل، من البحار طبع الكمباني، ج ٢، وطبعة الحديثة، ج ٥، ص ١٤٧.

وما رواه الصّدوق رحمه الله معنعنًا في الحديث ١٢، من باب النوادر، من كتاب من لا يحضره الفقيه: طبع النجف، ج ٤، ص ٢٨١: أنّه جاء رجل إلى [الإمام الصادق] جعفر بن محمد عليهما السّلام، فقال له: بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله علمني موعظة. فقال عليه السّلام: «إنْ كان الله تبارك وتعالىٰ قد تكفل بالرزق، فاهتمامك لماذا؟ وإنْ كان الرزق مقسومًا، فالحرص لماذا؟ وإنْ كان الحساب حقًّا، فالجمع لماذا؟ وإنْ كان الخلف من الله عزّ وجلّ حقًّا، فالبخل لماذا؟ وإنْ كانت العقوبة من الله عزّ وجلّ النار، فالمعصية لماذا؟ وإنْ كان الموت حقًّا فالفرح لماذا؟ وإنْ كان العرض على الله عزّ وجلّ حقًّا فالمكر لماذا؟ وإنْ كان الشيطان عدوًّا، فالغفلة لماذا؟ وإنْ كان الممر على الصراط حقًّا، فالعجب لماذا؟ وإنْ كان كل شيء بقضاء من الله وقدره، فالحزن لماذا؟ وإنْ كانت الدّنيا فانية، فالطمأنينة إليها لماذا؟! وقريب منه في الباب الثاني، من البحار: ج ٢٣، ص ١٠، عن أمالي الصّدوق.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وروىٰ ثقة الإسلام الكليني رحمه الله، في الحديث الثاني، من الباب الثالث، من الكتاب الخامس، من الكافي ص ٥٧. والشيخ الطوسي رحمه الله، في الحديث الأخير، من المجلس الثاني، من الأمالي ٣٨ معنعنًا، عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال: «من صحة يقين المرء المسلم أنْ لا يرضي النّاس بسخط الله، ولا يلومهم علىٰ ما لم يؤته الله، فإنّ الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره، ولو أنّ أحدكم فرّ من رزقه كما يفر من الموت لأدركه رزقه، كما يدركه الموت». ورواه في البحار: ج ٢٣، ص ١٢، عن قصص الأنبياء.

وفي الحديث الثامن، من الباب ٢٣، من كتاب الإيمان والكفر، من الكافي: ج ٢، ص ٤٥٥ معنعنًا، عن الإمام الصادق عليه السّلام قال: «كم من طالب للدّنيا لم يدركها، ومدرك لها قد فارقها، فلا يشغلنك طلبها عن عملك، والتمسها من معطيها ومالكها، فكم من حريص على الدّنيا قد صرعته، واشتغل بما أدرك

منها عن طلب آخرته حتّىٰ فني عمره وأدركه أجله».

وفي الحديث التاسع، من الباب، ص ٤٥٨، معنعنًا عنه عليه السّلام قال: «إنكم في آجال مقبوضة، وأيام معدودة، والموت يأتي بغتة، من يزرع خيرًا يحصد غبطة، ومن يزرع شرًّا يحصد ندامة، ولكل زارع ما زرع، ولا يسبق البطيء منكم حظّه، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له، من أعطي خيرًا فالله أعطاه، ومن وقي شرًّا فالله وقاه».

وقال الإمام العسكري عليه السّلام: «إنكم في آجال منقوصة، وأيام معدودة، والموت يأتي بغتة، من يزرع خيرًا يحصد غبطة، ومن يزرع شرًّا يحصد ندامة، لكل زارع ما زرع، لا يسبق بطيء بحظّه، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له، من أعطي خيرًا فالله أعطاه، ومن وقي شرًّا فالله وقاه».

وقال عليه السّلام: «لا يشغلك رزق مضمون، عن عمل مفروض». تحف العقول: طبع النجف، ص ٣٦٨.

وقال عليه السّلام: «المقادير الغالبة، لا تدفع بالمغالبة، والأرزاق المكتوبة لا تنال بالشره، ولا تدفع بالإمساك عنها». البحار: طبع الكمباني، ج ١٧، ص ٢١٨.

هٰذا قليل من كثير مما هو ظاهر أو صريح في أنّ الرزق لا يقبل الازدياد، بل إنّ ما قدر لك يصل إليك، وإنْ لم تقم من مقامك، وإنّ ما لم يقدر فلا يصل إليك وإن ابتغيت في السماوات سلّمًا، أو في الأرضين نفقًا، وهو معتقد كثير من النّاس. وحكي أنّ كسرى لما قتل بزرجمهر وجد في منطقته مكتوبًا: إذا كان الغدر في النّاس طباعًا فالثقة بالنّاس عجز، وإذا كان القدر حقًّا فالحرص باطل، وإذا كان الموت راصدًا فالطمأنينة حمق.

وفي قبال هٰذه الأخبار آثار كثيرة أُخر تدل علىٰ أن الرزق مما يقبل الوفور بالسعي وحسن التدبير، وحذاقة التحفظ والتربية، مثل قوله تعالىٰ في سورة الجمعة: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل

الله﴾(٢١٨).

ومثل ما روي في بعض الكتب: أنّ الله يقول: يابن آدم حرك يدك أبسط لك في الرزق، وأعني فيما آمرك، فما اعلمني بما يصلحك.

ومثل ما روى الشيخ رحمه الله معنعنًا عن علي بن عبد العزيز قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: «ما فعل عمر بن مسلم؟ قلت: جعلت فداك، أقبل على العبادة وترك التجارة. فقال: ويحه، أمّا علم أنّ تارك الطلب لا يستجاب له دعوة؟ إنّ قومًا من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله لما نزلت: ﴿ومن يتّق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾(٢١٩) اغلقوا الأبواب، وأقبلوا على العبادة، وقالوا قد كفينا. فبلغ ذلك النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، فأرسل إليهم، فقال: ما حملكم على ما صنعتم؟ فقالوا: يا رسول الله تكفل الله لنا بأرزاقنا، فأقبلنا على العبادة. فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنه من فعل ذلك لم يستجب له، عليكم بالطلب».

ومثل ما روي في كنز الفوائد وغيره، عن أمير المؤمنين عليه السّلام: «الدّنيا دول، فاطلب حظك منها بأجمل الطلب».

ومثل ما عن الكليني رحمه الله، عن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: «أرأيت لو أن رجلًا دخل بيته وأغلق بابه، أكان يسقط عليه شيء من السماء؟!»

وعن ابن فهد رحمه الله، في عدة الداعي، عن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: «إني لأركب في الحاجة الّتي كفانيها الله، ما أركب فيها إلّا لالتماس أنْ يراني الله أضحي في طلب الحلال، أمّا تسمع قول الله عزّ وجلّ: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾. أرأيت لو أنّ رجلًا دخل بيتًا وطين عليه بابه، وقال رزقي ينزل عليّ، كائن يكون هذا؟ أمّا

---

(٢١٨) الآية ١٠، من سورة الجمعة: ٦٣.

(٢١٩) الآيتان ٢ و ٣، من سورة الطلاق: ٦٥.

إنّه أحد الثلاثة الّذين لا يستجاب لهم دعوة. قلت: من هؤلاء؟ قال رجل عنده المرأة فيدعو عليها فلا يستجاب له، لأنّ عصمتها في يده ولو شاء أن يخلي سبيلها، والرجل يكون له الحقّ على الرجل فلا يشهد عليه، فيجحد حقّه فيدعو عليه فلا يستجاب له، لأنّه ترك ما أمر به، والرجل يكون عنده الشيء فيجلس في بيته فلا ينتشر ولا يطلب ولا يلتمس الرزق حتىٰ يأكله فيدعو فلا يستجاب له». إلىٰ غير ذلك من الأخبار الكثيرة الواردة في مختلف المقامات.

والّذي يحل الإشكال، ويشرح المقصود من الأخبار السابقة هو الأخبار المفصّلة بأن الرزق نوعان، مثل هٰذا الكلام الّذي نحن في مقام شرحه، فإنه صريح في أنّ بعض أقسام الرزق يطلب الإنسان، وبعض آخر يطلبه الإنسان. ومثل ما رواه في الوسائل، عن الشيخ المفيد رحمه الله، في المقنعة، عن الإمام الصادق عليه السّلام قال: «الرزق مقسوم علىٰ ضربين: أحدهما واصل إلىٰ صاحبه وإن لم يطلبه، والآخر معلّق بطلبه، فالّذي قسم للعبد علىٰ كلّ حال آتية وإنْ يسعَ له، والذي قسم له بالسعي فينبغي له أنْ يلتمسه من وجوهه، وهو ما أحله الله دون غيره، فإنْ طلبه من جهة الحرام فوجده حسب عليه برزقه وحوسب به.

المائدة الثالثة:

في ذكر شيء مما قيل في المقام من الأشعار.

ونسب إلىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام، كما في المختار ٢١، من حرف الراء، من الديوان المنسوب إليه عليه السّلام، ص ٧٨:

للنّاس حرص على الدّنيا بتدبير وصفوها لك ممزوج بتكدير
كم من ملحّ عليها لا تساعده وعاجز نال دنياه بتقصير
لم يرزقوها بعقل حينما رزقوا لكنّما رزقوها بالمقادير
لو كان عن قوة أو عن مغالبة طار البزاة بأرزاق العصافير

وفي المختار العاشر، من حرف اللام، من الديوان المنسوب إليه عليه السّلام:

فلو إنّ العقول تجرّ رزقًا لكان الرّزق عند ذوي العقول

وفي المختار ٢٣، من الباب:

صنِ النّفس واحملها علىٰ ما يزينها تعش سالمًا والقول فيك جميل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلىٰ غد عسىٰ نكبات الدّهر عنك تزول
يعزّ غنيّ النّفس إنْ قلّ ماله ويغنىٰ غنيّ المال وهو ذليل(٢٢٠)

وروي في الباب الثاني، من البحار: ج ٢٣، ج ١٢ عن جامع الأخبار عنه عليه السّلام:

دع الحرّص على الدّنيا وفي العيش فلا تطمع
ولا تجمع من المال فلا تدري لمن تجمع
ولا تدري أفي أرضك أم في غيرها تصرع
فإنّ الرّزق مقسوم وكدّ المرء لا ينفع
فقير كلّ من يطمع غني كلّ من يقنع

ورواها عنه أيضًا في المستدرك: ص ٢، ص ٤٢٠.

وقال السبط الشهيد الإمام الحسين عليه السّلام:

فإنْ تكن الدّنيا تعدّ نفيسة فإنّ ثواب الله أعلىٰ وأنبل
وإنْ تكن الأبدان للموت أُنشئت فقتل آمرئٍ بالسيف في الله أفضل
وإنْ تكن الأرزاق قسماً مقدّرًا فقلة حرص المرء في السّعي أجمل
وإن تكن الأموال للترك جمعها فما بال متروك به المرء يبخل

وقال عليه السّلام:

---

(٢٢٠) يغنى، أي يمكث ويلبث، كقوله تعالىٰ: ﴿كأنْ لم تغن بالأمس﴾.

إذا ما عضّك الدّهر فلا تجنح إلىٰ خلق
ولا تسأل سوى الله تعالىٰ قاسم الرزقِ
فلو عشت وطوّفت من الغرب إلى الشرقِ
لما صادفت من يقد ر أنْ يسعد أو يشقي

وقال الشاعر:

لا تحرصن على الحطام فإنّما يأتيك رزقك حين يؤذن فيه
سبق القضاء بقدره وزمانه وبأنّه يأتيك أو تأتيه

وقال آخر:

أراك تزيدك الأيام حرصًا على الدّنيا كأنّك لا تموت
فهل لك غاية إنْ صرت يومًا إليها قلت حسبي قد رضيت

وذكروا أنّ إبراهيم بن هرمة انقطع إلىٰ جعفر بن سليان الهاشمي فكان يجري له رزقًا، فقطعه، فكتب إليه ابن هرمة:

إنّ الّذي شقّ في ضامن للرّزق حتّىٰ يتوفاني
حرمتني خيرًا قليلًا فما أنْ زادني مالك حرماني

فرد إليه رزقه وأحسن إليه.

وأنشد لبعضهم:

إلتمس الأرزاق عند الّذي ما دونه إن سيل من حاجب
من يبغض التّارك تسآله جودًا ومن يرضىٰ عن الطالب
ومن إذا قال جرىٰ قوله بغير توقيع إلىٰ كاتب

لابن وكيع النفيسي:

لا تحيلن علىٰ سعد ك في الرّزق ونحسك
وإذا أغفلك الدّهر فذكّره بنفسك
لا تعجل بلزوم البيت فيا قبل رمسك

إنّما يحمد حسن الرّزق ... من حمدة حسّك

وأنشد لابن أصبغ:

لو كان في صخرة في الأرض راسية ... صمّاء ملموسة ملس نواحيها
رزق لنفس براها الله لانفلقت ... عنه فأدّت إليه كلّ ما فيها
أو كان بين طباق السّبع مطلبها ... لسهّل الله في المرقىٰ مراقيها
حتّىٰ يلاقي الّذي في اللوح خطّ له ... إنْ هي أتته وإلّا سوف يأتيها

وقال حيص بيص أبو الفوارس:

يا طالب الرّزق في الآفاق مجتهدًا ... أقصر عناك فإنّ الرّزق مقسوم
الرّزق يسعى إلىٰ من ليس يطلبه ... وطالب الرّزق يسعىٰ وهو محروم

وقال أيضًا:

أنفق ولا تخشَ أقلالًا فقد قسّمت ... على العباد من الرحمان أرزاق
لا ينفع البخل مع دنيًا مولية ... ولا يضر مع الإقبال إنفاق

وقال الأصم:

وكيف أخاف الفقر والله رازقي ... ورازق هٰذا الخلق في العسر واليسر
تكفّل بالأرزاق للخلق كلّهم ... وللضّبّ في البيداء وللحوت في البحر

وقال آخر:

مالك العالمين ضامن رزقي ... فلماذا أملّك الخلق رقيّ
قد قضى لي بما عليّ وما لي ... خالقي جلّ ذكره قبل خلقي
فكما لا يرد عجزي رزقي ... فكذا لا يجر رزقي حذقي

المائدة الرابعة:

في معنى الحكمة والآثار الواردة في شأنها وشأن الحكماء، المناسبة لقوله عليه السّلام: «يا بُنَيَّ اقبل من الحكماء مواعظهم..».

قال العلامة المجلسي رحمه الله: قيل: الحكمة تحقيق العلم، وإتقان العمل. وقيل: هي ما يمنع من الجهل. وقيل: هي الإصابة في القول وقيل: هي طاعة الله. وقيل هي الفقه في الدِّين. وقال ابن دريد: «كل ما يؤدي إلىٰ مكرمة أو يمنع من قبيح». وقيل: ما يتضمن صلاح النشأتين. والتفاسير متقاربة(٢٢١).

والظاهر من الأخبار إنها العلوم الحقّة النافعة مع العمل بمقتضاها. وقد يطلق على العلوم الفائضة من جنابه تعالىٰ على العبد بعد العمل بما يعلم.

وقيل: الحكمة هي العدل والعلم والحكم والنبوة والقرآن والإنجيل ووضع الشيء في موضعه وصواب الأمر وسداده، وفي عرف العلماء هي استعمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية، واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة قدر طاقتها.

وقال بعضهم: الحكمة هي معرفة الحقائق علىٰ ما هي عليه بقدر الاستطاعة، وهي العلم النافع المعبّر عنه بمعرفة ما لها وما عليها المشار إليه بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الحكمةَ فقد أُوتيَ خيرًا كثيرًا﴾(٢٢٢) وافراطها الجربزة وهي استعمال الفكر فيما لا ينبغي كالمتشابهات، وعلىٰ وجه لا ينبغي كمخالفة

---

(٢٢١) وقيل: الحكمة هي العلم الّذي يرفع الإنسان عن فعل القبيح، مستعار من الحكمة الّتي هي اللجام وهي ما أحاط بحنك الدابة، يمنعها الخروج عن طاعة راكبها، والحكمة فهم المعاني، وسميت حكمة لأنها مانعة من الجهل.

وقال الراغب في المفردات: حكم أصله منع منعًا لإصلاح، ومنه سميت اللجام حكمة الدابة، فقيل: حكمته وحكمت الدابة: منعتها بالحكمة، وأحكمتها: جعلت لها حكمة، وكذلك حكمت السفينة وأحكمتها، قال الشاعر: «أبني حنيفة احكموا سفهاءكم».

وقيل: الحكمة ـ بكسر الحاء ـ علىٰ فعلة، بناء نوع يدل علىٰ نوع المعنىٰ، فمعناه النوع من الأحكام والإتقان أو نوع من الأمر المحكم المتقن الّذي لا يوجد فيه ثلمة ولا فتور، وغلب استعماله في المعلومات الحقّة الصادقة الّتي لا تقبل البطلان والكذب البتة. أقول: ولا يخفىٰ عليك إنها كلمة حقّ قد يراد بها الباطل.

(٢٢٢) آية ٢٦٩، من سورة البقرة: ٢.

الشرائع، وتفريطها الغباوة الّتي هي تعطيل القوة الفكرية، والوقوف عن اكتساب العلم، وهٰذه الحكمة غير الحكمة الّتي هي العلم بالأمور الّتي وجودها من أفعالنا، بل هي ملكة تصدر عنها أفعال متوسطة بين أفعال الجربزة والبلاهة.

وقال الراغب: الحكمة: إصابة الحقّ بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالىٰ معرفة الأشياء وإيجادها علىٰ غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات، وهٰذا هو الّذي وصف به لقمان في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ولقد آتينا لُقمانَ الحِكمةَ﴾(٢٢٣) ونبّه علىٰ جملتها بما وصفه بها. فإذا قيل في الله تعالىٰ: هو حكيم فمعناه بخلاف معناه إذا وصف به غيره، ومن هٰذا الوجه قال الله تعالىٰ: ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾(٢٢٤)، وإذا وصف به القرآن فلتضمنه الحكمة نحو ﴿الـر، تلك آيات الكتاب الحكيم﴾(٢٢٥) وعلىٰ ذلك قال: ﴿ولقد جاءهم مِنْ الأنباءِ ما فيهِ مزدجر، حكمة بالغة﴾(٢٢٦).

وقيل: معنى الحكيم: المحكم نحو ﴿أحكمتْ آياتهُ﴾(٢٢٧) وكلاهما صحيح، فإنه محكم ومفيد للحكم، ففيه المعنيان جميعًا.

والحكم أعمّ من الحكمة، فكل حكمة حكم، وليس كل حكم حكمة، فإنَّ الحكم أنْ يقضي بشيء علىٰ شيء فيقول: هو كذا، أو ليس بكذا، قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ من الشعر لحكمة، أي قضية صادقة، وذلك نحو قول لبيد: «إنّ تقوىٰ ربّنا خير نفل». قال الله تعالىٰ: ﴿وآتيناهُ الحكمَ صبيًّا﴾(٢٢٨) وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «الصمت حكم وقليل فاعله» أي حكمة. قال تعالىٰ ﴿ويعلّمهم الكتاب والحكمة﴾ وقال تعالىٰ: ﴿واذكرنَّ ما يتلىٰ في بيوتكنّ

---

(٢٢٣) آية ١٢، من سورة لقمان: ٣١.
(٢٢٤) آية ٨، من سورة التين: ٩٥.
(٢٢٥) آية ١، من سورة يونس: ١٠.
(٢٢٦) الآيتان ٣ و ٤، من سورة القمر: ٥٤.
(٢٢٧) آية ١، من سورة هود: ١١.
(٢٢٨) الآية ١٢، من سورة مريم: ١٦.

من آيات الله والحكمة﴾[٢٢٩] قيل: تفسير القرآن، ويعني ما نبه عليه القرآن، ومن ذلك ﴿إنّ الله يحكم ما يريد﴾[٢٣٠] أي ما يريده يجعله حكمة[٢٣١] وذلك حثّ للعباد على الرّضا بما يقضيه.

قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ﴿من آيات الله والحكمة﴾ هي علم القرآن، ناسخة ومنسوخة. محكمة ومتشابهة. وقال ابن زيد: هي علم آياته وحكمه. وقال السّديّ: هي النبوّة. وقيل: فهم حقائق القرآن، وذلك إشارة إلى أبعاضها الّتي تختص بأولي العزم من الرسل، ويكون سائر الأنباء تبعًا لهم في ذلك، وقوله عزّ وجلّ: ﴿يحكم بها النبيّون الّذين أسلموا للذين هادوا﴾[٢٣٢] فن الحكمة المختصّة بالأنبياء، أو من الحكم، قوله عزّ وجلّ: ﴿آيات محكمات هنّ أم الكتاب، وأُخر متشابهات﴾[٢٣٣] فالمحكم ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ، ولا من حيث المعنىٰ.

وروى العلامة الكراجكي رحمه الله، في كنز الفوائد: ط ١، ص ٢١٤، عن لقمان الحكيم وصيّة لولده، منها:

«يا بُنَيّ تعلّم الحكمة تشرف، فإنّ الحكمة تدلّ على الدّين، وتشرّف العبد على الحرّ، وترفع المسكين على الغني، وتقدم الصغير على الكبير، وتجلس المسكين مجالس الملوك، وتزيد الشريف شرفًا، والسيد سؤددًا، والغني مجدًا، وكيف يظن ابن آدم أنْ يتهيّأ له أمر دينه ومعيشته بغير حكمة، ولن يهيّئ الله عزّ وجلّ أمر الدّنيا والآخرة إلّا بالحكمة، ومثل الحكمة بغير طاعة مثل الجسد بلا

---

(٢٢٩) الآية ٣٤، من سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢٣٠) الآية ١، من سورة المائدة: ٥.

(٢٣١) هٰذا خلاف ظاهر الآية، والظاهر من السياق أنّه تعالىٰ في مقام بيان قهاريته، وأنّه إذا أراد شيئًا يوجده بإرادته النافذة، وحكمه الماضي، بخلاف غيره، فإنّ إرادته غير ماضية فيما أحب وأراد.

(٢٣٢) الآية ٤٤، من سورة المائدة: ٥.

(٢٣٣) الآية ٧، من سورة آل عمران: ٣.

نفس، أو مثل الصعيد بلا ماء، ولا صلاح للجسد بلا نفس، ولا للصعيد بغير ماء، ولا للحكمة بغير طاعة».

وقال أيضًا: لَئِن يضربك الحكيم فيؤذيك خير من أنْ يدهنك الجاهل بدهن طيب. البحار: ج ١٧، ص ٢٦٨.

وفي الحديث ٣٤، من باب النوادر، من كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٢٨٥ معنعنًا، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «إنّ عيسىٰ ابن مريم عليه السّلام قام في بني اسرائيل فقال: يا بني اسرائيل لا تحدثوا بالحكمة الجهال فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، ولا تعينوا الظالم علىٰ ظلمه فيبطل فضلكم، الأمور ثلاثة: أمر تبين لك رشده فاتبعه، وأمر تبين لك غيّه فاجتنبه، وأمر اختلف فيه فردّه إلى الله عزَّ وجلَّ». وروي عن منية المريد، للشهيد الثاني أيضًا.

وقال النبي صلّى الله عليه وآله: «كلمة من الحكمة يتعلّمها الرجل خير له من الدّنيا وما فيها». المحجة البيضاء: ط ٢، ص ٩٤، عن إحياء العلوم.

ونسب إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنّه قال: «قلب ليس فيه شيء من الحكمة كبيت خراب، فتعلموا وعلموا وتفقهوا، ولا تموتوا جهالًا، فإنّ الله لا يعذر على الجهال» (على الجهل وهو الأظهر).

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ما أخلص عبد العمل لله أربعين يومًا إلّا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه». قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «الحكمة ضالّة المؤمن يأخذها ممن سمعها، ولا يبالي في أي وعاء خرجت».

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم»(٢٣٤).

وروي عن كتاب نزهة الناظر، لأبي يعلى الجعفري رحمه الله قال: قال

(٢٣٤) ورواه في البحار: في الحديث ١٤، ج ١٧، ص ٥١، عن أعلام الدّين بلفظ: لا تعطوا، الخ.

رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «كلمة حكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها خير من عبادة سنة». ورواه في البحار: ج ١٧، ص ٤٩، س ٥، عن أعلام الدِّين للديلمي رحمه الله.

وفي البحار: ج ١٧، ص ٥٠، عن كتاب الإمامة والتبصرة، معنعنًا عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «غريبتان غريبة، كلمة حكم من سفيه فاقبلوها، وكلمة سفه من حكيم فاغفروها».

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام: «الحكمة شجرة تنبت في القلوب، وتثمر على اللسان». نقله بعض الفضلاء عن كتاب الناسخ.

وقال عليه السّلام في أوائل عهده للأشتر رحمه الله: «وأكثر مدارسة العلماء، ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، واقامة ما استقام به النّاس قبلك..».

وقال عليه السّلام: «إنّ كلام الحكماء إذا كان صوابًا كان دواءً، وإذا كان خطأً كان داءً». المختار ٢٦٥، من قصار النهج.

وقال عليه السّلام في مدح قوم ينصرون الحقّ في آخر الزمان: «ويغبقون كأس الحكمة بعد الصبوح...»(٢٣٥).

وقال عليه السّلام في ذم فتن ستحدث بعده: «تغيض فيها الحكمة، وتنطق فيها الظلمة..». المختار ١٤٩، من خطب النهج.

وقال عليه السّلام في وصيته للإمام المجتبىٰ عليه السّلام «أحي قلبك بالموعظة، وأمته بالزهادة، وقوه باليقين، ونوره بالحكمة..».

وقال عليه السّلام: «واعلموا أنْ ليس من شيء إلّا ويكاد صاحبه أن يشبع منه بملّه إلّا الحياة، فإنّه لا يجد له في الموت راحة، وإنّما ذلك بمنزلة الحكمة الّتي هي حياة للقلب الميت، وبصر للعين العمياء، وسمع للأذن الصماء. وريّ

---

(٢٣٥) المختار ١٤٨، من خطب النهج، ويغبقون ـ علىٰ بناء المجهول ـ أي يسقون.

للظمآن، وفيها الغنىٰ كله والسلامة..»[٢٣٦].

وقال عليه السّلام: «خذ الحكمة أنىّٰ كانت، فإنّ الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في صدره حتّىٰ تخرج فتسكن إلىٰ صواحبها في صدر المؤمن».

وقال عليه السّلام: «الحكمة ضالة المؤمن، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق». المختار ٧٩ و ٨٠، من قصار نهج البلاغة.

وقال عليه السّلام: «إنّ الحكماء ضيعوا الحكمة لما وضعوها عند غير أهلها». البحار: ج ١٧، ص ٢٠٨.

وعن الإمام السجاد عليه السّلام قال: «هلك من ليس له حكيم يرشده، وذلّ من ليس له سفيه يعضده». البحار: ج ١٧، ص ١٦٠، س ١١.

وفي الحديث ٢٦، من الباب ٧، من البحار: طبع الكمباني، ج ١، ص ٦٧، عن مصباح الشريعة، قال الصادق عليه السّلام: «الحكمة ضياء[٢٣٧] المعرفة، وميراث التقوىٰ، وثمرة الصدق، وما أنعم الله علىٰ عبد من عباده نعمة أنعم

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

(٢٣٦) قال الشيخ محمد الحقّاني وفقه الله: المشار إليه في قوله عليه السّلام: «وإنما ذلك بمنزلة الحكمة...» هو عدم التشبع والملالة من الحياة، أي عدم شبع أهل الدّنيا من الحياة، وعدم ملالتهم منها، كعدم شبع العلماء والصلحاء من الحكمة الّتي هي حياة للقلب، وضياء للعين، وسمع للأذن، وريّ للظماء، وفيها الغنىٰ والسلامة، وهي كتاب الله الّذي به يبصر البصير، وينطق المحقّ، الخ. وهذا المعنى المستفاد من السياق، مؤيد أيضًا بقرائن خارجية مثل قولهم عليهم السّلام: منهومان لا يشبعان: طالب الدّنيا وطالب العلم. ومثل ما ورد في شأن القرآن كقولهم عليهم السّلام: إنّ لله حرمات ثلاث كتابه هو حكمة ونور، الخ. ومثل ما ورد في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا﴾ الآية، إلىٰ غير ذلك مما ورد في شأن القرآن.

(٢٣٧) قال العلامة المجلسي رحمه الله: «إضافة الضياء إلى المعرفة إمّا بيانية، أو لامية، وعلى الأخير فالمراد: النور الحاصل في القلب بسبب المعرفة، أو العلوم الفائضة بعدها، والثبات عند أوائل الأمور عدم التزلزل من الفتن الحادثة عند الشروع في عمل من أعمال الخير، وكذا الوقوف عند عواقبها وأواخرها وما يترتب عليها من المفاسد الدنيوية».

وأعظم وأرفع وأجزل وأبهىٰ من الحكمة»، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا وما يذكّر إلّا أولوا الألباب﴾. أي لا يعلم ما أودعت وهيّئت في الحكمة إلّا من استخلصه لنفسه [لنفسي «ظ»] وخصصته بها، والحكمة هي الثبات، وصفة الحكيم الثبات عند أوائل الأمور، والوقوف عند عواقبها، وهو هادي خلق الله إلى الله تعالىٰ، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعلي: «لئن يهدي الله علىٰ يديك عبدًا من عباد الله خير لك مما طلعت عليه الشمس من مشارقها إلىٰ مغاربها».

وقال عليه السّلام: «كثرة النظر في الحكمة تلقح العقل». البحار: ج ١٧، ص ١٨٥.

وقال الإمام السابع موسىٰ بن جعفر عليهما السّلام في وصاياه للعبد الصالح هشام بن الحكم رحمه الله: «يا هشام إنّ الزرع ينبت في السهل، ولا ينبت في الصفا، فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع، ولا تعمر في قلب المتكبّر الجبّار، لأنّ الله تعالىٰ جعل التواضع آلة العقل، وجعل التكبّر من آلة الجهل، ألم تعلم أنّ من شمخ إلى السقف برأسه شجّه، ومن خفض رأسه استظل تحته وأكنه، فكذلك من لم يتواضع لله خفضه الله، ومن تواضع لله رفعه الله..».

وقال عليه السّلام فيها أيضًا: «واعلموا أنّ الكلمة من الحكمة ضالة المؤمن، فعليكم بالعلم قبل أنْ يرفع، ورفعه غيبة عالمكم بين أظهركم».

وقال عليه السّلام: «يا هشام لا تمنحوا الجهّال الحكم فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، يا هشام كما تركوا لكم الحكمة، فاتركوا لهم الدّنيا...». البحار: طبع الكمباني، ج ١٧، ص ١٩٩.

وقال الإمام الهادي عليه السّلام: «الحكمة لا تنجع في الطباع الفاسدة».

وعنهم عليهم السّلام: «خذوا الحكمة ولو من ألسنة المشركين».

وقالت الحكماء: «لا يطلب الرجل حكمة إلّا بحكمة عنده». وقالوا: «إذا وجدتم الحكمة مطروحة على السكك فخذوها».

وذكر ابن مسكويه رحمه الله، في حكم الإسلاميين، من الحكمة الخالدة، ص ٢٨٥، وصيّة وفيها: «يا طالب الحكمة طهّر لها قلبك، وفرّغ لها لبك، واجمع إلى النظر فيها همّتك، فإنّ الحكمة أعظم المواهب الّتي وهبها الله لعباده، وأفضل الكرامة الّتي أكرم الله بها أولياءه، وهي المال الّذي من أحرزه استغنىٰ به، ومن عدمه لم يغنه شيء سواه، والصاحب الّذي من صحبه في عمره لم يستوحش معه، ومن فارقه لم يسكن إلىٰ أحد بعده، هي للقلوب كالقطر للنبات، ومن العقول بمنزلة الضياء من الأبصار، بطنت الحكمة لكلّ شيء، وظهرت عليه، وعلت فوقه، وأحاطت به، فلها بكلّ شيء خبر، وعندها علىٰ كلّ خبر شهادة، ومن أعظم شأنها أنها ليس أحد إلّا وهو منتحل اسمها، ومتزين بها، ولا حاجة بها إلى انتحال شيء غيرها، ولا التزين بغير زينتها، فإن كنت من حملتها ففرّغ لها قلبك، وارفع إلى النظر فيها همتك، فإنها أطهر من أن تجامع دنسًا، وأنزه من أن تخالط قذرًا، فقد رأينا من أراد الغرس في أرضه يبدأ فيقلع ما فيها من غرائب النبت، ثم يأتي بكرائم الغرس فينصبه فيها، وكذلك من طلب الحكمة، ورغب في اقتنائها، فهو حقيق بأنْ يبدأ بما في قلبه من أضوائها فيمحقها ويطهره منها، مثل الهوىٰ والشهوات المردية، ومثل الحقد والحسد، ومحبة الكرامة والتسرع إلى الغضب، وأشباه هٰذه الأشياء، فإذا تطهّر منها استقبل الحكمة فأخذ منها ما استطاع، فإذا أظفرك الله بالحكمة، وزرع فيك بذرها، فلا يكونن زارع أولىٰ بالقيام علىٰ زرعه منك، ولا يمنعك بُعدُ غورها، وكثرة أشباهها منها، فإنها من المعونة علىٰ نفسها مثل الّذي بالشمس للإبصار، على استثباتها والاستبانة لها، فمن صحّ بصر نفسه، ثم وصل بما صحّ منه إلىٰ ما يرد عليه من الحكمة، أو رابه شيء من الأمور لم يمنعه ما فاته منها أنْ يسمىٰ حكيمًا، ويلحقه ما ظفر به بالحكماء، كما لا يمنع البصر ما فاته من المبصرات من أنْ يدعىٰ بصيرًا ويلحقه بالبصراء، فإذا صح لك من عقلك ما تعرف به وجوه الحكمة، وترغب به في الخير، وتميز بينه وبين الشر، فليس بشهادة النّاس ولا بما يسمونه حكمة تكون حكيمًا، ولا بعقولهم تعدّ من العقلاء، ولا بسائر ما يثنون عليهم من ودّهم

ونصائحهم تكون فاضلًا، وإنّما النّاس رجلان: رجل لا خير فيه، جاهل بحقيقة الحكمة، فليس ملتفتًا إليه، ورجل من أهل الحكمة لا يمنعك مما سهل الله لك به سبيل الخير، بل يبذله لك، لأنّه ليس يباع بثمن، ولا يمنع من طالب، ولا يكتتم كاكتتام الذنوب، واعلم أنّ العقل متوجّه أينما وجّه، وله غناء أينما صرف، وبعض مصارفه أنفع من بعض، فإذا صرف إلى الدّين أحكمه ونفقه فيه، وإذا صرف إلى الدّنيا أغني بها واحتال فيها فليس مستودعًا شيئًا إلّا حفظه، ولا مصبوغًا بصبغ إلّا قبله، ولا محملًا رشدًا ولا غيًّا إلّا تحمّله، فإيّاك أنْ تعدله عن رشد، أو تصرفه إلىٰ غي عامدًا أو مخطئًا، فإنك لست محكمًا به شيئًا من أمر دنياك إلّا أضعت به أكثر منه من أمر دينك، ولا حافظًا به شيئًا من الأدب غير النافع إلّا أضعت به أكثر منه من نافع الأدب، غير أنّك تجمع إلىٰ ضياع العناية بما لا ينفع استيجاب التبعة فيا أضعت، وليس شيء من أمر الدّنيا صرفت إليه عقلك فأحكمته إلّا سيعود محكمه عن وشيك ضائعًا، وصالحه فاسدًا لا يصحبك شيء منه في آخرتك، ولا يوثق ببقائه لك في دنياك، وإنّما وهن أمر صاحب الدّنيا وبطل سعيه، لأنّه بنىٰ في غير داره، وغرس في غير أرضه، فلم يكن له ـ حين جاء من يشخصه ـ إلّا أنْ ينقضه ويدعه لغيره، ومن أخطاه العقل ظهر به الحمق والبله، ومن صرف عقله إلىٰ غير الحق ظهر به الدهي، وبعض الدهي أبلغ في الشر من كثير من الحمق، وإنّما القصد في ذلك أنْ يصاب الحقّ، ثم لا يصرف به عن جهته.

اعلم أنّه من غابت الحكمة عن عقله عجز عن انفاذ الأمور كما تعجز العين الصحيحة عن رؤية الأشياء عند فقد الضياء، ولا يسلم له حقّ وإن حسنت ولايته، وذلك إنه كان جوادًا أفسد جوده التبذير، وسوء موضع الصنيعة وذلك إنه يصرف العطية إلىٰ من لا حقّ له مع منع ذوي الحقّ، وإنْ كان بليغًا أفرط في القول، وأخطأ البغية، وإنْ كان عالمًا أفسد علمه العجب، وإنْ كان حليمًا أفسد حلمه الذلّ والمهانة، وإنْ كان صموتًا أضر بصمته العي، وإنْ كان لينًا بلغ لينه الضعف، فمن فقد الحكمة من أهل الخصال الحسنة ضاعت خصاله، ومن فقدها من غيرهم هلك كلّ الهلاك، الخ. وهي طويلة أخذنا منها بقدر الحاجة».

المائدة الخامسة:

في بعض الآثار الواردة في حقّ الفقه والفقيه المناسبة لقوله عليه السّلام: «وتفقه في الدِّين فإنّ الفقهاء ورثة الأنبياء...».

فعن غوالي اللآلي، قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: «فقيه واحد أشدّ على إبليس من ألف عابد».

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من أراد الله به خيرًا يفقّهه في الدِّين». وهٰذا يأتي بأسانيده عن غير واحد من الأئمة صلوات الله عليهم.

وعنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من يرد الله به خيرًا يفقّهه في الدِّين». دعائم الإسلام: ج ١، ص ٨١. وكما في الحديث ٢٨، من الباب ٦، من البحار: ج ١، ص ٦٧، عن الغوالي معنعنًا، وفي الحديث ٣٠، من الباب معنعنًا، عن كتاب السرائر، قال رسول الله: «نعم الرجل الفقيه، إنْ احتيج إليه نفع، وإنْ لم يحتج إليه نفع نفسه».

وفي الحديث ٣٣، عن المجالس معنعنًا عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إذا أراد الله بعبد خيرًا فقّهه في الدِّين».

وفي الحديث ٣٤، عن روضة الواعظين، عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أفضل العبادة الفقه، وأفضل الدِّين الورع».

وعنهم عليهم السّلام: «خلتان لا تجتمعان في منافق: فقه في الإسلام، وحسن سمت في وجه». دعائم الإسلام: ج ١، ص ٨١ و٨٠. وهٰذا متواتر عنهم عليهم السّلام.

وعنهم عليهم السّلام، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، أنّه خطب النّاس في مسجد الخيف فقال: «رحم الله عبدًا سمع مقالتي فوعاها، وبلغها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه وليس بفقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه..». وهٰذا الخبر له مصادر وثيقة من الطريقين: الشيعة والسنة.

وفي البحار: ج ١٧، ص ٢٠٨، عن فقه الرّضا: «تفقهوا في دين الله لأنّه أروىٰ، من لم يتفقه في دينه ما يخطئ أكثر مما يصيب، فإنّ الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة، والسبب إلى المنازل الرفيعة..».

وعن بصائر الدرجات معنعنًا، عن الإمام السجاد، والإمام الباقر عليهما السّلام: «متفقه في الدّين أشد على الشيطان من عبادة ألف عابد».

وعن المحاسن معنعنًا، عن الإمام الباقر عليه السّلام قال: «تفقهوا في الحلال والحرام، وإلّا فأنتم أعراب». الحديثان ١٠ و ١٤، من الباب ٦، من البحار: ج ١، ص ٦٦.

وعن ثقة الإسلام رحمه الله معنعنًا عنه عليه السّلام قال: «الكمال كل الكمال التفقه في الدّين، والصبر على النائبة، وتقدير المعيشة». الحديث الرابع، من الباب الثاني، من كتاب فضل العلم، من الكافي: ج ١، ص ٣٢.

وعن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه كان يقول: «تفقهوا في الدّين، فإنّه من لم يتفقه منكم في الدّين فهو أعرابي، إنّ الله يقول في كتابه ﴿ليتفقهوا في الدّين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون﴾».

وقال عليه السّلام: «عليكم بالتفقه في دين الله، ولا تكونوا أعرابًا، فإنه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة ولم يزكّ له عملًا».

وعنه عليه السّلام: «لوددت أنّ أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتّىٰ يتفقهوا».

وسأله رجل عن رجل عرف هٰذا الأمر، لزم بيته، ولم يتعرف إلىٰ أحد من إخوانه، قال: فقال: كيف يتفقه هٰذا في دينه ؟!

وعنه عليه السّلام: «لا خير فيمن لا يتفقه من أصحابنا ـ يا بشير ـ إنّ الرجل منهم إذا لم يستغن بفقهه احتاج إليهم، فإذا احتاج إليهم أدخلوه في باب ضلالتهم وهو لا يعلم». كلّ ذلك ذكره ثقة الإسلام رحمه الله بأسانيدها في الحديث ٦، من الباب ٢، من كتاب فضل العلم، والأحاديث ٦ إلىٰ ١٠، من

الباب ١، من الكافي.

وعن المحاسن معنعنًا، قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: «لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتّىٰ تكون فيه خصال ثلاث: التفقه في الدّين، وحسن التقدير في المعيشة، والصبر على الرزايا». ورواه في الخصال مسندًا عن أمير المؤمنين عليه السّلام، كما في الحديثان ٤ و ١١، من الباب ٦، من كتاب العلم، من البحار: ج ١، ص ٦٥ و٦٦.

وعنه عليه السّلام: «إذا أراد الله بعبد خيرًا فقّهه في الدين». كما في الحديث ٣، من الباب ٢، من كتاب فضل العلم من الكافي ص ٣٢، ورواه أيضًا باختلاف في اللفظ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، في الحديث ٩، من المجلس ١٩، من أمالي الشيخ المفيد، وفي كنز الفوائد ص ٢٣٩، ورواه في المحجة البيضاء: ج ١، ص ١٣، عن جماعة من العامة، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وقال الإمام الكاظم عليه السّلام: «تفقهوا في دين الله، فإنّ الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة، والسبب إلى المنازل الرفيعة، والرتب الجليلة في الدّين والدّنيا، وفضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب ومن لم يتفقه في دينه لم يرض الله له عملًا». تحف العقول: ٣٠٧.

وعن الإمام الجواد عليه السّلام: «التفقه ثمن لكل غال، وسلّم إلىٰ كلّ عال». الحديث ٣٩، من الباب ٦، من البحار: ج ١، ص ٦٧، عن الدرة الباهرة.

المائدة السادسة:

في الآثار الدالة علىٰ مراعاة النّاس، وأنْ يرضى لهم ما يرضاه لنفسه، المناسبة لقوله عليه السّلام: «وأحسن إلىٰ جميع النّاس كما تحبّ أنْ يحسن إليك، الخ».

روى الصّدوق رحمه الله في الباب ٩٧، من الجزء الثاني، من معاني الأخبار: ص ٢٥٣ معنعنًا، قال: قال لقمان لابنه: «يا بُنَيّ صاحب مائة، ولا تعاد

واحدًا، يا بُنَيّ إنما خلاقك وخلقك، فخلاقك دينك، وخلقك بينك وبين النّاس، فلا تتبغض إليهم، وتعلّم محاسن الأخلاق، يا بُنَيّ كن عبدًا للأخيار، ولا تكن ولدًا للأشرار، يا بُنَيّ أدِّ الأمانة تسلم لك دنياك وآخرتك، وكن أمينًا تكن غنيًّا».

وروى الكليني رحمه الله، في الحديث ٩، من باب حقّ المؤمن، من الكافي: ج ٢، ص ١٧٢ معنعنًا، عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «ست خصال من كن فيه كان بين يدي الله عزّ وجلّ وعن يمين الله: يحب المرء المسلم لأخيه ما يحب لأعز أهله، ويكره لأخيه ما يكره لأعز أهله..».

وعن الصّدوق رحمه الله معنعنًا، أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام وجد في قائمة سيف من سيوف رسول الله صحيفة، فيها ثلاثة أحرف: «صل من قطعك، وقل الحقّ ولو علىٰ نفسك، وأحسن إلىٰ من أساء إليك». الحديث ٢، من الباب ١١، من البحار: ج ١٦، ص ٤٤، عن أمالي الصّدوق.

وروىٰ ثقة الإسلام الكليني رحمه الله معنعنًا، في الحديث العاشر، من الباب ٦٦، من كتاب الإيمان والكفر، من الكافي: ج ٢، ص ١٤٦: «أنّه جاء أعرابي إلى النبي صلّى الله عليه وآله، وهو يريد بعض غزواته، فأخذ بغرز راحلته فقال: يا رسول الله علمني عملًا أدخل به الجنة. فقال: ما أحببت أن يأتيه النّاس إليك فأته إليهم، وما كرهت أنْ يأتيه النّاس إليك فلا تأته إليهم، خل سبيل الراحلة».

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام، في وصيّته إلى الإمام المجتبىٰ عليه السّلام: «يا بُنَيّ اجعل نفسك ميزانًا فيما بينك وبين النّاس، فأحبب لغيرك ما تحبّ لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحبّ أن تظلم، وأحسن كما تحبّ أن يحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارض من النّاس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم وإنْ قلَّ ما تعلم، ولا تقل ما لا تحبّ أنْ يقال لك..».

وروىٰ في الحديث ٥، من الباب ٢٦، من كتاب العشرة، من الكافي ج ٢، ص ٦٧ معنعنًا: «إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام صاحب رجلًا ذميًّا، فقال له

الذميّ: أين تريد يا عبد الله؟ قال: أريد الكوفة، فلمّا عدل الطريق بالذميّ عدل معه عليٌّ، فقال له الذميّ أليس زعمت تريد الكوفة؟ قال: بلىٰ: فقال له الذميّ: فقد تركت الطريق. فقال له: قد علمت. فقال له: فلم عدلت معي وقد علمت ذلك؟ فقال له عليّ عليه السّلام: هٰذا من تمام حسن الصحبة أن يشيع الرجل صاحبه هنيهة إذا فارقه، وكذلك أمرنا نبيّنا. فقال له: هٰكذا؟ قال: نعم. فقال له الذمي: لا جرم إنّما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة، وأنا أشهدك أني علىٰ دينك، فرجع الذمي مع عليٍّ فلما عرفه أسلم». وهٰذا اللفظ رواه المجلسي رحمه الله، في الحديث ٤، من باب ١١، من البحار: طبع الكمباني، ج ١، من الباب ١٦، ص ٤٤ معنعنًا، عن قرب الإسناد.

وعن السبط الأكبر، الإمام الحسن عليه السّلام قال: «يابن آدم عف عن محارم الله تكن عابدًا، وارض بما قسم الله سبحانه تكن غنيًّا، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلمًا، وصاحب النّاس بمثل ما تحبّ أنْ يصاحبوك به تكن عدلًا..» المختار ٣٦، من كلامه عليه السّلام، في البحار: طبع الكمباني، ج ١٧، ص ١٤٧.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وروى الصّدوق رحمه الله، في الباب ٦٦، من كتاب التوحيد ص ١٣٧، مسندًا عن الإمام الباقر عليه السّلام قال: «أوحى الله تبارك وتعالىٰ إلىٰ آدم عليه السّلام: يا آدم إني أجمع لك الخير كله في أربع كلمات، واحدة لي وواحدة لك، وواحدة فيما بيني وبينك، وواحدة فيما بينك وبين النّاس، فأمّا الّتي لي: فتعبدني لا تشرك بي شيئًا، وأمّا الّتي لك: فأجازيك بعملك أحوج ما تكون إليه، وأمّا الّتي بيني وبينك: فعليك الدعاء وعليَّ الإجابة، وأمّا الّتي فيما بينك وبين النّاس: فترضى للنّاس ما ترضى لنفسك». ورواه أيضًا معنعنًا عنه عليه السّلام، في الحديث ١٣، من باب العدل والإنصاف، من الكافي: ج ٢، ص ١٤٦. ورواه أيضًا معنعنًا، عن الإمام الصادق عليه السّلام، في الحديث ٥٣، من باب النوادر، من كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٢٩٠.

وروى الكليني رحمه الله، في الحديث الثاني، من الباب ٧٥ (باب حق

المؤمن) من الكافي: ج ٢، ص ١٦٩ معنعنًا، عن معلىٰ بن خنيس عن الإمام الصادق عليه السّلام قال: «قلت له: ما حقّ المسلم على المسلم؟ قال: له سبعة حقوق واجبات، ما منهن حقّ إلّا وهو عليه واجب، إنْ ضيّع منها شيئًا خرج من ولاية الله وطاعته، ولم يكن لله فيه نصيب، ـ وساق الكلام إلىٰ أنْ قال عليه السّلام ـ: وأيسر حقّ منها، أنْ تحبّ له ما تحبّ لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك..». ورواه أيضًا شيخ الطائفة رحمه الله، مسندًا في الحديث ٣، من الجزء الرابع من الأمالي ص ٥٩.

وأيضًا روىٰ ثقة الإسلام الكليني رحمه الله، في الحديث الثالث، من الباب، معنعنًا عنه عليه السّلام أنّه قال: «إنّ من أشد ما افترض الله على خلقه ثلاثًا: انصاف المرء من نفسه حتّى لا يرضى لأخيه من نفسه إلّا بما يرضى لنفسك منه، ومواساة الأخ في المال...».

وأيضًا روى الكليني رحمه الله، في الحديث ٤، من الباب معنعنًا عنه عليه السّلام: «ما عبد الله بشيء أفضل من أداء حقّ المؤمن».

وفي الحديث الثاني، من الجزء الرابع، من أمالي الشيخ رحمه الله، ص ٥٩ معنعنًا، عن محمد بن مسلم قال: أتاني رجل من أهل الجبل، فدخلت معه علىٰ أبي عبد الله عليه السّلام، فقال له عند الوداع: «أوصني. فقال: أوصيك بتقوى الله، وبر أخيك المسلم، وأحبّ له ما تحبّ لنفسك، واكره له ما تكره لنفسك، وإنْ سألك فأعطه، وإنْ كف عنك فاعرض عليه، ولا تمله خيرًا فإنّه لا يملك، وكن له عضدًا فإنّه لك عضد، وإنْ وجد عليك فلا تفارقه حتّىٰ تحل سخيمته، وإنْ غاب فاحفظه في غيبته، وإنْ شهد فاكنفه واعضده ووازره وأكرمه ولاطفه، فإنّه منك وأنت منه».

المائدة السابعة:

في تفسير الخلق الحسن، والأخبار الواردة في مدحه، المناسبة لقوله عليه السّلام: «وحسّن مع جميع النّاس خلقك...».

قال العلامة المجلسي رحمه الله: «الخلق ـ بالضم ـ يطلق على الملكات والصفات الراسخة في النفس، حسنة كانت أم قبيحة، وفي مقابلة الأعمال، ويطلق حسن الخلق غالبًا على ما يوجب حسن المعاشرة ومخالطة النّاس بالجميل».

قال الراغب: «الخَلق والخُلق في الأصل واحد، لكن خصّ الخَلق ـ بالفتح ـ بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخصّ الخُلق ـ بالضم ـ بالقوىٰ والسجايا المدركة بالبصيرة».

وقال في النهاية: «الخلق ـ بضم اللام وسكونها: الدِّين والطبع والسجيّة، وحقيقته أنّه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسها وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق ـ بالفتح ـ لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر ممّا يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة، ولهذا تكررت الأحاديث في مدح حسن الخلق في غير موضع كقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أكثر ما يدخل النّاس الجنة تقوى الله وحسن الخلق». وقوله: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا». وقوله: «إنّ العبد ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم. وقوله: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». والأحاديث من هٰذا النوع كثيرة، وكذلك جاء في ذم سوء الخلق أحاديث كثيرة».

وقيل: حسن الخلق إنما يحصل من الاعتدال بين الإفراط والتفريط في القوة الشهوية والقوة الغضبية، ويعرف ذلك بمخالطة النّاس بالجميل، والتودد والصلة والصدق واللطف والبر وحسن الصحبة والعشرة والمراعاة والمساواة والرفق والحلم والصبر والاحتمال لهم والإشفاق عليهم، وبالجملة هي حالة نفسانية يتوقف حصولها على اشتباك الأخلاق النفسانية بعضها ببعض، ومن ثم قيل: هو حسن الصورة الباطنة الّتي هي الصورة الناطقة، كما أنّ حسن الخلق هو حسن الصورة الظاهرة، وتناسب الأجزاء، إلّا إنّ حسن الصورة الباطنة قد يكون مكتسبًا، ولذا قد تكررت الأحاديث في الحثّ عليه وعلىٰ تحصيله.

وقال الراوندي رحمه الله، في ضوء الشهاب: «الخلق السجية والطبيعة، ثم يستعمل في العادات الّتي يتعودها الإنسان من خير أو شر، والخلق ما يوصف العبد بالقدرة عليه، ولذلك يمدح ويذم به، ويدل علىٰ ذلك قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: خالق النّاس بخلق حسن».

وأمّا الأخبار الدالة علىٰ مدح حسن الخلق فكثيرة، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله، في وصاياه(٢٣٨) لعليّ عليه السّلام: «يا عليّ ألا أخبركم بأشبهكم بي خلقًا؟ قال: بلىٰ يا رسول الله. قال: أحسنكم خلقًا، وأعظمكم حلمًا، وأبرّكم بقرابته، وأشدكم من نفسه إنصافًا ـ إلىٰ أنْ قال صلّى الله عليه وآله وسلم ـ لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أعود من العقل، ولا وحدة أوحش من العجب، ولا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف عن محارم الله تعالىٰ، ولا حسب كحسن الخلق، ولا عبادة مثل التفكر»(٢٣٩). والذيل رواه في البحار: ج ٢ من الباب ١٥، ص٢٠٩، في الحديث ٥٣، من باب حسن الخلق، عن معاني الأخبار.

وفي الحديث ١٤، من الجزء السابع، من أمالي شيخ الطائفة رحمه الله معنعنًا، عن أبي ذر رحمه الله، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «اتّق الله حيث ما كنت، وخالق النّاس بحسن خلق، وإذا عملت سيئة فاعمل حسنة تمحوها». وقريب منه ما رواه العامة، كما في المحجة البيضاء: ج ٥، ص٩٠، عن إحياء العلوم، والدارمي ج ٢، ص ٣٢٣، والمسند: ج ٥، ص ٢٢٨.

وروىٰ ثقة الإسلام الكليني رحمه الله، في الحديث الثاني، من الباب ٤٩، من الكافي: ج ٢، ص ٩٩، معنعنًا عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: ما يوضع في ميزان أمرئٍ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق.

وفي الحديث الأوّل، من الباب ٨٧، من أحكام العشرة، من كتاب الحج،

(٢٣٨) رواها في الحديث ١، من باب نوادر الفقيه: ج ٤، ص ٢٥٤ معنعنًا.

(٢٣٩) وقريب منه رواه الغزالي أنّه قال لأبي ذر. وحكي عن سنن ابن ماجة تحت الرقم ٤٢١٨، كما في المحجة البيضاء: ج ٥، ص ٩٢.

من مستدرك الوسائل: ط ١، ج ٢، ص ٨٢، عن الجعفريات معنعنًا، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «أكثر ما تلج به أمتي في النار الأجوفان: البطن والفرج، وأكثر ما تلج به أمتي في الجنة: التقوىٰ وحسن الخلق».

وبالإسناد قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ليس شيء أثقل في الميزان من الخلق الحسن».

وأيضًا معنعنًا، عن الكتاب: قيل يا رسول الله ما أفضل حال أعطي للرجل؟ قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «الخلق الحسن، إنّ أدناكم مني وأوجبكم عليّ شفاعة أصدقكم حديثًا، وأعظمكم أمانة، وأحسنكم خلقًا، وأقربكم من النّاس».

وبالإسناد عن الجعفريات: قال أتي النبيّ صلّى الله عليه وآله بسبعة أسارىٰ، فقال: «قم يا عليّ فاضرب أعناقهم، قال، فهبط جبرائيل عليه السّلام في طرف العين، فقال: يا محمد اضرب أعناق هؤلاء الستة، وخلّ عن هٰذا(٢٤٠) فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: يا جبرائيل ما بال هٰذا من بينهم؟ فقال: لأنّه كان حسن الخلق، سخيًا على الطعام، سخي الكف.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يا جبرئيل عنك أو عن ربّك؟ فقال: لا، بل عن ربّك عزَّ وجلَّ يا محمد».

وفي الحديث الخامس، من الباب، عن كتاب محمد بن المثنىٰ معنعنًا، عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «إن صاحب الخلق الحسن له أجر الصائم القائم».

وفي الحديث العاشر، من الباب، نقلاً عن مشكاة الأنوار، قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّ الله اختار الإسلام دينًا، فأحسنوا صحبته بالسخاء وحسن الخلق، فإنّه لا يصلح إلّا بهما».

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا حسب كحسن الخلق».

---

(٢٤٠) وقريب منه في الحديثين ٣١ و٥٩، من باب حسن الخلق، من البحار: ج ٢، الباب ١٥، ص ٢٠٩ و٢١٠، نقلاً عن الصّدوق في الأمالي والخصال.

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ الخلق الحسن يذيب الذنوب، كما تذيب الشمس الجمد، وإنّ الخلق السيّئ يفسد العمل، كما يفسد الخل العسل». وقريب من الصدر رواه العامة عن أنس، عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم، وكذلك الذيل مروي عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: من طريق العامة أيضًا، كما في المحجة البيضاء: ط ٢، ج ٥، ص ٩١ و٩٢.

وفي الحديثين ٣١ و٣٢، من الباب، نقلاً عن مصباح الشريعة، عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «خاتم زماننا حسن الخلق، والخلق الحسن ألطف شيء في الدّين، وأثقل شيء في الميزان، وسوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل، وان ارتقىٰ في الدرجات، فمصيره إلى الهوان».

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «حسن الخلق شجرة في الجنة، وصاحبه متعلق بغصنها يجذبه إليها، وسوء الخلق شجرة في النار، وصاحبه متعلق بغصنها يجذبه إليها».

وفي الحديث الثاني، من باب حسن الخلق، من المحجة البيضاء: ج ٥، ص ٨٩، عن الغزالي قال: «سأل رجل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن حسن الخلق، فتلا قوله عزّ وجلّ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ﴾[٢٤١] ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو أنْ تصل من قطعك، وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك».

وفي الحديث الخامس، من الباب: «وجاء رجل إلىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من بين يديه فقال: يا رسول الله ما الدِّين؟ فقال: حسن الخلق. ثم أتاه من قبل يمينه فقال: يا رسول ما الدِّين؟ فقال: حسن الخلق. ثم أتاه من قبل شماله فقال: ما الدِّين؟ فقال: حسن الخلق. ثم أتاه من ورائه فقال: ما الدِّين؟ فالتفت إليه فقال: أمّا تفقه: هو أن لا تغضب». ورواه في الهامش عن الترغيب والترهيب: ج ٣، ٤٠٥».

---

(٢٤١) الآية ١٩٩، من سورة الأعراف: ٧. والخبر رواه في الهامش، عن ابن مردويه، في التفسير، عن جابر وقيس بن سعد وأنس، بأسانيد حسان كما في المغني.

وفي الحديث ٢٠، من الباب ٦، من أبواب جهاد النفس، من المستدرك: ط ١، ج ٢، ص ٢٨٣، عن السيد علي خان المدني وغيره، في كتاب الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ط ١، ص ٣٥٥، ورواه ابن عساكر بسندين في ترجمة سفّانة بنت حاتم في ترجمة النساء في المجلد الأخير برقم ٤٢ من تاريخ دمشق، ط ١، ص ١٥١. وفي ترجمة عبد الكريم بن علي في ج ٤٣، ص ٩٩، ط ١. وفي مختصره: ج ١٥، ص ١٧٩، ط ١. والبيهقي في دلائل النبوة في عنوان «وفد طيّ» ج ٥، ص ٣٤١، وعنه المتقي في منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ١، ص ١٣٣، وفي كنز العمال: ج ٣، ص ٦٦٣، وجاء أيضًا في غرر الخصائص ص ٢٠ وعين الأدب والسياسة ص ٩٨ وسرح العيون ص ١١٢، كما جاء في أوّل الباب الرابع في الحديث (٣٧٦) من التذكرة الحمدانية: ج ٢، ص ٢٧١، عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: «لو كنّا لا نرجو جنّة ولا نخشىٰ نارًا ولا ثوابًا ولا عقابًا لكان ينبغي لنا أنْ نطلب مكارم الأخلاق، فإنّها ممّا تدل علىٰ سبيل النجاح. فقال رجل: فداك أبي وأمي يا أمير المؤمنين سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وآله؟ قال: نعم، وما هو خير منه، لما أتانا سبايا طيّ فإذا فيها جارية حماء حواء لعساء لمياء عيطاء، صلت الجبينين، لطيفة العرنين، مسنونة الخدين، ملساء الكعبين، حذلجة الساقين، لفاء الخدين[٢٤٢]، خميصة الخنصرين، ممكورة الكشحين، مصقولة المتنين، فأعجبتني، وقلت لأطلبن إلىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله يجعلها فيئي، فلما تكلمت نسيت ما راعني من جمالها لما رأيت من فصاحتها وعذوبة كلامها، فقالت: يا محمد إنْ رأيت أنْ تخلّي عني، ولا تشمت بي أحياء العرب، فإني إبنة سرة قومي، كان أبي يفك العالي، ويعطي العاني[٢٤٣] ويحمي الذمار، ويقري الضيف، ويشبع الجائع، ويكسي المعدوم[٢٤٤] ويفرج عن

(٢٤٢) كذا في النسخة، وكأنه مصحف، والصواب لفاء الفخذين.

(٢٤٣) الأوّل بمعنى الأسير، والثاني بمعنى المتعب وذي النصب والمشقة، أي إنّ أبي كان من دأبه وعادته فك الأسير وخلاصه من الذلّ، وإعطاء المساكين الّذين كانت أنفسهم في النصب والتعب لتحصيل ما يعيشون به.

(٢٤٤) كذا في النسخة، والظاهر أن الواو من زيادة النساخ.

المكروب، أنا ابنة حاتم طي. فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: خلو عنها، فإنّ أباها كان يحب مكارم الأخلاق. فقام أبو بردة فقال: يا رسول الله! الله يحب مكارم الأخلاق؟ فقال: يا أبا بردة لا يدخل الجنة أحد إلّا بحسن الخلق». والأخبار في المعنىٰ عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم كثيرة جدًّا، في البحار والمستدرك وغيرهما، وفيما ذكرناه غنًى وكفاية.

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام: «حسن الخلق خير قرين، وعنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه». المختار الثاني، من قصار ما رواه عنه عليه السّلام في تحف العقول. ورواه في الحديث ٦٨، من باب حسن الخلق، من البحار: ج ٢، الباب ١٥، ص ٢١٠، عن صحيفة الرّضا.

وقال عليه السّلام: «أكرم الحسب حسن الخلق». المختار ٣٨، من قصار نهج البلاغة وغيره.

وقال عليه السّلام: «ولا قرين كحسن الخلق..».

وقال عليه السّلام: «كفىٰ بالقناعة ملكًا، وبحسن الخلق نعيمًا». المختار ١١٣ و ٢٢٩ من قصار النهج.

وفي الحديث الرابع، من الباب ٩٠، من أبواب أحكام العشرة، من المستدرك: ج ٢، ص ٨٤، نقلاً عن الآمدي رحمه الله في الغرر قال: «قال أمير المؤمنين عليه السّلام: بالبشر وبسط الوجه يحسن موقع البذل».

وقال عليه السّلام: «بشرك يدل علىٰ كرم نفسك، وبشرك أوّل برّك، بشرك يطفي نار المعاندة».

وقال عليه السّلام: «حسن البشر أوّل العطاء وأفضل السخاء، حسن البشر إحدى البشارتين».

وقال عليه السّلام: «البشر شيمة كلّ حرّ».

وقال عليه السّلام: «حسن البشر من علائم النجاح. وقال عليه السّلام: طلاقة الوجه بالبشر والعطية، وفعل البر وبذل التحية، داع إلىٰ محبة البرية».

وفي الحديث السادس، من الباب ٨٧، من أبواب أحكام العشرة، من كتاب الحج، من المستدرك: ج ٢، ص ٨١[٢٤٥]، عن جعفر بن أحمد القمي، في كتاب المسلسلات، قال: «حدثنا عليّ بن أحمد الاسواري المذكر، قال: حدثني أبو يوسف أحمد بن محمد بن قيس المذكر السجري، قال: حدثني أبو محمد عبد العزيز بن علي السرخسي، قال: حدثني أبو بكر أحمد بن عمران البغدادي، قال: حدثني أبو الحسن، قال: حدثني أبو الحسن قال: حدثني أبو الحسن، قال: حدثني الحسن، قال: حدثني الحسن، قال: حدثني الحسن[٢٤٦] عليه السّلام: ان أحسن الحسن الخلق الحسن».

وفي الحديث العاشر، من الباب ٨٧، من أبواب أحكام العشرة، من كتاب الحج، من المستدرك: ط ١، ج ٢، ص ٨٢، عن مشكاة الأنوار، قال: قال عليّ بن الحسين عليهما السّلام: «إنّ المعرفة بكمال دين المسلم تركه الكلام فيما لا يعنيه، وقلة مرائه، وصبره، وحسن خلقه».

وقال عليه السّلام: «إنّ حسن الخلق من الدّين».

وفي الحديث الثالث، من الباب ٩٠، من أبواب أحكام العشرة، من كتاب الحج من المستدرك ط ١، ج ٢، ص ٨٤، عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «البشر الحسن، وطلاقة الوجه، مكتسبة للمحبة، وقربة من الله عزّ وجلّ؛ وعبوس الوجه وسوء البشر مكتسبة للمقت، وبعد من الله، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّكم لن تسعوا النّاس بأموالكم، فالقوهم بطلاقة الوجه، وحسن البشر». نقله عن المشكاة. والذيل المروي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله

---

(٢٤٥) ورواه أيضًا في الحديث ٣٦، من باب حسن الخلق، من البحار: ج ٢، من الباب ١٥، ص ٢٠٩، عن الخصال والمسلسلات.

(٢٤٦) أمّا أبو الحسن الأوّل فهو محمد بن عبد الرحيم التستري، وأمّا أبو الحسن الثاني فعليّ ابن أحمد البصري التمار، وأمّا أبو الحسن الثالث: فعليّ بن محمد الواقدي، وأمّا الحسن الأوّل فالحسن بن عرفة العبدي، وأمّا الحسن الثاني فالحسن بن أبي الحسن البصري، وأمّا الحسن الثالث: فسبط النبيّ: الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السّلام.

وسلّم له طرق كثيرة بين الخاصة والعامة.

وفي الحديث ٢٩، من الباب ٨٧، من كتاب الحج من المستدرك: ط ١، ج٢، ص ٨٣، عن مصباح الشريعة، قال الصادق عليه السّلام: «الخلق الحسن جمال في الدّنيا، ونزهة في الآخرة، وبه كمال الدِّين، والقربة إلى الله تعالىٰ..» .

وفي الحديث ١٦، من باب النوادر، من كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٢٨٢، قال عليه السّلام: «أفضل النّاس إيمانًا أحسنهم خلقًا...».

وعنه عليه السّلام: ثلاثة تدل علىٰ كرم المرء: «حسن الخلق، وكظم الغيظ، وغضّ الطرف».

وفي الحديث ٧٤، من باب النوادر، من كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٢٩٥، وفي الباب ٩٦، من الجزء الثاني، من معاني الأخبار ص ٢٥٣ معنعنًا: «وسئل (الإمام) الصادق عليه السّلام ما حد حسن الخلق؟ قال: تلين جانبك، وتطيب كلامك، وتلقىٰ أخاك ببشر حسن». ورواه في الحديث ٥٢، من باب حسن الخلق، من البحار: ج ٢، من الباب ١٥، ص ٢٠٩ عن معاني الأخبار.

وفي الحديث الثامن، من الباب ٨٧، من أبواب أحكام العشرة، من كتاب الحج، من المستدرك: ط ١، ج ٢، ص ٨١، عن فقه الرِّضا قال: «أروي عن العالم عليه السّلام أنّه قال: عجبت لمن يشتري العبيد بماله فيعتقهم، فكيف لا يشتري الأحرار بحسن خلقه!».

أقول: وقريب منه رويناه عن أمير المؤمنين عليه السّلام كما يجيء في الباب الخامس إنْ شاء الله تعالىٰ.

وقال عليه السّلام: «ولا عيش أغنىٰ من حسن الخلق».

المائدة الثامنة:

في الآثار الواردة في المداراة، المناسبة لقوله عليه السّلام: «واعلم أنّ رأس العقل بعد الإيمان بالله عزّ وجلّ مداراة النّاس، الخ».

روىٰ شيخ الطائفة رحمه الله في الحديث ٥٤، من الجزء الثامن عشر، من الأمالي معنعنًا، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «إنّا معاشر الأنبياء أمرنا بمداراة النّاس، كما أمرنا بإقامة الفرائض». ورواه أيضًا في الحديث التاسع عشر، من الجزء السابع عشر.

وعن ثقة الإسلام رحمه الله، في الحديث الرابع، من باب المداراة: الحديث ٥٧، من الكافي: ج ٢، ص ١١٧ معنعنًا، عنه صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «أمرني ربّي بمداراة النّاس، كما أمرني بأداء الفرائض». ورواه الصّدوق رحمه الله، مع زيادات جمة في الحديث ٢٠، من باب ٢٤٦، وهو باب نوادر المعاني، من معاني الأخبار: ج ٢، ص ٣٨٦.

وروى ابن مسكويه رحمه الله، عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «رأس العقل بعد الإيمان مداراة النّاس». الحكمة الخالدة، ص ١٠٣.

وفي وصاياه صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليّ عليه السّلام: «يا عليّ ثلاث من لم يكن فيه لم يتم عمله: ورع يحجزه عن معاصي الله، وخلق يداري به النّاس، وحلم يرد به جهل الجاهل..». الحديث ١، من باب النوادر، من كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٢٦٠.

وقال السبط الأكبر الإمام الحسن عليه السّلام: «رأس العقل معاشرة النّاس بالجميل، وبالعقل تدرك الداران جميعًا، ومن حرم العقل حرم الداران جميعًا». البحار: ج ١٧، ص ١٤٦.

وروى ابن أبي الحديد، في شرح المختار ١٠، من قصار نهج البلاغة، عنه عليه السّلام أنّه قال: «حسن السؤال نصف العلم، ومداراة النّاس نصف العقل، والقصد في المعيشة نصف المؤونة».

وقال الإمام الباقر عليه السّلام: «صلاح شأن النّاس التعايش، والتعاشر ملء مكيال ثلثاه فطن، وثلثه تغافل». الحديث ٦٤، من الباب ١١، من البحار: ج ٦، ص ٤٧.

وروى الكليني رحمه الله في الحديث الثاني، من باب حسن المعاشرة، من الكافي: ج ٢، ص ٦٣٧ معنعنًا، عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال: «يا شيعة آل محمد اعلموا أنّه ليس منّا من لم يملك نفسه عند غضبه، ومن لم يحسن صحبة من صحبه، ومخالقة من خالقه، ومرافقة من رافقه، ومجاورة من جاوره، وممالحة من مالحه، يا شيعة آل محمد اتقوا الله ما استطعتم ولا حول ولا قوة إلّا بالله».

وفي الحديث السادس عشر، من باب النوادر، من كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٢٨٢، و ج ٢، ص ٦٤٣، عنه عليه السّلام: «مجاملة النّاس ثلث العقل».

وفي الحديث السادس عشر، من باب النوادر، من كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٢٨٢، عنه عليه السّلام: «أعقل النّاس أشدهم مراعاة للنّاس..»

وفي الحديث ٦٥، من الباب ١١، من البحار: ج ١٦، ص ٤٧، عنه عليه السّلام قال: «من أكرمك فأكرمه، ومن أستخف بك فأكرم نفسك عنه».

وفي الحديث ٨١، من باب التقيّة، من البحار: ج ١٦، ص ٢٣١، عن الخصال معنعنًا، عن حذيفة بن منصور قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: إنّ قومًا من قريش قلّت مداراتهم للنّاس فنفوا من قريش، وأيم الله ما كان بأحسابهم بأس، وإنّ قومًا من غيرهم حسنت مداراتهم فألحقوا بالبيت الرفيع. قال: ثم قال: من كف يده عن النّاس فإنما يكف عنهم يدًا واحدة، ويكفون عنه أيادي كثيرة». ورواه أيضًا في الحديث ٦، من الباب ٥٧ باب المداراة من الكافي: ج ٢، ص ١١٧، معنعنًا عنه عليه السّلام.

وفي الحديث ٦٦، من الباب ١١، من البحار: ج ١٦، ص ٤٧، معنعنًا، عن الإمام الرّضا عليه السّلام أنّه قال: «اصحب السلطان بالحذر، والصديق بالتواضع، والعدو بالتحرز، والعامة بالبشر».

وقال عليه السّلام: «لا يكون المؤمن مؤمنًا حتّىٰ يكون فيه ثلاث خصال، سنّة من ربّه، وسنّة من نبيّه، وسنّة من وليّه، فأمّا السنّة من ربّه فكتمان السرّ، وأمّا السنّة من نبيّه فمداراة النّاس، وأمّا السنّة من وليّه فالصبر في البأساء والضراء». البحار: ج ١٧، ص ٢٠٦، نقلاً عن تحف العقول.

وقال عليه السّلام: «التودد نصف العقل».

وقال الإمام الجواد عليه السّلام: «من هجر المداراة قاربه المكروه، ومن لا يعرف الموارد أعيته المصادر».

المائدة التاسعة:

في مدح السكوت، والتحذير عن إرخاء اللسان، والتكلم بما لا يعني المناسب لقوله عليه السّلام: «واعلم أنّ الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به، ...».

وليعلم أنّ آفات الكلام، والهذر في المنطق لعامة النّاس ـ إلّا من عصمه الله ـ كثيرة، وقد أنهاها بعضهم إلىٰ أربع عشرة آفة، ولعلنا نوفّق لتفصيل الكلام فيها في مقام آخر، وأمّا هنا فنورد لمعًا من الأدلة الشرعية، وطرفًا من نتائج أفكار الحكماء والشعراء وأهل التجارب والأمراء ونوكل الاستفادة إلىٰ فهم القراء، ونوصي من لا رسوخ له في الشرعيات بملازمة أهل الذكر والسؤال من علماء الدّين المتقين منهم، فنقول:

روىٰ ثقة الإسلام الكليني رحمه الله، في الحديث السادس، من الباب ٥٦، من كتاب الإيمان والكفر، من الكافي: ج ٢، ص ١١٤ معنعنًا، عن الإمام الصادق عليه السّلام، قال: «قال لقمان لابنه: يا بُنَيّ إنْ كنت زعمت أنّ الكلام من فضة، فإنّ السكوت من ذهب».

وفي الحديث السادس، من الباب ١٠٠، من أبواب أحكام العشرة، من كتاب الحج، من المستدرك: ج ٢، ص ٨٨، نقلاً عن الاختصاص ٢٣٢، للشيخ المفيد رحمه الله، «قال عيسىٰ بن مريم عليه السّلام: طوبى لمن كان صمته فكرًا،

ونظره عبرًا، ووسعه بيته، وبكىٰ علىٰ خطيئته، وسلم النّاس من يده ولسانه».
ورواه معنعنًا في الحديث ٦، من باب العزلة، من البحار: ج ١٥، ص ٥١، عن إكمال الدِّين.

وفي الحديث ١٤، من باب السكوت والكلام، من البحار: ج ١٥، ص١٨٥، عن قرب الإسناد معنعنًا، قال داود لسليمان عليهما السّلام: «يا بُنَيّ إيّاك وكثرة الضحك، فإنّ كثرة الضحك تترك العبد حقيرًا يوم القيامة. يا بُنَيّ عليك بطول الصمت إلّا من خير فإنّ الندامة علىٰ طول الصمت مرة واحدة، خير من الندامة علىٰ كثرة الكلام مرات، يا بُنَيّ لو أنّ الكلام كان من فضة، ينبغي للصمت أنْ يكون من ذهب». وذيل الكلام مما تواتر عن أئمة الدِّين والصلحاء وغيرهم.

وفي الحديث ٤٠، من الباب، نقلاً عن قصص الأنبياء: «إنّ آدم لما كثر ولده وولد ولده كانوا يحدثون عنده وهو ساكت، فقالوا، يا أبه ما لك لا تتكلم؟ فقال: يا بَنِيّ إنّ الله جلّ جلاله لمّا أخرجني من جواره عهد إليّ وقال: أقل كلامك ترجع إلىٰ جواري». وفي المجلد الثاني من العقد الفريد ١٥، تحت الرقم ٩٢ (باب الصمت): «كان لقمان الحكيم يجلس إلىٰ داود صلّى الله عليه وسلّم، وكان عبدًا أسودَ، فوجده وهو يعمل درعًا من حديد فعجب منه ولم ير درعًا قبل ذلك، فلم يسأله لقمان عمّا يعمل، ولم يخبره داود حتىٰ تمت الدرع بعد سنة. فقاسها داود علىٰ نفسه وقال: «زرد طايا ليوم فرايا» تفسيره: درع حصينة ليوم قتال. فقال لقمان: الصمت حكم، وقليل فاعله».

وروى الشيخ الصّدوق رحمه الله، في الحديث ٢٠، من باب نوادر المعاني، وهو الباب ٢٤٦، من معاني الأخبار: الطبعة الحديثة، ج ٢، ص ٣٨٦، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله إنّه قال: «إنّ عز المؤمن في حفظ لسانه، ومن لم يملك لسانه ندم..».

وفي الحديث الثاني، من الباب ١٠٠، من أبواب أحكام العشرة، من كتاب الحج، من المستدرك: ط ٢، ج ٢، ص ٨٨، عن مشكاة الأنوار، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «رحم الله عبدًا قال خيرًا فغنم، أو سكت عن شرّ

فسلم».

وفي الحديث الأخير، من الباب، نقلاً عن أعلام الدِّين، عن ابن ودعان في أربعينه، باسناده عن أبي هريرة، قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ألا أنبئكم بأمرين خفيفين مؤونتها، عظيم أجرهما، لم يلق الله بمثلهما: طول الصمت وحسن الخلق».

وفي الحديث السابع، من الباب ٥٦، من الكافي: ج ٢، ص ١١٤ معنعنًا، عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «أمسك لسانك، فإنّها صدقة تصدّق بها علىٰ نفسك، ـ ثم قال :ـ ولا يعرف عبد حقيقة الإيمان حتّىٰ يخزن لسانه».

وفي الحديث ١٤، من الباب، ص ١١٥ معنعنًا، أنّه جاء رجل إلىٰ رسول الله، فقال: «يا رسول الله أوصني. فقال: احفظ لسانك.

قال يا رسول الله أوصني. فقال: احفظ لسانك. فقال: يا رسول الله أوصني. فقال: احفظ لسانك، ويحك وهل يكب النّاس علىٰ مناخرهم في النار إلّا حصائد ألسنتهم؟!».

وفي الحديث ١٥، من الباب معنعنًا، عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «من لم يحسب كلامه من عمله كثرت خطاياه، وحضر عذابه».

وفي الحديث التاسع، من الباب، عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «نجاة المؤمن في حفظ لسانه».

وفي الفقرة الخامسة من وصايا النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليّ عليه السّلام: «يا عليّ من خاف النّاس لسانه فهو من أهل النّار، يا عليّ شرّ النّاس من أكرمه النّاس اتقاء فحشه [شرّه «خ»] ـ إلىٰ أنْ قال ـ سبع من كن فيه فقد استكمل حقيقة الإيمان، وأبواب الجنة مفتحة له،: من أسبغ وضوءه، وأحسن صلاته، وأدىٰ زكاة ماله، وكف غضبه، وسجن لسانه، واستغفر لذنبه، وأدى النصيحة لأهل بيت نبيّه..(٢٤٧)».

---

(٢٤٧) الحديث ١، من باب النوادر، من كتاب من لا يحضره الفقيه: طبع النجف، ج ٤،

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «البلاء موكل بالمنطق». كتاب من لا يحضره الفقيه: ٤، ٢٧٢، الحديث الثامن، من باب النوادر.

وفي الحديث ١٩، من باب ٥٦، من كتاب الإيمان والكفر، من الكافي ج ٢، ص ١١٦، معنعنًا عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «من رأىٰ موضع كلامه من عمله، قلّ كلامه إلّا فيما يعنيه».

وفي الحديث الأوّل، من الباب ١٠١، من أبواب أحكام العشرة، من كتاب الحج، من المستدرك: ط ٢،ج ٢، ص ٨٩، عن مصباح الشريعة، قال (الإمام) الصادق عليه السّلام: «قال أمير المؤمنين عليه السّلام: المرء مخبوء تحت لسانه، فزن كلامك، واعرضه على العقل، فإنْ كان لله وفي الله فتكلم به، وإنْ كان غير ذلك فالسكوت أولىٰ» الخبر. وصدره رواه في المختار ١٤٤، من قصار النهج، وله أيضًا مصادر كثيرة اخر تقف عليها في الباب الخامس، من نهج السعادة.

وفي المختار ٥٨، من قصار النهج: «اللسان سبع إنْ خلي عنه عقر».

وفي المختار ٦٩، منها: «إذا تمّ العقل نقص الكلام».

وسئل عليه السّلام عن اللسان، فقال: «معيار أطاشه الجهل، وأرجحه العقل». وراه عنه عليه السّلام ابن أبي الحديد في شرح المختار ٩٩، من خطب النهج: ج ٧، ص ٨٨.

وفي الحديث ١٢، من باب السكوت والكلام، من البحار: ج ٢، الباب ١٥ ص ١٨٥، معنعنًا عن الخصال عنه عليه السّلام: «ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان».

وقال عليه السّلام: «ضرب اللسان أشد من ضرب السنان». الحديث ٥٤، من باب السكوت والكلام، من البحار: ج ٢، الباب ١٥، ص ١٨٦، نقلاً عن جامع الأخبار.

← ص ٢٥٤.

وقال عليه السّلام «إيّاكم وتهزيع الأخلاق وتصريفها، واجعلوا اللسان واحدًا، وليختزن الرجل لسانه، فإنّ هٰذا اللسان جموح بصاحبه، والله ما أرىٰ عبدًا يتقي تقوىٰ تنفعه حتّىٰ يختزن لسانه، وإنّ لسان المؤمن من وراء قلبه، وإنّ قلب المنافق من وراء لسانه، لأنّ المؤمن إذا أراد أنْ يتكلّم بكلام تدبّره في نفسه، فإنْ كان خيرًا أبداه، وإن كان شرًّا واراه، وإنّ المنافق يتكلّم بما أتىٰ على لسانه، لا يدري ماذا له وماذا عليه، ولقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لا يستقيم إيمان عبد حتّىٰ يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتّىٰ يستقيم لسانه، فمن استطاع منكم أن يلقى الله وهو نقي الراحة من دماء المسلمين وأموالهم، سليم اللسان من اعراضهم فليفعل..». المختار ١٧١، من خطب النهج.

وقال عليه السّلام: «إيّاك والكلام في ما لا تعرف طريقته، ولا تعلم حقيقته، فإنّ قولك يدل علىٰ عقلك، وعبارتك تنبئ عن معرفتك، فتوقّ عن طول لسانك ما أمنته، واختصر من كلامك علىٰ ما استحسنته، فإنّه بك أجمل، وعلىٰ فضلك أدلّ».

وقال عليه السّلام: «إيّاك وكثرة الكلام، فإنّها تكثر الزلل وتورث الملل». نقلها بعض المعاصرين من قصار كلامه عليه السّلام من كتاب ناسخ التواريخ. وله عليه السّلام في هٰذا المعنىٰ كلم كثيرة جدًا، يقف عليها الباحث في البحار ونهج البلاغة ونهج السعادة وغيرها.

وفي الحديث ٢٨، من باب السكوت والكلام، من البحار: ج ٢، من الباب ١٥، ص ١٨٥، عن معاني الأخبار، عن الإمام المجتبىٰ عليه السّلام أنّه قال: « نعم العون الصمت في مواطن كثيرة، وإن كنت فصيحًا».

وقال السبط الشهيد الحسين عليه السّلام لابن عباس رحمه الله: «لا تتكلّمن فيما لا يعنيك، فإنّي أخاف عليك الوزر، ولا تتكلّمن فيما يعنيك حتّىٰ ترى للكلام موضعًا، فربّ متكلّم قد تكلّم بالحقّ فعيب..». البحار: ج ١٧، ص ١٥١، نقلاً عن كنز الفوائد.

وفي الحديث ٦، من باب ترك العجب، من البحار: ج ٢، من الباب ١٥، ص ١٧٦، عن تفسير الإمام العسكري عليه السّلام قال: «قال محمد بن علي الباقر عليه السّلام: دخل محمد بن عليّ بن مسلم بن شهاب الزهري علىٰ عليّ ابن الحسين زين العابدين عليهما السّلام وهو كئيب حزين، فقال له زين العابدين: ما بالك مهمومًا مغمومًا؟ قال: يابن رسول الله هموم وغموم تتوالىٰ عليّ لما امتحنت به من جهة حسّاد نعمتي، والطامعين فيّ، وممن أرجوه وممن أحسنت إليه فيخلف ظنّي. فقال عليّ بن الحسين زين العابدين عليهما السّلام: احفظ لسانك تملك به اخوانك. قال الزهري: يابن رسول الله إني أحسن إليهم بما يبدر من كلامي. قال عليّ بن الحسين عليه السّلام: هيهات هيهات: إيّاك وأنْ تعجب من نفسك بذلك، وإيّاك أنْ تتكلم بما يسبق إلى القلوب انكاره، وإنْ كان عندك اعتذاره، فليس كلّ من تسمعه نكرًا، يمكنك لأنْ توسعه عذرًا، - ثم قال - يا زهري من لم يكن عقله أكمل ما فيه، كان هلاكه من أيسر ما فيه»(٢٤٨).

وفي الحديث ٣٢٧، من كتاب الاختصاص ص ٢٣٠، والحديث ١٣، من الباب ٥٦، من كتاب الإيمان والكفر، من الكافي: ج ٢، ص ١١٥، معنعنًا عنه عليه السّلام قال: «إنّ لسان ابن آدم يشرف علىٰ جميع جوارحه كلّ صباح فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخير إنْ تركتنا، ويقولون: الله الله فينا، ويناشدونه ويقولون: إنما نثاب ونعاقب بك».ورواه في البحار: ج ٢، من الباب ١٥، ص ١٨٥، عن ثواب الأعمال، وإكمال الدّين.

وفي الحديث ٢، من الباب ٥٦، من الكافي: ج ٢، ص ١١٣، معنعنًا عن الإمام الباقر عليه السّلام قال: «إنما شيعتنا الخرس».

وروى ابن أبي الحديد، في شرح المختار ٩٩، من خطب النهج: ج ٧، ص ٩٢، عنه عليه السّلام أنّه قال: «إني لأكره أن يكون مقدار لسان الرجل فاضلًا علىٰ مقدار علمه، كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلاً علىٰ مقدار

(٢٤٨) وللحديث تتمة ما أجلها من حكم.

عقله».

وروى الصّدوق رحمه الله معنعنًا، عن سفيان الثوري، عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال: «يا سفيان أمرني والدي عليه السّلام بثلاث، ونهاني عن ثلاث، فكان فيما قال لي: يا بُنَيّ من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يدخل مداخل السوء يتّهم، ومن لا يملك لسانه يندم، ثم أنشدني:

عود لسانك فعل الخير تحظ به ... إنّ اللسان لما عودت معتاد

موكل بتقاضي ما سننت له ... في الخير والشر فانظر كيف تعتاد

الحديث ١٩، من باب الكلام والسكوت، من البحار: ج ٢، الباب ١٥، ص ١٨٥ نقلاً عن الخصال.

وفي الحديث ٢٤، من باب الكلام والسكوت، من البحار: ج ٢، الباب ١٥، ص ١٨٥، عن الخصال معنعنًا، قال: قال الإمام الصادق عليه السّلام: «إنْ أردت أن تقر عينك، وتنال خير الدّنيا والآخرة، فاقطع الطمع مما في أيدي النّاس، وعد نفسك في الموتىٰ، ولا تحدثن نفسك أنّك فوق أحد من النّاس، واخزن لسانك كما تخزن مالك».

وفي الحديث ٣٤، من نفس الباب: عن أمالي الطوسي معنعنًا، قال: قال عليه السّلام لأصحابه: «إسمعوا منّي كلامًا هو خير لكم من الدهم الموقفة، لا يتكلّم أحدكم بما لا يعنيه، وليدع كثيرًا من الكلام فيما يعنيه، حتّىٰ يجد له موضعًا فربّ متكلّم في غير موضعه جنىٰ علىٰ نفسه بكلامه، ولا يمارين أحدكم سفيهًا ولا حليمًا، فإنّه من مارىٰ حليمًا أقصاه، ومن مارىٰ سفيهًا أرداه، واذكروا أخاكم إذا غاب عنكم بأحسن ما تحبّون أن تذكروا به إذا غبتم عنه، واعملوا عمل من يعلم أنّه مجازىٰ بالإحسان، مأخوذ بالإجرام». وقريب منه في الحديث ٦٣، من الباب، نقلاً عن الاختصاص ص ٢٣١، إلّا إنّ فيه: خير من الدراهم المدقوقة. وفي آخره: مجزي الإحسان.

وفي الحديث ٢٠، من الباب ٥٦، من الكافي: ج ٢، ص ١١٦، معنعنًا عنه

عليه السّلام قال: «في حكمة آل داود: على العاقل أنْ يكون عارفًا بزمانه، مقبلًا علىٰ شأنه، حافظًا للسانه». ورواه مرسلًا ابن أبي الحديد في شرح المختار ١٨٦، من خطب النهج، ج ١٠، ص ١٣٧.

وفي الحديث الأخير، من الباب، عنه عليه السّلام معنعنًا قال: «لا يزال العبد المؤمن يكتب محسنًا ما دام ساكتًا، فإذا تكلّم كتب محسنًا أو مسيئًا».

وفي الحديث ٣٤١، من كتاب الاختصاص ص ٢٣٢، عن داود الرقي قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: الصمت كنز وافر، وزين الحليم، وستر الجاهل».

وقال الإمام الكاظم عليه السّلام: «ما أحسن الصمت لا من عيّ، والمهذار له سقطات». الحديث ٦٦، من باب السكوت والكلام، من البحار: ج ٢، الباب ١٥، ص ١٨٧، عن مشكاة الأنوار. ورواه أيضًا في الحديث ٣٤٠، من كتاب الاختصاص ص ٢٣٢، عن الإمام الرّضا عليه السّلام.

وفي الحديث ٤٧، من الباب، من البحار، عن روضة الواعظين، قال: «قال علي بن الحسين عليه السّلام: حقّ اللسان اكرامه عن الخنا، وتعويده الخير، وترك الفضول الّتي لا فائدة لها، والبر بالنّاس، وحسن القول فيهم».

وقال الإمام الرّضا عليه السّلام: «من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت، إنّ الصمت باب من أبواب الحكمة؛ إنّ الصمت يكسب المحبة [الجنّة «خ»]، إنّه دليل علىٰ كل خير». الحديث ١، من باب الصمت، من الكافي: ج ٢، ص ١١٣، وصدره مذكور في الحديث ٣٤٣، من الاختصاص ٢٣٢ مرسلًا، ورواه معنعنًا مثل الكافي، في الحديث ٨، من الباب، من البحار: ج ٢، الباب ١٥، ص ١٨٤، عن قرب الإسناد، وعيون أخبار الرّضا، والخصال.

وفي الحديث ٤، من الباب، من الكافي معنعنًا، عن عثمان بن عيسىٰ قال: «حضرت أبا الحسن صلوات الله عليه، وقال له رجل: أوصني. فقال له: إحفظ لسانك تعزّ، ولا تمكن النّاس من قيادك فتذلّ رقبتك».

والأخبار في هٰذا المعنىٰ كثيرة جدًّا، وقد بلغت حدّ التواتر بين الشيعة وأهل السنة، والأمر جلي معضود بالعقل والتجربة، منصور باتفاق أولي الألباب من الحكماء علىٰ صدقها، ولكن هنا أخبار وأقوال أخر، ربما استفاد أو ظن بعض التنافي بينها، ولابدّ لنا من ذكر نموذج منها، ثم التكلم في مفادها وبيان النسبة بينها فنقول: من جملة ما يمكن القول بدلالته علىٰ أفضلية الكلام على السكوت ما رواه السيّد الرضي رحمه الله في المختار ١٨٧ من قصار النهج عن أمير المؤمنين عليه السّلام من قوله: «لا خير في الصمت عن الحكم، كما أنّه لا خير في القول بالجهل».

وما رواه في الحديث ١، من باب السكوت والكلام، من البحار: ج ٢، من الباب ١٥، ص ١٨٤، نقلاً عن كتاب الاحتجاج، عن الإمام السجاد عليه السّلام، أنّه سئل عن الكلام والسكوت أيهما أفضل. فقال: «لكل واحد منهما آفات فإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت، قيل: كيف ذلك يابن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ قال: لأنّ الله عزّ وجلّ ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، إنّما بعثهم بالكلام، ولا استوجبت الجنّة بالسكوت، ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت، إنّما ذلك كله بالكلام، ما كنت لأعدل القمر بالشمس، إنك تصف فضل السكوت بالكلام ولست تصف فضل الكلام بالسكوت».

وما رواه في الحديث ١٢٨، من روضة الكافي ص ١٤٨، معنعنًا عن الإمام الصادق عليه السّلام عن أبيه عليه السّلام أنّه قال لرجل وقد كلمه بكلام كثير، فقال: «أيها الرجل تحتقر الكلام وتستصغره، اعلم أنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث رسله حيث بعثها ومعها ذهب ولا فضة، ولكن بعثها بالكلام، وإنّما عرف الله جلّ وعزّ نفسه إلىٰ خلقه بالكلام، والدلالات عليه والإعلام».

وما رواه في الحديث ٤١، من باب النوادر، من كتاب من لا يحضره الفقيه: طبع النجف، ج ٤، ص ٢٨٧، قال الإمام الصادق عليه السّلام: «النوم راحة للجسد، والنطق راحة للروح، والسكوت راحة للعقل». إلىٰ غير ذلك ممّا

يدل بصريحه أو بظاهره على التفصيل، أو علىٰ رجحان الكلام على السكوت.

أقول: لا تنافي بين الطائفتين من الأخبار، وكذا ما يأتي من إفادات الحكماء والعلماء، إذ الأخبار الأوَل جلّها ناظر إلىٰ نوع المكلفين الّذين يصرفون أوقاتهم بالقول الهزل، والنميمة والغيبة والإيذاء وإشعال النّار بين المتعاديين، وغير ذلك ممّا لا يخفىٰ علىٰ من عاشر أهل الدّنيا وقتًا من الأوقات، وهٰذه الطائفة من الأدلة أغلبها مقيّد بقيد أو معلل بعلة ـ كما لا يخفىٰ علىٰ من تدبرها ـ فلا إطلاق لها، فلا مجال لأن يقال أنّها معارضة لأدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحقاق الحقّ وإبطال الباطل، والتعليم والتعلم وغيرها، وذلك لأن التعارض فرع الإطلاق، ولا إطلاق فيها بشهادة التعليلات الّتي ذكرت فيها، ولو فرض أنّ لبعضها إطلاق يجب تقييدها بأدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرهما، لأنّ الخاص قرينة على الّذي اريد من العام، والمقيد مبين لمقصود من المطلق، ولو فرض العموم في الجانبين أيضاً، فلا تنافي بين الطائفتين، وذلك لحكومة أدلة الأمر بالمعروف وما شاكلها، على المطلقات المذكورة(٢٤٩) فلا وقع لما قيل: من أفضلية الكلام من السكوت، لأن بالكلام يؤمر بالمعروف، وينهىٰ عن المنكر، ويحق الحقّ ويدحض الباطل، ويعلم العلم، لأن مرجع هٰذا الكلام إلىٰ ان التكلم الّذي هو لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحقاق الحقّ، وإبطال الباطل، وتعليم العلوم الحقّة، والدعاء والتضرع، أفضل من السكوت ـ وهذا حق ـ ولا يدلّ علىٰ أنّ كلّ كلام أفضل من السكوت، كما هو ادعاء القائل، مع أنّ هٰذا قد يعكس، إذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يحصل بالسكوت أيضًا.

---

(٢٤٩) هٰذا من باب المماشاة، وإلّا الأمر عندنا جلي بأنّ الطائفة الأولىٰ مفادها: أنّ الكلام الّذي لا يكون لله وتترتب عليه المضار والمفاسد فهو مرجوح يلزم على العاقل الكفّ عنه والاجتناب عنه، ومفاد الطائفة الثانية: أنّ الكلام الّذي يكون لله وفي الله فهو راجح على الصمت ينبغي للعاقل أن يتكلم به ويلقيه، وإلىٰ هٰذا يرجع ما قاله بعضهم: من أن أعدل شيء قيل في الصمت والمنطق قولهم: الكلام في الخير كله أفضل من الصمت فيه، والصمت في الشرّ كله أفضل من الكلام فيه.

هذا بالنسبة إلىٰ أكثر أدلة الصمت، وقليل منها في مقام بيان الحكم الوضعي والأثر الخارجي؛ وإنّ الكلام قد يستولد الملام، وقد يستتبع الخسارات والآلام، ولا تعرض لها لملاحظة النسبة بينه وبين الصمت، وأفضليته من الصمت.

وأمّا الطائفة الثانية فواضحة الدلالة علىٰ أنّ الكلام الّذي يتكلم به لله وفي الله فهو أفضل من الصمت ـ بل هو الفاضل دون الصمت ـ ولا تدلّ علىٰ أنّ كل كلام أفضل من السكوت.

المائدة العاشرة:

في نقل جملة من أقوال الحكماء والأمراء وذوي التجارب والعلماء في الصمت والكلام.

اجتمع أربعة من الحكماء: من الروم، والفرس، والهند، والصين، فقال أحدهم: أنا أندم علىٰ ما قلت، ولا أندم علىٰ ما لم أقل. وقال الآخر: إذا تكلمت بالكلمة ملكتني ولم أملكها، وإذا لم أتكلم ملكتها ولم تملكني وقال الآخر: عجبت للمتكلم إن رجعت عليه كلمته ضرته، وإن لم ترجع لم تنفعه. وقال الرابع: أنا علىٰ رد ما لم أقل أقدر مني علىٰ رد ما قلت.

وقال بعض الحكماء: «حظي من الصمت لي، ونفعه مقصور عليَّ، وحظي من الكلام لغيري، ووباله راجع إليَّ».

وقالوا: «إذا أعجبك الكلام فاصمت».

وقال ابن مسكويه رحمه الله، في الحكمة الخالدة، ١٧١: «أمر بعض الملوك أن يستخرج له كلمات من الحكمة ليعمل بها، فاستخرجت له أربعون ألف كلمة، فاستكثرها، فاختير منها أربعة آلاف كلمة، ثم لم يزل ينقص منها حتّىٰ رجعت إلىٰ أربع كلمات، وهي: لا تثق بامرأة، لا تحملن معدتك فوق طاقتها، احفظ لسانك، خذ من كل شيء ما كفاك».

وقالوا: «سعد من لسانه صموت، وكلامه قوت».

وقالوا: «إذا سكتَّ عن الجاهل فقد أوسعته جوابًا، وأوجعته عقابًا».

وقالوا: «إعراضك صون أعراضك».

وكان يحيىٰ بن خالد يقول: «ما جلس إليَّ أحد قط إلّا هبته حتّىٰ يتكلّم، فإذا تكلم إمّا أن تزداد تلك الهيبة، أو تنقص».

وكان يقال: «لا خير في الحياة إلّا لصموت واع، أو ناطق محسن».

وقالت جارية ابن السماك له: «ما أحسن كلامك لولا أنك تكثر ترداده. فقال: أردده حتّىٰ يفهمه من لم يفهمه. قالت: فإلىٰ أنْ يفهمه من لم يفهمه ملّه من فهمه».

وبعث عبد العزيز بن مروان بن الحكم، إلىٰ ابن أخيه الوليد بن عبد الملك قطيفة حمراء وكتب إليه: «أمّا بعد فقد بعثت إليك بقطيفة حمراء، حمراء، حمراء، فكتب إليه الوليد: أمّا بعد فقد وصلت القطيفة، وأنت يا عم أحمق، أحمق، أحمق».

وقال المعتضد لأحمد بن الطيب السرخسي: «طول لسانك دليل علىٰ قصر عقلك».

وكان يقال: «إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت، ويهرب من النّاس، فاقربوا منه فإنّه يلقي الحكمة». ورواه في شرح المختار ٩٩، من خطب النهج، من شرح ابن أبي الحديد: ج ٧، ص ٩٣، بلفظ: «إذا رأيتم المؤمن صموتًا، ...». عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مرفوعًا.

وقيل للعتابي: ما البلاغة؟ قال: «كل من أفهمك حاجته، من غير إعادة ولا خلسة ولا استعانة فهو بليغ، قيل له: ما الاستعانة؟ قال: ألا ترى الرجل إذا حدّث قال: يا هناه واستمع إليَّ وافهم، وألست تفهم، هٰذا كلّه عيّ وفساد».

ودخل على المأمون جماعة من بني العباس، فاستنطقهم فوجدهم لكنّا مع يسار وهيئة، ومن تكلم منهم أكثر وهذر، فكانت حاله أفحش من حال

الساكتين، فقال: «ما أبين الخلة في هؤلاء، لا خلة الأيدي بل خلة الألسنة والأحلام».

وسمع خالد بن صفوان مكثارًا يتكلم، فقال له: «يا هٰذا ليست البلاغة بخفّة اللسان، ولا بكثرة الهذيان، ولكنّها إصابة المعنىٰ، والقصد إلى الحجة».

وقال أبو سفيان لابن الزبعرىٰ: «ما لك لا تسهب في شعرك؟ قال: حسبك من الشعر غرة لائحة، أو وصمة فاضحة. وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل علىٰ عقله».

قيل للخليل بن أحمد رحمه الله ـ وقد اجتمع بابن المقفع ـ: «كيف رأيته؟ فقال: «لسانه أرجح من عقله». وقيل لابن المقفع: كيف رأيت الخليل؟ قال: عقله أرجح من لسانه». فكان عاقبتها ان عاش الخليل مصونًا مكرمًا، وقتل ابن المقفع تلك القتلة الفظيعة.

وسئل عمرو بن عبيد عن البلاغة فقال: «ما بلغك الجنّة، وباعدك من النّار، وبصّرك مواقع رشدك، وعواقب غيّك». قال حفص: «ليس عن هٰذا أسأل. فقال: كانوا يخافون من فتنة القول، ومن سقطات الكلام، ولا يخافون من فتنة السكوت وسقطات الصمت».

وقال الجاحظ: «وكان عمرو بن عبيد لا يكاد يتكلم، فإن تكلم لم يكد يطيل، وكان يقول: لا خير في المتكلم إذا كان كلامه لمن شهده دون نفسه، وإذا أطال المتكلم الكلام عرضت له أسباب التكلف، ولا خير في شيء يأتيك بالتكلف».

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: «متىٰ أتكلم؟ قال: إذا اشتهيت أن تصمت، قال: فمتىٰ أصمت؟ قال: إذا اشتهيت أن تتكلم».

وسمع عبد الله بن الأهتم رجلًا يتكلم فيخطئ فقال: «بكلامك رزق الصمت المحبة».

وفي وصية المهلب لولده: «يا بنيّ تباذلوا تحابوا، فإنّ بني الأعيان يختلفون

فكيف ببني العلات، إنّ البرّ ينسئ في الأجل، ويزيد في العدد، وإنّ القطيعة تورث القلّة، وتعقب النّار بعد الذلّة، اتقوا زلّة اللسان، فإنّ الرجل تزل رجله فينتعش، ويزل لسانه فيهلك..». وأطال خطيب بين يدي الإسكندر، فزبره وقال: «حسن الخطبة ليس علىٰ طاقة الخاطب، ولكن علىٰ حسب طاقة السامع».

وأطال ربيعة الرأي الكلام، وعنده أعرابي، فلمّا فرغ من كلامه قال للأعرابي: «ما تعدون العيّ والفهاهة فيكم؟ قال: ما كنت فيه أصلحك الله منذ اليوم».

وقال واصل بن عطاء: «لئن يقول الله لي يوم القيامة: هلّا قلت، أحبّ إليّ من أن يقول لي: لمَ قلت، لأني إذا قلت طالبني بالبرهان، وإذا سكت لم يطالبني بشيء».

ونزل النعمان بن المنذر برابية، فقال له رجل من أصحابه: «أبيت اللعن لو ذبح رجل علىٰ رأس هٰذه الرابية إلىٰ أين كان يبلغ دمه. فقال النعمان: المذبوح والله أنت، ولأنظرن إلىٰ أين يبلغ دمك، فذبحه. فقال رجل: ربّ كلمة تقول دعني».

وقال أعرابي: «ربَّ منطق صدع جمعًا، وربَّ سكوت شعب صدعًا».

ومكث الربيع بن خثيم عشرين سنة لا يتكلم، إلىٰ أن قتل الحسين عليه السّلام، فسمعت منه كلمة واحدة، قال: لمّا بلغه ذلك: «أو قد فعلوها؟! ثم قال: اللّهم فاطر السمٰوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. ثم عاد إلى السكوت حتّىٰ مات».

وقال أبو عبيد الله كاتب المهدي: «كن على التماس الحظ بالسكون، أحرص منك على التماسه بالكلام؛ إنّ البلاء موكل بالمنطق».

وقال أبو الدرداء: «أنصف أذنيك من فيك، فإنّما جعل لك أذنان اثنان، وفم واحد، لتسمع أكثر ممّا تقول».

وقال ابن عوف عن الحسن: «جلسوا عند معاوية فتكلموا وسكت

الأحنف بن قيس، فقال معاوية: ما لك لا تتكلم أبا بحر، قال: أخافك إن صدقت، وأخاف الله إن كذبت».

وقال المهلب: «لئن أرى لعقل الرجل فضلًا على لسانه أحبّ إليّ من أن أرى للسانه فضلًا علىٰ عقله».

وقال سالم بن عبد الملك: «فضل العقل على اللسان مروءة، وفضل اللسان على العقل هجنة».

وقالوا: «من ضاق صدره اتسع لسانه، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن ساء خلقه قل صديقه».

وقال حرم بن حيان: «صاحب الكلام بين منزلتين، إن قصر فيه خصم، وإن أغرق فيه أثم».

وقال أكثم بن صيفي: «مقتل الرجل بين فكّيه».

وقالت الحكماء: «النطق أشرف ما خص به الإنسان لأنّه صورته المعقولة الّتي باين بها سائر الحيوانات، ولذلك قال سبحانه: ﴿خَلَقَ ٱلإِنسَانَ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾[٢٥٠] ولم يقل: (وعلمه البيان) بالواو، لأنّه سبحانه جعل قوله ﴿علّمه البيان﴾ تفسيرًا لقوله: ﴿خلقَ الإنسان﴾ لا عطفًا عليه، تنبيهًا علىٰ أنّ خلقه له، هو تخصيصه بالبيان الّذي لو توهم مرتفعًا لارتفعت إنسانيته، ولذلك قيل: ما الإنسان لولا اللسان إلّا بهيمة مهملة، أو صورة ممثلة».

وقال الشاعر:

لسان الفتىٰ نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلّا صورة اللحم والدم

قالوا: «.. والصمت من حيث هو صمت مذموم، وهو من صفات الجمادات فضلًا عن الحيوانات».

وقالوا: «العلم كلّه لا يؤديه إلىٰ أوعية القلوب إلّا اللسان، فنفع المنطق

---

(٢٥٠) الآية ٤، من سورة الرحمٰن.

عام لقائله وسامعه، ونفع الصمت خاص للصامت».

وقال بعضهم: «إحفظ لسانك عن خبيث الكلام، وفي غيره لا تسكت إن استطعت».

وعن ابن مسكويه رحمه الله، قال: «قال رجل لمطيع بن أياس: ما ندمت علىٰ صمت قطّ، ولا مللته. فقال مطيع: أمّا أنت لو خرست ما آجرك الله على الخرس، فإنّه من شهوتك».

المائدة الحادية عشرة:

في نزر من الأشعار الّتي تناسب المقام.

ونسب إلىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام، كما في المختار ٦، من حرف التاء من الديوان ٤٨:

إنّ القليل من الكلام بأهله ... حسن وإنّ كثيره ممقوت
ما زلّ ذو صمت وما من مكثر ... إلّا يزل وما يعاب صموت
إنْ كان ينطق ناطق من فضّة ... فالصمت درٌّ زانه ياقوت

وقال ابن عبد ربّه في العقد الفريد: ط ٢، ج ٢، ص ١٥: وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السّلام:

يموت الفتىٰ من عثرة بلسانه ... وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه ترمي برأسه ... وعثرته بالرجل تبرأ علىٰ مهل

وفي المختار ٢٩، من حرف الباء، من الديوان المنسوب إليه عليه السّلام:

أدبت نفسي فما وجدت لها ... بغير تقوى الإله من أدب
في كلّ حالاتها وان قصرت ... أفضل من صمتها عن الكذب
وغيبة النّاس ان غيبتهم ... حرمها ذو الجلال في الكتب
إن كان من فضّة كلامك يا نفـ ... ـس فإن السكوت من ذهب

وقال آخر:

يخوض أناس في الكلام ليوجزوا والصمت في بعض الأحايين أوجز
إذا كنت عن أن تحسن الصمت عاجزًا فأنت عن الإبلاغ في القول أعجز

وقال آخر:

النطق زين والسكوت سلامة فإذا نطقت فلا تكن مكثارا
ما إن ندمت على سكوت مرة لكن ندمت على الكلام مرارا

وقال الشهيد ابن السكيت رفع الله مقامه:

يصاب الفتى من عثرة بلسانه وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته في القول تذهب رأسه وعثرته في الرجل تبرأ عن مهل

ومن عجيب المصادفات أنّ المتوكل العباسي قد ألزم هٰذا العالم النحرير، والأديب الخبير، تأديب ولديه: المؤيد والمعتز، فكانا يغترفان من عين علمه الغزيرة، فقال له المتوكل يومًا: أيما أحبّ إليك، إبناي هٰذان، أم الحسن والحسين؟ فقال ابن السكيت رحمه الله: والله إنّ قنبرًا خادم أمير المؤمنين عليه السّلام خير منك ومن ابنيك. فقال المتوكل للأتراك: سلوا لسانه من قفاه. ففعلوا فمات، وكان ذلك في خامس رجب سنة ٢٤٤ هـ

ونظيره ما وقع لسنمار الصانع المشهور، والمعمار المعروف الّذي يضرب به المثل في بداعة الصنعة، وغرابة ما جرى عليه، فإنّه بنى للنعمان، قصره المعروف بالخورنق، وكان من حذاقة صنعة السنمار ان القصر يتلون في كلّ يوم بأربعة ألوان، فلما تم بناؤه، أنعم النعمان على السنمار بمال كثير، فصعد القصر للتفرج، وكان النعمان متعجبًا من حسن الصنعة، ويطري السنمار بالمدح والثناء، فقال له السنمار: أيها الملك لو علمت أنك تقابل عملي هٰذا بالتقدير، وتعطف عليّ بإعطاء هٰذا المال الخطير، لكنت بانيًا لك قصرًا أحسن من هٰذا. فقال النعمان: أتقدر ان تصنع أحسن من هٰذا؟ فقال: نعم. فغضب النعمان واحمر وجهه وقال: بعد أن أتلفت أموالي، وتركت بيت مالي خاليًا تقول: لو علمت حسن الصنيعة لبنيت

أحسن منه!! أيها الغلمان ألقوه من القصر، لئلّا يبني لغيري قصرًا أحسن من قصري. فألقوه من القصر، فخر ميتًا، فضرب به المثل في مكافاة الإحسان بالإساءة.

وقال آخر:

وكائن ترىٰ من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلّم
لسان الفتىٰ نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلّا صورة اللحم والدم

وقال احيحة بن الجلاح:

والصمت أجمل بالفتىٰ ما لم يكن عيٌّ يشينه
والقول ذو خطل إذا ما لم يكن لبٌّ يعينه

وقال آخر:

لقد وارى المقابر من شريك كثير تحلم وقليل عاب
صموتًا في المجالس غير عيّ جديرًا حين ينطق بالصواب

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وقال آخر:

وإذا خطبت على الرجال فلا تكن خطل الكلام تقوله مختالا
واعلم بأنّ من السكوت إبانة ومن التكلف ما يكون خبالا

وقال علي بن هشام:

لعمرك إنّ الحلم زين لأهله وما الحلم إلّا عادة وتحلم
إذا لم يكن صمت الفتىٰ من بلادةٍ وعيٍّ فإنّ الصمت أهدىٰ وأسلم

وقال آخر:

عجبت لإزراء العيي بنفسه وصمت الّذي قد كان بالقول أعلما
وفي الصمت ستر للعيي وإنّما صحيفة لبّ المرء أن يتكلما

وقال الخبز ارزي:

لسان الفتىٰ خنق الفتىٰ حين يجهل وكلّ امرئٍ ما بين فكيه مقتل
وإذا ما لسان المرء أكثر هذره فذاك لسان بالبلاء موكّل
وكم فاتح أبواب شرّ لنفسه إذا لم يكن قفل علىٰ فيه مقفل
فلا تحسبن الفضل في العلم وحده[٢٥١] بل الجهل في بعض الأحايين أفضل
إذا شئت أن تحيا سعيدًا مسلمًا فدبر وميز ما تقول وتفعل

وقال الحسن بن هاني:

خلّ جنبيك لرام وامض عنّي بسلام
متْ بداء الصمت خير لك من داء الكلام
ربّ لفظ ساق آجا ل فئام وفئام
إنّما السّالم من ألجم فاه بلجام

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

المائدة الثانية عشرة:

في ذكر ما يناسب قوله عليه السّلام: «وإيّاك أن تثق لتحميل زادك بمن لا ورع له ولا أمانة، ...».

وقد قلنا سابقًا أنّه يحتمل أنْ يكون المراد من هٰذا الكلام التحذير عن صرف المعروف والعطيات في غير أهله، وهٰذا المعنىٰ قد ورد في غير واحد من الأخبار الزجر عنه، والردع منه، في الحديث الأخير من المجلس ١٦، من أمالي الشيخ المفيد رحمه الله، عن كعب الأحبار قال: مكتوب في التوراة: «من صنع معروفًا إلىٰ أحمق فهي خطيئة تكتب عليه».

وروىٰ ابن أبي الحديد، في المختار ٤٠٠، أو ٤٥٥، مما استدركه على السيد الرضي رحمه الله أنّه قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «ينبغي للعاقل أن يمنع معروفه الجاهل واللئيم والسفيه. أمّا الجاهل فلا يعرف المعروف، ولا يشكر

---

(٢٥١) وفي النسخة: ولم تحسبن الفضل في الحلم وحده، الخ.

عليه، وأمّا اللئيم فأرض سبخه لا تنبت، وأمّا السفيه فيقول: إنما أعطاني فرقًا من لساني».

وأيضًا روىٰ ابن أبي الحديد في المختار ٨٥٣، مما استدركه علىٰ قصار النهج، أنّه قال عليه السّلام: «المصطنع إلى اللئيم كمن طوق الخنزير تبرا، وقرط الكلب دررا، وألبس الحمار وشيا، وألقم الأفعىٰ شهدا».

وفي الحديث ١، من الباب ٢٥، من كتاب الزكاة، من الكافي: ج ٤، ص ٣٠ معنعنًا، عن الإمام الصادق عليه السّلام قال: «إذا أردت أنْ تعلم أشقي الرجل أم سعيد، فانظر سيبه ومعروفه إلىٰ من يصنعه، فإن كان يصنعه إلىٰ من هو أهله فاعلم أنه خير، وان كان يصنعه إلىٰ غير أهله، فاعلم أنّه ليس له عند الله خير». ورواه الصّدوق رحمه الله، في الفقيه مرسلًا، كما في الوافي: ج ٢، ص ٨٤، في الحديث ٣، من الباب ٥٨، من كتاب الزكاة. ورواه أيضًا في الحديث،٢، من نفس الباب، من الكافي، بسند آخر.

وفي الحديث الرابع، من الجزء الرابع، من أمالي الشيخ رحمه الله معنعنًا، عن الإمام الصادق عليه السّلام قال: «إنّه من عظّم دينه، عظّم إخوانه، ومن استخف بدينه استخف بإخوانه، يا محمد اخصص بمالك وطعامك من تحبه في الله عزّ وجلّ».

وفي تحف العقول عن الإمام الكاظم عليه السّلام قال: «والصنيعة لا تكون صنيعة إلّا عند ذي دين أو حسب..». وقريب منه رواه في مستطرفات السرائر عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم. ورواه في الحديث ٨٠، من باب النوادر، من كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٢٩٨ معنعنًا، مع زيادات كثيرة عن الإمام الصادق عليه السّلام.

وأمّا ما قيل في هٰذا المعنىٰ من الشعر فغير قليل أيضًا. ففي المختار ٩ من حرف العين، من الديوان المنسوب إلىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام ص ٩٣:

لا تضع المعروف في ساقط   فذاك صنع ساقط ضائع

وضعه في حرّ كريم يكن عرفك مسكًا عرفه ضائع

وقال شاعر:

إنّ الصنيعة لا تكون صنيعة حتّىٰ يصاب بها طريق المصنع

فإذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها لله أو لذوي القرابة أو دع

هٰذا ما حضرني الآن من شواهد الاحتمال الأوّل.

وأمّا شواهد الاحتمال الثاني ـ أي كون الكلام تحذيرًا من ايكال الأمر إلىٰ غيره، بأن يكون مساقُ قوله عليه السّلام: «وإيّاك أن تثق لتحميل زادك بمن لا ورع له ولا أمانة..» مساقَ قوله عليه السّلام: «يابن آدم كن وصي نفسك، واعمل في مالك ما تؤثر أنْ يعمل فيه من بعدك»(٢٥٢) فهي شواهد كثيرة أيضًا نثرًا ونظمًا، ويدلّ عليه جميع ما ورد في الشريعة من الحث على المبادرة إلى الخيرات، ويدل عليه أيضًا ما قاله السبط الشهيد عليه السّلام: «مالك إن لم يكن لك، كنت له منفقًا، فلا تنفقه بعدك فيكون ذخيرة لغيرك، وتكون أنت المطالب به، المأخوذ بحسابه، واعلم أنك لا تبق له، ولا يبقَ عليك(٢٥٣) فكُلْه قبل أن يأكلك».

وفي حديث آخر عنه عليه السّلام: «مالك إن لم يكن لك، كنت له، فلا تبق عليه، فإنّه لا يبقي عليك، وكله قبل أن يأكلك». الحديث ٢٨ و٣٤، من مختار كلمه عليه السّلام في البحار: ج ١٧، ص ١٥١، نقلاً عن أعلام الدِّين، والدرة الباهرة.

وأمّا الشواهد المنظومة للمعنى الثاني فكثيرة أيضًا، ومما نسب إلىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام قوله:

قدم لنفسك في الحياة تزودًا ولقد تفارقها وأنت مودع

---

(٢٥٢) المختار ٢٥١، من قصار نهج البلاغة.

(٢٥٣) كذا في النسخة، والسياق يقتضي أن يقال: ولا يبقَ لك، ولعله من سهو النساخ، أو أن علىٰ بمعنى اللام.

واهــتم للسـفر القـريب فـإنّه أنأىٰ من السّفر البـعيد واشـنع
واجعل تزودك المخـافة والتـقىٰ فلعل حتفك في مسائك أسرع

وقال آخر:

قدم جميلًا إذا ما شئت تفعله ولا تؤخر ففي التأخير آفـات
ألست تعلم أنّ الدهر ذو غـير وللمكارم والإحسـان أوقـات

وقال آخر:

إذا مــا كـنت مـتخذًا وصـيًّا فكن فـيما مـلكت وصي نـفسك
ستحصد ما زرعت غدًا وتجزىٰ إذا وضع الحساب ثمـار غـرسك

وقال آخر:

تمـتّع إنّمـا الدّنـيا مـتاع وان دوامـها لا يسـتطاع
وقدم ما ملكت وأنت حيّ أمـير فـيه متّبع مـطاع
ولا يغررك من توصي إليـه فقصر وصيّة المرء الخـداع
ومالي أن أملّك ذاك غيري أوصـيه بـه لو لا الخـداع

وقال آخر:

قـدم لنـفسك شيئًا وأنت مـالك مـالك
من قـبل أن تـتلاشىٰ ولون حـالك حـالك

وقال آخر:

افـعل الخـير مـا بـدا وتهـيا عـلم الخـير لائـح في الثريـا
إنّما أنت أنت مـا دمت حـيًّا فإذا متّ صرت تأويل رؤيا

وقال الأعشي:

إذا أنت لمن ترحل بزاد مـن التـقىٰ وأبصرت بعد الموت من قد تزودا
ندمت عـلىٰ أنْ لا تكـون كـمثله وأنّك لم ترصد كـما كـان أرصدا

وقال الأخطل:

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخرًا يكون كصالح الأعمال

وقال عليه السّلام في هٰذه الوصيّة(٢٥٤)

يا بُنَيّ البَغْيُ سائِقٌ إلى الحَينِ(٢٥٥)، لَنْ يَهْلِكَ امْرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَهُ(٢٥٦)؛ مَن حَصَّنَ [حَظَرَ «خ»] شَهْوَتَهُ صانَ قَدْرَهُ؛ قِيمَةُ كُلِّ آمْرِئٍ ما يُحْسِنُ(٢٥٧)؛ الاعتِبارُ يُفيدُك الرَّشادَ؛ أشرَفُ الغِنىٰ تَرْكُ المُنىٰ؛ ألْحِرْصُ فَقْرٌ حاضِرٌ؛ المَوَدَّةُ قَرابَةٌ مُستَفَادَةٌ؛ صَديقُكَ أخُوكَ لأبِيكَ وَأُمِّكَ، وَلَيسَ كُلُّ أخٍ لَكَ مِن أبيكَ

(٢٥٤) من هنا إلىٰ آخر الوصية رواها الصدوق رحمه الله بلا حذف واسقاط شيء منها، علىٰ ما هو الظاهر من كلامه.

(٢٥٥) الحين ـ كزين وشين ومين ـ: المحنة. الهلاك.

(٢٥٦) قريب منه ذكره السيد رحمه الله في المختار ٩٩، من باب الخطب، والمختار ١٤٨، من باب القصار من النهج.

وهٰذا ممّا تواتر عنه عليه السّلام. وقد أشرنا غير مرة إلىٰ أنّ جلّ ما في هٰذه الوصيّة مذكور في خطبة الوسيلة وفي وصيّته عليه السّلام إلى الإمام المجتبىٰ عليه السّلام.

(٢٥٧) يحسن ـ من الإحسان ـ بمعنى العلم، ومراده عليه السّلام أنّ قيمة المرء تدور مدار علمه، فمن لا علم له فلا قيمة له، وقيمة العالم أيضًا بمقدار قيمة علمه كمًّا وكيفًا. وقال الفيض رحمه الله في شرح الكلام: يعني تزيد قيمة المرء بزيادة علمه كمًّا وكيفًا، ولا شك إنّ شرف العلم بشرف المعلوم، فالعالم بعظمة الله وجلاله أعظم قدرًا من العالم بأحكامه، وكذلك في سائر العلوم، وما كان المقصود منه الدّنيا فقيمته ما يحصل له في الدّنيا، وماله في الآخرة من نصيب سوى الحسرة والندامة.

أقول: هٰذا الكلام الشريف ممّا أطبقت الأمة جمعاء علىٰ صدوره من أمير المؤمنين عليه السّلام وانه عليه السّلام أبو عذرته، وانّه أجل تعبير ينبئ عن وزن العالم، ويكشف عن سموّ مقامه، وللعلماء والشعراء كلم نافعة، وأفادات جيدة في نفاسة هٰذا الكلام وشرافته، نشير إليها في مناهج البلاغة، في شواهد المختار ٨١، من قصار نهج البلاغة إن شاء الله تعالىٰ.

وأُمَّكَ صَديقَكَ؛ لاتَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَديقًا فَتُعادِيَ صَدِيقَكَ؛ كَمْ مِنْ بَعِيدٍ أَقرَبُ مِنْكَ مِنْ قَرِيبٍ؛ وَصُولٌ مُعْدِمٌ خَيرٌ مِنْ مُثْرٍ جافٍ(٢٥٨)؛ المَوْعِظَةُ كهفٌ لِمَنْ وَعاها؛ مَنْ مَنَّ بِمَعْرُوفِهِ أفْسَدَهُ(٢٥٩)؛ مَن أَساءَ خُلُقَهُ عَذَّبَ نَفْسَهُ وَكانَتِ البِغْضَةُ أولىٰ بِهِ؛ لَيسَ مِنَ العَدْلِ القضاءُ بِالظَّنِ على الثِّقَةِ(٢٦٠)؛ مَا أَقْبَحَ الأَشَرُ عِنْدَ الظَّفَرِ، وَالكَآبَةَ عِنْدَ النَّائِبَةِ(٢٦١) وَالغِلْظَةُ والقَسْوَةُ عَلى الجارِ، وَالْخِلافُ عَلى الصّاحِبِ، وَالْخِبُّ [وَالخُبْثُ «خ»] مِنْ ذَوي المُرُوءَةِ(٢٦٢) وَالغَدْرُ مِنَ السُّلْطانِ، وَزُلْ مَعَهُ حَيثُ زَالَ؛ لا تَصْرِمْ أخاكَ عَلىٰ ارْتيابٍ، ولا تَقْطَعْهُ دُونَ استِعْتابٍ(٢٦٣) لَعَلَّ لَهُ عُذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ؛ إِقْبَلْ مِنْ مُتَنَصِّلٍ(٢٦٤) عُذْرَهُ فَتَنالَكَ الْشَفاعَةُ؛ وَأَكْرِم اَلَّذينَ بِهِم نَصْرُكَ، وَاَزْدَدْ لَهُمْ

---

(٢٥٨) الوصول ـ كصبور ـ: الكثير الوصل، أو الكثير الإعطاء، وكان المراد منه هنا معناه الوصفي بلا مبالغة وتكثير. والمعدم: الفقير. والمثري: ذو المال والغني. والجافي: الغليظ.

(٢٥٩) هذا المعنىٰ مقتبس من قوله تعالىٰ في الآية: ٢٦٤، من سورة البقرة ﴿يا أيُّها الّذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذىٰ كالّذي ينفق ماله رئاء النّاس..﴾.

(٢٦٠) أي إذا كان أحد موثوقًا عندك في الدّين أو الأمانة أو المحبة أو غيرهما، فما لم يحصل لك اليقين علىٰ زواله لا تحكم بالزوال، فإنّ الظن لا يغني من الحقّ شيئًا، وقال تعالىٰ: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظّنّ ان بعض الظّنّ إثم﴾.

(٢٦١) الاشر: كالبطر والفرح لفظًا ومعنىً. والكابة والكأبة والكآبة ـ كالراحة والكعبة والصحابة ـ: الغم وسوء الحال والانكسار من الحزن، وهي مصادر لقولهم: كئب (من باب علم).

(٢٦٢) قال في الوافي: الخب ـ بالخاء المعجمة ـ: الخداع والمكر، وفي بعض النسخ: الخبث ـ بالمثلثة ـ وفي بعضها بالحاء المهملة والنون والمثلثة، وكأنها تصحيف.

(٢٦٣) صرم يصرم (من باب ضرب) صَرمًا وصُرمًا (كفلس وقفل) ـ فلانًا. أي هجره. الشيء: قطعه. والاستعتاب: طلب الرجوع والعود إلىٰ ما كان عليه. وفي كتاب العلم من العقد الفريد قال: قال علي عليه السّلام: لا تقطع أخاك علىٰ ارتياب، ولا تهجره دون استعتاب.

(٢٦٤) يقال: تنصل فلان من ذنبه أي تبرأ منه. ومنه الحديث: يا علي من لم يقبل العذر من

طوُلَ الصُّحْبَةِ بِرًّا وَإِكْرامًا وَتبْجِيلاً وَتـعْظيمًا، فَـلَيْسَ جَـزاءُ مَـن سَـرَّكَ أنْ تَسُوءَهُ(٢٦٥)؛ أكْثِرِ البِرَّ مَا استَطَعْتَ لِجَليسِكَ فَإنَّكَ إذا شِئْتَ رَأيْتَ رُشْدَهُ؛ مَنْ كسَاهُ الحَياءُ ثَوبَهُ اخْتَفىٰ عَنِ العُيُونِ عَيْبُهُ؛ مَنْ تَحَرَّى القَـصْدَ خَـفَّتْ عـلَيهِ المُؤَنُ(٢٦٦) مَنْ لَمْ يُعْطِ نَفْسَهُ شهْوَتَها أصابَ رُشْدَهُ؛ مَعَ كُلِّ شِدَّةٍ رَخَاءٌ وَمَعَ كُلِّ أُكْلَةٍ غُصَصٌ؛ لا تُنالُ نِعْمَةٌ إلّا بَعْدَ أذَىٰ؛ كُفْرُ النِّعَمِ مُوْقٌ(٢٦٧) وَمُجالَسَةُ الأحْمَقِ شُوْمٌ؛ إعْرِفِ الحَقَّ لِمَنْ عَرَّفَهُ لَكَ شَرِيفًا كانَ أوْ وَضِيعًا؛ مَنْ تَـرَكَ القَصْدَ جَارَ، وَمَنْ تَعَدَّى الحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ؛ كَمْ مِنْ دَنِفٌ نَجا، وَصَحِيحٍ قَدْ هَوىٰ(٢٦٨)؛ قَدْ يَكُونُ اليَأْسُ إدْراكًا، وَالطَّمَعُ هَلاكًا؛ إسْـتَعْتِبْ مَـنْ رَجَـوتَ عِتابَهُ(٢٦٩)؛ لا تَبِيتَنَّ مِنْ آمْرِئٍ عَلىٰ غَدْرٍ؛ الغَدْرُ شَرُّ لِباسِ المَرْءِ المُسْلِمِ؛ مَن

← متنصل لم ينل شفاعتي.

(٢٦٥) أوصىٰ عليه السّلام بهذا البيان القدسي بالاهتمام بشؤون الأنـصار والأعـوان مـن الإخوان والأقرباء والأصدقاء، حيث إنّ الإنسان بمعاضدتهم ينال المقصود، وبمعاونتهم يظفر بطلبته، فيفرح ويبتهج، فـعليه أن يجزيهم بـالبر والإكـرام، ويـثيبهم بـالإنعام والاحترام في جميع أوقات الصحبة، ولا يتبرم بطول صحبتهم فيترك ما يجب عليه من مراعاة حقهم، لأنّه لا يجزى الإحسان إلّا بالإحسان. فليس جزاء من سرك بإنجاح المقاصد، ونيل الآمال، أن تسوءه بترك رعايته، وإظهار المـلالة والسـآمة مـن طـول صحبته.

(٢٦٦) التحري: الطلب واختيار ما هو الأولىٰ من الأمور. والقصد: هو التوسط بين الإفراط والتفريط. والمؤن ـ علىٰ زنة زفر وعمر ـ جمع المؤونة ـ بفتح أوله وضمه ـ وهي القوت وما يصرفه الإنسان في حوائجه، ولملازمته نوعًا من الثقل يستعمل في كل شدة وثقيل.

(٢٦٧) الموق: الحمق، وفي خطبة الوسيلة: كفر النعم لوم، وصحبة الجاهل شؤم.

(٢٦٨) الدنف ـ علىٰ زنة كتف ـ: من ثقل مرضه وصار ملازمًا له، وجمعه أدناف، ومؤنثه دنفة، وجمع المؤنث دنفات. وهوىٰ: هلك.

(٢٦٩) العتبىٰ: الرّضا، أي اطلب رضا من ترجو رضاه ولا تتركه ساخطًا عليك، أو المعنىٰ اطلب الرجوع إلى المحبة والعود إليها لمن تحتمل وترجو رجوعه إلى المسرة، وحاصله ←

غَدَرَ ما أَخْلَقَ أَنْ لا يُوفَىٰ لَهُ؛ الفَسادُ يُبيرُ الكَثِيرَ وَالاقتِصادُ يُنْمِي اليَسِيْرَ(٢٧٠)؛ مِنَ ٱلكَرَمِ الوَفاءُ بِالذِّمَمِ؛ مَنْ كَرُمَ سادَ، وَمَنْ تَفَهَّمَ ازْدادَ؛ إمْحَضْ أخاكَ النَّصِيحَةَ وَساعِدْهُ عَلَىٰ كُلِّ حالٍ ما لَمْ يَحْمِلْكَ عَلىٰ مَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ(٢٧١)؛ لِنْ لِمَنْ غاظَكَ(٢٧٢) تَظْفَرْ بِطلبَتِكَ؛ ساعاتُ الهُمُوْمِ ساعاتُ الكَفّاراتِ، وَالساعاتُ تُنْفِدُ عُمْرَكَ(٢٧٣)، لاخَيرَ في لَذَّةٍ بَعْدَها النّارُ، وَما خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النّارُ، وَما شَرٌّ بِشَرٍّ بَعدَهُ الجنّةُ(٢٧٤)؛ كُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الجنَّةِ مَحْقُورٌ

← ترك الانقطاع والهجران إذا كان الاتصال ممكنًا، والتحبب محتملًا، والمعنى الثاني لازم للأوّل، إذ كل من رضي بعد السخط فقد رجع إلىٰ ما كان عليه أوّلا، ومنه الحديث: ولا بعد الموت من مستعتب.

(٢٧٠) يبير، من الإبارة،: أي يهلكه ويبطله، ونمىٰ ينمي نميا ونميًّا ـ من باب رمىٰ يرمي ـ كما ينمو نموًّا ـ من باب دعا يدعو ـ المال وغيره: زاد وكثر. وانمىٰ انماء الشيء، أي زاده، فأنمىٰ هو، أي زاد.

(٢٧١) وبهذا يقيد جميع ما ورد في رعاية الإخوان، وأداء حقوقهم، ومعاونتهم، وعدم مهاجرتهم، ولأجل أن الحكم عقلي ـ إذ حقّ الله أقدم وأجل من جميع الحقوق ـ فلا يختص بمورد الإخوة، بل يقيد به حقوق جميع المخلوقين.

(٢٧٢) غاظه يغيظه (من باب باع) غيظًا، وغيظه وأغاظه وغايظه، أي حمله على الغيظ وهو الغضب، أو الأشد منه. وقال عليه السّلام في وصيّة إلى الإمام المجتبىٰ عليه السّلام: لِنْ لِمَنْ غالظك فإنّه يوشك أن يلين لك، الخ. وهذا مأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿ادفع بالّتي هي أحسن السيئة فإذا الّذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾. وللكلام ذنابة تأتي.

(٢٧٣) وفي الحديث: يابن آدم أنت عدد أيامك. وروي في جامع الأخبار ـ علىٰ ما حكي عنه ـ عن السبط الشهيد عليه السّلام أنه قال: يابن آدم إنّما أنت أيام، كلما مضىٰ يوم ذهب بعضك.

(٢٧٤) أي ما يعدّه النّاس شرًّا (من المصائب في سبيل الله وتحمّل مشقة التكاليف) ليس بشر، بل هو خير محض، لأنّه يجر إلى المكلّف خيرًا لا ينقطع ولا يبيد، وهكذا معنىٰ قوله (عليه السلام) في الفقرة السابقة: «وما خير بعده النار، الخ...» أي ما تحسبونه خيرًا (من المتاع الحقير الّذي تنالونه بمعصية الله) ليس بخير، بل هو شرّ محض، لأنّه يجر المكلّف إلى الجحيم، والفقرة السابقة والجملتان الأخيرتان كالتأكيد لها، ولا يذهب عنك أنّ هذه ←

وَكُلُّ بَلاءٍ دُونَ النّارِ عافِيَةٌ؛ لا تُضَيِّعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكالاً عَلىٰ ما بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ؛ وَلا يَكُونَنَّ أَخُوكَ عَلىٰ قَطيعَتِكَ أقوىٰ مِنكَ عَلىٰ صِلَتِهِ، ولا عَلى الإساءَةِ أقوىٰ مِنْكَ عَلى الإِحسانِ إِلَيهِ(٢٧٥)؛ يا بُنَيَّ إذا قَوِيتَ فَاقْوَ عَلىٰ طاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِذا ضَعُفْتَ فَاضْعُفْ عَنْ مَعصِيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ(٢٧٦)؛ وَإِنِ استَطَعْتَ أن لا تُمَلِّكَ الْمَرْأَةَ(٢٧٧) مِنْ أَمرِها ما جاوَزَ نَفْسَهَا فَافْعَل، فَإِنَّهُ أَدْوَمُ لِجَمالِها وَأَرْخىٰ لِبالِها وَأَحْسَنُ لِحالِها، فَإِنَّ المَرأَةَ رَيْحانَةٌ، وَلَيْسَتْ بِقَهْرِمانَةٍ، فَدارِها عَلىٰ كُلِّ حالٍ، وَأحسِنْ الصُحْبَةَ لَها، فَيَصْفُوَ عَيْشُكَ؛ إِحْتَمِلِ القَضاءَ بِالرِّضا؛ وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَجْمَعَ خَيْرَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ فَاقْطَعْ طَمَعَكَ مِمّا في أَيدِي النَّاسِ، وَالسَّلامُ عَلَيْكَ يا بُنَيَّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

← الجمل قد ألقاها (عليه السلام) ضمن كثير من كلماته، كخطبته الوسيلة، ووصيّته إلى الإمام المجتبىٰ (عليه السلام)، والمختار ٣٨٧، من قصار النهج، وغيرها.

(٢٧٥) من قوله (عليه السلام): لا تضيّعن حق أخيك، إلىٰ قوله: على الإحسان إليه، مذكور في وصيّته إلى السبط الأكبر الإمام المجتبىٰ (عليه السلام)، ورواه أيضاً عنه (عليه السلام) في كنز الفوائد ٣٤.

(٢٧٦) ومن قوله عليه السلام: يا بني إذا قويت، إلىٰ قوله: عن معصية الله عز وجلّ رواه باختلاف ما، في المختار ٣٨٣، من قصار النهج عنه عليه السلام.

وقريب منه جدًّا رواه عنه عليه السلام ابن مسكويه رحمه الله، في الحكمة الخالدة، ثمّ قال ابن مسكويه: فكان ابن المقفع يقول: ليجتهد البلغاء ان يزيدوا في هذا حرفًا.

(٢٧٧) من قوله عليه السلام: وإن استطعت، إلى قوله: فيصفو عيشك ـ ذكرناه في باب الخطب من هذا الكتاب، عن مصادر كثيرة. وأيضا هذا كله مذكور في وصيته إلى الإمام الحسن عليه السلام مع زيادة، وكذلك في الحكمة الخالدة ١٧٧. ولا يخفىٰ أن الظاهر من هذا الكلام الشريف ـ بقرينة ذيله ـ عدم تحميل الأمور الشاقة على النساء مما ينغص عيشها، ويذهب بطراوتها وبهاء وجهها ونضارة غصنها، من إدارة شؤون الحياة، وإرسالها إلى جهات شتىٰ لتحصيل المآكل والاقوات.

قال الصدوق طاب ثراه (في آخر الحديث ١٠، من نوادر الفقيه): هذا اخر وصيته عليه السلام لمحمّد بن الحنفية رحمه الله.

أقول: قال شيخ الطائفة عطّر الله مرقده في ترجمة الأصبغ بن نباتة رحمه الله: كان الأصبغ من خواص أمير المؤمنين عليه السلام، وعمّر بعده، وروىٰ عهد مالكك الأشتر الّذي عهده إليه أمير المؤمنين عليه السلام لمّا ولاه مصر، وروىٰ وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ ابنه محمّد بن الحنفية.

أخبرنا بالعهد ابن أبي جيد، عن محمّد بن الحسن الحميري، عن هارون ابن مسلم، والحسن بن طريف جميعًا، عن الحسين بن علوان الكلبي، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

وأمّا الوصيّة، فأخبرنا بها الحسين بن عبيد الله، عن الدوري، عن محمّد ابن أبي الثلج، عن جعفر بن محمّد الحسيني، عن عليّ بن عبدك الصوفي، عن الحسن بن ظريف، عن الحسين بن علوان، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة المجاشعي، قال: كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ ولده محمّد بن الحنفيّة وصيته.

وقال النجاشي رحمه الله: كان الأصبغ بن نباتة المجاشعي من خاصة أميرالمؤمنين عليه السلام، وعمّر بعده، روىٰ عنه عهد الأشتر، ووصيّته إلىٰ محمّد ابنه.

أخبرنا ابن الجندي، عن عليّ بن همام، عن الحميري عن هارون بن مسلم، عن الحسين بن علوان، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بالعهد.

وأخبرنا عبدالسلام بن الحسين الأديب، عن أبي بكر الدوري، عن محمّد ابن أحمد ابن أبي الثلج، عن جعفر بن محمّد الحسني، عن عليّ بن عبدك، عن الحسن بن ظريف، عن الحسين بن علوان، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بالوصيّة.

وروىٰ ثقة الإسلام الكليني رحمه الله، بسندين في الحديث ٧، من الباب ١٩، من كتاب النكاح، من الكافي: ٥، ج ٣٣٧، معنعنًا عن الإمام الباقر

والصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته إلى الحسن عليه السلام: إيّاك ومشاورة النساء، فإنّ رأيهنّ إلى الأفن، وعزمهم إلى الوهن، وأكفف عليهنّ من أبصارهنّ بحجابك إيّاهن، فانّ شدّة الحجاب خير لك ولهنّ من الارتياب، وليس خروجهنّ بأشدّ من دخول من لاتثق بـه عـليهنّ، فـانّ استطعت ان لا يعرفنّ غيرك من الرجال فافعل.

ثمّ قال ثقة الإسلام قدس الله نفسه: أحمد بن محمّد بن سعيد، عن جعفر ابن محمّد الحسيني،(٢٧٨) عن عليّ بن عبدك، عن الحسن بن ظريف بن ناصح، عن الحسين بن علوان، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة، عـن أمـير المؤمنين عليه السلام مثله، إلّا أنّه قال: كتب بهذه الرسالة أمير المؤمنين عليه السلام إلى ابنه محمّد بن الحنفيّة.

أقول لاتنافي بين الروايتين، لأنّ أمير المؤمنين عليه السلام كـتب إليهـما جميعًا، فالأوّلون من الرواة لمّا لم يطّلعوا على الرواية الثانية ـ أو لم يكونوا بصدد بيانها، أو بيّنوها أيضًا، ولكن النقلة عنهم لم يعلموا بها ـ أكـتفوا بـذكر الأولىٰ فقط. وكذلك الكلام في رواة الرواية الثانية الآتية.

وأيضًا روىٰ ثقة الإسلام رفع الله درجاته في الحديث ٣، من الباب ١٥٢، من كتاب النكاح، من الكافي: ج ٥، ص ٥١٠، بالسندين المتقدمين ـ إلّا أن فيما تقدم روىٰ عن أبي عبدالله الأشعري، عن رجاله إلىٰ أن انتهىٰ إلى الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، وهنا يروي عن أبي عليّ الأشعري، عن المذكورين في ما تقدم، عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام قال: في رسالة أمـير المؤمنين عليه السلام إلى الحسن عليه السلام: «لا تملك المرأة من الأمر ما يجاوز نفسها، فان ذلك أنعم لحالها، وأرخىٰ لبالها، وأدوم لجمالها، فان المـرأة ريحـانة، وليست بقهرمانة، ولاتعد بكرامتها نفسها، واغضض بصرها بسـترك، واكـففها بحجابك، ولا تطمعها أن تشفع لغيرها، فيمل عليك من شفعت له عليك مـعها، واستبق من نفسك بقية، فانّ إمساكك نفسك عنهنّ وهنّ يرين أنك ذو اقتدار،

(٢٧٨) كذا في النسخة، والصواب «الحسني» كماتقدم ويأتي.

خير من أن يرين منك حالاً علىٰ إنكسار».

ثمّ قال ثقة الإسلام عطّر الله مضجعه: أحمد بن محمّد بن سعيد، عن جعفر ابن محمّد الحسني، عن عليّ بن عبدك، عن الحسن بن ظريف بن ناصح، عن الحسين بن علوان، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام مثله، إلا أنّه قال: كتب أمير المؤمنين صلوات الله عليه بهذه الرسالة إلىٰ ابنه محمّد رضوان الله عليه(٢٧٩).

وممّن ذكر السند للوصيّة الشريفة السيّد ابن طاووس رحمه الله، نقلاً عن الجزء الأول من كتاب الزواجر والمواعظ، من نسخة تاريخها: ذو القعدة، من سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة، تأليف أبي أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري،قال: وأخبرنا أحمد بن عبد الرحمان بن فضال القاضي، قال حدثنا الحسن بن محمّد بن أحمد، وأحمد بن جعفر بن محمّد بن زيد بن عليّ بن الحسين ابن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: حدثنا جعفر بن محمّد الحسني، قال: حدثنا الحسن بن عبدك، قال حدثنا الحسن بن ظريف بن ناصح، عن الحسن [الحسين «خ»] بن علوان، عن سعد بن طريف عن أصبغ بن نباتة المجاشعي قال: كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ إبنه محمّد.

وقال السيّد رحمه الله أيضًا: وأعلم أنّه قد روىٰ الشيخ المتّفق علىٰ ثقته وأمانته محمّد بن يعقوب الكليني تغمده الله برحمته، رسالة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، إلىٰ ابنه الحسن عليه السلام، وروىٰ رسالة أخرىٰ مقتصرة عن خط عليّ عليه السلام إلىٰ ولده محمّد بن الحنفية عليه السلام، وذكر الرسالتين في

---

(٢٧٩) قال المحمودي: لا غرابة في اشتباه الأمر على الرواة في الوصيتين أو الرسالتين، لأنّهما صدفا بحر واحد، ولؤلؤا صدف فارد، وكلتاهما تستقيان من بحر الولاية، وتتفرعان عن دوحة الإمامة، وتنبتان عن شجرة العلوم الالهية، وتنشآن عن مغرس المعارف الربوبية، فمن شاهد الأولىٰ، ولم يكن عارفًا بالثانية، ثمّ تليت الثانية عليه، يقول بلا تأمل: كأنها هي، بل غير المتعمق يقول: هي هي، وذلك لفرط الوحدة، والتشابه من جهات شتىٰ، وقلة المميزات، ولذا التبس الأمر علىٰ بعض الرواة.

كتاب الرسائل، ووجدنا منها نسخة قديمة يوشك أن تكون كتابتها في زمان حياة محمّد بن يعقوب رحمه الله، انتهىٰ ملخصًا[٢٨٠].

أقول: قد تقدم في التعليقات السابقة أنّ الشيخ المفيد والكراجكي والسيّد الرضي وابن شعبة وابن أبي جمهور والعلامة أيضًا رووا بعض فقرات هذه الوصيّة الشريفة، وكذلك كثير من فقراتها قد تكلّم به أمير المؤمنين عليه السلام في غير واحد من كلماته الكريمة، كما لا يخفىٰ علىٰ من أحاط خبرًا بنهج البلاغة ونهج السعادة، وخطبة الوسيلة، ووصيّته عليه السلام إلى السبط الأكبر عليه السلام، والمختار الأوّل والثاني والثالث والرابع والخامس من الباب الأوّل من دستور معالم الحكم وغيره، فقد تحقّق بتراكم الشواهد الداخلية والخارجية أن كون الوصيّة الشريفة من كلام سيّد البلغاء والموحّدين وأمير المؤمنين عليه السلام أمر جلي، والأريب لا يمكنه أن يناقش فيها، وأرباب اللب والإنصاف يكفيهم بعض ما تقدم، فتبصر واستقم، ولا تكوننّ من الممترين.

وهنا عوائد وزوائد

العائدة الأولىٰ:

فى بيان بعض ما ورد في شأن الصديق، ولوازم الصداقة، المناسب لقوله عليه السلام: «صديقك أخوك لأبيك وأمك، ...» وقوله عليه السلام: «لا تتخذن

(٢٨٠) قال أبو جعفر المحمودي: المستفاد من القرائن أنّ هذه الوصية غير رسالته عليه السلام إلىٰ إبنه محمّد بن الحنفية، الّتي وجدها السيّد ابن طاووس رحمه الله في رسائل ثقة الإسلام الكليني قدس الله نفسه، إذ نحن وإن كنّا محرومين من رسائل الكليني رحمه الله وأمثالها من ذخائر العلماء القدماء، ولكن من وصف العدل العلامة السيّد ابن طاووس اياها بالاختصار، يعلم أنّ هذه الوصية غير تلك الرسالة، إذ الوصية كما رأيتها ـ مع ما أسقطه الصدوق رحمه الله منها ـ لا تقل عن وصيته عليه السلام إلى الإمام المجتبىٰ عليه السلام. ويدل عليه أيضا ما ذكرناه في باب الكتب، من كتابه عليه السلام إلىٰ ابنه محمّد، عن مصدر آخر، غير رسائل الكليني، وهو كما قال السيّد مختصر.

عدو صديقك صديقًا، فتعادي صديقك، ...».

واعلم أنّ لكلّ شيء آثارًا وخواص في دار الوجود، تكوينًا أو اعتبارًا وتشريعًا، وهذه الآثار والخواص إذا قسناها إلىٰ شيء آخر أو آثاره ولوازمه، قد يكونان متلائمين ـ علىٰ اختلاف أقسامه ـ وقد يكونان متعاندين، غير متوافقين.

ومن جملة الموجودات الصداقة والمحابة والموادة بين الشخصين، ولها لوازم وثمرات وآثار بحسب التكوين والعقل والمعتاد بين ذوي العقول، وهكذا بحسب الشرائع.

فمن جملة آثار الصداقة: إختيار هوى الصديق علىٰ هوىٰ نفسه وغيره،[٢٨١] والفرح لفرحه، والحزن لحزنه، ومواساته في البأساء والضرّاء، وتفقّده عند غيبته، ومراودته والمعاشرة معه بالجميل عند حضوره، وموالاة وليّه، ومعاداة عدوّه، وستر ما يشينه، ونشر ما يزينه، إلىٰ غير ذلك ممّا هو مركوز في فطرة جميع ذوي الحسّ والعقل، من أي صنف وقطر وسلالة، فانّك إذا تأملت تجد جميع الأمم ذوات الشرائع وغيرهم، يحنون إلىٰ صديقهم، ويفرون وينفرون من مبغضيهم، بحسب طبعهم وفطرتهم، ولم ير ولم يسمع ـ ولن يرىٰ ولن يسمع ـ أن أحدًا رتب آثار الصداقة ـ من بذل النّفس والمال، واختيار هوى الحبيب والصديق علىٰ هوىٰ شخصه ـ علىٰ عدوّه. وكذلك العكس: لم يعهد من فرد من ذوي العقول أن يعامل صديقه معاملة العدو، بأن يسبه ويضربه عند الحضور، ويغتابه ويسيّئ القول فيه عند غيبته، ويفرح عند حزنه، ويحزن عند مسرّته، ويساعد أعداءه على استئصاله، أو يسعىٰ في سبيل مرضاة عدوّه، أو تنغيص عيش صديقه وحبيبه، وهذا أمر ارتكازي ـ حتّىٰ عند الحيوانات ـ غير محتاج إلىٰ اقامة الشواهد، إلّا أنا نذكر بعض الشواهد، لتنبيه الغافل، ولإلزام

---

(٢٨١) لبعضهم:

أريد وصاله ويريد هجري فأترك ما أريد لما يريد

بعض الكاذبين وتكذيبهم، وإلفات نظر العقلاء والمنصفين، علىٰ أنّهم هم الكاذبون في دعواهم، فنقول:

قال الله تعالىٰ في الآيتين ٣١ و ٣٢، من سورة آل عمران: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ، ...﴾.

و﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.

وقال تعالىٰ في الآية ٢٢، من سورة المجادلة: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ، ..﴾.

فتأمل في الآية الأولىٰ، كيف رتب اتباع حبيبه علىٰ محبته، وعقله عليه، فمن لم يتبع الرسول فليس بمحب الله، ولا لرسوله؛ وتدبّر في الآية الثانية، كيف أطلق الكافر علىٰ من لم يطع الله ورسوله، وأعلن أنّه لا يحبّهم؛ وتفكّر في الآية الثالثة، كيف حكم بالملازمة بين الإيمان بالله ورسوله، وبين قطع المراودة والموادّة مع من حادّ الله، وكنّىٰ بعدم الوجود عن عدم الإمكان واستحالة التحقق.

وروى الصدوق رحمه الله، في المجلس ٩٥، من الامالي ٣٩٧، وفي مصادقة الأخوان، قال رحمه الله: «قال لقمان لابنه: يا بنيّ اتّخذ ألف صديق، والألف قليل، ولا تتّخذ عدوًّا واحدًا، والواحد كثير».

ورویٰ في الحديث ١، من الباب ١٠، من أبواب أحكام العشرة، من مستدرك الوسائل: ج ٢، ص ٦٢،عن الجعفريات معنعنًا، قال: «قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله: المرء علىٰ دين من يخالل، فليتق الله المرء، ولينظر من يخالل».

وفي الحديث الثاني، من الباب نفسه، نقلاً عن كتاب الأخلاق لأبي القاسم الكوفي، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «المؤمنون كأسنان المشط، يتساوون بينهم في الحقوق بينهم، ويتفاضلون بأعمالهم، والمرء علىٰ دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل».

وقال صلّى الله عليه وسلم: «إختبروا النّاس بأخدانهم، فإنّما يخادن

الرجل من يعجبه»(٢٨٢).

وفي الحديث الأخير من الباب السابع، من أبواب أحكام العشرة، من المستدرك: ط ٢، ج ٢، ص ٦٢، عن القطب الراوندي رحمه الله، في لب اللباب، قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: عليكم بالاخوان، فإنّهم عدة في الدنيا والآخرة، ألا تسمعون إلىٰ قوله تعالىٰ: «فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ»(٢٨٣).

وروى الصدوق رحمه الله معنعنًا، في صفات الشيعة ١٦٥، في الحديث التاسع، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال رحمه الله: «مجالسة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار، ومجالسة الأخيار تلحق الأشرار بالأخيار، ومجالسة الفجار للأبرار تلحق الفجار بالأبرار، فمن اشتبه عليكم أمره، ولم تعرفوا دينه، فانظروا إلىٰ خلطائه، فإن كانوا أهل دين الله فهو علىٰ دين الله، وإن كانوا علىٰ غير دين الله فلاحظّ له في دين الله. إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم كان يقول: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤاخين كافرًا، ولا يخالطن فاجرًا، ومن آخىٰ كافرًا أو خالط فاجرًا، كان كافرًا فاجرًا». ورواه عنه في الحديث ٧، من أبواب أحكام العشرة، من المستدرك: ج ٢، ص ٦٢، وصدر الكلام رويناه بسند عال في الباب ٥، من نهج السعادة.

وفي المختار ١٣٠، من قصار نهج البلاغة: «لا يكون الصديق صديقًا حتّىٰ يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته وغيبته ووفاته»(٢٨٤).

---

(٢٨٢) هذا هو الصحيح، وفي النسخة: فانّما يخادن الرجل من يعجبه نحوه.

أقول: وبعض شواهد الباب قد تقدم في تعليقات قوله عليه السلام: «صاحب أهل الخير تكن منهم» فراجع.

(٢٨٣) الآيتان ١٠٠ و ١٠١ من سورة الشعراء: ٢٦.

(٢٨٤) ونعم ما قيل:

الصبر من كرم الطبيعه ... والمن مفسدة الصنيعه

ترك التعهد للصديـ ... ـق يكون داعية القطيعه

وفي الحديث ١٣، من تفسير الآيتين ١٠٠ و ١٠١، من سورة الشعراء، من تفسير البرهان: ط ٢، ج ٣، ص ١٨٧، عن الزمخشري في ربيع الأبرار، عن عليّ عليه السلام: «من كان له صديق حميم، فإنّه لا يعذّب، ألا ترىٰ أنّه كيف أخبر الله عن أهل النّار: «فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَاصَدِيقٍ حَمِيمٍ».

وقال عليه السلام: «حسد الصديق من سقم المودة». المختار ٢١٤، من قصار نهج البلاغة.

وفي المختار ٢٩٥، منها: أصدقاؤك ثلاثة، وأعداؤك ثلاثة، فأصدقاؤك: «صديقك وصديق صديقك وعدو عدوك، وأعداؤك: عدوك وعدو صديقك وصديق عدوك».

وقال عليه السلام في وصف القرامطة وتكذيبهم: «ينتحلون لنا الحب والهوىٰ، ويضمرون لنا البغض والقلىٰ، وآية ذلك، قتلهم وراثنا، وهجرهم أجداثنا»(٢٨٥).

وقال عليه السلام: «إنّ أولى النّاس بالأنبياء أعلمهم بما جاؤوا به، ثمّ تلا عليه السلام: ﴿إنّ أولى النّاس بإبراهيم للّذين اتبعوه وهذا النبيّ والّذين آمنوا﴾(٢٨٦). ثمّ قال عليه السلام: إنّ وليَ محمّد من أطاع الله وإن بعدت لحمته،

---

(٢٨٥) كما في شرح المختار ١٧٦، من خطب النهج، من شرح ابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٤، ومن هذا وأمثاله مما تواتر عنه عليه السلام يعلم حال من ادعىٰ مودة أميرالمؤمنين وأهل بيته عليهم السلام، وهو متصل بعدوه، ومظاهر له، أو يعادي أحباء أميرالمؤمنين عليه السلام أو يصادق عدوه ويصافي مودته، ولذا قال عليه السلام ـ في جواب من قال: إني أحبك وفلانا ـ: أمّا الآن فأنت أعور، فإمّا ان تبصر أو تعمىٰ. مع أنا أشرنا إلىٰ أن الأمر فطري لكافة ذوي الشعور، مستغن عن إقامة البرهان، وما أحسن قول الشاعر في هذا المقام:

تود عدوي ثمّ تزعم أنني صديقك إنّ الرأي عنك لعازب

(٢٨٦) الآية ٦٨، من سورة آل عمران. ونعم ما قيل:

يامدعي الحبّ لمولاه من ادعىٰ صحح معناه

←

وإن عدو محمّد من عصى الله وإنْ قربت قرابته». المختار ٩٢، أو ٩٥ من قصار نهج البلاغة، ورواه أيضًا الزمخشري في ربيع الأبرار، وروىٰ صدره فقط في تنبيه الخواطر، قال العلامة المجلسي رحمه الله: في الحديث ٧٥ من الباب ٥٨ من البحار: ج ١، ص ٥٨، ـ بعد ما ذكره علىٰ وفق النسخ المطبوعة من النهج: «أعلمهم» بتقديم اللام على الميم ـ وفي بعض النسخ «أعملهم» بتقديم الميم على اللام، وهو أظهر. أقول: بل تقديم الميم على اللام متعين، والتفصيل في شرح ابن أبي الحديد: ج ١٨، ص ٢٥٢.

وقال عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: «يا بنيّ إيّاك ومصادقة الأحمق، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك، وإيّاك ومصادقة البخيل فإنّه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإيّاك ومصادقة الفاجر فإنّه يبيعك بالتافه، وإيّاك ومصادقة الكذّاب، فإنّه كالسراب، يقرب عليك البعيد، ويبعد عليك القريب»(٢٨٧).

وقال السبط الأكبر الإمام الحسن عليه السّلام: «القريب من قرّبته المودة، وإن بعد نسبه، والبعيد من بعدته المودة، وإن قرب نسبه، لا شيء أقرب إلىٰ شيء

←

من ادعىٰ شيئًا بلا شاهد   لا بدّ أن تبطل دعواه

وحبذا ما قاله الآخر:

تعصي الاله وأنت تظهر حبّه   هذا محال في القياس بديع
لو كان حبك صادقًا لاطعته   إنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع

وما أوضح ما قاله الآخر:

إذا صافى صديقك من تعادي   فقد عاداك وانقطع الكلام

وما أبين ما أفاده الآخر:

صديق صديقي داخل في صداقتي   وخصم صديقي ليس لي بصديق

وما أبدع ما نظمه الآخر:

وإذا ما اختبرت ودّ صديق   فاختبر ودّه من الغلمان

(٢٨٧) المختار ٣٧، من قصار النهج، ورواه أيضًا ابن عساكر، وكذلك صاحب دستور معالم الحكم، وغيرهم، كما فصلنا القول فيه في مناهج البلاغة، الّذي سيطبع إن شاء الله تعالىٰ.

من يد إلىٰ جسد، وإن اليد تغل فتقطع، وتقطع فتحسم». الحديث السابع، من الباب الخامس، من كتاب العشرة، من الكافي: ج ٢، ص ٦٤٣.

وقال عليه السّلام: «لا تؤاخ أحدًا حتىٰ تعرف موارده ومصادره، فإذا استنبطت الخبرة، ورضيت العشرة، فآخه علىٰ إقالة العثرة، والمواساة في العسرة». البحار: ج ١٧، ص ١٤٥، نقلاً عن تحف العقول.

وقال الإمام السجاد عليه السّلام: «لا تعادين أحدًا وإن ظننت أنّه لا يضرّك ولا تزهدن في صداقة أحد، وإن ظننت أنّه لا ينفعك، فإنّك لا تدري متىٰ ترجو صديقك، ولا تدري متىٰ تخاف عدوك، ولا يعتذر إليك أحد إلّا قبلت عذره، وإن علمت أنّه كاذب». الحديث ٣٥، من باب فضل الصديق (١٢) من البحار، ج ١٦، ص ٥٠، نقلاً عن الدرة الباهرة.

وفي الحديث الثامن، من الباب ١٥، من البحار: ج ١٦، ص ٥٢، نقلاً عن الخصال معنعنًا، قال: «قال أبو جعفر عليه السّلام: لا تقارن ولا تؤاخ أربعة: الأحمق والبخيل والجبان والكذّاب، أمّا الأحمق فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك، وأمّا البخيل فإنّه يأخذ منك ولا يعطيك(٢٨٨)، وأمّا الجبان فإنّه يهرب عنك وعن والديه، وأمّا الكذّاب يصدق ولا يصدق»(٢٨٩).

وقال الإمام الصادق عليه السّلام: «من رأىٰ أخاه علىٰ أمر يكرهه فلم يرده عنه وهو يقدر عليه فقد خانه، ومن لم يجتنب مصادقة الأحمق أوشك أن يتخلق بأخلاقه». الحديث الثاني، من باب من ينبغي مصادقته (١٥) من البحار: ج ١٦، ص ٥٢، نقلاً عن أمالي الصّدوق رحمه الله معنعنًا.

وفي الحديث العاشر، من الباب، عن أمالي الشيخ، الحديث ١١، من الجزء الأوّل، ٢٤ معنعنًا، قال عليه السّلام: «إيّاك وصحبة الأحمق، فإنّه أقرب ما

---

(٢٨٨) هذا كناية عن أنّه يضر ولا ينفع.

(٢٨٩) اشارة إلىٰ أن الكذّاب ولو كان مأمونًا عليه من الضرر إلاّ أن مصادقته ومصاحبته غير مفيدة لسلب الوثوق عن قوله، ولو كان صادقًا واقعًا.

تكون منه، أقرب ما يكون إلىٰ مساءتك». وقريب منه في الحديث الحادي عشر، من الباب ٤، من كتاب العشرة، من الكافي: ج ٢، ص ٦٤٢.

وفي الحديث الأوّل، من باب فضل الصديق (١٢) من البحار: ج ١٦، ص ٤٨، عن أمالي الصّدوق رحمه الله معنعنًا، عنه كان يقول: «الصداقة محدودة، ومن لم تكن فيه تلك الحدود فلا تنسبه إلىٰ كمال الصداقة، ومن لم يكن فيه شيء من تلك الحدود، فلا تنسبه إلىٰ شيء من الصداقة، أوّلها، أن تكون سريرته وعلانيته لك واحدة؛ والثانية، أن يرىٰ زينك زينه، وشينك شينه؛ والثالثة، أن لايغيره منك مال ولا ولاية؛ الرابعة، أن لا يمنعك شيئًا ممـا تصل إليه مقدرته؛ والخامسة، أن لا يسلمك عند النكبات [النائبات «خ»]. ورواه الكليني رحمه الله معنعنًا، في الحديث الأخير، من الباب ٣، من كتاب العشرة، من الكافي.

وفي الحديث ١٢، من الباب نفسه، عن أمالي الشيخ رحمه الله معنعنًا، عنه عليه السّلام قال: «إذا كان لك صديق، فولي ولاية فاصبته على العشر مما كان لك عليه قبل ولايته، فليس بصديق سوء».

وفي الحديث ١٣، من الباب، عن أمالي الشيخ رحمه الله معنعنًا، عن الحسين بن صالح، قال: «سمعت جعفر بن محمّد عليه السّلام يقول: لقد عظمت منزلة الصديق، حتّىٰ إنّ أهل النّار يستغيثون به، ويدعونه قبل القريب الحميم، قال الله سبحانه مخبرًا عنهم: ﴿فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾(٢٩٠).

وروى الصّدوق رحمه الله، في مصادقة الإخوان (١٨) معنعنًا عنه عليه السّلام قال: «أكثروا من الأصدقاء في الدّنيا، فإنّهم ينفعون في الدّنيا والآخرة، أمّا في الدنيا فحوائج يقومون بها، وأمّا في الآخرة فإنّ أهل جهنّم قالوا: ﴿فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾. ورواه عنه في الحديث ٥، من الباب ٧، من أبواب أحكام العشرة، من الوسائل: ج ٥، ص ٤٠٧.

---

(٢٩٠) الآيتان ١٠٠ و ١٠١، من سورة الشعراء: ٢٦، وأيضًا نقله في الحديث ٣٤، من الباب، بسند آخر عن أمالي الشيخ، عن الحسن بن صالح بن حي، عنه عليه السّلام.

وأيضًا روى الصّدوق رحمه الله، في الأمالي أنّه قال عليه السّلام لبعض أصحابه: «لاتطلع صديقك من سرّك إلّا علىٰ ما لو أطلع عليه عدوك لم يضرّك، فإنّ الصديق قد يكون عدوك [عدوًّا] يومًا ما». كما في الحديث ١٧، من الباب ١٢، من البحار: ج ١٦، ص ٤٩.

وفي الحديث ٢٩، من نفس الباب، نقلاً عن كتاب الاختصاص قال عليه السّلام: «إنّ الّذين تراهم لك أصدقاء إذا بلوتهم وجدتهم علىٰ طبقات شتىٰ، فمنهم كالأسد في عظم الأكل، وشدة الصولة، ومنهم كالذئب في المضرة، ومنهم كالكلب في البصبصة، ومنهم كالثعلب في الروغان والسرقة، صورهم مختلفة، والحرفة واحدة، ما تصنع غدًا إذا تركت فردًا وحيدًا لا أهل لك ولا ولد، إلّا الله ربّ العالمين».

وفي الحديث ٣٣، من نفس الباب، نقلاً عن أمالي الطوسي معنعنًا، عن سفيان ابن عيينه، قال: «سمعت جعفربن محمّد عليه السّلام في مسجد الخيف يقول: إنّما سمّوا إخوانًا لنزاهتهم عن الخيانة، وسمّوا أصدقاء لأنّهم تصادقوا حقوق المودّة».

وفي الحديث ٣٥ من الباب، نقلاً عن أمالي الشيخ المفيد رحمه الله معنعنًا، عنه عليه السّلام قال: «لا تسمّ الرجل صديقًا سمة معروفة، حتّىٰ تختبره بثلاث: تغضبه فتنظر غضبه يخرجه من الحقّ إلى الباطل، وعند الدينار والدرهم، وحتّىٰ تسافر معه».

وقال عليه السّلام: «صديق عدو عليّ، عدو عليّ»، الحديث ٢٩، من باب من ينبغي مصادقته (١٥) من البحار: ج ١٦، ص ٥٣، طبعة الكمباني، نقلاً عن كتاب الاختصاص.

العائدة الثانية:

في ما يناسب المقام من منظوم الكلام.

روى الصّدوق رحمه الله، في المجلس ٩٥، من الأمالي ٣٩٧، في مصادقة الإخوان عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال:

تكثّر من الإخوان ما اسطعت فإنّهم عماد إذا استنجدتهم وظهور
وليس كثيرًا ألف خلّ وصاحب وإنّ عدوًّا واحدًا لكثير(٢٩١)

وقال ابن عبد ربه في العقد الفريد: ط ٢، ج ١، ص ٣٣٧، وفي طبعةٍ، ج ٢، ص ٢٠١،: وقدم دحية [دحيم «خ ل»] الكلبي علىٰ عليّ عليه السّلام فما زال يذكر معاوية ويطريه في مجلسه، فقال عليّ عليه السّلام:

صديق عدوي داخل في عداوتي وإنّي لمن ودّ الصّديق ودود
فلا تقربّن منّي وأنت صديقه فإنّ الّذي بين القلوب بعيد(٢٩٢)

(٢٩١) ورواه عنه في مستدرك البحار: ج ١٧، ص ٢٦٥، في الحديث ٣، من حكم لقمان، وضبط الشطر الثاني هكذا: عماد إذا ما استنجدوا وظهور الخ. ونقل في الحاشية عن الديوان الشطر الأوّل هكذا: عليك بإخوان الصفاء فإنّهم، الخ. وكذلك رواه في الحديث ٢، من الباب ٧، من أبواب أحكام العشرة، من الوسائل: ٥، ٤٠٧. والشطران الأخيران رواهما عنه عليه السّلام في كنز الفوائد ٣٦، الفصل ١٩.

(٢٩٢) وقال الخليل بن أحمد رحمه الله:

يقولون لي دار الأحبة قد دنت وأنت كئيب إن ذا لعجيب
فقلت وما تغني الديار وقربها إذا لم يكن بين القلوب قريب

وروى الخطيب البغدادي أن نصر بن عليّ بن نصر البصري الجهضمي، المتوفىٰ سنة ٢٥٠هـ روىٰ عن عليّ بن جعفر العلوي قال حدثني أخي موسىٰ بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمّد، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه عليهم السّلام، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أخذ بيد الحسن والحسين عليهما السّلام فقال: من أحبّني وأحبّ هذين وأباهما وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة. قال أبو عبد الرحمان عبدالله: لمّا حدث بهذا الحديث نصر بن عليّ، أمر المتوكل بضربه ألف سوط، فكلمه جعفر بن عبد الواحد، وجعل يقول له هذا الرجل من أهل السنّة، ولم يزل به حتّىٰ تركه، وكان له أرزاق فوفرها عليه موسىٰ.

قال الخطيب: انّما أمر المتوكّل بضربه، لأنّه ظنّه رافضيًا، فلمّا علم أنّه من أهل السنّة تركه. الكنىٰ والألقاب. ج ٢، ص ١٤٦.

وروى الشيخ الصّدوق رحمه الله، في عيون أخبار الرِّضا معنعنًا، قال: «قال المأمون [للإمام] الرِّضا عليه السّلام: أنشدني أحسن ما رويته في السكوت عن الجاهل، وترك عتاب الصديق. فقال عليه السّلام:

إنّي ليهجرني الصّديق تجنبًا ... فأريه أن لهجره أسبابا
وأراه إن عاتبته أغريته ... فأرى له ترك العتاب عتابا
وإذا بُليت بجاهل متحكم(٢٩٣) ... يجد المحال من الأمور صوابا
أوليته منّي السّكوت وربّما ... كان السّكوت من الجواب جوابا

فقال له المأمون: ما أحسن هذا! هذا من قاله؟ فقال عليه السّلام: بعض فتياننا».

وقال كثير عزّة:

ومن لا يغمض عينه عن صديقه ... وعن بعض ما فيه يعش وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدًا كلّ عثرة ... يجدها فلا يسلم له الدهر صاحب

وقال بشار بن برد:

إذا كنت في كلّ الأمور معاتبًا ... صديقك لم تلق الّذي من تعاتبه
فعش واحدًا أو صل أخاك فانّه ... مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مرارًا على القذىٰ ... ظمئت وأيّ النّاس تصفو مشاربه

وقال مسلم بن وابصة:

أحبّ فتىٰ ينفي الفواحش سمعه ... كأنّ به من كلّ فاحشة وقرا
سليم دواعي الصّدر لا باسطًا أذىٰ ... ولا مانعًا خيرًا ولا قائلًا هجرا
اذا ما أتت من صاحب لك زلّة ... فكن أنت محتالًا لزلّته عذرا

---

(٢٩٣) ونظير هذا الذيل قول الشاعر:

إذا نطق السّفيه فلا تجبه ... فخير من إجابته السكوت
سكَتّ عن السّفيه فظنّ أنّي ... عييت من الجواب وما عييت

غِنَى النفس ما يكفيك من سدّ خلّة فإن زاد شيئًا عـاد ذاك الغِـنىٰ فـقرا

وقال آخر:

وكنت إذا الصّديق أراد غـيظي وأشرقـني عـلىٰ حـنق بـريقي
غفرت ذنـوبه وصـفحت عـنه مخافة أن أعـيش بـلا صـديق

وقال سليمان بن فلاح:

لي صديق ما مسّـني عـدم مذ وقعت عينه علىٰ عـدم
قام بعذري لمـا قـعدت بـه وغمت عن حاجتي ولم يـنم
أغنىٰ وأقنىٰ ولم يسم كـرمًا بـقبل كـفّ له ولا قـدم

وقال آخر:

لا تـوردن عـلى الصّـديـ ـق من الدّعاية ما يـغمّه
واحـذر بـواطش طـيشه يومًا إذا ما طـال حـلمه
فالعجل تنطحه علىٰ إدما نِ مسّ الضّرع، أمـــه

وقال بعضهم:

إحـــذر مـــودة مـاذق شـاب المرارة بـالحلاوة
يحصي العيوب عليك أيـا م الصّـداقـة للـعداوة

وقال الشريف الرضي رحمه الله:

وقد كنت مذ لاح المشيب بعارضي أنـفر عـن هـٰذا الورىٰ وأكشف
فـما إذْ عـرفت النّـاس إلّا ذممتهم جزى الله خيرًا كلّ من لست أعرف

وقال إبراهيم بن هلال الصابي:

أيـا ربّ كـلّ النّـاس أبـناء عـلّة أمَـا تـغلط الدّنـيا لنـا بـصديق
وجوه بها من مضمر الغلّ شـاهد ذوات أديم في النّـفاق صـفيق
إذا اعـترضوا عـند الّلقاء فـإنّهم قـذًى لعـيون أو شـجًى لحـلوق

وان عــرضوا بــرد الوداد وظلّه   أسّروا من الشّحناء حرّ صـديق
ألا ليتني حيث انتوت أفرخ القطا   بأقــصىٰ محـل في البـلاد سـحيق
أخو وجـدة قـد آنسـتني كأنـني   بهـا نـازل في مـعشري وفـريق
فــذلك خـير للـفتىٰ مـن ثـوابـه   بمســغبة مــن صـاحب ورفـيق

وقال غيره:

اسم الصّــديق عـلىٰ كـثير واقـع   وقد اختبرت فما وجدت فـتًى يـفي
كـعجائب البـحر الّـتي أسماؤهـا   مـشهورة وشـخوصها لم تـعرف

وقال أحمد بن اسماعيل:

مذ سمعنا باسم الصديق فطالبـ   ـنا بمعناه ما استفدنا صـديقا
أتراه في الأرض يـوجد لكـن   نحـن لا نهـتدي إليـه طـريقا؟
أم ترىٰ قـولهم: صـديقًا مجاز   لا نــرىٰ تحت لفـظه تحـقيقا؟

وقال غيره:

صديقك حـين تسـتغني كـثير   و ما لك عند فقرك من صديق
فلا تأسف عـلىٰ أحـد إذا مـا   لهـىٰ عنك الزيارة وقت ضـيق

وقال بعضهم:

هــو خــلّ لي ولكـن   لعــــن الله ولكـــن
لفظة في ضمنهـا السّـوء   تحـامى في أمــاكــن

وقال آخر:

ولن تـنفك تحـسـد أو تـعادي   فأكثر ما استطعت من الصّديق
وبغضك للـتقي(٢٩٤) أقـل ضرًّا   وأسلم من مودة ذي الفسـوق

---

(٢٩٤) وفي بعض النسخ: وبغضاء التقي أقل ضرًا، …الخ. وما أجود قول أبي حيان:

←

وقال آخر:

احــذر عــدوك مــرة ... واحذر صديقك ألف مرة

فــلربّما انــقلب الصّديـ ... ـق فكان أعرف بالمضرة

العائدة الثالثة:

في نبذ من أقوال الحكماء والعلماء والكبراء في الصّديق والصداقة، وفضلها على القرابة.

قالوا: «وممّا يجب للصّديق على الصّديق النـصيحة جهده، لأنّ صـديق الرجل مرآته، يريه حسناته وسيئاته».

وقالوا: «الصّديق من صدقك ودّه، وبذل لك رفده».

وقالت الحكماء أيضًا: «وممّا يجب للصّديق على الصّديق، الإغضاء عـن زلّاته، والتجاوز عن سيئاته، فإنْ رجع واعتب، وإلاّ عاتبته بلا إكثار، فإنّ كثرة العتاب مدرجة للقطيعة(٢٩٥)».

وقال الأحنف: «من حقّ الصّديق أن يتحمل ثلاثًا: ظلم الغضب، وظلم الدالة، وظلم الهفوة».

وقيل لبزرجمهر: «من أحبّ إليك، أخوك أو صديقك؟ فـقال: مـا أحبّ أخي إلّا إذا كان صديقًا».

وقال أكثم بن صيفي: «القرابة تحـتاج إلىٰ مـودة، والمـودة لا تحـتاج إلىٰ قرابة».

→

عــداي لهـم فـضل عـليّ ومـنة ... فلا أذهب الرحمان عني الأعاديا

هم بحـثوا عـن زلّـتي فـاجتنبتها ... وهم نافسوني فـالتبست المـعاليا

(٢٩٥) ونعم ما قيل:

إذا ذهب العتاب فليس ودّ ... ويبقى الودّ ما بـقي العـتاب

قال حبيب الطائي:

ولقد سبرت النّاس ثم خبرتهم ووصفت ما وصفوا من الأسباب

فإذا القرابة لا تقرب قاطعًا وإذا المودة أقرب الأنساب

وقالت الحكماء: «القريب من قرب نفعه، وانتفىٰ ضره».

وقال المبرد:

ما القرب إلّا لمن صحّت مودته ولم يخنك وليس القرب للنسب

كم من قريب دويّ الصّدر مضطغن ومن بعيد سليم غير مقترب

وقيل:

ربّ بعيد ناصح الحبيب وابن أب متّهم المغيب

ورأىٰ بعض الحكماء مصطحبين لا يفترقان، فسأل عنهما، فقيل: صديقان. قال: فما بال احدهما غنيًّا والآخر فقيرًا؟!

وكتب ظريف إلىٰ صديق له: «إني غير محمود على الانقياد إليك، لأني صادقتك من جوهر نفسي، والنفس يتبع بعضها بعضًا».

ومن كلام أمير المؤمنين عليه السّلام: «الصّديق من صدق في غيبته».

ومن كلام أهل التجارب: «الحبوس مقابر الأحياء، وشماتة الأعداء، وتجربة الأصدقاء».

وقيل للثوري: «دلني علىٰ جليس أجلس إليه. قال: تلك ضالة لا توجد».

قال ابن أبي الحديد ـ في شرح قول أمير المؤمنين عليه السّلام: «حسد الصّديق من سقم المودة» ـ: إذا حسدك صديق علىٰ نعمة أعطيتها لم تكن صداقته صحيحة، فإنّ الصّديق حقًّا من يجري مجرىٰ نفسك، والإنسان لا يحسد نفسه.

وقيل لحكيم: ما الصّديق؟ قال: «إنسان هو أنت إلّا انه غيرك».

وأخذ هٰذا المعنىٰ أبو الطيب فقال:

ما الخل إلّا من أودّ بقلبه وأرىٰ بطرف لا يرىٰ بسوائه

ومن أدعية الحكماء: «اللّهم اكفني بوائق الثقات، واحفظني من كيد الأصدقاء».

وقال العلامة الكراجكي رحمه الله في كنز الفوائد ط ١، ص ٣٧: «وروي في الكامل: أنّ عبدالله بن عليّ بن جعفر بن أبي طالب افتقد صديقًا له من مجلسه، ثم جاءه، فقال: أين كانت غيبتك؟ قال: خرجت إلىٰ عرض من أعراض المدينة مع صديق لي. فقال له: إن لم تجد من صحبة الرجال بدًّا فعليك بصحبة من إنْ صحبته زانك، وإنْ خفقت له صانك، وإنْ احتجت إليه مانك، وإنْ رأىٰ منك خلّة سدّها، أو حسنة عدّها، وإنْ وعدك لم يحرضك، وإنْ كثرت عليه لم يرفضك، وإنْ سألته أعطاك، وإنْ أمسكت عنه ابتداك».

وقال أبو عمرو بن العلاء رحمه الله: الصّديق إنسان هو أنت، فانظر صديقًا يكون منك كنفسك، وأنشد:

لكل امرئٍ شكل من النّاس مثله فأكثرهم شكلًا أقلهم عقلا

لأنّ الصّحيح العقل لست بواجد له في طريق حين تفقده شكلا

وسئل رجل عن صديقين له، فقال: «أمّا أحدهما فعلق مصيبة لا تباع، وأمّا الآخر فعلق مصيبة لا تبتاع».

وقال آخر: «اللّهم احفظني من الصّديق، فقيل له: وَلِمَ؟ قال: لأني من العدو متحرز، ومن الصّديق آمن».

وقيل لبعضهم: «كم لك من صديق؟ فقال: لا أدري، لأنّ الدّنيا عليَّ مقبلة، فكل من يلقاني يظهر لي الصداقة، وإنّما، أحصيهم إذا ولّت عنّي».

قيل ليحيىٰ بن خالد ـ وهو في الحبس، وقد احتاج ـ: «لو كتبت إلىٰ فلان، فإنّه صديقك. فقال: دعوه يكون صديقًا».

لبعضهم:

قد أخلق الدهر ثوب المكرمات فلا تخلق لوجهك في الحاجات ديباجة
ولا يغرنك اخوان تعدهم أنت العدو لمن كلفته حاجة

قال المسعودي رحمه الله في مروج الذهب: ج ٤، ص ٣٣، وذكر ابن أبي الأزهر قال: «حدثني أبو سهل الرازي، عمن حدثه، عن الواقدي (محمدبن عمرو بن واقد مولىٰ بني هاشم) قال: كان لي صديقان، أحدهما هاشمي، وكنا كنفس واحدة، فنالتني ضيقة شديدة، وحضر العيد، فقالت امرأتي: أمّا نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدّة، وأمّا صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم، لأنّهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا في عيدهم، وأصلحوا ثيابهم، وهم علىٰ هٰذه الحال من الثياب الرثة، فلو احتلت بشيء تصرفه في كسوتهم. قال: فكتبت إلىٰ صديقي الهاشمي أسأله التوسعة عليّ لما حضر. فوجّه اليَّ كيسًا مختومًا ذكر أنّ فيه ألف درهم، فما استقر قراري حتّىٰ كتب إليَّ الصّديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلىٰ صاحبي، فوجهت إليه الكيس بحاله، وخرجت إلى المسجد، فأقمت فيه ليلي مستحييًا من امرأتي، فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنفني عليه، فبينا أنا كذلك، إذ وافىٰ صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته، فقال لي: أصدقني عمّا فعلته فيما وجهت إليك، فعرفته الخبر علىٰ جهته، فقال: انك وجهت ليَّ وما أملك على الأرض إلاّ ما بعثت به إليك، وكتبت إلىٰ صديقنا أسأله المواساة، فوجه بكيسي بخاتمي. قال: فتواسينا الألف ثلاثًا، بعد أنْ أخرجنا إلى المرأة قبل ذلك مائة درهم، ونمى الخبر إلى المأمون فدعاني، فشرحت له الخبر، فأمر بسبعة آلاف دينار، لكل واحد ألفا دينار، وللمرأة ألف دينار».

العائدة الرابعة:

في طرف من الأخبار الدالة علىٰ رعاية حق الإخوان والحثّ علىٰ اتخاذهم.

روىٰ الأوزاعي عن يحيى ابن أبي كثير: أنّ داود قال لابنه سليمان عليهما

السّلام: «يا بني لا تستقل عدوًّا واحدًا، ولا تستكثر ألف صديق[٢٩٦] ولا تستبدل بأخ قديم أخًا مستفادًا ما استقام لك».

وفي الحديث المرفوع: «المرء كثير بأخيه».

وروىٰ ابن مسكويه رحمه الله في الحكمة الخالدة: ط ٢، ص ١٠٣، أنّه قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «المرء بأخيه».

وقال ابن أبي الحديد في شرح المختار ١٢، من قصار النهج: وفي الحديث المرفوع أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله بكى لما قتل جعفر بمؤته وقال: «المرء كثير بأخيه».

وأيضًا في الحديث المرفوع: «إذا أحبّ أحدكم أخاه فليعلمه».

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلطفه بها وفرج عنه كربته، لم يزل في ظل الله الممدود، عليه الرحمة ما كان في ذلك». الحديث ٤٢، من الباب ٢١، من البحار: ج ١٦، ص ٨٤، نقلاً عن الكافي.

وفي الحديث الرابع، من الباب ١٢ (باب فضل الصّديق من البحار): ج ١٦، ص ٤٨، نقلاً عن الصّدوق رحمه الله في الأمالي معنعنًا، قال: «قال أمير المؤمنين عليه السّلام: من لك يومًا بأخيك كله، وأي الرجال المهذب[٢٩٧]».

وفي الحديث ٤، من الباب ١٧، من البحار: ج ١٦، ص ٧٤، عن كنز الفوائد قال: «قال أمير المؤمنين عليه السّلام: من كرم المرء بكاؤه علىٰ ما مضىٰ من زمانه، وحنينه إلىٰ أوطانه، وحفظه قديم اخوانه».

وقال عليه السّلام في وصيّته الطويلة إلىٰ كميل: «أخوك الّذي لا يخذلك

---

(٢٩٦) رواه أيضًا في كنز الفوائد ٣٦، ثمّ نقل عن أمير المؤمنين عليه السّلام قوله:

وليس كثيرًا ألف خل وصاحب وإنّ عدوًّا واحدًا لكثير

(٢٩٧) قال الشاعر:

ولست بمستبق أخًا لا تلمه علىٰ شعث أي الرجال المهذّب

عند الشدة، ولا يقعد عنك الجريرة، ولا يدعك حين تسأله، ولا يذرك وأمرك حتّىٰ تعلمه..».

وقال عليه السّلام في أوسط وصيّته إلى الإمام المجتبىٰ عليه السّلام: «إحمل نفسك من أخيك عند صرمه على الصلة، وعند صدوده على اللطف والمقاربة، وعند جموده على البذل، وعند تباعده على الدنو، وعند شدته على اللين، وعند جرمه على العذر حتّىٰ كأنّك له عبد، وكأنّه ذو نعمة عليك، وإيّاك أن تضع ذلك في غير موضعه، أو تفعله بغير أهله؛ إلىٰ أن قال عليه السّلام: وإنْ أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع إليها إن بدا له يومًا ما..».

وقال عليه السّلام: «لا يكلف المؤمن أخاه الطلب إليه، إذا علم حاجته، تــوازروا وتـعاطفوا وتـباذلوا ولا تكـونوا بمـنزلة المـنافق الّـذي يـصف مـا لايفعل[٢٩٨]».

وقال عليه السّلام: «شرّ الإخوان من تكلف له».

وقال عليه السّلام: «إذا احتشم المؤمن أخاه فقد فارقه[٢٩٩]».

وروى ابن أبي الحديد، في شرح المختار ١٢، من قصار النهج، عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال: «لكل شيء حلية، وحلية الرجل أوداؤه».

وقال عليه السّلام: «ما من مؤمن بذل جاهه لأخيه المؤمن إلّا حرم الله وجهه على النّار، ولم يمسّه قتر ولا ذلّة يوم القيامة، وأيما مؤمن بخل بجاهه علىٰ أخيه المؤمن، وهو أوجه منه جاهًا إلّا مسّـه قـتر وذلّـة في الدّنـيا والآخـرة، وأصابت وجهه يوم القيامة لفحات النيران، معذّبًا كان أو مغفوراً له».

وقال الإمام الكاظم عليه السّلام: «المؤمن أخ المؤمن لأخيه وأمّه، وإنْ لم

(٢٩٨) الحديث ١٦، من الباب ١٦، من البحار: ج ١٦، ص ٦٢، نقلاً عن الخصال. ورواه في الحديث ٣٦، من الباب، عن كتاب قضاء الحقوق، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

(٢٩٩) المختار الأخير وما قبله من قصار نهج البلاغة.

يلده أبوه، ملعون من اتهم أخاه، ملعون من غش أخاه، ملعون من لم ينصح أخاه، ملعون من اغتاب أخاه».

وقال عليه السّلام: «من أتى إلىٰ أخيه مكروهًا فبنفسه بدأ[٣٠٠]»

العائدة الخامسة:

في الأشعار الدالّة علىٰ مراعاة حقّ الإخوة والقيام بلوازمها، المناسبة لقوله عليه السّلام: «امحض أخاك النصيحة وساعده علىٰ كل حال، ...» وقوله عليه السّلام: «لا تضيّعنّ حقّ أخيك اتّكالاً علىٰ ما بينك وبينه، ...».

روىٰ في البحار: ج ٨، ص ٥١٧، وأيضًا رواه الطبري في تاريخه: ج ٤، ص ٤٥، ط سنة ١٣٥٧، وأيضًا رواه مع التالي ابن أبي الحديد في شرح المختار ١٢، من قصار النهج، إلّا أنّه قال: من الشعر المنسوب إليه عليه السّلام:

أخـوك الّـذي إنْ أجـرضتك مـلمة من الدّهر لم يبرح لبثك واجما[٣٠١]
وليس أخوك بـالّذي ان تمنعت[٣٠٢] عـليك أمـور ظـلّ يـلحاك لائما

ونسب إليه عليه السّلام أيضًا:

ان أخاك الحقّ من يسعىٰ معك[٣٠٣] ومـن يـضرّ نـفسه ليـنفعك
ومـن إذا ريب الزّمـان صـدعك شـتّت فـيك شمـله ليـجمعك

وكان الإمام الصادق عليه السّلام كثيرًا ما يتمثل بهذين البيتين:

---

(٣٠٠) البحار: ج ١٧، ص ٢٠٦، عن أعلام الدين للديلمي رحمه الله.

(٣٠١) أجرضه بريقه أي أغصه به. وفي نسخة: أحرضتك ـ بالحاء المهملة والضاد المعجمة ـ من أحرض، أي طال همه وسقمه. وفي نسخة الديوان: أجهضتك، من أجهضه على الأمر أي غلبه عليه ونحاه عنه، كذا عن سيدنا الأمين رحمه الله. والواجم: الساكت حزنًا وغيظًا.

(٣٠٢) وفي بعض النسخ: أن تشعبت.

(٣٠٣) وفي نسخة: ان أخاك الصدق من كان معك، ...الخ

أخوك الّذي لو جئت بالسيف عامدًا لتضربه لم يستغشك بالودّ
ولو جئته تدعوه للموت لم يكن يردك إبقاءً عليك من الودّ

ورویٰ في البحار: ج ١٢، ص ٣٢، عن عيون أخبار الرّضا معنعنًا: أنّه شكا رجل للإمام الرّضا عليه السّلام أخاه فأنشأ عليه السّلام:

إعذر أخاك علىٰ ذنوبه واستر وعظْ علىٰ عيوبه
واصبر علىٰ بهت السّفيه وللزّمان علىٰ خطوبه
ودع الجواب تفضلًا وكِلِ الظلوم إلىٰ حسيبه

ورواها في العقد الفريد: ط ٢، ج ١، ص ٣٥٦، عن أمير المؤمنين عليه السّلام. وفي ط، ج ٢، ص ٢٣١، تحت الرقم ٧١ (كتاب العلم) .

وقال الشاعر:

إذا أنا لم أصبر على الذّنب من أخ وكنت أجازيه فأين التّفاضل
ولكن أداويه فإن صحّ سرني وإنْ هو أعيا كان فيه تحامل

وقال آخر:

أخو ثقة يسرّ ببعض شأني وان لم تدنه مني قرابة
أحبّ إليّ من ألفي قريب تبيت صدورهم لي مسترابة

وقالوا: «خير الإخوان من أقبل عليك إذا أدبر الزمان».

قال الشاعر:

فإن أولى الموالي أن تواليه عند السرور لمن واساك في الحزن
إنّ الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن

وأنشد ابن الأعرابي:

لعمرك ما مال الفتىٰ بذخيرة ولكن اخوان الصفاء الذخائر

وقال عنترة:

أخاك أخاك إنّ من لا أخًا له كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح
وان ابن عم المرءِ فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح

وقال آخر:

إذا كان دوّاما أخوك مصارمًا موجهة في كلّ أوب ركائبه
فخلّ له ظهر الطريق ولا تكن مطية رحال كثير مذاهبه

وقال آخر:

هي توبتي من أن أظن جميلًا
بأخ ودود أو أعدّ خليلا
كشفت لي الأيام كلّ جنية [خبيئة «ظ»]
فوجدت إخوان الصفاء قليلا
النّاس سلمك ما رأوك مسلمًا
ورأوا نوالك ظاهرًا مبذولا
فإذا امتحنت بمحنة ألفيتهم
سيفًا عليك مع الردىٰ مسلولا

العائدة السادسة:

فيا قاله الحكماء والأمراء في حقوق الإخوان، وفيمن ينبغي أخوّته.

وقالوا: «الإخوان ثلاثة، فأخ يخلص لك وده، ويبذل لك رفده، ويستفرغ في مهمك جهده؛ وأخ ذو نية يقتصر بك علىٰ حسن نيته دون رفده ومعونته؛ وأخ يتملق لك بلسانه، ويتشاغل عنك بشأنه، ويوسعك من كذبه وإيمانه».

وقيل: «إخوان الصفا خير من مكاسب الدّنيا، هم زينة في الرخاء، وعدة في البلاء، ومعونة على الأعداء».

قال الشاعر:

لعمرك ما مال الفتىٰ بـذخيرة ولكن إخوان الصفاء الذخائر

وكان يقال: الإخوان ثلاث طبقات، طبقة كالغذاء لا يستغنىٰ عنه، وطبقة كالدواء يحتاج إليه عند المرض، وطبقة كالداء، لا يحتاج إليه أبدًا.

وقال الأحنف: خير الإخوان من إنِ استغنيت عنه لم يزدك في المودة، وإن احتجت إليه لم ينقصك منها، وإنْ كوثرت عضدك، وإنْ استرفدت رفدك، وأنشد:

أخـــوك الّــذي ان تــدعه لـملمة يجبك وإن تغضب إلى السّيف يـغضب

وقال بعضهم: «إذا بلغني موت أخ كان لي، فكأنما سقط عضو مني».

وكان يقال: «صاحبك كرقعة في قميصك، فانظر بِمَ ترقع قميصك».

وقال بعضهم: «اثنان ما في الأرض أقل منهما، ولا يزدادان إلّا قلة، درهم يوضع في حقّ، وأخ يسكن إليه في الله».

وأوصىٰ بعضهم ابنه فقال: «يـا بـني إذا نـازعتك نـفسك إلىٰ مـصاحبة الرجال، فاصحب من إذا صحبته زانك، وإن خدمته صـانك، وإن عـرضت لك مؤونة أعانك، وإن قلت صدَّق قولك، وإن صلت شدَّ صولك، وإن مددت يدك لأمر مدّها، وإنْ بدت لك عورة سدّها، وإن رأىٰ منك حسنة عدّها، وإن سألته أعطاك، وإن سكتّ ابتداك، وإن نزلت بك مـلمة واسـاك، مـن لا تأتـيك مـنه البوائق، ولا تحتار عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق».

وقال بعض الحكماء: «ينبغي للإنسان أن يوكل بنفسه كالئين، أحـدهما يكلؤه من أمامه، والآخر يكلؤه من ورائه، وهما عقله الصحيح، وأخوه النصيح، فإنّ عقله وإنْ صح فلن يبصره من عيبه إلّا بمقدار ما يرى الرجل من وجهه في المرآة، ويخفىٰ عليه ما خلفه، وأمّا أخوه النصيح فيبصره ما خلفه، ومـا أمـامه أيضًا».

وأيضًا حكي عن الأحنف: «خير الإخوان من إذا استغنيت عنه لم يزدك ودًّا، وإن احتجت إليه لم ينقصك».

وقيل لحكيم: «من أبعد النّاس سفرًا؟ قـال: مـن سـافر في ابـتغاء الأخ

الصالح».

العائدة السابعة:

في الروايات الدالّة علىٰ أنّه ينبغي للمؤمن أن يظهر الغنىٰ ويكون مأيوسًا عمّا في أيدي النّاس، المناسبة لقوله عليه السّلام «وان أحببت أن تجمع خير الدّنيا والآخرة فاقطع طمعك ممّا في أيدي النّاس».

فأقول: روى الشيخ الطوسي رحمه الله في الحديث ١٧، من الجزء ١٨، من الأمالي معنعنًا: «أن أبا أيوب الأنصاري أتى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: يا رسول الله أوصني وأقلل لعلي احفظ. فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: أوصيك باليأس عمّا في أيدي النّاس فإنّه الغنىٰ، وإيّاك والطمع فإنّه الفقر الحاضر، وصلّ صلاة مودع، وإيّاك وما يعتذر منه، وأحبّ لأخيك ما تحبّ لنفسك».

وفي آخر وصاياه صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليّ عليه السّلام: «ثم قال لأبي ذر رحمه الله: يا أبا ذر إيّاك والسؤال فانّه ذلّ حاضر، وفقر تتعجله، وفيه حساب طويل يوم القيامة..». الحديث الأوّل، من باب النوادر، من كتاب من لا يحضره الفقيه: طبع النجف، ج ٤، ص ٢٧١.

وروى الصّدوق رحمه الله عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «أفقر النّاس ذو الطمع».

وروىٰ أيضًا في الحديث ٧٠، من باب النوادر، من كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٢٩٤، عن الحسن بن راشد، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السّلام، قال: «جاء رجل إلىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: علمني يا رسول الله شيئًا. فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: عليك باليأس ممّا في أيدي النّاس، فإنّه الغنى الحاضر. قال: زدني يا رسول الله. قال: إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته، فإنْ يك خيرًا أو رشدًا اتبعته، وإن يك شرًّا أو غيًّا تركته».

وقال ابن أبي الحديد في شرح المختار ٢، من قصار نهج البلاغة: وفي

الحديث المرفوع: «إنّ الصفا الزلزال الّذي لا تثبت عليه أقدام العلماء الطمع».

وفي الحديث أنّه قال للأنصار: «إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلون عند الطمع».

وسئل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن الغنىٰ، فقال: «اليأس عمّا في أيدي النّاس، ومن مشىٰ منكم إلىٰ طمع الدّنيا فليمش رويدًا».

وفي الحديث المرفوع: «الطمع الفقر الحاضر».

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «شرف الرجل قيامه بالليل، وعزّه استغناؤه عن النّاس». الحديث ٢، من الباب ٤٩، من البحار: ج ١٦، ص ١٤٦ معنعنًا.

وفي الحديث ٥، من الباب، نقلاً عن أمالي الصّدوق معنعنًا عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «خير الغنىٰ غنى النفس..».

وفي الحديث ١٠، من الباب معنعنًا، عن الخصال وثواب الأعمال وقريب منه أيضًا في شرح المختار ٣٤٠، من قصار النهج، لابن أبي الحديد ـ أنّه قال رجل للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: «علمني شيئًا إذا أنا فعلته أحبني الله من السّماء، وأحبني النّاس من الأرض. فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: ارغب فيما عند الله يحبك الله، وازهد فيما عند النّاس، يحبك النّاس». ورواه في الوسائل وهامشه: ج ٤، ص ٣١٥، عن مجالس الشيخ رحمه الله ص ٨٧، و ١٢٦، والتهذيب: ج ٢، ص ١١٣، والخصال: ج ١، ص ٣٢، وثواب الأعمال.

وفي الحديث ٣، من الباب ٣١، من أبواب الصدقة من وسائل الشيعة: ج ٤، ص ٣٠٥، نقلاً عن كتاب من لا يحضره الفقيه ج ١، ص ٢٣، وفروع الكافي: ج ١، ص ١٦٧ معنعنًا قال: «قال أمير المؤمنين عليه السّلام: اتبعوا قول رسول الله صلّى الله عليه وآله فإنّه قال: من فتح علىٰ نفسه باب مسألة، فتح الله عليه باب فقر».

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام: «أزرىٰ بنفسه من استشعر الطمع،

ورضي بالذلّ من كشف عن ضرّه، وهانت عليه نفسه من أمَّر عليها لسانه».

وقال عليه السّلام: «الطمع رقّ مؤبد».

وقال عليه السّلام: «الطامع في وثاق الذلّ».

وقال عليه السّلام: «أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع».

وقال عليه السّلام: «الطمع مورد غير مصدر، وضامن غير وفي، وربما شرق شارب الماء قبل ريّه، وكلّما عظم قدر الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده، والأماني تعمي أعين البصائر، والحظ يأتي من لا يأتيه».

وقال عليه السّلام: «الغنى الأكبر اليأس عمّا في أيدي النّاس[٣٠٤]».

وقال عليه السّلام في وصيته للإمام المجتبىٰ عليه السّلام: «وأكرم نفسك عن كلّ دنيّة وان ساقتك إلى الرغائب، فانك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضًا، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرًّا، إلىٰ ان قال عليه السّلام: وإيّاك أن توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة، وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل، فإنك مدرك قسمك، وآخذ سهمك، وان اليسير من الله سبحانه أعظم وأكرم من الكثير من خلقه، وان كان كل منه. إلىٰ أن قال عليه السّلام: ومرارة اليأس خير من الطلب إلى النّاس ـ إلىٰ أن قال عليه السّلام ـ: قد يكون اليأس إدراكًا إذا كان الطمع هلاكًا..».

وقال الإمام السجاد عليه السّلام للزهري: «واعلم أنّ أكرم النّاس من كان خيره عليهم فائضًا، وكان عنهم مستغنيًا متعففًا، وإن كان إليهم محتاجًا، وإنّما أهل الدّنيا يعشقون أموال الدّنيا، فمن لم يزاحمهم فيما يعشقونه كرم عليهم، ومن لم يزاحمهم فيها ومكنهم منها أو من بعضها كان أعزّ وأكرم».

وفي الحديث ٤٦، من باب الحث على العمل، من ج ٢، من الباب ١٥، من البحار: ص ١٦٦، معنعنًا، عن المجالس، عن الإمام السجاد عليه السّلام أنّه كان

(٣٠٤) كما في المختار ٢، و١٨٢ و٢١٥ و٢٢٢ و٢٧٥ و٣٤٠، من قصار نهج البلاغة.

يقول: «أظهر اليأس من النّاس، فإنّ ذلك من الغنىٰ، وأقل طلب الحوائج إليهم فإنّ ذلك فقر حاضر، وإيّاك وما يعتذر منه، وصلِّ صلاة مودع، وإن استطعت أنْ يكون اليوم خيرًا منك أمس، وغدًا خيرًا منك اليوم فافعل».

وروىٰ ثقة الإسلام الكليني رحمه الله في الحديث ٣، من الباب ٦٧، من الكافي: ج ٢، ص ١٤٨، معنعنًا عن الزهري، قال: «قال علي بن الحسين عليهما السّلام: رأيت الخير كلّه قد اجتمع في قطع الطمع عمّا في أيدي النّاس، ومن لم يرج النّاس في شيء وردّ أمره إلى الله عزّ وجلّ في جميع أموره استجاب الله عزّ وجلّ له في كل شيء».

وعن الإمام الباقر عليه السّلام أنّه قال: «إيّاك أن تطمع بصرك إلىٰ من هو فوقك، فكفىٰ بما قال الله عزّ وجلّ لنبيه: ﴿ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾[٣٠٥] وقال: ﴿ولا تمدّنّ عينيك إلىٰ ما متّعنا به أزواجًا منهم زهرة الحياة الدّنيا﴾[٣٠٦] فإن دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فإنّما كان قوته الشعير، وحلواه التمر، ووقوده السعف».

وفي الحديث الأخير من الباب ٣٦، من أبواب الصدقات من الوسائل: ج ٤، ص ٣١٥، نقلاً عن التهذيب معنعنًا عنه عليه السّلام قال: «سخاء المرء عمّا في أيدي النّاس أكثر من سخاء النفس والبذل، ومروءة الصبر في حال الفاقة والحاجة والتعفف والغنىٰ أكثر من مروءة الإعطاء، وخير المال الثقة بالله، واليأس ممّا في أيدي النّاس».

وروىٰ ثقة الإسلام في الحديث ٦، من الباب ٦٧، من كتاب الإيمان والكفر، من الكافي: ج ٢، ص ١٤٩، معنعنًا عن الغنوي ـ وفي البحار: ج ١٦، ص ١٤٨، في الحديث ٢٩، من الباب ٤٩، نقلاً عن الكافي عن الغنوي عنه عليه السّلام: قال: «اليأس ممّا في أيدي النّاس عزّ المؤمن في دينه، أو ما سمعت قول

(٣٠٥) الآية ٨٥، من سورة التوبة: ٩.

(٣٠٦) الآية ١٣١، من سورة طه: ٢٠.

حاتم(٣٠٧)».

إذا ماعزمت [عرفت «خ ل»] اليأس ألفيته غنىٰ
إذا عــــرفته النـــــفس والطـــــمع الفـــــقر

وفي الحديث ٦، من الباب ١٦، من كتاب الزكـاة مـن الكـافي ص ٢١، معنعنًا عن الحسين بن أبي العلاء قال: قال أبو عبد الله [الإمام الصادق] عليه السّلام: رحم الله عبدًا عفّ وتعفف، وكفّ عن المسألة، فإنّه يـتعجل الدنـية في الدّنيا، ولا يغني [ولا يعني «خ»] النّاس عنه شيئًا. قال: ثم تمثل عـليه السّـلام ببيت حاتم:

إذا ما عرفت اليأس ألفيته غـنىٰ
إذا عرفته النفس والطـمع الفـقر

وقريب منه بلا تمثل بقول حاتم، رواه عـنه عـليه السّـلام في الوسـائل: ج ٤، ص٣٠٨، نقلاً عن ثواب الأعمال ص ١٠٠.

وفي الحديث ٢٣، من الباب ٤٩، مـن البـحار: ج ١٦، ص ٢٤٧، عـن الكافي معنعنًا، عن الإمام الصادق عليه السّلام قال: «شرف المؤمن قيام الليل، وعزّه استغناؤه عن النّاس»(٣٠٨). الحديث ١، من الباب ٦٧، من الكافي: ج ٢، ص١٤٨.

---

(٣٠٧) قال المجلسي الوجيه رحمه الله: ذكر شعر حاتم ليس للاستشهاد،بل للإشارة والدلالة علىٰ أنّ هٰذا ممّا يحكم به عقل جميع النّاس حتّى الكفار. وقوله: «إذا ما عزمت اليأس» كملة زائدة، أي إذا عزمت على اليأس عن النّاس الفيته (أي وجدته) غنىٰ، وقوله: «إذا عرفته» بصيغة الخطاب من باب التفعيل، ونصب النفس، أو بصيغة الغيبة ورفع النفس، والطمع مرفوع بالابتدائية، والفقر بالخبرية.

أقول: الوجه الثاني أظهر.

(٣٠٨) وقريب منه في الحديث ٦، من الباب، نقلاً عن أمالي الصّدوق رحمه الله معنعنًا، وزاد عليه قوله عليه السّلام: وولاية الإمام من آل محمد. ورواه في الوسائل وهامشه: ج ٤، ص ٣١٤، عن المجلس ٨١، من مجالس الصّدوق رحمه الله ص ٣٢٥، وعـن روضـة الكافي ص٢٣٤.

وفي الحديث ٢٦، من نفس الباب عنه أيضًا معنعنًا، عن عبد الأعلىٰ بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: «طلب الحوائج إلى النّاس استلاب للعزّ، ومذهبة للحياء، واليأس ممّا في أيدي النّاس عزّ للمؤمن في دينه، والطمع هو الفقر الحاضر». الحديث ٤، من الباب ٦٧، من الكافي.

وعن الخصال معنعنًا عنه عليه السّلام: قال: «إذا أردت أن تقر عينك، وتنال خير الدّنيا والآخرة، فاقطع الطمع ممّا في أيدي النّاس، وعد نفسك في الموتىٰ، ولا تحدثن نفسك أنك فوق أحد من النّاس، واخزن لسانك كما تخزن مالك».

وفي الحديث ١، من الباب ٣٣، من أبواب الصدقات، من كتاب الزكاة من مستدرك الوسائل: ج ١، ص ٥٤٢، عن مجموعة الشهيد رحمه الله، عن كتاب معاوية بن حكيم، عن صفوان بن يحيىٰ، عن الحرث بن المغيرة البصري، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السّلام: اليأس ممّا في أيدي النّاس عزّ للمسلم في دينه، أو ما سمعت قول حاتم:

إذا ما عرفت اليأس ألفيته الغنىٰ إذا عرفته النفس والطمع الفقر

وفي الحديث ٢، من الباب ٣٢، من أبواب الصدقة، من وسائل الشيعة، نقلاً عن فروع الكافي: ج ١، ص ١٦٧ معنعنًا، وعن كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٣ مرسلًا، عنه عليه السّلام قال: «إياكم وسؤال النّاس، فإنّه ذلّ في الدّنيا، وفقر تستعجلونه، وحساب طويل يوم القيامة».

وقال الإمام الكاظم عليه السّلام في وصاياه لنصير أهل البيت هشام بن الحكم رفع الله مقامه: «إيّاك والطمع، وعليك باليأس ممّا في أيدي النّاس، وأمت الطمع من المخلوقين، فإنّ الطمع مفتاح الذلّ، واختلاس العقل، واختلاف المروءات، وتدنيس العرض، والذهاب بالعلم..»

وفي الحديث ٦، وما يليه من الباب ٣٣، من أبواب الصدقة، من كتاب الزكاة، من مستدرك الوسائل: ط ٢، ج ١، ص ٥٤٣ عن فقه الرّضا عليه السّلام

قال: «أروي عن العالم عليه السّلام أنّه قال: اليأس ممّا في أيدي النّاس عزّ المؤمن في دينه، وعظمته في أعين النّاس، وجلالته في عشيرته، ومهابته عند عياله، وهو أغنى النّاس عند نفسه وعند جميع النّاس.

وأروي: شرف المؤمن قيام الليل، وعزّه استغناؤه عن النّاس.

وأروي: اليأس غنىً، والطمع فقر حاضر.

وروي: من أبدىٰ ضره إلى النّاس، فضح نفسه عندهم[٣٠٩].

وأروي عن العالم عليه السّلام أنّه قال: وقوا دينكم بالاستغناء بالله عن طلب الحوائج.

وروي: سخاء النفس عمّا في أيدي النّاس، أكثر من سخاء البذل».

ورواها بأجمعها عنه في الحديث ١٢، وما يليه، من الباب ٤٩ من البحار: طبعة الكمباني، ج ١٦، ص ١٤٧.

وفي الحديث ٢٠، من الباب ٤٩، من البحار: ج ١٦، ص ١٤٧، نقلاً عن الدرة الباهرة للشهيد رحمه الله قال: «قال الإمام الجواد عليه السّلام: عزّ المؤمن غناؤه عن النّاس[٣١٠]».

وقال الإمام الهادي عليه السّلام: «الطّمع سجيّة سيّئة..»

وقال عليه السّلام: «الغناء قلة تمنيك، والرضاء بما يكفيك، والفقر شرّه النفس وشدة القنوط[٣١١]».

وقال الإمام العسكري عليه السّلام: «ما أقبح بالمؤمن أن تكون له رغبة تذله».

---

(٣٠٩) وقريب منه جدًا رواه في كنز الفوائد، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، كما في الحديث ٤، من الباب ٣١، من الكتاب، من المستدرك: ج ١، ص ٥٤٣.

(٣١٠) وأيضًا رواه عنه في المستدرك: ج ١، ص ٥٤٣.

(٣١١) هٰذا أيضًا رواه في الحديث ٢٠، من الباب ٤٩، من البحار: ج ١٦، ص ١٤٧، عن الدرة الباهرة.

العائدة الثامنة:

في ما ورد عن العظماء والحكماء في ذمّ الطمع والردع عنه.

قال ابن أبي الحديد: «وقد ضرب الحكماء مثالاً لفرط الطمع فقالوا: إن رجلًا صاد قبّرة فقالت: ما تريد أنْ تصنع بي؟ قال: أذبحك وآكلك، قالت: والله ما أشفي من قرم، ولا أشبع من جوع، ولكني أعلمك ثلاث خصال هن خير لك من أكلي، أمّا واحدة فاعلمك إياها وأنا في يدك، وأمّا الثانية فإذا صرت على الشجرة، وأمّا الثالثة فإذا صرت على الجبل. فقال الصياد: هاتي الأولىٰ. قالت: لا تلهفن علىٰ ما فات. فخلاها، فلمّا صارت على الشجرة قال: هاتي الثانية. قالت: لا تصدقن بما لا يكون أنّه يكون. ثمّ طارت فصارت على الجبل، فقالت، يا شقي لو ذبحتني لأخرجت من حوصلتي درتين وزن كلّ واحدة ثلاثون مثقالًا، فعضّ علىٰ يديه وتلهف تلهفًا شديدًا وقال: هاتي الثالثة. فقالت: أنت قد أنسيت الاثنتين فما تصنع بالثالثة؟! ألم أقل لك: لا تلهفن علىٰ ما فات وقد تلهفت!! وألم أقل لك لا تصدقن بما لا يكون أنّه يكون، وأنا ولحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالًا، فكيف صدقت أن في حوصلتي درتين كلّ واحدة منهما ثلاثون مثقالًا؟!! ثم طارت وذهبت».

ومن كلام بعضهم: «ما أكلت طعامًا واحدًا إلّا هنت عليه».

وكان يقال: «نعوذ بالله من طمع يدني إلىٰ طبع[٣١٢]».

وقال الشاعر:

أرحت روحي من عذاب الملاح للـيأس روح مـثل روح النّجاح

وقال بعض الأدباء: «هٰذا المعنى الّذي قد أطنب فيه النّاس ليس كما يزعمونه، لعمري إنّ لليأس راحة، ولكن لا كراحة النّجاح، وما هو إلّا كقول من

---

(٣١٢) الطبع كالدنس لفظًا ومعنىً.

قال: لا أدري نصف العلم، فقيل له: ولكنه النصف الّذي لا ينفع».

وقال ابن الفضل:

لا أمـــدح اليأس ولكـــنه ... أروح للـقلب مـن المطمع
أفلح من أبصر روض المنىٰ ... يـرعىٰ فلم يـرع ولم يـرتع

وكان يقال: «أكثر مصارع الألباب تحت ظلال الطمع».

وقال بعضهم: «العبيد ثلاثة: عبد رق، وعبد شهوة، وعبد طمع».

وقال أبو حفص: «ما الخمر صرفًا بأذهب لعقول الرجال من الطمع(٣١٣)».

وفي الحديث الأوّل، من الباب ٤٩، من البحار: ج ١٦، ص ١٤٦، نقلاً عن الأمالي والخصال والمعاني، عن الإمام الصادق عليه السّلام، ناقلًا عن حكيم أنّه قال: «غني النفس أغنىٰ من البحر(٣١٤)».

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

العائدة التاسعة

في المأثور من أقوال الشعراء في الطمع والطامع، وذمّ السؤال، والتماس الحطام عن المخلوقين.

---

(٣١٣) قيل: صدق أبو حفص، والدليل عليه عمله، فإنّه لأجل طمعه في الخلافة، وعدم حضور صاحبه في أول يوم السقيفة، طار عقله، مخافة أنْ يتردىٰ بها شخص آخر قبل مجيئه، فجرد سيفه وقال: لا يتكلم أحد بأنّ محمدًا قد مات إلّا ضربت عنقه، ألا إنّ محمدًا قد ذهب إلىٰ ربّه، وسيعود، وليقطعن أيدي رجال، الخ.

والحق ان عقل أبي حفص كان بحاله وما كان ذاهب العقل، وإنّما قال ما قال انتظارًا لصاحبه، وقطعًا للآمال.

(٣١٤) قد تقدم عن العلامة المجلسي رحمه الله وجه تمثل الأئمة عليهم السّلام ببعض الأشعار الحكمية، وهنا يمكن أن يكون مراده عليه السّلام الحث علىٰ اتباع من اتصف بالحكمة علمًا وعملًا، ويحتمل أيضًا أن يكون مراد بعض الأئمة، وإنّما عبّر عنه بالحكيم، لئلا يستفز بعض السامعين.

ونسب إلىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام كما في المختار ١٧، من حرف الباء، من الديوان:

وما المرء إلّا حيث يجعل نفسه فكن طالبًا في النّاس أعلى المراتب
وكن طالبًا للرزق من باب حلّه يضاعف عليك الرّزق من كلّ جانب
وصن منك ماء الوجه لا تبذلنّه ولا تسأل الأرذال فضل الرغائب
وكن موجبًا حقّ الصّديق إذا أتىٰ إليك ببرّ صادق منك واجب

وفي المختار ٢٠ منه أيضًا:

لا تطلبنّ معيشة بمذلّة واربأ بنفسك عن دنيّ المطلب
وإذا افتقرت فداو فقرك بالغنىٰ عن كلّ ذي دنس كجلد الأجرب
فليرجعنّ إليك رزقك كلّه لو كان أبعد من محلّ الكوكب

وروى ابن شهر آشوب رحمه الله، عن الإمام الرّضا عليه السّلام:

لبست بالعفة ثوب الغنىٰ وصرت أمشي شامخ الرأس
لست إلى النّسناس مستأنسًا لكنني آنس بالنّاس
إذا رأيت التّيه من ذي الغنىٰ تهت على التائه باليأس
وما تفاخرت علىٰ معدم ولا تضعضعت لإفلاس

وقال أبو الأسود رحمه الله:

البس عدوك في رفق وفي دعة طوبىٰ لذي اربة للدّهر لباس
ولا تغرنّك أحقاد مزملة قد يركب الدّبر الدّامي بأحلاس
واستغن عن كلّ ذي قربىٰ وذي رحم إنّ الغني الّذي استغنىٰ عن النّاس

وقال آخر:

رأيت مخيلة فطمعت فيها وفي الطّمع المذلّة للرقاب

وقال مجنون العامري:

طمعت بليلىٰ أن تريع وإنّما[٣١٥] تقطع أعناق الرجال المطامع
ودانيت ليلىٰ في خلاء ولم يكن شهود علىٰ ليلىٰ عدول مقانع

وقال آخر:

إذا حدثتك النّفس أنك قادر علىٰ ما حوت أيدي الرّجال فكذب
وإيّاك والأطماع ان وعودها رقارق آل أو بوارق خلب[٣١٦]

وقال آخر:

قد أرحنا واسترحنا من غدو ورواح
واتصال بأمير ووزير ذي سماح
بعفاف وكفاف وقنوع وصلاح
وجعلنا اليأس مفتا حًا لأبواب النجاح

قال أبو العتاهية:

تسلَّ فإنّ الفقر يرجىٰ له الغنىٰ وإنّ الغني يخشىٰ عليه من الفقر
ألم ترَ أنّ البحر ينضب ماؤه وتأتي علىٰ حيتانه نوب الدّهر

وقال آخر:

ولست بنظار إلىٰ جانب الغنىٰ إذا كانت العلياء في جانب الفقر
وإنّي لصبّار علىٰ ما ينوبني وحسبك أن الله أثنىٰ علىٰ الصبر
ترى الدّهر مغتالي ولم أرَ ثروة من المال تنبي النّاس عنّي وعن أمري
وإنّي علىٰ فقري لأحمل همّه لها مسلك بين المجرّة والنّسر

وقال آخر:

---

(٣١٥) تريع أي تعود وترجع إليّ ولا تبتليني بالمهاجرة والفراق.

(٣١٦) الرقارق: السراب. والآل: ما يشاهد في الضحىٰ، كالماء بين الأرض والسماء، والظاهر أن المراد هنا هو نفس الضحىٰ بقرينة الإضافة، والبوارق: جمع البرق، والخلب: السحاب الذي لا مطر فيه، ويقال لمن يعد ولا ينجز: إنّما أنت كبرق خلب.

قنعت بالقوت من زماني — وصنت نفسي عن الهوان
مخافة أن يقول قوم — فضل فلان على فلان
فلن تراني أمدّ كفي — إلى لئيم ولا هجّان
ولا أجوب الفلا لرزق — حسبي من الرزق ما كفاني
من كنت عن ماله غنيًّا — رأيته كالّذي يراني
أبرّه إن أراد بري — واقطع البرّ إن جفاني
كم كربة قد عييت فيها — فانكشفت بي على المكان
وكم أمور حذرت منها — فكنت من ذاك في أمان
فلو رأيت المنون حلت — بأكثر الخلق ما عناني
يا جاهلًا بالزمان غرًّا — أنظر إلى الدور والمغاني
فانها وهي صامتات — أبلغ من كلّ ذي لسان
ألم تكن معدن الغواني — البيض والخرد الحسان
وكل نهد أقب طرف — وصارم مرهف يماني
ولّوا وباد الجميع منهم — وآخر متهم يد الزمان(٣١٧)

وقال آخر:

للنّاس مال ولي مالان مالهما — إذا تحارس أهل المال حراس
مالي الرّضا بالّذي اصبحت أملكه — ومالي اليأس ممّا يملك النّاس

وقال أبو عبد الله الازدي:

أبا هانئٍ لا تسأل النّاس والتمس — بكفيك فضل الله فالله أوسع
فلو تسأل النّاس التراب لأوشكوا — إذا قيل هاتوا أن يملوا فيمنعوا(٣١٨)

---

(٣١٧) إلىٰ هنا ذكرها جمال المفسرين: أبو الفتوح الرازي رحمه الله.
(٣١٨) هكذا ذكره المفسر، والمعروف: فلو سئل الناس التراب لأوشكوا...

وقال آخر:

تعفّ وعش حرًّا ولاتك طامعًا ... فما قطع الأعناق إلاّ المطامع

وقال آخر:

لا تطلبنّ إلىٰ صديق حاجة ... من عفّ خفّ علىٰ جميع العالم

أنت المسوّد ما رزقت كفاية ... فإذا طلبت ذللت ذلّ الخادم

وهٰهنا زوائد

نبحث فيها عن تراجم رواة الوصيّة. وليعلم أنا لا نتعرض لترجمة الصّدوقين والشيخين والسيدين وثقة الإسلام الكليني(٣١٩) وأمثالهم، من سدنة الشريعة وحماة الدِّين، قدس الله أسرارهم، لأنَّ تراجمهم مشهورة وصفحة حياتهم بيضاء لامعة، وغالب الكتب الدينية مشتملة علىٰ شرح أحوالهم، وتشّيعهم وتفانيهم في ترويج الدِّين وتشييد الشرع لا يقل عن تشيع سلمان وأبي ذر ومقداد وتفانيهم. وضرب أقلامهم وآثارها في سبيل الله لا ينحط عن ضرب سيوف قيس بن سعد وعمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر وحجر بن عدي وابن التيهان وذي الشهادتين والأشتر وأمثالهم، رحمهم الله جميعًا.

وإنّما نترجم من رواة كتابنا من لم تكن له تلك الشهرة والصيت، أو سها قلم بعضهم عن بعض خصوصياته، أو لم يذكر في موضع معين ترجمة حياته. وكان علينا أنْ ننبه علىٰ هٰذا الأمر في ابتداء الكتاب، لكنا غفلنا عنه.

وإذا تقرر هٰذا، فالتكلم عن السند الأوّل الّذي قد تقدم في مفتتح الوصيّة

---

(٣١٩) الصدوقان: هما علي بن الحسين بن بابويه، وابنه محمد بن علي قدس الله سرهما.

والشيخان: هما معلم الأمة: الشيخ المفيد، وشيخ الطائفة: محمد بن الحسن الطوسي، رفع الله مقامها.

والسيدان: هما عليّ بن الحسين، ومحمد بن الحسين: المرتضىٰ والرضي، شرف الله محلهما.

مستغنىٰ عنه، إذ عليّ بن الحسين بن موسىٰ بن بابويه القمي (الصّدوق الأوّل، المعاصر للإمام العسكري عليه السّلام الوكيل عنه عليه السّلام المفتخر بالتوقيع الصادر منه عليه السّلام في شأنه) معروف، وبالعدالة والعظمة مشهور(٣٢٠). وكذا ابنه: محمد بن عليّ: الصّدوق الثاني، المولود بدعاء إمام العصر عجل الله تعالىٰ فرجه، الموفق للسير في الآفاق، وأخذ علوم الدّين من أفواه الرّجال الكملين، وتأليف كتب كثيرة في التفسير والفقه والرّجال والمعارف الإسلامية وتأريخ المعصومين عليهم السّلام(٣٢١).

وترجمة حماد بن عيسىٰ أيضًا تقدم في الفائدة الثالثة من تعليقات المختار ١٠، من هٰذا الباب، ص ١٧٩.

وكذلك قد أسلفنا ترجمة عليّ بن إبراهيم وأبيه رحمهما الله جميعًا، في التعليق الأوّل من تعليقات المختار الأوّل من هٰذا الباب ص ١٧ و١٨.

فالّذي ينبغي التعرض له هو ترجمة من وقع في طريق شيخ الطائفة والنجاشي وثقة الإسلام الكليني والسيد ابن طاووس قدس الله أرواحهم جميعًا، فنقول:

الأولىٰ من الزوائد:

في ترجمة أوّل من وقع في طريق الشيخ رحمه الله وهو أستاذه وأستاذ أهل التحقيق، ومن فاز بالعلوم بمختوم الرحيق، شيخ الفقهاء والمحدثين، ورئيس أهل الدراية والمدققين: الحسين بن عبيد الله(٣٢٢) بن إبراهيم الغضائري، المتوفىٰ في

(٣٢٠) المحكي عن ابن النديم انّه قرأ بخط الصّدوق الثاني رحمه الله علىٰ ظهر جزء: قد أجزت لفلان بن فلان كتب أبي: عليّ بن الحسين، وهي مائتا كتاب. وتوفي رحمه الله ٣٢٩ هـ.

(٣٢١) رأيت في بعض تأليفاته قدس سره ان عدد كتبه الّتي ألفها ٢٨٠ كتابًا، ولعله ذكره في علل الشرائع.

(٣٢٢) ولأجل علوّه، وكونه مسموع الكلام، ومقبول القول، ومتبوع الرأي عند الطائفة المحقة ←

نصف سنة ٤١١ هـ.

وقال شيخ الطائفة رحمه الله في الرقم ٥٢، من كتاب الرّجال، ص ٤٧٠، في باب من لم يرو عن الأئمة عليهم السّلام: «الحسين بن عبيد الله الغضائري، يكنىٰ أبا عبد الله، كثير السماع، عارف بالرجال، وله تصانيف ذكرناها في الفهرست، سمعنا منه، وأجاز لنا بجميع رواياته، مات سنة إحدىٰ عشرة وأربعمائة».

وقال المحقق النجاشي رحمه الله في الرّجال ٥٤: «الحسين بن عبيد الله بن إبراهيم الغضائري، أبو عبد الله، شيخنا رحمه الله، له كتب منها كتاب كشف التمويه والغمة، وكتاب التسليم علىٰ أمير المؤمنين بإمرة المؤمنين، وكتاب تذكير العاقل وتنبيه الغافل في فضل العلم، وكتاب عدد الأئمة وما شذ على المصنفين من ذلك، وكتاب البيان في حياة الرحمان، وكتاب النوادر في الفقه، وكتاب مناسك الحج، وكتاب مختصر مناسك الحج، وكتاب يوم الغدير، وكتاب الرد على الغلاة والمفوضة، وكتاب سجدة الشكر، وكتاب مواطن أمير المؤمنين عليه السّلام، وكتاب في فضل بغداد، وكتاب في قول أمير المؤمنين عليه السّلام: ألا أخبركم

← وضع بعض المعاندين كتابًا باسمه، أو باسم ولده، في جرح الثقات، وتضعيف الرواة. وغير خفي على البصير عدم صحة النسبة، أمّا بالنسبة إلى الأب فلعدم ذكر أحد من تلاميذه كالشيخ والنجاشي وأضرابهما في تأليفاته كتاب الرّجال، ولا ما ينطبق عليه. وأمّا عدم صحة انتساب الكتاب إلى ابنه، فلتصريح شيخ الطائفة رحمه الله في أوّل كتاب الفهرست بأن كتابيه في المصنفات والأصول، لم ينسخهما أحد من أصحابنا، واخترم هو رحمه الله، وعمد بعض ورثته، إلىٰ اهلاك هذين الكتابين، وغيرهما من الكتب، علىٰ ما حكىٰ بعضهم عنه.

ويشهد لصحة قول الشيخ رحمه الله أنّه لم يعثر قبل السيد ابن طاووس أحد علىٰ هٰذا الكتاب، وهو رحمه الله جمعه وحفظه رجاء ان يظفر بشواهد صدق عليه، لا من جهة الثقة والاطمئنان، وكلّ من جاء بعد السيد رحمه الله فمستنده السيد لا غير، ومن أراد الزيادة فعليه بالذريعة: ج ٤، ص ٢٩٠، في الكلام حول تفسير الإمام العسكري عليه السّلام.

بخير هٰذه الأمّة.

أجازنا جميعها، وجميع رواياته عن شيوخه، ومات رحمه الله في نصف صفر، سنة احدىٰ عشرة وأربعمائة.

وعن السمعاني في الأنساب، أنّ الغضائري نسبة إلى الغضار، وهو الاناء الّذي يؤكل فيه، نسب جماعة إلىٰ عملها أو واحد من آبائهم..».

الثانية من الزوائد:

في ترجمة الطبقة الثانية من طريق الشيخ رحمه الله، وهو أحمد بن عبد الله الدوري، المولود في سنة ٢٩٩، والمتوفىٰ سنة ٣٧٩ هـ.

قال الشيخ رحمه الله في باب أحمد من فهرسته ٥٧، طبع النجف، في الرقم ٩٧: «أحمد بن عبد الله بن أحمد بن جلين الدوري(٣٢٣)، أبو بكر الوراق، كان من أصحابنا، ثقة في حديثه، مسكونًا إلىٰ روايته، وله كتاب في طرق من روىٰ رد الشمس، أخبرنا الحسين بن عبيد الله، قال: قرأه [قرأته «ظ»] علىٰ أحمد بن عبد الله الدوري أبو بكر».

وقال في باب من لم يرو عن الأئمة عليهم السّلام (في العدد ١٠٥) من كتاب الرّجال: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن جلين الدوري، أبو بكر الوراق، ثقة، روىٰ عنه ابن الغضائري.

---

(٣٢٣) قال السمعاني: (علىٰ ما حكي عنه في الأعيان: ٩، ١٠) «الجليني ـ بضم الجيم وكسر النون ـ هٰذه النسبة إلىٰ جلين، وهو اسم لجد أبي بكر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن جلين الدوري، الجليني الوراق، من أهل بغداد، كان رافضيًا مشهورًا بذلك».

وأيضًا حكي عن العلامة وصاحب توضيح الاشتباه رحمهما الله انّهما أيضًا ضبطا الجلين بضم الجيم وشد اللام المكسورة واسكان الياء بعدها النون.

وقال أيضًا في الأعيان: «هو منسوب إلى الدور ـ بالضم ـ وهما قريتان بين سر من رأىٰ وتكريت، عليا وسفلىٰ، وناحية من دجيل، ومحلة ببغداد ونيسابور، وبلدة بالأهواز، وموضع بالبادية».

وقال المحقق النجاشي رحمه الله، في رجاله ٦٦: «أحمد بن عبد الله ابن أحمد بن جلين الدوري، أبو بكر الوراق، كان من أصحابنا ثقة في حديثه، مسكونًا إلىٰ روايته، لا نعرف له إلّا كتابًا واحدًا في طرق من روىٰ رد الشمس، وما يتحقق بأمرنا[٣٢٤]، مع اختلاطه بالعامة، وروايته عنهم، وروايتهم عنه. دفع إلي شيخ الأدب أبو أحمد عبد السلام بن الحسين البصري رحمه الله كتابًا بخطه، قد أجاز له فيه جميع رواياته».

ورویٰ في أعيان الشيعة: ٩، ١٠، عن ميزان الإعتدال: «أحمد بن عبد الله ابن جلين، عن أبي القاسم البغوي رافضي بغيض، كان ببغداد، يروي عنه أبو القاسم التنوخي بلايا».

وفي لسان الميزان: «هو أبو بكر الدوري الوراق».

وفي تاريخ بغداد: ط ١، ج ٤، ص ٢٣٤: أحمد بن عبد الله بن خلف[٣٢٥] أبو بكر الدوري الوراق، كان رافضيًا مشهورًا بذلك، حدثني التنوخي عنه أنّه قال: أوّل كتابتي الحديث سنة ٣١٣.

وعن الرياض: «يروي عنه عبد السّلام بن الحسين الأديب البصري بشيخ النجاشي، ويظهر من أسانيد الشيخ الطوسي إلى الصحيفة الكاملة، في ترجمة المتوكل بن عمر المتوكل، أنّ أحمد بن عبدون يروي أيضًا عن أبي بكر الدوري، ويروي الشيخ الطوسي عنه بتوسطه وهو يروي عن ابن أخي طاهر، فهو في درجة الصّدوق، ولم أعلم اسمه».

---

(٣٢٤) قيل: إنّ ما نافية، أي انه لمكان اختلاطه بالعامة، وروايته عنهم، وروايتهم عنه، كان يخفي مذهبه، ولا يتحقق بأمرنا ولا يظهره، كما هو شأن جميع المعاشرين لهم، الخ.

وقيل: إنّ (ما موصولة، وغرض النجاشي أنّ الدوري ذكر في كتابه حديث رد الشمس، وما من الأخبار به يتحقق أمرنا معاشر الشيعة).

أقول يدل على الاحتمال الثاني ويثبته، وينفي الأوّل ما يجيء عن الخطيب والسمعاني، والذهبي من أنّه رافضي مشهور يروي عنه البلايا.

(٣٢٥) هذا تحريف أو خطأ من الخطيب، وأهل البيت أدرىٰ بما فيه، وتقدم ما أفادوه.

وقال العلامة الرازي رحمه الله بقاه، في مخطوطة كتابه نوابغ الإعلام والرواة في رابعة المئات: «ويروي الدوري صاحب الترجمة عن محمد بن جعفر بن عبد الله النحوي المؤدب. وعن أبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة، المتوفىٰ سنة ٣٣٣، كما في ترجمة أبان بن تغلب من النجاشي. وعن أبي بكر أحمد بن كامل بن شجرة، تلميذ أبي جعفر محمد بن جرير العامي المتوفىٰ سنة ٣١٠، كما في فهرست الشيخ، ترجمة محمد بن جرير العامي. وعن أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني صاحب الأغاني المتوفىٰ سنة ٣٥٦، كما في ترجمة عباد بن يعقوب الرواجني من النجاشي. وعن أبي بكر محمد بن أحمد بن اسحاق الحريري، كما في الفهرست في ترجمة عبد الله بن محمد بن أبي الدّنيا».

وذكر في أنساب السمعاني أنّه رافضي مشهور، ولد في سنة ٢٩٩، وكتب الحديث من سنة ٣١٣، ومات في شهر رمضان سنة تسع وسبعين وثلاثمائة ٣٧٩.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

الثالثة من الزوائد:

في ترجمة الراوي الثالث الواقع في طريق الشيخ رحمه الله، وهو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن اسماعيل الكاتب، أبو بكر المعروف بابن أبي الثلج، المتوفىٰ سنة ٣٢٥ هـ

وقال الشيخ رحمه الله في رجاله ص ٥٠٢: «محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي الثلج الكاتب، بغدادي خاصي، يكنىٰ أبا بكر، سمع منه التلعكبري سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وما بعدها إلىٰ سنة خمس وعشرين، وفيها مات رحمه الله، وله منه اجازة، انتهىٰ».

وقال في فهرسته ١٧٩: «محمد بن أحمد بن أبي الثلج الكاتب، له كتاب التنزيل في أمير المؤمنين عليه السّلام، أخبرنا به أحمد بن عبدون، عن الدوري، عن ابن أبي الثلج، وله كتاب البشرىٰ والزلفىٰ وصفة الشيعة وفضلهم، وله كتاب

أسماء أمير المؤمنين عليه السّلام في كتاب الله، أخبرني بجميع ذلك ابن عبدون، عن الدوري عنه. انتهىٰ».

وقال النجاشي رحمه الله: «محمد بن أحمد بن عبد الله بن اسماعيل الكاتب، أبو بكر، يعرف بابن أبي الثلج، وأبو الثلج هو عبد الله بن اسماعيل، ثقة عين كثير الحديث، له كتب، منها: ما نزل في القرآن في أمير المؤمنين عليه السّلام، ٢ ـ كتاب البشرىٰ والزلفىٰ في فضائل الشيعة، ٣ ـ كتاب تاريخ الأئمة عليهم السّلام، ٤ ـ كتاب أخبار النساء الممدوحات، ٥ ـ كتاب أخبار فاطمة والحسن والحسين عليهم السّلام، ٦ ـ كتاب من قال بالتفضيل من الصحابة وغيرهم.

قال أبو المفضل الشيباني، حدثنا أبو بكر ابن أبي الثلج، وأخبرنا ابن نوح، قال حدثنا أبو الحسن بن داود، قال حدثنا سلامة بن محمد الارزني، قال حدثنا أبو بكر بن أبي الثلج بجميع كتبه».

وقال العلامة الحلي في إيضاح الاشتباه، ٢٥ ما لفظه: «وجدت بخط السيد صفي الدّين محمد بن معد الموسوي رحمه الله: هٰذا محمد بن عبدالله بن اسماعيل ابن أبي الثلج البغدادي مشهور عند أصحاب الحديث، يروي عن أبي حرار [الحق «خ ل»] وروح [قدوح «خ ل»] بن عبادة، وخلف بن الوليد، وغيرهم، وحدث عنه محمد بن اسماعيل البخاري [الصحابي «خ ل»]، وكان يروي عنه ابن ابنه محمد المذكور في هٰذه الورقة. ويروي عن محمد هٰذا أبو الحسن الدارقطني عن جده محمد بن اسماعيل. كتبه محمد بن معد الموسوي».

وللمترجم رحمه الله بنت مسماة بخديجة، كانت رحمها الله راوية للحديث، ذكرها الخطيب في الرقم ٧٨١٩، من تاريخ بغداد: ط ١، ج ١٤، ص ٤٤٢.

وقال ابن النديم في الفهرست: ط مصر، ص ٣٢٢، في آخر الفن السادس، من المقالة السادسة: أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أبي الثلج الكاتب خاصي عامي، والتشيع اغلب عليه، وله رواية كثيرة من روايات العامة، وتصنيفات في هٰذا المعنىٰ، وكان ديِّنًا ورعًا فاضلًا، وله من الكتب كتاب السنن

والآداب علىٰ مذاهب العامة، وكتاب فضائل الصحابة، وكتاب الاختيار من الأسانيد».

الرابعة من الزوائد:

في ترجمة جعفر بن محمد الحسني، وهو الطبقة الرابعة من طريق الشيخ رحمه الله إلى الوصية الشريفة، وهٰذا الرجل قد وقع في اسناد كثير من أحاديث الشيعة وأهل السنة.

وقد ذكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: ط ١، ج ٣، ص ٣٢٨، وج ١١، ص ٢٥١ ـ ما ينطبق علىٰ من نحن في مقام ترجمته ـ.

وكذا ذكر الشيخ رحمه الله في الرقم: ٤٩٣، من فهرسته ط ٣، ص ١٣٧، ترجمة عمر بن ميمون، وقال: «له كتاب حديث الشورىٰ... إلىٰ ان قال: وله كتاب المسائل الّتي أخبر بها أمير المؤمنين عليه السّلام اليهودي. أخبرنا بها أحمد بن عبدون، عن أبي بكر الدوري، عن محمد بن جعفر العلوي الحسني، قال: حدثنا عليّ بن عبدك، قال حدثنا طريف مولىٰ محمد بن اسماعيل، عن موسىٰ وعبيد الله ابني يسار، عن عمرو بن أبي اسحاق السبيعي، عن الحارث الهمداني، عن أمير المؤمنين عليه السّلام، وذكر الكتاب».

ولا شك أن هٰذا إمّا ابن المترجم، وإمّا نفسه، وإنّما قدم الراوي أو الناسخ محمدًا علىٰ جعفر. وهنا اشتركت الطرق الأربعة (أي طريق الشيخ والنجاشي وثقة الإسلام الكليني، والعسكري) في كونه من رواة الوصيّة الشريفة، وأنّه يرويها عن عليّ بن عبدك إلىٰ أنْ يتصل بأمير المؤمنين عليه السّلام ـ كما في الطرق الثلاثة الأوَل ـ وعن الحسن بن عبدك عن الرّجال المذكورين في الطرق الثلاثة أنفسهم إلىٰ أنْ تتصل بأمير المؤمنين عليه السّلام ـ كما في رواية العسكري.

والحاصل أنّ المترجم عندي مأنوس الاسم، ومجهول الشخص، وقد

بحثت بمقدار ميسوري، وتتبعت بحسب مقدوري، وتصفحت ما عندي من كتب الخاصة والعامة فلم أجد في ترجمته عدا ما ذكره الشيخ رحمه الله في الأرقام ١٨ و ١٩ و ٢٠ في باب من لم يرو عن الأئمة عليهم السّلام من رجاله ط ٢، ص ٤٦٠، أمّا ما ذكره تحت الرقم ٢٠ فبعيد الانطباق على المترجم، ولا نذكره هنا، ومن أراده فليطالع رجال الشيخ رحمه الله. وأمّا ذكره تحت الرقم الثامن عشر من الكتاب فهٰذا لفظه: «جعفر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبيد الله ابن موسىٰ بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، العلوي الحسيني الموسوي المصري، روىٰ عنه التلعكبري، وكان سماعه منه سنة أربعين وثلاثمائة بمصر، وله منه اجازة».

وأمّا ما أفاده الشيخ قدس سره تحت الرقم ١٩، فهذا نصه: «جعفر بن محمد العلوي الحسيني، من ولد عليّ بن عبد الله بن الحسين بن عليّ بن الحسين ابن عليّ ابن أبي طالب عليه السّلام، يكنىٰ أبا هاشم، روىٰ عنه التلعكبري، وقال: كان قليل الرواية، وسمع منه شيئًا يسيرًا».

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

الخامسة من الزوائد:

في ترجمة عليّ بن عبدك الصوفي الواقع في الطرق الثلاثة المتقدمة. وهٰذا الرجل أيضًا كجعفر بن محمد الحسيني غير معنون بشخصه في ما عندي من كتب التراجم، إلّا أنّه وأخاه (الحسن بن عبدك، الواقع في سند العسكري) يخرجان عن المجهولية، بما ذكره الأصحاب رضوان الله عليهم في شأن محمد بن عليّ بن عبدك الجرجاني، المتوفىٰ بعد سنة ٣٦٠ هـ، وبما ذكره السمعاني في لفظة الشيعي من كتاب الأنساب قال: وثم جماعة من شيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، ويتولون إليه، وفيهم كثرة يقال لهم الشيعة، منهم محمد بن عليّ بن عبدك الشيعي، واسم عبدك عبد الكريم، صاحب محمد بن الحسن الفقيه، العبدكي أبو أحمد الجرجاني، كان مقدم الشيعة، وإليه ينسب جماعة، سمع عمران بن موسى الجرجاني وأقرانه، روىٰ عنه الحاكم ابن عبد الله الحافظ النيسابوري.

وقال أيضًا: العبدكي ـ بفتح العين المهملة، وسكون الباء الموحدة، وفتح الدال المهملة، وفي آخرها الكاف ـ هذه النسبة إلىٰ عبدك، وهو والد علي بن عبدك، واسمه عبد الكريم، وعبدك صاحب محمد بن الحسن الفقيه، وتفقه عليه، والمشهور بهٰذه النسبة أبو أحمد محمد بن عليّ بن عبدك، الشيخ العبدكي من أهل جرجان، كان مقدم الشيعة، وإمام أهل التشيّع بها، سمع عمران بن موسىٰ بن مجاشع الجرجاني وأقرانه، روىٰ عنه الحاكم أبو عبد الله البيع وعرفه ونسبه هكذا قال: كان من الأدباء الموصوفين بالعقل والكمال، وحسن النظر بنيسابور، وبنىٰ بها الدار والحمام المعروف بباب عزة، وتوفي بعد ٣٦٠ بجرجان(٣٢٦).

هٰذا كلّه بالنسبة إلىٰ رهط العبدكي ونسبه، وأمّا ابن المترجم وهو محمد بن عليّ رحمه الله فقد اتفقت كلمة أصحاب الفهارس من أصحابنا علىٰ تجليله وتعظيمه وأنّ له كتبًا كثيرة، منها كتاب التفسير، قال الشيخ رحمه الله وهو كتاب كبير حسن، وقال ابن شهرآشوب: وهو عشرة أجزاء. ومنها كتاب مطلع الهداية في الرد على الإسماعيلية، الخ.

السادسة من الزوائد:

في ترجمة الحسن بن ظريف. عده الشيخ رحمه الله في رجاله من أصحاب الإمام الهادي عليه السّلام. وعده وأباه في الرقم ١٦٧، و٣٧٥، من فهرسته: ط ٢، ص ٧٣ و١١٢، من مصنفي الشيعة، فقال في ترجمته: «الحسن بن ظريف ابن ناصح، له كتاب، أخبرنا به عدة من أصحابنا، عن أبي المفضل، عن ابن بطة، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن الحسن بن ظريف».

وقال النجاشي رحمه الله في الرقم ١٣٥، من رجاله ٤٨: «الحسن بن ظريف بن ناصح، كوفي، يكنىٰ أبو محمد، ثقة، سكن ببغداد، وأبوه قبل، له نوادر،

---

(٣٢٦) ما ذكرناه عن السمعاني مأخوذ من كتاب أعيان الشيعة: ط ٢، ج ٤٦، ص ٦٣، لسيد الأعيان السيد محسن العاملي رحمه الله.

والرواة عنه كثير، أخبرنا اجازة محمد بن محمد عن الحسن بن حمزة، قال حدثنا ابن بطة، عن محمد بن علي».

وعن جامع الرواة ان المترجم يروي عن جماعة منهم عليّ بن عبدك الكوفي. وفي الحديث المائة من الباب الحادي والثلاثين من اثبات الهداة: ج ٦، ص ٣٣٤، عن الاربلي رحمه الله، عن الحسن بن ظريف، قال: «كتبت إلىٰ أبي محمد عليه السّلام، قد تركت التمتع ثلاثين سنة، وقد نشطت لذلك، وكان في الحي امرأة وصفت لي بالجمال، فمال قلبي إليها، وكانت عاهرًا، لا تمنع يد لامس، فكرهتها، ثم قلت: قد قال الأئمة [عليهم السّلام] تمتع بالفاجرة، فإنك تخرجها من حرام إلىٰ حلال، فكتبت إلىٰ أبي محمد عليه السّلام أشاوره في المتعة، وقلت: أيجوز بعد هٰذه السنين أن أتمتع؟

فكتب عليه السّلام: إنّما تحيي سنة، وتميت بدعة فلا بأس، وإيّاك وجارتك المعروفة بالعهر، وإن حدثتك نفسك أنّ آبائي قالوا: «تمتع بالفاجرة، فإنّك تخرجها من حرام إلىٰ حلال.» فهٰذه امرأة معروفة بالهتك، وهي جارة، وأخاف عليك استفاضة الخبر.

قال: فتركتها ولم اتمتع بها، وتمتع بها شاذان بن سعد، رجل من إخواننا وجيراننا، فاشتهر بها حتّىٰ علا أمره، وصار إلى السلطان، وغرم بسببها مالاً نفيسًا، وأعاذني الله من ذلك ببركة سيدي».

السابعة من الزوائد:

في ترجمة الحسين بن علوان بن قدامة الكلبي. قال الشيخ رحمه الله في كتاب الفهرست: ص ٨٠، تحت الرقم ٢٠٨: «الحسين بن علوان، له كتاب أخبرنا به ابن أبي جيد، عن محمد بن الحسن، عن سعد بن عبد الله، ومحمد بن الحسن الصفار، عن أبي الجوزاء المنبه بن عبد الله، عن الحسين بن علوان».

وعده في رجاله ١٧١، تحت الرقم ١٠١، من أصحاب الإمام الصادق

عليه السّلام، وقال: «الحسين بن علوان الكلبي مولاهم، كوفي».

وقال المحقق النجاشي رحمه الله في الفهرست ٤١: «الحسين بن علوان الكلبي، مولاهم كوفي عامي، وأخوه الحسن يكنىٰ أبا محمد ثقة، رويا عن أبي عبد الله عليه السّلام، وليس للحسن كتاب، والحسن أخص بنا وأولى[٣٢٧]. روى الحسين عن الأعمش وهشام بن عروة، وللحسين كتاب تختلف رواياته.

أخبرنا اجازة محمد بن علي القزويني، قدم علينا سنة أربعمائة، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيىٰ، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري، عن هارون بن مسلم عنه به».

وفي اختيار الكشي رحمه الله ص ٣٣٣، تحت الرقم ٢٤٨، وتواليه، ما هٰذا لفظه: «محمد بن اسحاق، ومحمد بن المنكدر، وعمرو بن خالد الواسطي، وعبد الملك بن جريج، والحسين بن علوان الكلبي، هؤلاء من رجال العامة، إلّا أنّ لهم ميلًا ومحبّة شديدة، وقد قيل: إنّ الكلبي كان مستورًا ولم يكن مخالفًا».

أقول: ويدلّ علىٰ قول هٰذا القائل رواياته، وتضعيف العامة إيّاه كما ذكره الخطيب في تاريخ بغداد: ط ١، ج ٨، ص ٦٢، تحت الرقم ٤١٣٨.

هٰذا مع استفاضة الأخبار بأنّ المرء مع من أحبّ. ويدل عليه أيضًا أنّ محبّة أهل البيت عليهم السّلام ومخالفيهم لا تجتمعان، وفي تلك الأعصار كانت المخالفة والمعاندة بين أئمة أهل البيت عليهم السّلام ومعاصريهم كالنّار على المنار، وكالمنافرة بين الخليل ونمرود، ولم يكن مثل زماننا حيلولة الشبه متراكمة للقاصرين، فمن أدرك ذلك الزمان وكان قريبًا من المراكز الإسلامية، ومشاعره الصحيحة، فبطبيعة الحال كان علىٰ خبرة وإيقان على اختلاف مرام أهل البيت عليهم السّلام ومعاصريهم، فإذا أحبّهم ولم تكن دواعي المحبّة الدنيوية موجودة ولا متوقعة، فلابدّ أنْ تكون المحبّة لكونهم على الحقّ، ومخالفيهم على الباطل، فمن

---

(٣٢٧) كذا في النسخة المطبوعة حديثًا بطهران، وهو مقتضى السياق، وفي ترتيب الرّجال للقهبائي رحمه الله هٰكذا: والحسين أخص بنا وأولىٰ.

كان هٰكذا معتقده، ولم يحصل له في امتثال أوامر الله، ولا اجتناب نواهيه افراط وتفريط، فهو من أهل الحق، وقوله مقبول إذا لم يعارضه شيء، فالرجل من أهل الثقة والاطمئنان، لحصول ما ذكر فيه، واتصافه بـه. ووثّـقه أيـضًا في خـاتمة مستدرك الوسائل: ط ٢، ج ٣، ص ٥٩٩، فإنّه رحمه الله بـعد مـا نـقل كـلام النجاشي والكشي، وقول ابن عقدة عن الخلاصة، من ان الحسن بن علوان كان أوثق وأحمد من أخيه عند أصحابنا ـ قال ما مـلخصه: «ويـشهد بـوثاقته في الحديث مضافًا إلىٰ ما ذكر رواية الاجلاء عنه، وفيهم الحسن بن عليّ بن فضال، والهيثم بن أبي مسروق، والحسن بن ظريف بن ناصح، وأبو الجوزاء».

الثامنة من الزوائد:

في ترجمة سعد بن طريف الحنظلي الإسكاف.

قال الشيخ رحمه الله في الرقم ٣٢٣، من الفهرست طبع النجف، ص ١٠٢: «سعد بن طريف الإسكاف، له كتاب، أخبرنا به جماعة عن أبي المفضل، عـن حميد، عن محمد بن موسىٰ خوراء عنه. وأخبرنا به أحمد بن محمد بن موسىٰ، عن أحمد بن أحمد بن محمد بن سعيد، عن الحسين بن أحمد بن الحسن، عن عمه عليّ ابن الحسن، عن عمر بن عثمان، عن أبي جيد [حميد «خ»] الحنظلي عنه.

وقال في باب السين، من أصحاب الإمام السجاد عليه السّلام من رجاله، ص ٩٢: «سعد بن طريف ابن الحنظلي الإسكاف، مولىٰ بني تميم، الكوفي، ويقال له سعد الخفاف، روىٰ عن الاصبغ بن نباتة، وهو صحيح الحديث».

وذكره أيضًا فيه، من باب السين، في أصحاب الإمام البـاقر والصـادق عليهما السّلام.

وقال النجاشي رحمه الله تحت الرقـم ٤٥٨، مـن الفـهرست: ص ١٣٥: «سعد بن طريف الحنظلي، مولاهم الإسكاف، كوفي، يعرف وينكر، روىٰ عـن الاصبـغ بن نباتة، وروىٰ عن أبي جعفر وأبي عبد الله عـليهما السّلام، وكـان

قاصًا، له كتاب رسالة أبي جعفر إليه، أخبرنا عدة عن أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثنا عليّ بن الحسن بن فضال، عن عمرو بن عثمان، عن أبي جميلة عن سعد».

التاسعة من الزوائد:

في ترجمة الأصبغ بن نباتة بن الحارث بن عمرو بن فاتك بن عامر بن مجاشع بن دارم من بني تميم(٣٢٨)، أبو القاسم التميمي الحنظلي الكوفي(٣٢٩).

أقول: بعد توثيق أمير المؤمنين عليه السّلام إياه بالصراحة، (كما تقدم في آخر باب الكتب من كتابنا هٰذا) وبعد أدنىٰ أنس برواياته، لا يخفىٰ على الفطن علو مقامه، وكونه فريدًا في التفاني في مرضاة الله، وولاء أهل البيت عليهم السّلام ولكن لابتلاء بعض النفوس بالوسوسة، وقصر همم نفوس آخرين عن التنقيب، ومراجعة الروايات، نذكر بعض ما قيل في شخصيته، وما روى الثقات عنه، فنقول:

قال في اختيار رجال الكشي رحمه الله تحت الرقم ٤٢،: «طاهر بن عيسى الوراق، قال حدثنا جعفر بن أحمد التاجر معنعنًا، عن ابن أبي الجارود، عن الاصبغ بن نباتة، قال: قلت للأصبغ: ما كان منزلة هٰذا الرّجل فيكم؟ فقال: ما أدري ما تقول: إلّا أن سيوفنا كانت علىٰ عواتقنا فمن أومى إليه ضربناه بها».

ورواه في كتاب الاختصاص: ط ٢، ص ٦٥، عن جعفر بن الحسين، عن محمد بن جعفر المؤدب، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبي الحسين صالح

---

(٣٢٨) هٰكذا نقله في أعيان الشيعة: ج ١٢، ٢٧٤، ط ٢، عن كتاب الطبقات الكبير لابن سعد. وأمّا وفاته، فالمحكي عن ابن حجر انه مات بعد الثالثة.

(٣٢٩) هٰكذا وصفه في تهذيب التهذيب، كما في أعيان الشيعة، ووصفه الشيخ رحمه الله بالتيمي الحنظلي في أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام من رجاله، وتقدم عن النجاشي رحمه الله وصفه بالمجاشعي، وكذا عن الشيخ رحمه الله في كتاب الفهرست، والعسكري في كتاب الزواجر والمواعظ.

ابن أبي حماد[٣٣٠] عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن محمد بن سنان، عن أبي الجارود، عن الأصبغ. ثم قال الكشي رحمه الله: «محمد بن مسعود قال: حدثني عليّ بن الحسن، عن مروك بن عبيد، قال حدثني إبراهيم أبو البلاد، عن رجل، عن الأصبغ، قال قلت له: كيف سميتم شرطة الخميس يا أصبغ؟ قال: انا ضمنا له الذبح، وضمن لنا الفتح، يعني أمير المؤمنين صلوات الله عليه».

ورواه في الاختصاص، عن جعفر بن محمد بن قولويه، عن جعفر بن محمد ابن مسعود، عن أبيه قال: حدثني عليّ بن الحسين، عن مروك بن عبيد قال: حدثني إبراهيم بن أبي البلاد، عن رجل، عن الأصبغ، إلىٰ آخر ما مر.

وأيضًا قال الكشي رحمه الله في الحديث الثاني، من ترجمة أويس، من رجاله ص ٩١: «وروى الحسن بن الحسين القمي، عن عليّ بن الحسن العرني، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة قال: كنا مع عليّ عليه السّلام بصفين فبايعه تسعة وتسعون رجلًا، ثم قال: أين تمام المائة، لقد عهد إليَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله، أنْ يبايعني في هٰذا اليوم مائة رجل. قال: إذ جاء رجل عليه قباء صوف، متقلدًا بسيفين، قال: ابسط يدك أبايعك. قال عليّ عليه السّلام: علىٰ ما تبايعني؟ قال: علىٰ بذل مهجة نفسي دونك. قال: من أنت؟ قال: أنا اويس القرني. قال: فبايعه فلم يزل يقاتل بين يديه، حتّىٰ قتل فوجد في الرجالة».

وفي رواية أخرىٰ: «قال له أمير المؤمنين عليه السّلام: كن اويسًا. قال: أنا أويس. قال: كن قرنيًا. قال: أنا أويس القرني».

وروى الشيخ المفيد رحمه الله في الاختصاص ط ٢، ص ٢٠٩، معنعنًا بسندين، عن الأصبغ بن نباتة[٣٣١] قال: «أتيت أمير المؤمنين عليه السّلام

---

(٣٣٠) من قوله: أبي الحسين صالح بن أبي حمّاد، إلىٰ آخر السند، هو الّذي طويناه في قولنا: «معنعنًا» في خبر الكشي، إلّا أنّ الكشي قال: أبو الخير صالح بن أبي حماد. وأيضًا قال عن ابن أبي الجارود، وفي غيرهما لا اختلاف بينهما.

(٣٣١) وهٰذا الحديث رواه عن الأصبغ جماعة كثيرة بأسناد عديدة، كما في الكافي: ج ١، ص ٣٣٨، والحديث ١٧، من الباب ٧، من البحار: طبع الكمباني، ج ١٣، ص ٢٩.

فوجدته متفكّرًا ينكت في الأرض، فقلت: يا أمير المؤمنين مالي أراك متفكّرًا تنكت في الأرض، أرغبة منك فيها؟ قال: لا والله، ولا في الدّنيا يومًا قطّ، ولكنّي فكرت في مولود يكون من ظهر الحادي عشر من ولدي، هو المهدي الّذي يملؤها عدلاً وقسطًا، كما ملئت ظلمًا وجورًا، يكون له حيرة وغيبة، يضل فيها أقوام، ويهتدي فيها آخرون. فقلت: إنّ هٰذا لكائن؟ قال: نعم كما أنّه مخلوق، فأنّى لك بهٰذا الأمر يا أصبغ، أولئك خيار هٰذه الأمّة مع خيار أبرار هٰذه العترة. قلت: وما يكون بعد ذلك؟ قال: الله يفعل ما يشاء، فإنّ لله إرادات وبداءات وغايات ونهايات».

وروى الصّدوق رحمه الله معنعنًا، عن الأصبغ، عن أمير المؤمنين أنّه كان يقول: «صاحب هٰذا الأمر الشريد الطريد الفريد الوحيد». كما في الحديث ٢٠، من الباب ٧، من البحار: ج ١٣، ص ٣٠، عن اكمال الدّين.

وفي الحديث ٢٩١، من كتاب الاختصاص ٢٢١، معنعنًا عن سعد الخفاف، عن الأصبغ بن نباتة، قال: «سألت أمير المؤمنين عليه السّلام عن سلمان الفارسي ـ رحمه الله عليه ـ وقلت: ما تقول فيه؟ قال: ما أقول في رجل خلق من طينتنا، وروحه مقرونة بروحنا، وخصه الله من العلوم بأولها وآخرها وظاهرها وباطنها، وسرّها وعلانيتها..».

وفي الحديث ٢٩٦، منه ص ٢٢٣، معنعنًا عن سعد بن طريف، عن الأصبغ، قال: «سمعت ابن عباس يقول: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ذكر الله عزّ وجلّ عبادة، وذكري عبادة، وذكر علي عبادة، وذكر الأئمة من ولده عبادة، والّذي بعثني بالنبوة، وجعلني خير البرية، إنّ وصيي لأفضل الأوصياء، وإنّه لحجة الله علىٰ عباده، وخليفته علىٰ خلقه، ومن ولده الأئمة الهداة بعدي، بهم يحبس الله العذاب عن أهل الأرض، وبهم يمسك السماء أنْ تقع على الأرض إلّا بإذنه، وبهم يمسك الجبال أنْ تميد بهم، وبهم يسقي خلقه الغيث، وبهم يخرج النبات، أولئك أولياء الله حقًّا، وخلفائي صدقًا، عدتهم عدة الشهور وهي اثنا عشر شهرًا، وعدتهم عدة نقباء موسىٰ بن عمران، ثم تلا عليه السّلام هٰذه الآية:

﴿والسماء ذات البروج﴾ ثم قال: أتقدر يا بن عباس أنّ الله يقسم بالسماء ذات البروج، ويعني به السماء وبروجها؟ قلت: يا رسول الله فما ذاك؟ قال: أمّا السماء فأنا، وأمّا البروج فالأئمة بعدي، أولهم علي، وآخرهم المهدي صلوات الله عليهم أجمعين».

وفي الحديث ٥٢٩، منه ص ٢٧٩، معنعنًا عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة، قال: «سمعت عليًّا عليه السّلام على المنبر يقول: سلوني قبل أنْ تفقدوني، فو الله ما من أرض مخصبة ولا مجذبة، ولا فئة تضل مائة أو تهدي مائة، إلاّ وعرفت قائدها وسائقها، وقد أخبرت بهٰذا رجلًا من أهل بيتي يخبر بها كبيرهم صغيرهم إلىٰ أنْ تقوم الساعة».

وفي الحديث ٥٤٢، منه ص ٢٨٣، معنعنًا عن الحارث بن الحصيرة، عن الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: «سمعته يقول: إنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله علمني ألف باب من الحلال والحرام، ممّا كان وممّا هو كائن إلىٰ يوم القيامة، كل باب منها يفتح ألف باب، فذلك ألف ألف باب، حتّىٰ علمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب».

وفي الحديث ٥٤٤، منه معنعنًا، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ قال: «أمرنا أمير المؤمنين عليه السّلام بالمسير إلى المدائن من الكوفة، فسرنا يوم الأحد، وتخلف عمرو بن حريث في سبعة نفر، فخرجوا إلىٰ مكان بالحيرة يسمى الخورنق، فقالوا نتنزه، فإذا كان يوم الأربعاء خرجنا فلحقنا عليًّا، قبل أنْ يجمع، فبينا هم يتغدون إذ خرج عليهم ضب فصادوه، فأخذه عمرو بن حريث فنصب كفه، فقال: بايعوا، هٰذا أمير المؤمنين، فبايعه السبعة وعمرو ثامنهم، وارتحلوا ليلة الأربعاء، فقدموا المدائن، يوم الجمعة، وأمير المؤمنين يخطب، ولم يفارق بعضهم بعضًا، كانوا جميعًا حتّىٰ نزلوا علىٰ باب المسجد، فلمّا دخلوا نظر إليهم أمير المؤمنين عليه السّلام، فقال: يا أيها النّاس إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أسرّ اليّ ألف حديث، في كلّ حديث ألف باب، لكل باب ألف مفتاح، وإني سمعت الله يقول ﴿يوم ندعوا كلّ أناس بإمامهم﴾ وإني أقسم لكم بالله ليبعثن يوم القيامة

ثمانية نفر بإمامهم، وهو ضب، ولو شئت أن أسميهم فعلت. قال: فلو رأيت عمرو ابن حريث سقط كما تسقط السعفة وجيبًا. وهٰذا الحديث له طرق أخر أيضًا.

وفي الحديث ٦٠٦، منه ص ٣٠٤، معنعنًا عن الأصبغ قال: كنا وقوفًا على أمير المؤمنين عليه السّلام بالكوفة وهو يعطي العطاء في المسجد، إذ جاءت امرأة فقالت: يا أمير المؤمنين أعطيت العطاء جميع الأحياء ما خلا هٰذا الحيّ من مراد لم تعطهم شيئًا. فقال: أسكتي يا جريئة يا بذية، يا سلفع يا سلقلق يا من لا تحيض كما تحيض النساء. قال: فولت فخرجت من المسجد، فتبعها عمرو بن حريث، فقال لها: أيتها المرأة قد قال عليّ فيك ما قال، أيصدق عليك؟ فقالت: والله ما كذب، وإنْ كلّ ما رماني به لفي، وما اطلع عليَّ أحد إلّا الّذي خلقني، وأمّي الّتي ولدتني. فرجع عمرو بن حريث فقال: يا أمير المؤمنين تبعت المرأة فسألتها عمّا رميتها به في بدنها فأقرت بذلك كلّه، فمن أين علمت ذلك؟ فقال: إنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله، علمني ألف باب من الحلال والحرام يفتح كلّ باب ألف باب، حتّىٰ علمت المنايا والوصايا وفصل الخطاب، وحتّىٰ علمت المذكرات من النساء، والمؤنثين من الرّجال. وهٰذا الحديث أيضًا له طرق أخر.

وفي الحديث ٦٢٢، من الكتاب ٣١٠، معنعنًا عن سعد بن طريف الإسكاف، عن الأصبغ بن نباتة، قال: «إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام صعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: يا أيها النّاس إنّ شيعتنا من طينة مخزونة، قبل أنْ يخلق الله آدم بألفي عام، لا يشذ منها شاذ، ولا يدخل فيها داخل، وإني لأعرف صديقي من عدوي حين أنظر إليهم، لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله، لما تفل في عيني وكنت أرمد، قال: اللّهم أذهب عنه الحر والبرد، وبصّره صديقه من عدوّه، فلم يصبني رمد ولا حر ولا برد، وإني لأعرف صديقي من عدوي، فقام رجل من الملأ فسلم، ثم قال: والله يا أمير المؤمنين إني لأدين الله بولايتك، وإني لأحبك في السر كما اظهر لك في العلانية. فقال له عليّ عليه السّلام: كذبت فو الله ما أعرف اسمك في الأسماء، ولا وجهك في الوجوه، وان طينتك لمن غير تلك الطينة. فجلس الرجل قد فضحه الله وأظهر عليه. ثم قام آخر فقال: يا أمير

المؤمنين إني لأدين الله بولايتك، وإني لأحبك في السر كما أحبك في العلانية. فقال له: صدقت، طينتك من تلك الطينة، وعلىٰ ولايتنا أخذ ميثاقك، وإنّ روحك من أرواح المؤمنين..».

وفي الحديث ٦٢٣، منه ص ٣١١، معنعنًا عن الحسين بن علوان الكلبي، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة، قال: «كنت مع أمير المؤمنين عليه السّلام، فأتاه رجل فسلم عليه، ثم قال: يا أمير المؤمنين إني والله لأحبك في الله، وأحبك في السر كما أحبك في العلانية، وأدين الله بولايتك في السر كما أدين بها في العلانية، وبيد أمير المؤمنين عود، طأطأ رأسه، ثم نكت بالعود ساعة في الأرض، ثم رفع رأسه إليه، فقال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله حدثني بألف حديث لكلّ حديث ألف باب، وان أرواح المؤمنين تلتقي في الهواء فتشم وتتعارف، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، وبحقّ الله لقد كذبت، فما أعرف وجهك في الوجوه، ولا اسمك في الأسماء. ثم دخل عليه رجل آخر فقال: يا أمير المؤمنين إني لأحبك في السر كما أحبك في العلانية. قال، فنكت الثانية بعوده في الأرض، ثم رفع رأسه فقال له: صدقت، إنّ طينتنا طينة مخزونة، أخذ الله ميثاقها من صلب آدم، فلم يشذ منها شاذ، ولا يدخل فيها داخل من غيرها..»

هٰذا قليل من كثير ممّا رواه الأصبغ عن أمير المؤمنين عليه السّلام وبه يتبين وجه تضعيف حديثه عند الجمهور إلّا الشاذ منهم ممّن لم يطلع علىٰ مروياته، فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين.

وقال نصر بن مزاحم في كتاب صفين: «كان أصبغ من ذخائر عليّ عليه السّلام، ممّن قد بايعه على الموت، وكان من فرسان أهل العراق، وكان عليّ عليه السّلام يضن به على الحرب والقتال، وكان شيخًا ناسكًا عابدًا، وحضض عليّ عليه السّلام أصحابه، فقام إليه الأصبغ فقال: إنّك جعلتني علىٰ شرطة الخميس، وقدمتني في الثقة دون النّاس، وإنك اليوم لا تفقد مني صبرًا ولا نصرًا، أمّا أهل الشام فقد هدهم ما أصبنا منهم، ونحن ففينا بعض البقية، فاطلب بنا أمرك،

وائذن لي في التقدم. فقال عليه السّلام: تقدم ..».

أقول: تقدم قول الشيخ والنجاشي رحمه الله في حقّه عند ختام الوصيّة الشريفة، فلا نطيل الكلام ممّا ذكر، وتقدم أيضًا قصة دخوله علىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام وما قال له، وما أجابه عليه السّلام في تعليقات المختار ٥ و٩، فراجع.

العاشرة من الزوائد:

في ترجمة شيخ النجاشي وأستاذه رحمهما الله جميعًا وهو عبد السّلام بن الحسين الأديب الواقع في أوّل سنده، المولود سنة ٣٢٩، والمتوفىٰ سنة ٤٠٥، وقد تقدم في ترجمة الدوري ما أطراه به النجاشي رحمه الله.

وقال الخطيب في الرقم ٥٧٣٩، من تاريخ بغداد: ط ١، ج ١١، ص ٥٧، السطر الأخير: «عبد السّلام بن الحسين بن محمد، أبو أحمد البصري اللغوي، سكن بغداد، وحدّث بها عن محمد بن إسحاق بن عباد التمار، وجماعة من البصريين، حدثني عنه عبد العزيز الأزجي وغيره، وكان صدوقًا عالمًا أديبًا، قارئًا للقرآن، عارفًا بالقراءات، وكان يتولىٰ ببغداد النظر في دار الكتب، وإليه حفظها والإشراف عليها، سمعت أبا القاسم عبيد الله بن علي الرقي الأديب يقول: كان عبد السّلام البصري من أحسن النّاس تلاوة للقرآن، وانشادًا للشعر، وكان سمحًا سخيًّا وربما جاءه السائل وليس معه شيء يعطيه، فيدفع إليه بعض كتبه الّتي لها قيمة كثيرة وخطر كبير.

حدثني عليّ بن المحسن التنوخي: أنَّ عبد السّلام البصري توفي في يوم الثلاثاء التاسع عشر من المحرم سنة خمس وأربعمائة.

قال غيره: ودفن في مقبرة الشونيزي عند قبر أبي عليّ الفارسي، وكان مولده في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة.

وقال العلامة الرازي رحمه الله ظلّه في (ازاحة الحلك الدامس) المخطوط

ص٤٩: الشيخ أبو أحمد عبد السّلام بن الحسين بن محمد بن عبدالله البصري، ويعبر عنه بعبد السّلام الأديب، أو أبي أحمد عبد السّلام بن الحسين البصري، من مشايخ الشيخ أبي العباس أحمد بن عليّ النجاشي المتوفىٰ سنة ٤٥٠ كما يظهر من ترجمة جعفر بن محمد المؤدب وغيرها، وهو يروي عن الدوري، وعن أبي القاسم الحسن بن بشير بن يحيى الّذي يروي عن محمد بن أحمد المفجع، كما في ترجمة أحمد بن عبدالله بن جلين الدوري والمفجع من النجاشي، ويروي عنه أيضًا بعض مشايخ النجاشي، وهو أحمد بن عبدون المعروف بابن الحاشر، المتوفىٰ سنة ٤٢٣.

والشيخ الطوسي ما أدركه بعد وروده العراق سنة ٤٠٨، وإنّما يروي عنه بواسطة ابن عبدون المذكور في الفهرست، في ترجمة محمد بن جرير العامي، انتهىٰ بتلخيص ما».

الحادية عشرة من الزوائد:

في ترجمة أحمد بن محمد بن سعيد، المعروف بأبي العباس ابن عقدة، المولود سنة ٢٤٩، المتوفىٰ سنة ٣٣٣ هـ

وهو من مشايخ ثقة الإسلام الكليني رحمه الله وجماعة كثيرة من علماء الإسلام، وصيته أشهر من أن يذكر، وخبرته وتضلعه في العلوم الإسلامية فوق أن يوصف، ولذا تلقى الفريقان رواياته بالقبول، مع كونه تابعًا ومؤمنًا بمناقب بعض أئمة أهل البيت عليهم السّلام، وهو ذنب غير مغفور عند بعض من يدعي الإسلام، لا سيما إذا أضيف إلىٰ ما ذكر، إفراده رسالة في تواتر حديث الغدير، واثباته من طريق مائة وخمسة أنفار من الصحابة، وبالجملة فهو من أعاظم الثقات، متفق عليه بين الفريقين، ونكتفي بشاهدين من الطّرفين:

الشاهد الأوّل ـ قال الشيخ أبو جعفر الطوسي أعلى الله مقامه في كتاب فهرست مصنفي الشيعة ط ٢، ص ٥٢، تحت الرقم ٨٦: «أحمد بن محمد بن سعيد

ابن عبد الرحمٰن بن زياد بن عبيد الله بن زياد بن عجلان، مولىٰ عبد الرحمٰن بن سعيد بن قيس السبيعي الهمداني، المعروف بابن عقدة الحافظ، أخبرنا بنسبه أحمد بن عبدون، عن محمد بن أحمد بن الجنيد، وأمره في الثقة والجلالة وعظم الحفظ أشهر من أن يذكر، وكان زيديًا جاروديًا، وعلىٰ ذلك مات، وإنّما ذكرناه في جملة أصحابنا لكثرة روايته عنهم وخلطته بهم، وتصنيفه لهم، وله كتب كثيرة، منها كتاب التاريخ وهو في ذكر من روى الحديث من النّاس كلّهم العامة والشيعة وأخبارهم، خرج منه شيء كثير ولم يتمه، وكتاب السنن، وهو عظيم، قيل إنّه حمل بهيمة، لم يجتمع لأحد وقد جمعه هو، وكتاب من روىٰ عن أمير المؤمنين عليه السّلام ومسنده [وأسنده «خ»]، وكتاب من روىٰ عن الحسن والحسين عليهما السّلام، وكتاب من روىٰ عن عليّ بن الحسين عليه السّلام وأخباره، وكتاب من روىٰ عن أبي جعفر محمد بن عليّ عليه السّلام واخباره، وكتاب من روىٰ عن زيد ابن عليّ ومسنده، وكتاب الرّجال وهو كتاب من روىٰ عن جعفر بن محمد عليه السّلام، وكتاب الجهر ببسم الله الرحمٰن الرحيم، وكتاب اخبار أبي حنيفة ومسنده، وكتاب الولاية ومن روىٰ يوم غدير خم، وكتاب فضل الكوفة، وكتاب من روىٰ عن عليّ عليه السّلام أنّه قسيم الجنة والنّار، وكتاب الطائر، ومسند عبدالله بن بكير بن أعين، وحديث الراية، وكتاب الشورىٰ، وكتاب ذكر النبيّ صلّى الله عليه وآله والصخرة والراهب وطرق ذلك، وكتاب الآداب وهو كتاب كبير يشتمل علىٰ كتب كثيرة [مثل كتاب المحاسن] وكتاب طرق تفسير قول الله عزّ وجلّ: ﴿إنّما أنتَ مُنذر ولكلّ قوم هاد﴾ وكتاب طرق حديث النبيّ صلّى الله عليه وآله لعليّ عليه السّلام «أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ» وكتاب تسمية من شهد مع أمير المؤمنين عليه السّلام حروبه من الصحابة والتابعين، وكتاب الشيعة من أصحاب الحديث، وله كتاب من روىٰ عن فاطمة عليها السّلام من أولادها، وله كتاب يحيىٰ بن الحسين بن زيد وأخباره.

أخبرنا بجميع رواياته وكتبه أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسىٰ

الأهوازي، وكان معه خط أبي العباس باجازته، وشرح رواياته وكتبه، عن أبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد، ومات أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد هٰذا بالكوفة، سنة ٣٣٣ ثلاث وثلاثين وثلاث مائة».

وذكر المحقق النجاشي رحمه الله تحت الرقم ٢٢٧، من رجاله ٧٣، ثم قال: «هٰذا رجل جليل في أصحاب الحديث، مشهور بالحفظ، والحكايات تختلف عنه في الحفظ وعظمه ـ ثم ساق الكلام كما ذكرناه عن شيخ الطائفة رحمه الله، وزاد علىٰ ما ذكره الشيخ كتاب صلح الإمام الحسن عليه السّلام ومعاوية، ثم قال ـ: هٰذه الكتب هي الّتي ذكرها أصحابنا وغيرهم ممّن حدثناه عنه، ورأيت له كتاب تفسير القرآن، وهو كتاب حسن، وما رأيت أحدًا ممّن حدثناه عنه ذكره، وقد لقيت جماعة ممّن لقيه وسمع منه وأجازه منهم من أصحابنا. ومن العامة ومن الزيدية، ومات أبو العباس بالكوفة سنة ٣٣٣ ثلاث وثلاثين وثلاثمائة».

والشاهد الثاني ـ ما حكي عن طبقات الحفّاظ ص ١٥١/٩٣ للسيوطي في الطبقة الحادية عشرة. وهٰذا لفظه: «ابن عقدة حافظ العصر، والمحدث البحر أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي مولىٰ بني هاشم، أبوه نحوي صالح يلقب عقدة، سمع أممًا لا يحصون وكتب عن العالي والنازل حتّىٰ عن أصحابه، وكان إليه المنتهىٰ في قوة الحفظ، وكثرة الحديث، ورحلته قليلة، ألف وجمع، حدث عنه الدارقطني، وقال: أجمع أهل الكوفة انّه لم ير بها من زمن ابن مسعود إلىٰ زمنه احفظ منه. وعنه أحفظ مائة ألف حديث بأسنادها، وأجيب عن ثلاثمائة ألف حديث من حديث أهل البيت وبني هاشم.

وقال أبو علي: ما رأيت أحفظ منه لحديث الكوفيين، وعنده تشيع. ولد سنة ٢٤٩، ومات في ذي القعدة سنة أثنتين وثلاثين وثلاثمائة».

ومثله بعينه مع زيادات لطيفة في تذكرة الحفاظ: طبع الهند، ج ٣، ص ٥٧، تحت الرقم ٤٩، من حفاظ الطبقة الحادية عشرة. وفصل الكلام في ترجمته وموارد استشهاد العامة بكلامه في عبقات الأنوار: مجلد الغدير ص ١٤، الىٰ ٤٢.

وأمّا أحمد بن عبد الرحمٰن بن فضال القاضي، والحسن بن محمد بن أحمد، اللذان يروي عنهما العسكري فلم أطلع علىٰ ترجمتها إلى الآن، والظاهر أنّهما من علماء أهل السنة».

وأمّا أحمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، فلم أجده فيما عندي من كتب الرّجال معنونًا، نعم ذكر الشيخ رحمه الله في باب من لم يرو عنهم عليهم السّلام من رجاله ـ باب الحسن ـ تحت الرقم ٢٢، ط ١، ص ٤٦٤ ما هٰذا لفظه: «الحسن بن محمد بن أحمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، يكنىٰ أبا محمد، روىٰ عنه التلعكبري وسمع منه سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وما بعدها، وكان ينزل بالرميلة ببغداد، وله منه اجازة». .لا شك ان الحسن هٰذا من أحفاد المترجم لا غير.

وأمّا الحسن بن علوان الواقع في بعض نسخ سند العسكري فقد أسلفنا في ترجمة أخيه الحسين أنّه ثقة، وحكي في الخلاصة عن المحدث الخبير، والعالم البصير ابن عقدة أنّه قال: «إنَّ الحسن بن علوان كان أوثق وأحمد من أخيه عند أصحابنا».

وأمّا الحسن بن عبدك، فقد مضىٰ في الخامسة من الزوائد ما يستعلم به حاله ومذهبه.

ـ ٧ ـ

ومن وصية له عليه السّلام

الى السّبط الشّهيد أبي عبدالله الحسين عليه السّلام

يا بُنَيَّ أُوصيكَ بِتَقْوَى الله في الغِنَىٰ وَالفَقْرِ[١]. وَكَلِمَةِ الحَقِّ في الرِّضا وَالغَضَبِ، وَالقَصْدِ فِي الغِنىٰ وَالفَقْرِ، وَبالْعَدْلِ عَلَى الصَّديقِ وَالعَدُوِّ، وَبالعَمَلِ في النَشاطِ وَالكَسَلِ، وَالرِّضا عَنِ اللهِ في الشِّدةِ وَالرَّخاءِ.

أي بُنَيَّ! ما شَرٌّ بَعْدَهُ الجَنَّةُ بِشَرٍّ، وَلا خَيْرٌ بَعْدَهُ النّارُ بِخَيْرٍ، وَكُلُّ نَعيمٍ دُونَ الجَنَّةِ مَحْقُورٌ، وَكُلُّ بَلاءٍ دُونَ النّارِ عافِيَةٌ[٢].

وَاعْلَمْ أَيْ بُنَيَّ أَنَّهُ مَنْ أَبْصَرَ عَيْبَ نَفْسِهِ شَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ[٣]، وَمَنْ تَعَرَّىٰ مِنْ لِباسِ التَقْوىٰ لَمْ يَسْتَتِرْ بِشَيْءٍ مِنَ اللِّباسِ، وَمَنْ رَضِيَ بِقِسَمِ اللهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَىٰ ما فاتَهُ. وَمَنْ سَلَّ سَيفَ البَغْيِ قُتِلَ بِهِ، وَمَنْ حَفَرَ بِئْرًا لأَخِيهِ وَقَعَ فِيها[٤]، وَمَنْ هَتَكَ حِجابَ غَيرِهِ انْكَشَفَتْ عَوْرَاتُ بَيْتِهِ[٥]، وَمَنْ نَسِيَ خَطِيئَتَهُ

(١) وقريب من هٰذا الصدر تقدم في المختار الثالث، وهي وصيّته عليه السّلام إلىٰ أصحابه.

(٢) من قوله عليه السّلام: ما شرّ بعده الجنة بشرّ، إلىٰ قوله عليه السّلام: وكلّ بلاء دون النار عافية، مذكور في غير واحد من كلمه الشريفة، كما في آخر الخطبة الأُولىٰ، من نهج السعادة.

(٣) هٰذه الجملة أيضًا قد نطق عليه السّلام بها في غير واحد من كلماته الشريفة كما في وصيّته عليه السّلام إلى السبط الأكبر، المختار ٣١، من كتب النهج.

(٤) من قوله عليه السّلام: من سلّ سيف البغي قتل به، إلىٰ قوله عليه السّلام: عورات

اسْتَعْظَمَ خَطِيئَةَ غَيْرِهِ، وَمَنْ كابَدَ الأُمُورَ عَطِبَ[٦]، وَمَنِ اقْتَحَمَ الْغَمَراتِ غَرِقَ، وَمَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ، وَمَنِ اسْتَغْنىٰ بِعَقْلِهِ ذَلَّ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ ذَلَّ، وَمَنْ خالَطَ الْعُلَماءَ وُقِّرَ، وَمَنْ خالَطَ الأَنْذالَ حُقِّرَ[٧]. وَمَنْ سَفِهَ عَلَى النّاسِ شُتِمَ، وَمَنْ دَخَلَ مَداخِلَ السُّوءِ اتُّهِمَ، وَمَنْ مَزَحَ اسْتُخِفَّ بِهِ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ، وَمَنْ كَثُرَ كَلامُهُ كَثُرَ خَطَؤُهُ، وَمَنْ كَثُرَ خَطَؤُهُ قَلَّ حَياؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حياؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ ماتَ قَلْبُهُ وَمَنْ ماتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النّارَ.

أَيْ بُنَيَّ مَنْ نَظَرَ في عُيُوبِ النَّاسِ وَرَضِيَ لِنَفْسِهِ بِها فَذٰلِكَ الأَحْمَقُ بِعَيْنِهِ، وَمَنْ تَفَكَّرَ اعْتَبَرَ، وَمَنِ اعْتَبَرَ اعْتَزَلَ، وَمَنِ اعْتَزَلَ سَلِمَ، وَمَنْ تَرَكَ الشَّهَواتِ كانَ حُرًّا، وَمَنْ تَرَكَ الْحَسَدَ كانَتْ لَهُ المَحَبَّةُ عِنْدَ النّاس. أَيْ بُنَيّ عِزُّ الْمُؤْمِنِ غِناهُ عَنِ النّاسِ، وَالْقَناعَةُ مالٌ لا يَنْفَدُ، وَمَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيا بِالْيَسيرِ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلامُهُ إلّا فيما يَنْفَعُهُ[٨]. أي بُنَيَّ العَجَبُ مِمَّنْ يَخافُ العِقابَ فَلَمْ يَكُفَّ، وَرَجا الثَّوابَ فَلَمْ يَتُبْ وَيَعْمَلْ. أيْ بُنَيّ الفِكْرَةُ تُورِثُ نُورًا، وَالغَفْلَةُ ظُلْمَةٌ، والْجَهالَةُ ضَلالَةٌ،

← بيته، ذكره في الفصل ٣٦. وما بعده من كنز الفوائد ٥٧. إلّا ان فيه: ومن هتك حجاب أخيه، هتك عورات بيته.

(٥) وفي بعض النسخ: انكشفت عوراته.

(٦) من هنا إلىٰ قوله عليه السّلام: ومن مات قلبه دخل النّار، ذكره في المختار ١٣، وهو وصيّته عليه السّلام إلى السّبط الأكبر إلّا بعض جمله. يقال: فلان يكابد الأمور، أي يقاسيها ويتحمل المشاق في فعلها بلا اعداد أسبابها. وعطب فلان، أي هلك. والغمرات: الشدائد. وفي النهج: ومن اقتحم اللّجج غرق.

(٧) الأنذال ـ جمع النّذل ـ وهو الخسيس من النّاس الدنيء في الأعمال والرويات.

(٨) وفي المختار ٣٤٩، من قصار النهج، طبع مصر: قل كلامه إلّا فيما يعنيه. وما هنا من قوله عليه السّلام: إنّه من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره. قريب جدًا ممّا في المختار المشار إليه. إلاّ أنّ هنا زيادة ليست ثمّة.

وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَالأَدَبُ خَيْرُ مِيراثٍ، وَحُسْنُ الخُلْقِ خَيْرُ قَرِينٍ، لَيْسَ مَعَ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ نِماءٌ، وَلا مَعَ الفُجُورِ غِنًى. أيْ بُنَيَّ العافِيَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ تِسْعَةٌ مِنْها فِي الصَّمْتِ إلّا بِذِكْرِ اللهِ، وَواحِدَةٌ في تَرْكِ مُجالَسَةِ السُّفَهاءِ. أي بُنَيَّ مَنْ تَزَيّا(٩) بِمَعاصِي اللهِ في المَجالِسِ أورَثَهُ اللهُ ذُلّاً، وَمَنْ طَلَبَ العِلْمَ عُلِّمَ. يا بُنَيّ رَأسُ العِلْمِ الرِّفْقُ، وَآفَتُهُ الخُرْقُ(١٠)، وَمِنْ كُنُوزِ الإيمانِ الصَّبْرُ عَلَى المَصائِبِ، وَالْعَفافُ زِينَةُ الفَقْرِ، وَالشُّكْرُ زِينَةُ الغِنىٰ، كَثْرَةُ الزِّيارَةِ تُورِثُ المَلالَةَ، وَالطُّمأنِينَةُ قَبْلَ الخُبْرَةِ ضِدُّ الحَزْمِ(١١)، وَإعْجابُ المَرْءِ بِنَفْسِهِ يَدُلُّ عَلىٰ ضَعْفِ عَقْلِهِ. أيْ بُنَيّ كَمْ نَظْرَةٍ جَلَبَتْ حَسرَةً، وَكَمْ مِنْ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً، لا شَرَفَ أعْلىٰ مِنَ الإسْلامِ، وَلا كَرَمَ أعَزُّ مِنَ التَّقْوىٰ وَلا مَعْقِلَ أَحْرَزُ مِنَ الْوَرَعِ وَلا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التوْبَةِ(١٢)، وَلا لِباسَ أجْمَلُ مِنَ العافِيَةِ، وَلا مالَ أذْهَبُ بِالْفاقَةِ مِنَ الرِّضا بِالْقُوتِ وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلىٰ بُلْغَةِ الكَفافِ تَعَجَّلَ الرّاحةَ وَتَبَوَّأَ خَفْضَ الدَّعَةِ(١٣). أيْ بُنَيّ الحِرْصُ مِفْتاحُ التَعَبِ

(٩) أي من جعل زيّه وعنوانه في المجتمع ومرأى النّاس المعاصي وارتكابها، يجعله الله ذليلًا ويبدّل عزّه بالذلّ، وذلك لمجاهرته بهتك حرمات الله واعلانه بالطغيان ومبارزته بالتمرد والعصيان.

(١٠) الخرق ـ ضد الرفق ـ وهو الشدة وفظاظة القلب وغلظته.

(١١) الطمأنينة: توطين النفس وتسكينها. والخبرة ـ بالضم ـ: العلم بالشيء. والحزم: ضبط الشيء وإحكامه والأخذ فيه بالثقة.

(١٢) المعقل: الحصن والملجأ، والورع أمنع الحصون وأحرزها عن عذاب الله. والنجاح: الظفر والفوز، أي لا يظفر المكلف بشفاعة شفيع بالنجاة من سخط الله وعذابه مثل ما يظفر بالتوبة.

(١٣) البلغة ـ بالضم ـ: ما يتبلغ به من القوت، ولا فضل فيه. والكفاف ـ بفتح الكاف ـ من الرزق: ما لا زيادة فيه ولا نقصان، بل يكون قدر الحاجة. والخفض: لين العيش وسعته. والدعة ـ بالتحريك ـ: الراحة. والإضافة للمبالغة، أي تمكن واستقر في متسع الراحة.

وَمَطِيَّةُ النَّصَبِ[١٤] وَداعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ في الذُّنُوبِ، وَالشَّرَهُ جامِعٌ لِمَساوِئ الْعُيُوبِ[١٥]، وَكَفاكَ أَدَبًا لِنَفْسِكَ ما كَرِهْتَهُ مِنْ غَيرِكَ. لِأَخِيكَ عَلَيكَ مِثْلُ الَّذِي لَكَ عَلَيْهِ وَمَن تَوَرَّطَ فِي الأُمُورِ بِغَيرِ نَظَرٍ في العَواقِبِ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلنَّوائِبِ. التَّدْبِيرُ قَبْلَ العَمَلِ يُؤْمِنُك النَّدَمَ، مَنِ ٱسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الآراءِ عَرَفَ مَواقِعَ الخَطَإِ، الصَّبْرُ جُنَّةٌ مِنَ الفاقَةِ، البُخْلُ جِلْبابُ[١٦] المَسْكَنَةِ، الحِرْصُ عَلامَةُ الفَقْرِ، وَصُولٌ مُعْدِمٌ خَيْرٌ مِنْ جافٍ مُكْثِرٍ[١٧] لِكُلِّ شَيءٍ قُوتٌ وَابْنُ آدَمَ قُوتُ المَوْتِ. أيْ بُنَيَّ لا تُؤْيِسْ مُذْنِبًا، فَكَمْ مِنْ عاكِفٍ عَلىٰ ذَنْبِهِ خُتِمَ لَهُ بِخَيْرٍ، وَكَمْ مِنْ مُقْبِلٍ عَلىٰ عَمَلِهِ مُفْسِدٌ فِي آخِرِ عُمْرِهِ صائِرٌ إِلَى النّارِ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْها. أيْ بُنَيَّ كَمْ مِنْ عاصٍ نَجا، وَكَمْ مِنْ عاقِلٍ هَوىٰ، مَن تَحَرَّى ٱلْقَصْدَ خَفَّتْ عَلَيهِ المُؤَنُ[١٨]، في خِلافِ النَّفْسِ رُشدُها، السّاعاتُ تَنقُصُ الأَعْمارَ، وَيْلٌ لِلباغِينَ مِنْ أَحْكَمِ الْحاكِمينَ، وَعالِمِ ضَمِيرِ الْمُضْمِرِينَ. يا بُنَيَّ بِئْسَ الزّادُ إِلَى الْمَعادِ العُدْوانُ عَلَى الْعِبادِ، في كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ وَفي كُلِّ أُكْلَةٍ

---

(١٤) النصب ـ بالتحريك ـ: أشد التعب.

(١٥) الشره ـ علىٰ زنة الفرح ـ: الحرص الغالب. وفي بعض النسخ: الشَّرَّة ـ علىٰ زنة الهرة ـ وهي الحدّة، النشاط، الغضب، الطيش، الحرص.

(١٦) ـ الجلباب والجلّباب ـ بسكون اللام وشدها ـ: الثوب الواسع الّذي يغطي جميع البدن.

(١٧) الوصول ـ كصبور ـ: الّذي يصل القرابة والمودة اللاحقة بالسابقة ولا يقطعها، ويداوم على المعروف ولا يهجرها. والمعدم: الفقير. وجاف: اسم فاعل من قولهم: جفاه يجفوه جفاء، أي أعرض عنه، وقسا قلبه عليه، وغلظ طبعه، لازم ومتعد. والمكثر: الكثير المال. ومراده عليه السّلام أنَّ من يدوم على الوصل والأنس مع فقره، خير من قسي القلب الكثير المال الّذي يعرض عن الأرحام والأصدقاء.

(١٨) التحري: اختيار أصوب الوجوه. والمؤن ـ بضم الميم وفتح الهمزة ـ جمع المؤونة، وهي القوت وما يصرفه الإنسان في سبيل إعاشته وطريق حياته وحياة من كان تحت كفالته، ويعد من عياله.

غُصَصٌ[١٩] لَنْ تَنالَ نِعْمَةً إلّا بِفِراقِ أُخْرىٰ، ما أقْرَبَ الرّاحَةِ مِن النَّصَبِ، وَالبُؤسِ مِنَ النَّعِيمِ وَالمُوتِ مِنِ الحَياةِ، وَالسَّقَمِ مِنَ الصِّحَةِ، فَطُوبىٰ لِمَنْ أخْلَصَ لله عَمَلَهُ وَعِلْمَهُ وَحُبَّهُ وَبُغْضَهُ وَأَخْذَهُ وَتَرِكَهُ وَكَلامَهُ وَصَمْتَهُ وَفِعْلَهُ وَقَوْلَهُ[٢٠] وَبَخٍ بَخٍ لِعَالِمٍ عَمِلَ فَجَدَّ، وَخافَ البَيّاتَ[٢١] فَأَعَدَّ وَاسْتَعَدَّ، إنْ سُئِلَ نَصَحَ وَإنْ تُرِكَ صَمَتَ كَلامُهُ صَوابٌ وَسُكُوتُهُ مِنْ غَيْرِ عِيٍّ جَوابٌ[٢٢] والوَيْلُ لِمَنْ بُلِيَ بِحِرمانٍ وَخِذْلانٍ وَعِصيانٍ فَاستَحْسَنَ لِنَفسِهِ ما يَكْرَهُهُ مِنْ غَيرِهِ وَأزْرىٰ[٢٣] عَلَى النّاسِ بِمِثْلِ ما يَأتِي؛ وَاعْلَمْ أيْ بُنَيَّ أنَّهُ مَنْ لانَتْ كَلِمَتُهُ وَجَبَتْ مَحَبَّتُهُ. وَفَّقَكَ اللهُ لِرُشْدِهِ وَجَعَلَكَ مِنْ أهْلِ طاعَتِهِ بِقُدْرَتِهِ إنَّهُ جَوادٌ كَرِيمٌ.

تحف العقول ٨٨، وفي نسخة ص ٥٨، ونقلها باختصار في آخر الباب

---

(١٩) قال في أقرب الموارد: الشرق ـ محركة ـ: الشمس، وقد يطلق على ما يشرق به. يقال شرق الرّجل، أي غص بريقه. وهو من باب علم، ومصدره على زنة البرق. ولا يبعد أنْ يكون بضم الشين جمعًا للشرقة بفتحها، كالغصص فإنّه جمع للغصّة، وهي الشجا. وقال الليث: الغصة الشجا يغص به في الحرقدة. والغصص ـ بفتح أوّله ـ مصدر قولك: غصّ يغصّ ـ من باب منع ومدّ ـ بالطعام والماء أي شرق به، أو وقف في حلقه فلا يكاد يسيغه، ومنعه من التنفس فهو غاص وغصان، وخص بعضهم به الماء.

(٢٠) وقال الإمام الصادق عليه السّلام في كلام له مع حفص بن غياث: ومن تعلم وعمل لله دعي في ملكوت السماوات عظيمًا، فقيل: تعلم لله وعمل لله، وعلم لله، الخ.

(٢١) بخ ـ بالتخفيف والتثقيل ـ اسم فعل للمدح واظهار الرّضا بالشيء ويكرر للمبالغة فيقال بخ بخ، بالكسر والتنوين. والبيات: هجوم المكاره ليلًا، وحلول المساءة (من اغارة عدو أو فقدان حبيب أو ضياع بضاعة) فيها.

(٢٢) العي ـ بكسر العين ـ: العجز من الكلام، يقال: عيي ـ كحي من باب علم عيا ـ على زنة ندّ وضد ـ في المنطق: حصر، فهو عي وعيي ـ كحي ودوي ـ، ومنه المثل: هو أعيا من باقل.

(٢٣) ازرى وتزرى عليه عمله، أي عاتبه أو عابه عليه ووضع من حقه.

١٠٠ من آخر ينابيع المودة ص ٥١٩. وغير خفي على الخبير أنّ ما في هٰذه الوصيّة الشريفة فوق حد الاستفاضة، كما يعلم بأدنىٰ إلمام بوصيّته عليه السّلام إلى الحسن الزكي عليه السّلام ـ وهو المختار ٣١، من الباب الثاني، من النهج ـ وبوصيّته عليه السّلام إلىٰ محمد بن الحنفية رحمه الله ـ وقد سبق ذكرها في هٰذا الكتاب ـ وبالرجوع إلىٰ خطبة الوسيلة. فضلًا عمن أحاط خبرًا بكلامه عليه السّلام في نهج البلاغة ونهج السعادة.

وقد وجدت الوصيّة الشريفة ـ بمغايرة جزئية في بعض الجمل وكلماتها ـ ملحقة بمخطوطة من كتاب نهج البلاغة والموجودة في مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله كما أنّ المناجاة الإلـٰهيّة الّتي ذكرناها في باب الدعاء أيضًا كانت ملحقة ومكتوبة بعد نهج البلاغة المذكورة بخطّ نسخ واحد جليّ، كما أنّ أبيات الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام كانت مذكورة هناك بنفس الخطّ، وكذلك كتاب نثر الدرر؛ ولكن كاتب الكتب المذكورة لم يذكر مصدرًا وأصلًا لهٰذه الكتب، كما لم يذكر تاريخ نسخه للكتب المذكورة، ونسخة النهج المذكورة ناقصة من آخرها ووصلت إلى المختار: (٣١٦) من الباب الثالث وهو قوله عليه السّلام: أنا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجار.

وأيضًا قبل نهج البلاغة بنفس الخطّ كتاب روائي آخر، والمظنون أن النسخة كتبت في القرن التاسع وما حولها، والكاتب إمّا زيدي أو سنيّ من جهة تعبيره عن الإمام الحسن عليه السّلام بأمير المؤمنين في الوصيّة المذكورة.

ورواه أيضًا الزبير بن بكّار المتوفّىٰ سنة ٢٥٥ هـ كما في فضائل عليّ عليه السّلام من كتاب الجوهرة ـ لمحمد بن أبي بكر الأنصاري التلمساني ـ ص ٨٧. وفيه أنّه عليه السّلام أوصىٰ إلى الحسن.

ورواه أيضًا أبو منصور الثعالبي عبد الملك بن محمد المتوفّىٰ سنة (٤٣٠) في كتاب الإعجاز والإيجاز ص ٣٣ علىٰ ما رواه عنه عليّ جلال الحسيني في كتابه الحسين عليه السّلام ص ٤٨، ط مصر، وكأن ما فيه أطول ممّا هنا، فراجعه أو تلخيصه للفخر الرازي علىٰ ما في كشف الظنون: ج ١، ص ١٢٠.

ـ ٨ ـ

ومن وصية له عليه السّلام

لمّا ضربه ابن ملجم المرادي لعنه الله

ثقة الإسلام الكليني قدس الله نفسه الزكيّة. عن الحسين بن الحسن الحسني، رفعه[1].

و[عن] محمد بن الحسن عن إبراهيم بن إسحاق الأحمري، رفعه، قال: «لمّا ضُرب أمير المؤمنين عليه السّلام حفّ به العوّاد[2] وقيل له: يا أمير المؤمنين أوصِ، فقال [عليه السّلام]: أثنوا لي وسادة[3] [فثنوها له فاتكأ عليها]ثم قال:

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

(١) سنذكر في البحث الرجالي ترجمتهم، ويبيّن أيضًا أنَّ الوصيّة الشريفة مروية بلا رفع، وأن لها مصادر وثيقة.

(٢) حفّ (من باب مدَّ وفر) حفًّا القوم الرّجل وبه وحوله أي أحدقوا به واستداروا عليه، وحفّه بكذا أي أحاطه به. والعوّاد: جمع عائد وهو ألّذي يذهب إلى المصاب للتسلي وإذهاب الغمّ عنه، أو ليداويه، أو ليرشده إلى المحيص ممّا هو فيه، أو ليتزوّد من رؤيته وسماع كلامه، أو غيره ذلك ممّا يقصد من العيادة.

(٣) أثنوا طلب من قولهم ثنىٰ ـ (من باب ضرب) ثنيًا الشيء أي عطفه وطواه وردّ بعضه إلىٰ بعض، والوسادة (مثلث الواو): المخدّة والمتكأ، أي اجعلوا لي الوسادة بحيث أتكئ عليها، وأتمكن بالاعتماد عليها من الجلوس، وهٰذا مثل قوله عليه السّلام: «لو ثنيت لي الوسادة وجلست عليها، لحكمت بين أهل التّوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزّبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم..».
وقال العلامة المجلسي رحمه الله: وثني الوسادة إمّا للجلوس عليها ليرتفع ويظهر للسامعين، أو للاتكاء عليها لعدم قدرته على الجلوس.

أَلْحَمْدُ للهِ حَقَّ قَدْرِهِ مُتَّبِعِينَ أَمْرَهُ[٤] وَأَحْمَدُهُ كَما أَحبَّ، وَلا إلـٰـهَ إلّا اللهُ الْواحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ كَما أنْتَسَبَ[٥]. أَيُّهَا النّاسُ كُلُّ امْرِئٍ لاقٍ فِي فِرارِهِ مَا مِنْهُ يَفِرُّ[٦]، وَالأَجَلُ مَساقُ النَّفْسِ إلَيْهِ، وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوافاتُهُ[٧]. كَمْ أَطْرَدْتُ الأَيّامَ أَبْحَثُها عَنْ مَكْنُونِ هٰذا الأَمْرِ، فَأَبَى اللهُ عَزَّ ذِكْرُهُ إلّا إخْفاءَهُ[٨] هَيْهاتَ عِلْمٌ مَكْنُونٌ[٩] أَمّا وَصِيَّتِي! فَأَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللهِ جَلَّ ثَناؤُهُ شَيئًا، وَمُحَمَّدًا

(٤) قوله عليه السّلام «حق قدره» أي حمدًا يكون حسب قدره، وكما هو أهله. وقوله عليه السّلام: «متّبعين» حال عن فاعل الحمد، لأنّه في قوة نحمد الله.

(٥) أي كما نسب نفسه المقدّسة إلى الوحدانية والصمدانية، في سورة التوحيد المعروفة (في الروايات) بنسبة الربّ.

(٦) أي كلّ أحد يلاقي في قراره ما يفرّ منه من الأمور المقدرة الحتمية كالموت، قال الله تعالىٰ: ﴿قل ان الموت الّذي تفرون منه فانّه ملاقيكم﴾ وإنّما قال عليه السّلام «في فراره» لأنّ كلّ أحد يفرّ دائمًا من الموت.

(٧) والمساق مصدر ميمي، وليست فيما اختاره السيد رحمه الله في نهج البلاغة كلمة: «إليه»، فيحتمل أن يكون المراد بالأجل منتهى العمر، والمساق ما يساق إليه، ويحتمل أن يكون المراد به المدّة، فالمساق زمان السّوق. وقوله عليه السّلام: «والهرب منه موافاته» من حمل اللازم على الملزوم، فإنّ الإنسان ما دام يهرب من موته بحركات وتصرفات يفني عمره فيها فكان الهرب منه موافاته، والمعنىٰ أنّه إذا قدّر زوال عمر أو دولة فكلّ ما يدبّره الإنسان لدفع ما يهرب منه يصير سببًا لحصوله.

(٨) قال العلامة المجلسي رحمه الله: يحتمل أن يكون الاطراد بمعنى الطرد والجمع، أو الأمر به مجازًا، ويمكن أن يقرأ «اطردت» علىٰ صيغة الغائب بتشديد اللام، فالأيّام فاعلة، قال أكثر شرّاح النهج: كأنّه عليه السّلام جعل الأيّام أشخاصًا يأمر بإخراجهم وإبعادهم عنه، أي مازلت أبحث عن كيفية قتلي يومًا فيومًا فإذا لم أجده في يوم طردته واستقبلت يومًا آخر، وهٰكذا حتّىٰ وقع المقدور، وللكلام بقية تجيء في البحث المذهبي، فانتظر.

(٩) أي بعد اطلاع غير المؤتمنين على الأسرار عليه، لأنّه من علم الله المكنون ولا يمسّه إلّا المطهّرون المأمونون على الأسرار والغيوب، والله العالم بالغيب لا يظهر علىٰ غيبه أحدًا إلّا من ارتضىٰ من رسول والرّسول المرتضى لا يودع أسرار الملك العلام إلّا عند مدينة علمه وخليفته.

صلّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ فَلا تُضَيّعُوا سُنّتَهُ(١٠)، أَقِيمُوا هٰذينِ الْعَمُودَينِ، وَأَوْقِدُوا هٰذَينِ الْمِصْباحَينِ، وَخَلاكُمْ ذَمٌّ مَا لَمْ تَشْرُدُوا(١١)، حَمَّلَ كُلَّ امرِئٍ [منكم] مَجْهُودَهُ، وَخَفَّفَ عَنِ الْجَهَلَةِ رَبٌّ رَحِيمٌ، وَإمامٌ عَلِيمٌ، وَدِينٌ قَويمٌ(١٢) أَنَا بِالْأَمْسِ صاحِبُكُمْ، وَ[أَنَا] الْيومَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَدًا مُفارِقُكُمْ، إنْ تَثْبُتِ الْوَطْأَةُ فِي هٰذِهِ الْمَزَلَّةِ فَذاكَ الْمُرادُ(١٣)، وَإِنْ تَدحَضِ الْقَدَمُ فإنّا كُنّا في أفياءِ أغْصانٍ، وَذَرىٰ رِياحٍ، وَتَحْتَ ظِلِّ غَمامَةٍ(١٤)، اَضْمَحَلَّ في الجَوِّ مُتَلَفِّقُها، وَعَفَا في

(١٠) «محمّدًا» عطف علىٰ أن لا تشركوا، قال المجلسي رحمه الله: ويمكن ان يقدّر فيه فعل، أي اذكركم محمّدًا، أو هو نصب على الإغراء، وفي بعض النسخ بالرفع. أقول: وحمل نصبه علىٰ شرط التّفسير أحسن من تقدير فعل آخر، أو الحمل على الإغراء.

(١١) العمودان: التّوحيد والنّبوة، وإقامتهما كناية عن إحقاق حقوقهما، وخلاكم ذمّ، أي سقط وذهب عنكم الذمّ، وجاوزكم اللوم، ما دمتم لم تميلوا عن إقامة التّوحيد والنّبوة، أو ما دمتم لم تتفرّقوا، فيكون الكلام إشارة إلىٰ عظم معصية المفارقة وفساد ذات البين.

(١٢) قوله عليه السّلام: «ربّ رحيم» وما عطف عليه مرفوع على الفاعلية لقوله: «حمل كلّ امرئ مجهوده» أي إنّ الله تعالىٰ جعل تكليف الجهّال دون تكليف أهل العلم وجعل لكلّ منهما علىٰ حسب وسعه تكليفًا.

وقيل: إنّ «حمل» و«خفف» خبر، أريد بهما الإنشاء والطلب، أي فليحمل كلّ امرئ مقدوره، وليخفف عن الجهلة، ولا ينتظر منهم ما يتوقع من أهل المعرفة.

(١٣) وفي نهج البلاغة: «إن تثبت الوطأة» ومراده عليه السّلام من ثبوت الوطأة: معافاته من الضربة، وسلامته من القتل. والمزلة: محلّ الزلل.

(١٤) وفي النهج: «فإنا كنا في أفياء أغصان، ومهبّ رياح، وتحت ظلّ غمام» يقال: دحضَ (من باب منع) دحضًا، القدم: زلّت وزلقت. والمراد من دحض القدم قتله عليه السّلام من ضربة اللعين. والأفياء: جمع فيء، وهو الظّلّ ينسخ ضوء الشمس من بعض الأمكنة. والذري: اسم لما ذرته الرياح، وقيل: المراد محال ذروها، يقال: ذرىٰ يذري ذريًا (من باب رمىٰ) وذرا يذرو ذروًا (من باب دعا يدعو) ـ وذرّىٰ تذرية، وأذرىٰ إذراء ـ الريح التراب، أي اطارته وفرّقته.

شبه عليه السّلام الإنسان وما فيه من حياة الدّنيا وزخارفها بفيء أغصان الأشجار وما ذرته الرياح من حيث عدم الثبات وقلة الانتفاع، فإنّها مجموعة ساعة ثم تضمحلّ.

ٱلْأَرْضِ مَخَطُّها(١٥) وَإِنَّما كُنْتُ جارًا جَاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيّامًا(١٦)، وَسَتُعْقَبُونَ(١٧) مِنّي جُثَّةً خَلاءَ ساكِنَةً بَعْدَ حَرَكَةٍ، وَكاظِمَةً بَعْدَ نطْقٍ، لِيَعِظَكُمْ هُدُوئي، وَخُفُوتُ إِطْراقي، وَسُكُوْنُ أَطْرافي، فَإِنَّهُ أَوْعَظُ مِنَ النّاطِقِ الْبَلِيغِ(١٨)

---

(١٥) اضمحل السحاب أي تقشّع وذهب، ولغة الكلابيين: امضحلّ ـ بتقديم الميم ـ. والمتلفق ـ بكسر الميم ـ: المنضمّ بعضه إلىٰ بعض، وضمير متلفقها «للغمام» وضمير مخطها «للرياح»، وعفا الأثر، أي امحىٰ واندرس. ومخطها: ما يحدث في الأرض من الخط الفاصل بين الظل والنور. وقال المجلسي رحمه الله: وفي بعض النسخ محطها ـ بالحاء المهملة ـ والحاصل إنعاء إن متّ فلا يعجب، فانّي كنتُ في أمور فانية شبيهة بتلك الأمور، أو لا أبالي فإنّي كنت في الدنيا غير متعلق بها، كمن كان في تلك الأمور، وكنت دائمًا مترصّدًا للانتقال.

(١٦) إنما خص عليه السّلام المجاورة بالبدن إمّا لإنّها من خواص الأجسام، أو لأنّ روحه عليه السّلام كانت معلّقة بالملإ الأعلىٰ وهو بعد في هذه الدّنيا، كما قال عليه السّلام في وصف إخوانه: «وصحبوا الدّنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلىٰ» كما في وصيّته عليه السّلام إلىٰ كميل.

(١٧) وفي النهج: «وستعقبون مني جثة خلاء ساكنة بعد حراك، وصامتة بعد نطوق» وفي نسخة ابن أبي الحديد: «وصامتة بعد نطق» و«ستعقبون» ـ بالبناء على المفعول ـ من الإعقاب وهو إعطاء الشيء عقيب الشيء، يقال: أكل أكلة أعقبته سقمًا، أي أورثته. والجثّة ـ بالضم ـ: الجسد والشّخص، والحركة والحراك ـ كسحاب ـ بمعنىٰ واحد، والكاظم كالصامت والساكت لفظًا ومعنىٰ وجمعه كظّم ـ كراكع وركّع ـ والنّطق والنّطوق والمنطق: التّكلم يقال: نطق ـ (من باب ضرب) نطقًا ونطوقًا ومنطقًا: تكلم.

(١٨) أي ستستبدلون بي جثّةً وبدنًا خالية من الرّوح وخواص الحياة. وفي النهج: «ليعظكم هدوئي، وخفوت أطرافي، وسكون أطرافي، فإنّه أوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ، والقول المسموع..».

وقال صعصعة رحمه الله في مرثيته عليه السّلام:

وكانت في حياتك لي عظات ... وأنت اليوم أوعظ منك حيًّا

«ليعظكم» بكسر اللام ونصب الفعل بأن المقدّرة بعد اللام، وفاعله الهدوء المضاف إلى الياء.

ويحتمل فتح اللام أيضًا علىٰ أنّها للابتداء، ورفع الفعل وإسناده إلى المرفوع بعده ←

وَدَّعْتُكُمْ وَداعَ مُرْصِدٍ لِلتَّلاقِي[١٩]، غَدًا تَرَونَ أَيّامي، وَيَكْشِفُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ سَرائِرِي، وَتَعْرِفُونِي بَعْدَ خُلُوِّ مَكاني، وَقِيامِ غَيْرِي مَقامِي[٢٠] إنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمي، وَإِنْ أَفْنَ فَالْفَناءُ مِيْعادِي، وَإِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ، وَلَكُمْ حَسَنَةٌ، فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا ألا تُحِبّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ؟! فَيا لَها حَسْرَةً عَلىٰ كُلِّ ذي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُوْنَ عُمْرُهُ عَلَيهِ حُجَّةً، أو تُؤَدِّيَهُ أَيّامُهُ إِلىٰ شِقْوةٍ، جَعَلَنا اللهُ وَإِياكُمْ مِمَّنْ لا يَقْصُرُ بِهِ عَنْ طاعَةِ اللهِ رَغْبَةٌ، أَوْ تَحِلُّ بِه بَعْدَ الْمَوْتِ نَقْمَةٌ فَإِنَّما نَحْنُ لَهُ وَبِه.

ثم أقبل عليه السّلام إلى الحسن عليه السّلام فقال:

«يا بُنَيَّ ضربة مكان ضربة ولا تأثم».

انتهى الحديث ٦، من الباب ٦٥، من الكتاب ٤، من الكافي: ص ٢٩٩.

قال أبو جعفر المحمودي: وهٰذه الوصيّة الشّريفة رواها أيضًا ابن عساكر

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

← أيضًا، ويحتمل فيه الجزم أيضًا لكونه أمرًا، وهٰذا أظهر. والهدوء ـ بالهمزة ـ: السكون، وقد تقلب الهمزة واوًا وتشدّد. والخفوت كالسكون لفظًا ومعنى، ولهٰذا قيل للميّت: خفت إذا انقطع كلامه وسكت. والإطراق ـ بكسر الهمزة ـ: إرخاء العينين إلى الأرض، وهو كناية عن عدم تحريك الأجفان. والأطراف ـ جمع الطرف بالتحريك ـ: الرأس واليدان والرجلان، وفيها وجوه أخر.

(١٩) وفي النهج: «وداعيكم وداع امرئ مرصد للتلاقي» و«الوداع» ـ بالفتح ـ اسم من قولهم: ودّعته توديعًا أي شيّعته ودعوت له بالسلامة. وأمّا الوداع ـ بالكسر ـ فهو بمعنى المتاركة والمسالمة والمصالحة من قولهم: وادعته موادعة.

(٢٠) «غدًا» ظرف زمان لما بعده من الأفعال، أي بعد مفارقتي لكم وخلوّ مكاني منّي، وإشغال غيري إيّاه واستيلائه على سدة الخلافة والرئاسة؛ تعرفون بركات أيامي، وسوابغ إنعامي، وسوانح إحساني، وينكشف لكم سرائري، وما نويته من أعمالي الّتي كانت مرًّا عليكم وبشعة عندكم. قوله عليه السلام: «وقيام غيري» قال المجلسي رحمه الله: وفي أكثر نسخ الكافي: «وقيامي غير مقامي» وفيها وجوه أخر تطلب من المطولات.

من مقتل أمير المؤمنين عليه السّلام، في الحديث (١٤٢٧): من ترجمة أمير المؤمنين عليه السّلام من تاريخ دمشق من النسخة المرسلة ط ٢: ج ٣، ص ٣٦٨، عن أبي عليّ الحداد، عن جماعة باختلاف طفيف في بعض ألفاظها، وزيادة أبيات نذكرها فيا جمعنا من ديوانه عليه السّلام إنْ شاء الله تعالىٰ.

وأيضًا هي مروية عن عليّ بن إبراهيم رحمه الله في تفسيره.

وأيضًا رواها الحسين بن سعيد، وكذلك رواها المسعودي كما سنفصل القول بذكرها بألفاظها الخاصة وطرقها المخصوصة، في مناهج البلاغة، في شواهد المختار ـ ١٤٥ ـ من خطب نهج البلاغة.

وهٰهنا أبحاث

البحث الأوّل:

في تحقيق إجمالي حول سند الوصيّة من كتاب الكافي، فأقول:

أمّا الرّاويّ الأوّل، وهو الحسين بن الحسن الحسني، فهو من مشايخ ثقة الإسلام الكليني رحمة الله عليهما، وقد ترحّم عليه في الحديث ١، من باب مولد عليّ بن الحسين عليهما السّلام، من كتاب الكافي، وكفىٰ بالرّجل صدقة جارية وعملًا خالدًا أن يكون مثل الكليني عليه الرحمة، تلميذه وحامل العلم عنه.

وأمّا الرّاويّ الثاني ـ أو الطريق الثاني ـ فهو محمد بن الحسن الصفار، فقد قال النجاشي رحمه الله في ترجمته من فهرسه:

«محمد بن الحسن بن فروخ الصفار مولىٰ عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيد الله بن السّائب بن مالك بن عامر الأشعري أبو جعفر الأعرج، كان وجهًا في أصحابنا القمّيين ثقة عظيم القدر، راجحًا قليل السّقط في الرّواية، له كتب، منها: (١) كتاب الصّلاة (٢) كتاب الوضوء (٣) كتاب الجنائز (٤) كتاب الصّيام «٥» كتاب الحج «٦» كتاب النّكاح (٧) كتاب الطّلاق (٨) كتاب العتق والتّدبير والمكاتبة «٩» كتاب التجارات «١٠» كتاب المكاسب «١١» كتاب الصّيد

والذّبائح «١٢» كتاب الحدود «١٣» كتاب الديّات «١٤» كتاب الفرائض «١٥» كتاب المواريث «١٦» كتاب الدّعاء «١٧» كتاب المزار «١٨» كتاب الرّد على الغلاة «١٩» كتاب الأشربة «٢٠» كتاب المروءة «٢١» كتاب الزّهد «٢٢» كتاب الخمس «٢٣» كتاب الزّكاة «٢٤» كتاب الشّهادات «٢٥» كتاب الملاحم «٢٦» كتاب التقية «٢٧» كتاب المؤمن «٢٨» كتاب الإيمان والنّذور والكفارات «٢٩» كتاب المناقب «٣٠» كتاب المثالب «٣١» كتاب بصائر الدّرجات «٣٢» كتاب ما روي في أولاد الأئمّة «٣٣» كتاب ما روي في شعبان «٣٤» كتاب الجهاد «٣٥» كتاب فضل القرآن. أخبرنا بكتبه كلّها ما خلا بصائر الدّرجات، أبو الحسين عليّ بن أحمد بن محمد بن طاهر الأشعري، قال حدثنا محمد بن الحسن ابن الوليد عنه بها. وأخبرنا أبو عبدالله ابن شاذان، قال حدثنا أحمد بن محمد بن يحيىٰ، عن أبيه، عنه بجميع كتبه وببصائر الدّرجات، وتوفي محمد بن الحسن الصّفار بقم سنة ٢٩٠ تسعين ومائتين رحمه الله»، انتهىٰ ما عن النجاشي رحمه الله وقريبٌ منه ذكره أيضًا الشيخ رحمه الله في فهرسته، وعده في رجاله من أصحاب الإمام العسكري عليه السّلام.

وأمّا إبراهيم بن إسحاق الأحمري، فضعفه قوم، ولكن صرّح جماعة من الأجلاّء كالوحيد البهباني وصاحب عين الغزال والسيد الأمين وغيرهم، قدّس الله أسرارهم، بتوثيق الرّجل، وأيّدوا توثيقه بوجوه نشير إلىٰ بعضها:

منها إكثار الوكيل الجليل القاسم بن محمد الرّواية عنه وسماعه منه.

ومنها رواية الشيخين العظيمين الصفار وعليّ بن شبل وكذا رواية شيخ المشايخ ابن الوليد رحمه الله عنه.

ومنها رواية شيخ أصحابنا القميين ووافد علمائنا الراسخين ـ إلى الأئمّة الطاهرين صلوات الله عليهم ـ: أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري ـ قدّس الله نفسه ـ عنه، مع ما هو المعلوم من سيرته المكشوف من دأبه، وهو الاجتناب عن الرّواية من الضّعفاء، بل الاحتراز عمّن يروي عن الضّعفاء والمجاهيل، بل كان رضي الله عنه يراقب الرّواة، ويترصد حملة العلم، فمتىٰ تحقّق لديه وثبت عنده أنْ

العالم الفلاني يكون مسامحًا في تحمل الرواية، وأخذ الحديث، وأنّه ينقل عن كلّ من روى له الحديث، ـ وان لم يعلم وثاقته ـ كان رحمه الله يخرج هذا المسامح من محروسة قم ودار علم الشّيعة في تلك الاعصار.

وأكثر رحمه الله الطّعن على الأجلاّء، لأجل روايتهم أحيانًا عن بعض الضّعفاء والمجاهيل، وإن كان عنده رحمه الله محتملًا أنّ النّقل عن الضّعفاء لعله كان من باب التأييد، أو لشاهد يدل علىٰ صدق الرّاويّ في مورد النّقل عنه بخصوصه، ومع ذلك كان رحمه الله يؤاخذ النّاقل ويعاتبه، ولعًا منه بسدّ باب الرواية؛ وتحمّل الحديث من الضعفاء.

البحث الثاني

في ذكر شيء يسير من كلامه عليه السّلام في الإخبار بشهادته، وأمّا تفصيله فسيوافيك في باب إخباره عليه السّلام بالمغيبات، فأقول:

روىٰ محمد بن طلحة، في مطالب السؤول طبع النجف، ص ١٣٥: «أنّه عليه السّلام لمّا فرغ من قتل الخوارج وعاد إلى الكوفة، قام في المسجد فصلّىٰ ركعتين، ثم صعد المنبر فخطب خطبة حسناء، ثم التفت إلى ابنه الحسن، فقال: يا أبا محمد، كم مضىٰ من شهرنا هذا؟ قال: ثلاث عشرة يا أمير المؤمنين. ثم التفت إلى الحسين، فقال: يا أبا عبدالله، كم بقي من شهرنا هذا ـ يعني رمضان الّذي هم فيه ـ؟ فقال الحسين عليه السّلام: سبع عشرة يا أمير المؤمنين. فضرب عليه السّلام بيده إلى لحيته، وهي يومئذ بيضاء، فقال: الله أكبر، والله ليخضبّها بدمها إذا انبعث أشقاها، ثم جعل يقول:

أريد حياته ويريد قتلي عذيري من خليلي من مراد

وعبد الرحمٰن بن ملجم المرادي يسمع، فوقع في قلبه من ذلك شيء، فجاء حتّىٰ وقف بين يدي عليّ عليه السّلام وقال: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين، هذه يميني وشمالي بين يديك فاقطعها أو فاقتلني. قال عليه السّلام: وكيف اقتلك ولا

ذنب عليك؟ ألا ولو أعلم أنّك قاتلي لم اقتلك، ولكن هل كانت لك حاضنة يهودية فقالت لك يومًا من الأيّام: يا شقيق عاقر ناقة ثمود؟ قال: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين، فسكت عليه السّلام وركب..».

وروى ابن الأثير في ترجمة أمير المؤمنين في أسد الغابة: ج ٤، ص ٣٥، وأبو الفرج، في مقاتل الطالبيين معنعنًا، عن فطر بن خليفة، عن أبي الطّفيل، قال: جمع عليّ عليه السّلام النّاس للبيعة، فجاء عبد الرحمٰن بن ملجم، فردّه مرتين أو ثلاثًا، ثم مدّ يده فبايعه، فقال له عليّ: ما يحبس أشقاها، فو الّذي نفسي بيده لتخضبنّ هٰذه من هٰذه، ثم أنشد عليه السّلام:

أشدد حيازيمك للموت فإنّ الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت إذا حلّ بواديكا

وقال: وقد روي لنا من طريق آخر: أنّ عليًا أعطى النّاس، فلما بلغ ابن ملجم أعطاه وقال له:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

وقال سبط بن الجوزي في التذكرة، ص ١٨٢ ـ بعد رواية الحديث الأوّل عن جدّه أبي الفرج ابن الجوزي ـ: وفي رواية، أنّ عليًّا عليه السلام ردّه مرتين أو ثلاثًا ثم بايعه وقال عند بيعته: ما يحبس أشقاها، فو الّذي نفسي بيده ليخضبن هٰذه من هٰذه، ووضع يده على لحيته ورأسه وأنشد البيتين.

ثم قال ـ بعد ذكر ثلاثة أحاديث ـ: وذكر ابن سعد في الطبقات، أنّ عليًّا عليه السّلام قال للمرادي لمّا أتاه يطلب منه عطاءه:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

وفي رواية أنّ ابن ملجم قال: يا أمير المؤمنين احملني، فحمله على فرس أشقر، فركبه وولّىٰ، وأنشد أمير المؤمنين عليه السّلام البيت.

وروى ابن سعد في ترجمة أمير المؤمنين عليه السّلام من الطبقات الكبرى قال: أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا هشام بن حسان، عن محمد بن عبيدة

قال: قال عليّ عليه السّلام: «ما يحبس أشقاكم ان يجيء فيقتلني، اللّهم قد سئمتهم وسئموني، فأرحهم منّي، وأرحني منهم».

وأيضًا قال ابن سعد: «أخبرنا وكيع بن الجراح، حدثنا الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن عبدالله بن سبع، قال: سمعت عليًا عليه السّلام يقول: لتخضبنّ هذه من هذه، فما ينتظر بالأشقىٰ. قالوا: يا أمير المؤمنين فأخبرنا به نبيد عشيرته، قال: إذا والله تقتلون غير قاتلي».

وقريب منه معنعنًا رواه ابن الأثير في ترجمة أمير المؤمنين من أسد الغابة: ج ٤، ص ٣٤، ورواه أيضًا ابن عساكر، من طرق كثيرة بألفاظ مختلفة.

وقال معلم الأمّة، الشّيخ المفيد ـ رضوان الله عليه ـ في الفصل الثالث والرابع، من كتاب الإرشاد، ص ١٣ قال: «فمن الأخبار الّتي جاءت بذكره عليه السّلام الحادث قبل كونه، وعلمه به قبل حدوثه:

ما أخبر به عليّ بن المنذر الطريقي، عن أبي الفضل العبدي، عن فطر، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه، قال:

جمع أمير المؤمنين عليه السّلام النّاس للبيعة، فجاء عبد الرّحمٰن بن ملجم المرادي لعنه الله، فردّه مرّتين أو ثلاثًا ثم بايعه، فقال عند بيعته له: ما يحبس أشقاها، فو الّذي نفسي بيده لتخضبنّ هذه من هذا، ووضع يده على لحيته ورأسه فلمّا أدبر ابن ملجم منصرفًا عنه، قال عليه السّلام متمثلًا:

أشدد حيازيمك للموت فإنّ الموت لاقيك
ولا تجزع من الموت إذا حلّ بواديك
كما أضحكك الدّهر كذاك الدّهر يبكيك

وروى الحسن بن محبوب، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي إسحاق السبيعي، عن الأصبغ بن نباتة، قال: أتى ابن ملجم أمير المؤمنين عليه السّلام فبايعه فيمن بايع، ثمّ أدبر عنه، فدعاه أمير المؤمنين عليه السّلام فتوثق منه وتوكّد عليه أن لا يغدر، ولا ينكث، فقال ابن ملجم لعنه الله: والله يا أمير المؤمنين ما رأيتك

فعلت هٰذا بأحد غيري، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام:

أريــد حــياته ويــريد قــتلي عذيرك من خليلك من مراد

امض يابن ملجم، فو الله ما أرىٰ أن تفي بما قلت.

وروىٰ جعفر بن سليمان الضّبعي، عن المعلّى بن زياد، قال: «جــاء عــبد الرّحمٰن بن ملجم لعنه الله إلىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام يستحمله، فقال: يا أمير المؤمنين احملني، فنظر إليه أمير المؤمنين عليه السّلام ثم قال: أنت عبد الرّحمٰن ابن ملجم المرادي؟ قال: نعم. قال: يا غزوان، احمله على الأشقر. فجاء بفرس أشقر، فركبه ابن ملجم لعنه الله وأخذ بعنانه فلمّا ولّىٰ قال أمير المؤمنين عــليه السّلام:

أريــد حياته ويــريد قــتلي عذيرك من خليلك من مراد

قال فلمّا كان من أمره ما كان، وضرب أمير المؤمنين عليه السّلام قبض عليه، وقد خرج من المسجد، فجيء به إلىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام فقال له: فوالله لقد كنت أصنع بك ما أصنع وأنا أعلم أنّك قاتلي، ولكن كنت أفعل ذلك بك لأستظهر بالله عليك».

وروىٰ أبو زيد الأحول، عن الأجلح، عن أشياخ كندة، قال: «سمعتهم أكثر من عشرين مرة، يقولون: سمعنا عليًّا عليه السّلام على المنبر يقول: ما يمنع أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم، ويضع يده على لحيته عليه السّلام[٢١]».

---

(٢١) ولأجل إكثاره عليه السّلام من نعي نفسه. وقتله وشيكًا، تواعد عدة من أصحابه عليه السّلام علىٰ أن يحرسه في كل ليلة جماعة منهم، كما يحدثنا بذلك عدة من العلماء ورواه ابن عبد ربّه، في العقد الفريد: ط ٢، ج ٣، ص ١٢٣ قال:

عن سفيان بن عيينة، قال: كان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يخرج بالليل إلى المسجد، فقال أناس من أصحابه: نخشىٰ أن يصيبه بعض عدوه، ولكن تعالوا نحرسه، فخرج ذات ليلة فإذا هو بنا، فقال: ما شأنكم؟ فكتمناه، فعزم علينا، فأخبرناه. فقال: تحرسوني من أهل السّماء، أو من أهل الأرض؟ قلنا: من أهل الأرض. قال: إنّه ليس

←

وروىٰ عليّ بن الحزوّر، عن الأصبغ بن نباتة، قال: «خطبنا أمير المؤمنين عليه السّلام في الشهر الّذي قتل فيه، فقال: أتاكم شهر رمضان، وهو سيّد الشّهور، وأوّل السّنة، وفيه تدور رحى السّلطان، ألا وإنّكم حاجُّ العام صفًّا واحدًا، وآية ذلك أنّي لست فيكم. قال: فهو ينعىٰ نفسه عليه السّلام، ونحن لا ندري».

وروى الفضل بن دكين، عن حيّان بن العباس، عن عثمان بن المغيرة قال: «لمّا دخل شهر رمضان كان أمير المؤمنين عليه السّلام يتعشى ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند عبدالله بن العباس[٢٢]، وكان لا يزيد علىٰ ثلاث لقم، فقيل له ليلة من تلك الليالي في ذلك، فقال: يأتيني أمر الله وأنا خميص، إنّما هي ليلة أو ليلتان، فأصيب عليه السّلام في آخر الليل».

وروىٰ اسماعيل بن زياد، قال: «حدثتني أم موسىٰ خادمة عليّ عليه السّلام وهي حاضنة ابنته فاطمة عليها السّلام، قالت: سمعت عليًّا عليه السّلام

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

← يقضىٰ في الأرض حتّىٰ يقضىٰ في السّماء.

وروى ابن عساكر، في ترجمته عليه السّلام من تاريخ الشّام الأحاديث (١٤٠٤ ـ ١٤٠٧) ج ٣ ص ٣٥٥ مسندًا، عن يعلىٰ بن مرّة، قال: «إئتمرنا أنْ نحرس عليًّا كلّ ليلة عشرة، قال: فخرج فصلّىٰ كما كان يصلّي، ثمّ أتانا فقال: ما شأن السّلاح؟ قلنا: نحرسك. فقال: من أهل السّماء، أم من أهل الأرض؟ قلنا: من أهل الأرض. قال: فإنّه لا يكون في الأرض شيء، حتّىٰ يقضىٰ في السّماء، وإن عليّ من الله جنّة حصينة، فإذا جاء أجلي كشف عني، وانه لا يجد عبد يذوق حلاوة الإيمان حتّىٰ يستيقن يقينًا غير ظان أنّ ما أصابه لم يكن ليخطأه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه».

وقال قتادة: «إنّ آخر ليلة أتت علىٰ عليّ، جعل لا يستقر، فارتاب به أهله، فجعل يدس بعضهم إلىٰ بعض حتّى اجتمعوا، قال: فناشدوه، فقال: إنّه ليس من عبد إلّا ومعه ملكان يدفعان عنه ما لم يقدر [ما لم يأتِ القدر «خ»]، فإذا أتىٰ القدر خليّا بينه وبين القدر، قال فخرج إلى المسجد فقتل».

(٢٢) هٰذا سهو من قائله لأنّ ابن عبّاس لم يكن في تلك الأيّام بالعراق بل كان ملتجئًا ببيت الله الحرام في مكة المكرمة؛ وليلاحظ ما يأتي في التعليق: (٣٩) في أوائل البحث الرابع ص ٣٥١، من هٰذه الطبعة.

يقول لابنته أم كلثوم: يا بنية إنّي أراني قلّ ما أصحبكم. قالت: وكيف ذلك يا أبتاه؟ قال: إنّي رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في منامي، وهو يمسح الغبار عن وجهي ويقول: يا عليّ لا عليك، قضيت ما عليك. قالت: فما مكث إلّا ثلاثًا حتّىٰ ضرب تلك الضربة، فصاحت أم كلثوم. فقال: يا بنية لا تفعلي، فإنّي أرىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يشير إليّ بكفّه ويقول: يا عليّ، هلمّ إلينا، فإنّ ما عندنا هو خير لك».

وروىٰ عمّار الدّهني، عن أبي صالح الحنفي، قال: «سمعت عليًّا عليه السّلام يقول: رأيت النبي صلّى الله عليه وآله في منامي، فشكوت إليه ما لقيت من أمّته من الأود واللّدد وبكيت. فقال: لا تبك يا عليّ، والتفت فإذا رجلان مصفّدان، وإذا جلاميد ترضخ بها رأسيهما.

قال أبو صالح: فغدوت إليه من الغد، كما كنت أغدو إليه كلّ يوم، حتّىٰ إذا كنت في الجزّارين لقيت النّاس يقولون: قتل أمير المؤمنين عليه السّلام».

وروىٰ عبيدالله بن موسىٰ، عن الحسن بن دينار، عن الحسن البصري قال: «سهر أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام في الليلة الّتي قتل في صبيحتها، ولم يخرج إلى المسجد لصلاة الليل عادته، فقالت له ابنته أم كلثوم رحمة الله عليها: ما هٰذا الّذي قد أسهرك؟ فقال: إنّي مقتول لو قد أصبحت، فأتاه ابن النّباح، فآذنه بالصلاة، فمشىٰ غير بعيد، ثمّ رجع فقالت له أم كلثوم: مر جعدة فليصلّ بالنّاس. قال: نعم، مروا جعدة ليصلي، ثمّ قال: لا مفرّ من الأجل، فخرج إلى المسجد، وإذا هو بالرّجل قد سهر ليلته كلّها يرصده، فلمّا برد السّحر نام، فحرّكه أمير المؤمنين عليه السّلام برجله، وقال له: الصلاة، فقام إليه فضربه».

وفي حديث آخر: أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قد سهر تلك الليلة، فأكثر الخروج والنظر إلى السّماء، وهو يقول: «والله، ما كذبت ولا كذبت، وإنّها الليلة الّتي وعدت بها، ثم يعاود مضجعه، فلمّا طلع الفجر شدّ إزاره وخرج وهو يقول:

أشدد حيازيعك للموت فإنّ الموت لا قيكا
ولا تجزع من الموت إذا حلّ بواديكا

فلمّا خرج إلىٰ صحن الدار استقبلته الإوز فصحن في وجهه، فجعلوا يطردوهنّ، فقال: دعوهن فإنهنّ نوائح، ثمّ خرج فأصيب عليه السّلام».

وروى الخوارزمي مسندًا، في الحديث ٧، من الفصل ٢٦، من مقتله، ص٢٨٢، عن سلمة بن كهيل عن عبدالله بن سميع، قال: «قال عليّ بن أبي طالب قبل أن يضرب بثلاث: أين شقيّكم هٰذا أما والله ليخضبنّ هٰذه من هٰذا...»».

وأيضًا روىٰ معنعنًا، في الحديث ٨ من الفصل المتقدم الذكر، عن خالد بن مخلد ومحمد بن الصلت، قالا: «أخبرنا الربيع بن المنذر، عن أبيه، عن محمد بن الحنفية، قال:

دخل علينا ابن ملجم لعنه الله الحمّام، وأنا والحسن والحسين جلوس في الحمّام، فلمّا دخل كأنّهما اشمأزّا منه، فقالا [له]: ما أجرأك تدخل علينا، قال: فقلت لهما: دعاه عنكما، فلعمري ما يريد بكما إثمًا من هٰذا، فلمّا كان يوم أُتي به أسيرًا، قال ابن الحنفية: ما أنا اليوم بأعرف به مني يوم دخل علينا الحمام، فقال عليّ عليه السّلام: إنّه أسير، فأحسنوا نزله وأكرموا مثواه، فإن بقيت قتلت أو عفوت، وإن متّ فاقتلوه كما قتلني، ولا تعتدوا إنّ الله لا يحبُّ المعتدين(٢٣)».

وروى الصفار رحمه الله في بصائر الدّرجات: «أنّ أمير المؤمنين عليه

(٢٣) ورواه أيضًا مسندًا، في مقتله عليه السّلام من أسد الغابة: ج ٤، ص ٣٥. ورواه أيضًا معنعنًا ابن عساكر، في الحديث: (١٤٢٠) من تاريخه ج ٣، ص ٣٦٢.

وقال سبط ابن الجوزي، في تذكرة الخواص ص ١٨٦: «وحمل عليّ عليه السّلام إلى القصر، وقال: عليَّ بالرّجل، فأدخل عليه، فقال: أي عدوّ الله ألم أحسن إليك؟ قال: بلىٰ. قال: فما حملك علىٰ هٰذا؟ أشار عليّ عليه السّلام إلىٰ إحسانه إليه وحمله على الأشقر. وفي رواية أنّه قال: ولقد كنت أعلم أنك قاتلي، وإنّما أحسنت إليك لأستظهر بالله عليك. ثمّ قال لبنيه: يا بني إن هلكت فالنفس بالنفس، اقتلوه كما قتلني، وإنْ بقيت رأيت فيه رأيًا. وفي رواية: وإنْ عشت فضربة بضربة أو أعفو».

السّلام دخل الحمام، فسمع صوت الحسن والحسين عليهما السّلام قد علا، فقال لهما ما لكما فداكما أبي وأمّي؟ فقالا: اتبعك هٰذا الفاجر فظننّا أنّه يريد أن يضرّك. قال عليه السّلام: دعاه والله ما أطلق الإلـه». البحار: ج ٩، ص ٦٤٨.

وروى ابن عساكر في الحديث (١٤١٢) من ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق ج ٣، ص ١٥٠ قال: «أخبرنا أبو القاسم ابن السّمرقندي، عن جـوين الحضرمي قال: عرض (عليّ) عليّ الخيل، فمرّ عليه ابن ملجم، فسأله عن اسمه (أو قال نسبه)، فانتهىٰ إلىٰ غير أبيه، فقال له: كذبت، حتّى انتسب إلىٰ أبيه، فقال: صدقت، أما إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حدثني أن قاتلي شبه اليهود، هو يهوديّ فامضه».

وروى المجلسي في البحار: ج ٩، ص ٦٥٨، عن كتاب الخرائج: «أنّه عليه السّلام دخل الحمام، فسمع صوت الحسن والحسين فخرج إليهما، فقال: ما لكما؟ فقالا: اتبعك هٰذا الفاجر ابن ملجم، فظننّا أنّه يغتالك. فقال: لهما دعاه لا بأس؟»

وروى ابن شهرآشوب في المناقب: «أنّه سمع ابن ملجم يقول: لأضربنّ عليًّا بسيفي هٰذا، فذهبوا به إليه، فقال له: ما اسمك؟ قال: عبد الرّحمٰن بن ملجم. قال: نشدتك بالله عن شيء تخبرني؟ قال: نعم. قال: هل مرَّ عليك شيخ يتوكأ علىٰ عصاه وأنت في الباب، فشقك بعصاه، ثمّ قال: بؤسًا لك، أشقىٰ من عاقر ناقة ثمود؟ قال: نعم. قال: هل كان الصبيان يسمّونك ابن راعية الكلاب وأنت تلعب معهم؟ قال: نعم. قال: هل أخبرتك أمّك أنّها حملت بك وهي طامث؟ قال: نعم، قال: فبايعْ، فبايعَ، ثمّ قال: خلّوا سبيله».

وروى الخوارزمي مسندًا في الحديث ١١، من الفصل المتقدم ذكره، عن عثمان بن المغيرة، قال: «إنّه لمّا دخل رمضان، كان عليّ عليه السّلام يتعشىٰ ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند ابن عباس[٢٤] ولا يزيد علىٰ ثلاث

(٢٤) تقدّم أنّ هٰذا سهـو من الراوي وأنّ الصواب: «ابن جعفر» كما يأتي في أوائل البحث الرابع ص ٣٥١، من هٰذه الطبعة.

لقم، ويقول: يأتيني أمر الله وأنا أخمص، إنّما هي ليلة أو ليلتان، فأصيب عليه السّلام من الليل».

وكذلك ابن الأثير في أسد الغابة ص ٣٥٤ إلّا أنّه قال: وليلة عند ابن جعفر وأيضًا روى الخوارزمي في الحديث ١٣، من الفصل معنعنًا، عن حفص ابن خالد، عن أبيه، عن جدّه جابر، قال: «إنّي لشاهد لعليّ عليه السّلام وأتاه المرادي يستحمله فحمله، ثم قال:

أريد حياته ويريد قتلي　　　عذيرك من خليلك من مراد

ثمّ قال: هٰذا والله قاتلي. قالوا: يا أمير المؤمنين أفلا تقتله؟ قال: فمن يقتلني إذن؟ ثمّ قال: أشدد حيازيمك للموت فإنّ الموت لا قيكا...».

وروىٰ أبو عمر في الاستيعاب، بهامش الإصابة: ج ٣، ص ٦٠، معنعنًا، عن ابن سيرين، عن عبيدة قال: «كان عليّ رضي الله عنه، إذا رأى ابن ملجم قال:

أريد حياته ويريد قتلي　　　عذيرك من خليلك من مراد

وكان رضي الله عنه كثيرًا ما يقول: ما يمنع أشقاها [أو ما ينتظر أشقاها] أن يخضب هٰذه من دم هٰذا، يقول: والله لتخضبن هٰذه من دم هٰذا ـ ويشير إلى لحيته ورأسه ـ خضاب دم لا خضاب عطر ولا عبير.

وذكر عمر بن شبّة، عن أبي عاصم النبيل وموسىٰ بن إسماعيل، عن سكين ابن عبد العزيز العبدي، أنّه سمع أباه يقول: جاء عبد الرّحمٰن بن ملجم يستحمل عليًّا فحمله، ثم قال:

أريد حياته ويريد قتلي　　　عذيرك من خليلك من مراد

أمّا إنّ هٰذا قاتلي. قيل: فما يمنعك منه؟ قال: إنّه لم يقتلني بعد. وأتي عليّ رضي الله عنه فقيل له: ان ابن ملجم يسمّ سيفه ويقول: انّه سيفتك بك فتكة يتحدّث بها العرب، فبعث إليه فقال له: لِمَ تسمّ سيفك؟ قال: لعدوّي وعدوّك، فخلّىٰ عنه وقال: ما قتلني بعد».

البحث الثالث:

في الآثار الواردة في كيفية شهادته عليه السّلام وسببها.

وإجمال القصة علىٰ ما ذكره جمهور العلماء من الخاصة والعامة[٢٥] ما أوردها أبو الفرج في مقاتل الطالبيين ص ٢٩، حيث قال:

«إنّ نفرًا من الخوارج اجتمعوا بمكّة، فتذاكروا أمر المسلمين، فعابوهم وعابوا أعمالهم عليهم، وذكروا أهل النهروان فترحموا عليهم، وقال بعضهم لبعض: لو أنا شرينا أنفسنا لله عزّ وجلّ، فأتينا أئمّة الضلال وطلبنا غرّتهم وأرحنا منهم العباد والبلاد، وثأرنا لإخواننا الشّهداء بالنهروان، فتعاقدوا عند انقضاء الحجّ، فقال عبد الرّحمٰن بن ملجم: أنا أكفيكم عليًّا، وقال واحد: أنا أكفيكم معاوية، وقال الثالث: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاقدوا، وتواثقوا على الوفاء، وأن لا ينكل أحد منهم عن صاحبه الّذي يتوجّه إليه ولا عن قتله،

---

(٢٥) كالشيخ المفيد في الإرشاد، والطبري وابن الأثير في تاريخهما، وابن طلحة في مطالب السؤول، والمسعودي في مروج الذهب، وسبط ابن الجوزي في التذكرة نقلًا عن محمد بن إسحاق وهشام بن محمد والسدّيّ وغيرهم، واليعقوبي في تاريخه، والكنجي في كفاية الطالب، والزرندي في نظم درر السمطين. وابن عساكر في الأحاديث (١٤٢٠ ـ ١٤٢٢) من ترجمة أمير المؤمنين من تاريخه ج ٣ ص ٣٦٢، وابن شهرآشوب في مناقبه، والخوارزمي في المناقب، وكلّهم اتفقوا علىٰ سرد أصل القضية مثل ما سرده أبو الفرج، نعم بينهم اختلاف من حيث السند، ومن جهة ذكر بعض الخصوصيات ومن طريق الإجمال والتفصيل، وإسناد الرواية إلىٰ راويها أو ارسالها، وحسن التعبير وجودته.

نعم وللمدائني سياق آخر في مبدأ القصة، قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ص ١٥٩ قال: قال المدائني: حجّ ناس من الخوارج، سنة تسع وثلاثين، وقد اختلف عامل عليّ وعامل معاوية، فاصطلح النّاس علىٰ شبيب بن عثمان، فلمّا انقضى الموسم أقام النفر من الخوارج مجاورين بمكّة، فقالوا: كان هٰذا البيت معظمًا في الجاهلية، جليل الشأن في الإسلام، وقد انتهك هؤلاء حرمته، فلو أنّ قومًا شروا أنفسهم فقتلوا هٰذين الرجلين الّذين قد أفسدا في الأرض، واستحلا حرمة هٰذا البيت استراحت الأمّة، واختار النّاس لهم إمامًا، فقال عبد الرّحمٰن بن ملجم: أنا أكفيكم أمر عليّ، وقال الحجّاج بن عبدالله: أنا أقتل معاوية ـ ثم ساق القصة مثل ما قاله أبو الفرج إلّا في موارد نادرة ـ.

واتعدوا لشهر رمضان في الليلة الّتي قتل فيها ابن ملجم عليًّا».

وقال أبو الفرج: قال أبو مخنف: قال أبو زهير العبسي: الرجلان الآخران: البرك بن عبدالله التميمي، وهو صاحب معاوية، وعمرو بن بكر التميمي، وهو صاحب عمرو بن العاص.

قال: فأمّا صاحب معاوية، فإنّه قصده فلمّا وقعت عينه عليه ضربه، فوقعت ضربته على إليته، وأخذ فجاء الطبيب إليه فنظر إلى الضربة فقال: إنّ السيف مسموم، فاختر إمّا أن أحمي لك حديدة فأجعلها في الضربة، وإمّا أن أسقيك دواء فتبرأ وينقطع نسلك، فقال: أمّا النّار فلا أطيقها، وأمّا النسل ففي يزيد وعبدالله ما تقرّ عيني وحسبي بهما، فسقاه الدواء فعوفي، وعالج جرحه حتّى التأم، ولم يولد له بعد ذلك.

وقال البرك [لمعاوية]: إنّ لك عندي بشارة، قال: وما هي؟ فأخبره خبر صاحبه، وقال له: إنّ عليًّا قتل في هٰذه الليلة، فاحتبسني عندك، فإن قتل فأنت وليّ ما تراه في أمري، وإن لم يقتل أعطيتك العهود والمواثيق أن أمضي إليه فأقتله، ثم أعود إليك فأضع يدي في يدك حتّى تحكم فيّ بما ترىٰ، فحبسه عنده، فلمّا أتى الخبر أن عليًّا قتل في تلك الليلة خلّىٰ سبيله.

هٰذه رواية إسماعيل بن راشد، وقال غيره من الرواة: بل قتله من وقته.

وأما صاحب عمرو بن العاص، فإنّه وافاه في تلك الليلة، وقد وجد علّة فأخذ دواء واستخلف رجلًا يصلي بالنّاس، يقال له خارجة بن حنيفة أحد بني عامر بن لؤي، فخرج للصلاة، فشد عمرو بن بكر فضربه بالسيف فأثبته، وأخذ الرّجل فأُتي به عمرو بن العاص فقتله، ودخل من غد إلىٰ خارجة وهو يجود بنفسه، فقال: أما والله يا أبا عبدالله ما أراد غيرك. قال عمرو: ولكن الله أراد خارجة.

وأمّا ابن ملجم فإنّه قتل عليًّا تلك الليلة.

قال: وحدثني أحمد بن عيسى العجلي بإسناد ذكره في الكتاب إلىٰ أبي

زهير العبسي. قال: كان ابن ملجم من مراد، وعداده في كندة، فأقبل حتىٰ قدم الكوفة، فلقي بها أصحابه، وكتمهم أمره[٢٦] وطوىٰ عنهم ما تعاقد هو وأصحابه عليه بمكّة من قتل أمراء المسلمين مخافة أن ينتشر، وزار رجلًا من أصحابه ذات يوم من بني تيم الرباب، فصادف عنده قطام بنت الأخضر من بني تيم الرباب، وكان عليّ قتل أخاها وأباها بالنهروان، وكانت من أجمل نساء أهل زمانها، فلمّا رآها شغف بها، واشتدّ إعجابه فخطبها، فقالت له: ما الّذي تسمّي لي من الصّداق؟ فقال: احتكمي ما بدا لك. فقالت: احتكم عليك ثلاثة آلاف درهم، ووصيفًا وخادمًا، وان تقتل عليّ بن أبي طالب. فقال لها: لك جميع ما سألت، وأمّا قتل عليّ فأنىٰ لي بذلك؟ قالت: تلتمس غرّته، فإن أنت قتلته شفيت نفسي، وهنّاك العيش معي، وإن قُتلت فما عند الله خير لك من الدّنيا. قال لها: أما والله ما أقدمني هٰذا المصر، وقد كنت هاربًا منه، لآمن أهله إلّا ما سألتني من قتل عليّ. قالت له: فأنا طالبة لك بعض من يساعدك علىٰ هٰذا ويقويك. ثم بعثت إلىٰ وردان بن مجالد، أحد بني تيم الرباب، فخبّرته الخبر، وسألته معاونة ابن ملجم، فتحمّل لها ذلك.

وخرج ابن ملجم فأتىٰ رجلًا من أشجع، يقال له شبيب بن بجيرة، وقال له: يا شبيب! هل لك في شرف الدّنيا والآخرة؟ قال: وما ذاك؟ قال: تساعدني علىٰ قتل عليّ. وكان شبيب علىٰ رأي الخوارج، فقال له هبلتك الهبول، لقد جئت

---

(٢٦) وقال اليعقوبي في ترجمة أمير المؤمنين من تاريخه: ج ٢ ص ٢١٢ ط دار صادر.

وقدم عبد الرّحمٰن بن ملجم المرادي الكوفة، لعشر بقين من شعبان، سنة أربعين، فلمّا بلغ عليًّا قدومه قال: أوَ قد وافىٰ؟ أما إنّه ما بقي عليّ غيره وهٰذا أوانه.

فنزل [ابن ملجم] على الأشعث بن قيس الكنديّ، فاقام عنده شهرًا يستحدّ سيفه، وكانوا ثلاثة نفر توجّهوا، فواحد منهم توجّه إلىٰ معاوية بالشام، وآخر إلىٰ عمرو بن العاص بمصر، والآخر إلىٰ عليّ عليه السّلام وهو ابن ملجم.

فأمّا صاحب معاوية فضربه، فوقعت الضربة على إليته، وبادر فدخل داره. وأمّا صاحب عمرو بن العاص فإنّه ضرب خارجة خليفة عمرو في صلاة الصبح وكان عمرو تخلف لعلّة..

شيئًا إدًّا[٢٧] وكيف تقدر ويحك علىٰ ذلك؟ قال ابن ملجم: نكمن له في المسجد الأعظم، فإذا خرج لصلاة الفجر فتكنا به وشفينا أنفسنا منه، فلم يزل به حتىٰ أجابه. فأقبل به حتىٰ دخلا علىٰ قطام، وهي معتكفة في المسجد الأعظم، قد ضربت لها قبة، فقالا لها: قد أجمع رأينا علىٰ قتل هٰذا الرّجل. قالت لهما: فإذا أردتما ذلك فالقياني في هٰذا الموضع، فانصرفا من عندها فلبثا أيامًا، ثم أتياها، ومعهما وردان بن مجالد الّذي كلّفته مساعدة ابن ملجم، وذلك في ليلة الجمعة، لتسع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربعين ـ قال أبو الفرج: هٰكذا في رواية أبي مخنف. وفي رواية أبي عبد الرّحمٰن السّلميّ: أنّها كانت ليلة سبع عشرة من

---

(٢٧) وهٰهنا لعبارة الطبري والكامل، ومروج الذهب والاستيعاب مزية علىٰ ما ذكره أبو الفرج، ونحن نذكر لفظ أبي عمر لفوائده الخاصة فنقول: قال أبو عمر في ترجمة أمير المؤمنين عليه السّلام من الاستيعاب بهامش الإصابة: ج ٣، ص ٥٨: ولقي ابن ملجم شبيب بن بجرة الأشجعي فقال: يا شبيب هل لك في شرف الدّنيا والآخرة؟ قال: تساعدني علىٰ قتل عليّ بن أبي طالب. قال له: ثكلتك أمّك لقد جئت شيئًا إدًّا، كيف تقدر علىٰ ذلك؟ قال: إنّه رجل لاحرس له، ويخرج إلى المسجد منفردًا ليس له من يحرسه، فنكمن له في المسجد، فإذا خرج إلى الصلاة قتلناه، فإن نجونا نجونا، وإن قتلنا سعدنا بالذكر في الدّنيا، وبالجنّة في الآخرة.

فقال [شبيب]: ويلك إنّ عليًّا ذو سابقة في الإسلام مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، والله ما تنشرح نفسي لقتله. فقال: ويحك إنّه حكّم الرّجال في دين الله عزّ وجلّ، وقتل إخواننا الصّالحين، فنقتله ببعض من قتل فلا تشكنّ في دينك، فأجابه، وأقبلا حتىٰ دخلا علىٰ قطام، وهي معتكفة في المسجد الأعظم في قبة ضربتها لنفسها، فدعت لهم، وأخذوا سيوفهم وجلسوا قبالة السّدة الّتي يخرج منها عليّ رضي الله عنه، فخرج لصلاة الصبح، فبدره شبيب فضربه فأخطاه، وضربه ابن ملجم علىٰ راسه، وقال: الحكم لله يا عليّ لا لك ولا لأصحابك، فقال علي رضي الله عنه: فزت وربّ الكعبة، لا يفوتنكم الكلب. فشدّ النّاس عليه من كلّ جانب فاخذوه، وهرب شبيب خارجًا من باب كندة...

وروىٰ ابن عساكر في الحديث: (١٤٢٤) من ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق ج ٣، ص ٣٦٧، أخبرنا أبو القاسم ابن السمرقندي بسنده، عن شيخ من قريش، أنّ عليًّا قال لمّا ضربه ابن ملجم: فزت وربّ الكعبة.

شهر رمضان ـ فقال لها ابن ملجم: هٰذه الليلة هي الّتي وعدت فيها صاحبي ووعداني أن يقتل كل واحد منّا صاحبه الّذي يتوجّه إليه، فدعت لهم بحرير فعصبت به صدورهم، وتقلدوا سيوفهم، ومضوا فجلسوا مقابل السّدة الّتي كان يخرج منها عليّ. وروى الشيخ المفيد وأبو الفرج قالا(٢٨): وقد كان ابن ملجم أتى الأشعث بن قيس في هٰذه الليلة فخلا به في بعض نواحي المسجد(٢٩) فمر بهما حجر بن عديّ فسمع الأشعث وهو يقول لابن ملجم: النجا النجا، فقد فضحك الصبح. قال له حجر: قتلته يا أعور؟ فخرج مبادرًا إلىٰ عليّ عليه السّلام وقد سبقه ابن ملجم فضربه، فأقبل حجر والنّاس يقولون: قتل أمير المؤمنين.

---

(٢٨) هٰذا الّذي ذكرناه هو لفظ أبي الفرج في مقاتل الطالبيين، وذكره أيضًا جلّ المؤرخين.
ولكن لفظ الشيخ المفيد في الإرشاد أوضح، فإنّه بعد ما ذكر نحو ما نقلناه عن أبي الفرج، من انّهم مضوا وجلسوا مقابل السّدة الّتي كان يخرج منها أمير المؤمنين عليه السّلام إلى الصلاة قال:

وقد كانوا قبل ذلك ألقوا إلى الأشعث بن قيس ما في نفوسهم من العزيمة علىٰ قتل أمير المؤمنين عليه السّلام، وواطاهم علىٰ ذلك، وحضر الأشعث لعنه الله في تلك الليلة لمعونتهم علىٰ ما اجتمعوا عليه، وكان حجر بن عدي رحمه الله في تلك الليلة بائتًا في المسجد، فسمع الأشعث يقول لابن ملجم: النجا النجا لحاجتك فقد فضحك الصبح فأحسّ حجر بما أراد الأشعث، فقال له: قتلته يا أعور، وخرج مبادرًا ليمضي إلىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام ليخبره الخبر، ويحذره من القوم، وخالفه أمير المؤمنين عليه السّلام من الطريق فدخل المسجد، فسبقه ابن ملجم لعنه الله فضربه بالسّيف، فأقبل حجر والنّاس يقولون: قتل أمير المؤمنين.

(٢٩) قال أبو الفرج: وللأشعث في انحرافه عن أمير المؤمنين أخبار يطول شرحها.
منها: أنّه جاء في تلك الأيّام إلىٰ عليّ يستأذن عليه، فردّه قنبر، فأدمى الأشعث أنفه، فخرج عليّ وهو يقول: ما لي ولك يا أشعث؟ أما والله لو بعبد ثقيف تمرّست لاقشعرت شعيراتك.

قيل يا أمير المؤمنين: ومن عبد ثقيف؟ قال: غلام لهم لا يبقي أهل بيت من العرب إلّا أدخلهم ذلًّا. قيل يا أمير المؤمنين: كم يلي أو كم يمكث؟ قال: عشرين إن بلغها.

ومنها: أنّ الأشعث دخل عَلىٰ عليّ عليه السّلام في تلك الأيّام فكلمه، فأغلظ عليّ له، فعرض له الأشعث أنّه سيفتك به، فقال له عليّ عليه السّلام: أبالموت تخوفني؟ [أو تهددني]، فوالله ما أبالي وقعت على الموت أو وقع الموت عليّ.

وروى ابن شهرآشوب في سيرة أمير المؤمنين عليه السّلام من كتاب المناقب طبعة بيروت، ج ٣، ص ٣١١، قال:

روىٰ أبو مخنف الأزدي، وابن راشد، والرفاعي، والثقفي جميعًا: أنّه اجتمع نفر من الخوارج بمكّة، فقالوا: إنّا شرينا أنفسنا لله، فلو أتينا أئمة الضلال، وطلبنا غرّتهم فأرحنا منهم البلاد والعباد. فقال عبد الرّحمٰن بن ملجم: أنا أكفيكم عليًّا. وقال الحجّاج بن عبدالله السّعدي الملقب بالبرك: أنا أكفيكم معاوية. وقال عمرو ابن بكر التميمي: أنا أكفيكم عمرو بن العاص. واتّعدوا التاسع عشر من شهر رمضان، ثمّ تفرّقوا، فدخل ابن ملجم الكوفة، فرأىٰ رجلًا من تيم الرباب وعنده قطام التيمية، وكان أمير المؤمنين عليه السّلام قتل أباها الأخضر، وأخاها الأصبغ بالنهروان، فشغف بها ابن ملجم، فخطبها فأجابته بمهر ذكره العبدي في كلمة له قال:

فلم أر مهرًا ساقه ذو سماحة ... كمهر قطام من فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة ... وضرب عليّ بالحسام المسمّم
فلا مهر أغلىٰ من عليّ وإنْ غلا ... ولا قتل إلّا دون قتل ابن ملجم

فقال [لها] ابن ملجم: ويحك من يقدر علىٰ قتل عليّ، وهو فارس الفرسان، والسّبّاق إلى الطعان، ومغالب الأقران؟! وأمّا المالية فلا بأس عليّ منها. قالت: انتظر غفلته، فافتك به. فقبل ابن ملجم، فبعثت إلىٰ وردان بن مجالد وسألته معونة ابن ملجم بشبيب بن بجرة فأعانه، وأعانه رجل من وكلاء عمرو ابن العاص بخطّ فيه مائة ألف درهم فجعله مهرها، فأطعمتها الموزينج والجوزينق وسقتها الخمر العكبري، فنام شبيب وتمتع ابن ملجم معها[٣٠] ثمّ قامت فأيقظتها، وعصبت صدورهم بحرير، فتقلدوا أسيافهم، وكَمَنوا له مقابل

(٣٠) وذكر سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص، ص ١٨٥ قال: وروي ان ابن ملجم دخل بها، فلمّا فرغ منها ازداد عشقًا لها، فقالت له: والله لا تساكني حتّىٰ تقتل عليًّا، ثمّ قالت: إني سأطلب لك رجلًا يساعدك...

السّدة، وحضر الأشعث بن قيس لمعونتهم، فقال لابن ملجم: النجا النجا، فقد فضحك الصبح، فأحسّ حجر بن عديّ بما أراد الأشعث، وخرج مبادرًا ليمضي إلىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام فدخل عليه السّلام المسجد فسبقه ابن ملجم فضربه بالسيف.

وقال محمد بن عبدالله الأزدي أقبل أمير المؤمنين عليه السّلام وهو ينادي الصّلاة الصّلاة، فإذا هو مضروب، وسمعت قائلًا يقول: الحكم لله يا عليّ لا لك ولا لأصحابك، وسمعت عليًّا عليه السّلام يقول: فزت وربّ الكعبة، ثمّ يقول: لا يفوتنّكم الرجل.

وكان قد ضربه شبيب فأخطأه، ووقعت ضربته في الطاق، ومضىٰ هاربًا حتّىٰ دخل منزله، ودخل عليه ابن عم له فرآه يحلّ الحرير عن صدره، فقال: ما هٰذا لعلك قتلت أمير المؤمنين؟ فأراد أن يقول لا، فقال: نعم. فقتله الأزدي.

وأمّا ابن ملجم، فإنّ رجلًا من همدان لحقه وطرح عليه قطيفة فصرعه، وانسلّ الثالث بين النّاس.

وجيء بابن ملجم إلىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام فلمّا رآه قال: النّفس بالنّفس إن أنا متّ فاقتلوه كما قتلني، وإن سلمت رأيت فيه رأيي.

وفي رواية: إنْ أنا عشت رأيت فيه رأيي، وإن هلكت فاصنعوا به ما يصنع بقاتل النبيّ. فسئل عن معناه، فقال، اقتلوه ثمّ أحرقوه بالنّار(٣١) فقال ابن

---

(٣١) وهٰذه القطعة شواهد يجدها الطالب في الحديث ٧٤ من مقتل ابن أبي الدّنيا. والحديث (١٤٢٣) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السّلام من تاريخ دمشق: ج ٣، ص ٣٦٧.

وذكره ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ص ١٦٠، قال: وروي عن الحسن أنّه قال: أتيت أبي فقال لي: أرقت الليلة، ثم ملكتني عيناي فسنح لي...

ورواه السيّد الرضيّ في المختار ٦٨، من خطب النهج بلفظ: ملكتني عيناي، وأنا جالس، فسنح لي رسول الله صلّى الله عليه وآله ...

وذكره أيضًا سبط ابن الجوزي في التذكرة، قريبًا من لفظ نهج البلاغة. وقريب منه

←

ملجم: لقد ابتعته بألف وسممته بألف فإن خانني فأبعده الله، ولقد ضربته ضربة لو قسمت بين أهل الأرض لأهلكتهم.

وروي أنّه عليه السّلام قال: أطعموه وأسقوه وأحسنوا أساره، فإن أصح فأنا ولي دمي، إن شئت عفوت، وإن شئت استنفذت، وإن هلكت فاقتلوه، ثمّ أوصىٰ عليه السّلام فقال: يا بني عبد المطلب لا ألفينّكم تخوضون دماء المسلمين خوضًا، تقولون قتل أمير المؤمنين، ألا لا يقتلنّ بي إلاّ قاتلي. ونهىٰ عليه السّلام عن «المثلة».

انتهىٰ ما أردنا نقله عنه بتصرف ما يقتضيه السياق.

ورویٰ أبو الفرج في مقتل أمير المؤمنين من مقاتل الطالبيين ط ٢ بيروت، ص ٤٩، قال:

«قال أبو مخنف: حدثني أبي، عن عبدالله بن محمد الأزدي، قال: إني لأصلي تلك الليلة في المسجد الأعظم مع رجال من أهل المصر كانوا يصلّون في ذلك الشهر من أوّل الليل إلىٰ آخره، إذ نظرت إلىٰ رجال يصلون قريبًا من السّدة قيامًا وقعودًا وركوعًا وسجودًا ما يسأمون، إذ خرج عليهم عليّ بن أبي طالب الفجر، فأقبل ينادي: الصّلاة الصّلاة، فرأيت بريق السيف وسمعت قائلًا يقول: الحكم لله يا عليّ لا لك، ثمّ رأيت بريق سيف آخر، وسمعت صوت عليّ يقول: لا يفوتنّكم الرّجل».

وأيضًا رویٰ أبو الفرج معنعنًا، عن الإمام الحسن عليه السّلام قال: «خرجت وأبي يصلي في المسجد، فقال لي: يا بُنَيّ إنّي بتُّ الليلة أوقظ أهلي، لأنها ليلة الجمعة صبيحة يوم بدر، لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، فملكتني عيناي فسنح لي رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقلت: يا رسول الله

← ما رواه ابن عبد البرّ في الاستيعاب بهامش الإصابة: ج ٣، ص ٦٢، مع قوله: فجاء ابن النباح فآذنه بالصلاة، فخرج فاعتوره الرجلان.. وكذلك نقله السيوطي، في تاريخ الخلفاء ط ١، ص١٧٥.

ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد، فقال لي: ادع عليهم فقلت: اللّهم أبدلني بهم خيرًا منهم، وأبدلهم بي من هو شرٌّ مني.

[ثمّ] قال الحسن عليه السّلام: وجاء ابن النباح فآذنه بالصّلاة فخرج، وخرجت خلفه، فاعتوره الرجلان، فأمّا أحدهما فوقعت ضربته على الطاق، وأمّا الآخر فأثبتها في رأسه».

وروى الشيخ المفيد رحمه الله في الإرشاد؛ قال: «روىٰ عمّار الدهني عن أبي صالح الحنفي، قال: سمعت عليًّا عليه السّلام يقول: رأيت النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في منامي، فشكوت إليه ما لقيت من أمّته من الأود واللدد، وبكيت، فقال: لا تبك يا عليّ والتفت فالتفت فإذا رجلان مصفّدان، وإذا جلاميد ترضخ بها رؤوسهما.

قال أبو صالح: فغدوت إليه من الغد كما كنت أغدو إليه كلّ يوم، حتّىٰ إذا كنت في الجزّارين لقيت النّاس يقولون: قتل أمير المؤمنين».

وقريب منه في مناقب ابن شهرآشوب عن أبي صالح.

وروى الخوارزمي بإسناده، والشيخ المفيد رحمه الله عن إسماعيل بن زياد، قال: «حدّثتني أم موسىٰ خادمة عليّ عليه السّلام، وهي حاضنة فاطمة ابنته عليها السّلام، قالت: سمعت عليًّا عليه السّلام يقول لابنته أم كلثوم: يا بنية إني أراني قلّ ما أصحبكم، قالت: وكيف ذلك يا أبتاه؟ قال: إني رأيت رسول الله في منامي، وهو يمسح الغبار عن وجهي ويقول: يا عليّ لا عليك، قضيت ما عليك. قال: فما مكثنا إلّا ثلاثًا حتّىٰ ضرب عليه السّلام تلك الضربة، فصاحت أم كلثوم، فقال: يا بنية لا تفعلي، فإني أرىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يشير إليّ بكفه ويقول: يا علي هلمّ إلينا، فإنّ ما عندنا هو خير لك».

وقريب منه مرسلًا رواه ابن شهرآشوب في مقتل أمير المؤمنين عليه السّلام من كتاب المناقب.

وروى المجلسي رحمه الله، عن كتاب العدد القوية، عن أبي مخنف قال:

«جاء رجل من مراد إلىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام يصلي في المسجد فقال: احترس فإنّ أناسًا من مراد يريدون قتلك، فقال عليه السّلام: إنّ مع كلّ رجل ملكين يحفظانه ما لم يقدّر، فإذا جاء القدر خلّيا بينه وبينه[٣٢] وإنّ الأجل جنّة حصينة».

وقال الشعبي: أنشد أمير المؤمنين عليه السّلام قبل أن يستشهد بأيّام:

تلكم قريش تمنّاني لتقتلني فلا وربّك ما فازوا ولا ظفروا
فإنْ بقيت فرهن ذمتّي لهم وإنْ عدمت فلا يبقىٰ لها أثر
وسوف يورثهم فقدي علىٰ وجل ذلّ الحياة بما خانوا وما غدروا[٣٣]

وقال المسعودي: وكان عليّ رضي الله عنه كثيرًا ما يتمثل:

تلكم قريش تمنّاني لتقتلني فلا وربّك ما برّوا ولا ظفروا
فإن هلكت فرهن ذمّتي لهم بذات ودقين لا يعفو لها أثر[٣٤]

ورواها ابن شهرآشوب، في المناقب، عن أبي عثمان المازني، عنه عليه السّلام بزيادة قوله:

وإنْ هلكت فإنّي سوف اوترهم ذلّ المهات فقد خانوا وقد غدروا

---

(٣٢) ورویٰ عن ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ص ١٦٢ قال: وجاء رجل من مراد إلىٰ عليّ فقال له: يا أمير المؤمنين احترس فإن هنا قومًا يريدون قتلك، فقال إنّ لكلّ إنسان ملكين يحفظانه فإذا جاء القدر خلياه. ورواه سبط بن الجوزي في التذكرة ص ١٨٢ معنعنًا نقلًا عن طبقات ابن سعد كما رواه المجلسي رحمه الله عن كتاب العدد القوية ولكن بسند آخر. ورواه ابن عساكر بألفاظ مختلفة وأسناد متعددة وفي أوقات مختلفة من حياته عليه السّلام.

(٣٣) ورواه أيضًا سبط ابن الجوزي، في تذكرة الخواص ص ١٨٣، قال:
قال الشعبي: أنشد عليّ عليه السّلام قبيل قتله بأيّام: تلكم قريش تمنّاني لتقتلني...

(٣٤) ونقلها الحموي في ترجمة أمير المؤمنين عليه السّلام من معجم الأدباء: ج ١٤، ص٤٣، إلّا أنّه قال: فلا وجدك ما برّوا ولا ظفروا. وفي المصرع الأخير قال: بذات روقين.. ثمّ قال: يقال ذات روقين وذات ودقين، إذا كانت عظيمة.

قال المسعودي: وكان [عليه السّلام] يكثر من ذكر هٰذين البيتين:

أشدد حيازيمك للموت فإنّ الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت إذا حلّ بواديكا

وسمعا منه في الوقت الّذي قتل فيه، فإنّه قد خرج إلى المسجد وقد عسر عليه فتح باب داره[٣٥]، وكان من جذوع النخل، فاقتلعه .جعله ناحية، وانحلّ إزاره، فشدّه وجعل ينشد هٰذين البيتين المتقدمين[٣٦].

وروى الطبري وابن الأثير ـ بعد ما ذكرا أصل القضية بمثل ما ذكره المسعودي والشيخ المفيد وأبو الفرج وغيرهم إلاّ في خصوصيات نادرة ـ واللفظ من كامل ابن الأثير قالا: «فلمّا كان ليلة الجمعة ـ وهي الّتي واعد ابن ملجم أصحابه علىٰ قتل عليّ ومعاوية وعمرو بن العاص ـ فأخذ [ابن ملجم] سيفه ومعه شبيب ووردان، وجلسوا مقابل السّدة الّتي يخرج منها علي للصلاة[٣٧]، فلمّا خرج عليّ نادىٰ، أيها النّاس الصّلاة الصّلاة، فضربه بالسيف فوقع سيفه بعضادة الباب، وضربه ابن ملجم علىٰ قرنه بالسيف وقال: الحكم لله، لا لك يا عليّ ولا لأصحابك وهرب وردان فدخل منزله فأتاه رجل من أهله فأخبره وردان بما كان، فانصرف عنه وجاء بسيفه فضرب به وردان حتّىٰ قتله، وهرب شبيب في

(٣٥) وروىٰ محمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول ص ١٣٦، قبيل الفصل العاشر من ترجمة أمير المؤمنين عليه السّلام وبيان حاله قال: فلمّا كانت ليلة ثلاث وعشرين من الشهر فقام ليخرج من داره إلى المسجد لصلاة الصبح، وقال: إنّ قلبي ليشهد أني لمقتول في هٰذا الشهر، وفتح الباب، فتعلق الباب بمئزره فجعل ينشد:

أشدد حيازيمك للموت فإنّ الموت لاقيكا، الخ.

فخرج وقتل.

(٣٦) وقال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ص ١٦٢: وخرج عليّ في الليلة الّتي قتل فيها وهو يقول: أشدد حيازيمك، ...

(٣٧) وقال اليعقوبي: وخرج عليّ في الغلس فتبعته إوز كنّ في الدار فتعلقن بثوبه فقال عليه السّلام: صوائح تتبعها نوائح.

وقريب منه رواه ابن عساكر في الحديث (١٤٢٠ ـ ١٤٢٢) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السّلام من تاريخ دمشق: ج ٣، ص ٣٦٣، وفي نسخة ابن عساكر ص ١٥٠.

الغلس وصاح النّاس فلحقه رجل من حضرموت يقال له عويمر، وفي يد شبيب السيف فأخذه وجلس عليه، فلمّا رأى الحضرمي النّاس قد أقبلوا في طلبه وسيف شبيب في يده خشي علىٰ نفسه فتركه، ونجا شبيب في غمار النّاس.

ولمّا ضرب ابن ملجم عليًّا قال: لا يفوتنّكم الرجل، فشدَّ النّاس عليه فأخذوه[٣٨]، وتأخر عليّ، وقدَّم جعدة» ـ وفي تاريخ الطبري: «ودفع في ظهر جعدة» ـ ابن هبيرة، وهو ابن أخته أم هاني ليصلّي بالنّاس الغداة.

وقال عليّ عليه السّلام: أحضروا الرّجل عندي، فأدخل عليه، فقال، أي عدوّ الله ألم أحسن إليك؟ قال: بلىٰ. قال: فما حملك علىٰ هٰذا؟ قال: شحذته أربعين صباحًا، وسألت الله أن يقتل به شرَّ خلقه. فقال عليّ: لا أراك إلّا مقتولاً به، ولا أراك إلّا من شر خلق الله، ثمّ قال: النّفس بالنّفس، إن هلكت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي [ثمّ قال عليه السّلام:] يا بني عبد المطلب، لا ألفينّكم تخوضون دماء المسلمين خوضًا، تقولون: قتل أمير المؤمنين، ألا لا يقتلن إلّا قاتلي، انظر يا حسن، إن أنا متُّ من ضربته هٰذه فاضربه ضربة بضربة، ولا تمثّل بالرجل، فإني سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: إياكم والمثلة، ولو بالكلب العقور.

---

(٣٨) وقال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ص ١٦٠، «فلمّا خرج عليّ للصلاة، وثب [ابن ملجم] عليه وقال: الحكم لله لا لك يا عليّ، وضربه علىٰ قرنه بالسيف، فقال عليّ: فزت وربّ الكعبة، ثمّ قال: لا يفوتنّكم الرّجل، فشدَّ النّاس عليه فأخذوه، فلمّا قتل عليًّا قال: لقد احددت سيفي بكذا وكذا، وسممته بكذا، وضربت به عليًّا لو كانت بأهل المصر لأتت عليهم.

ثم قال ابن قتيبة: وادخل ابن ملجم علىٰ عليّ بعد ضربه إيّاه فقال: أطيبوا إطعامه، وألينوا فراشه، فإنْ أعش فأنا ولي دمي، إمّا عفوت وإمّا اقتصصت، وإنْ أمت فألحقوه بي، ولا تعتدوا إنّ الله لا يحبُّ المعتدين.

قالوا: وبكت أم كلثوم، وقالت لابن ملجم: يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين، قال: ما قتلت أمير المؤمنين، ولكنّي قتلت أباك، قالت: والله إني لأرجو أن لا يكون عليه بأس، قال: وَلِمَ تبكين إذًا؟ والله لقد أرهفت السيف، ونفيت الخوف، وحببت الأجل، وقطعت الأمل، وضربته ضربة لو كانت بأهل المشرق لأتت عليهم».

هٰذا كلّه ابن ملجم مكتوف، فقالت له أم كلثوم ابنة عليٍّ: أي عدوّ الله، لا بأس علىٰ أبي، والله مخزيك، قال: فعلىٰ من تبكين؟ والله إنّ سيفي اشتريته بألف، وسممته بألف، ولو كانت هٰذه الضربة بأهل مصر ما بقي منهم أحد».

البحث الرابع:

حول أعماله عليه السّلام في الليلة الّتي ضرب فيها:

روى الشيخ الزاهد أبو الحسين ورّام ابن أبي فراس رحمه الله، في أوّل الجزء الثاني، من كتاب تنبيه الخواطر، عن محمد بن الحسن القصباني، عن إبراهيم بن محمد بن مسلم الثقفي قال: «حدثنا عبدالله بن بلخ المنقري، عن شريك، عن جابر، عن أبي حمزة اليشكري، عن قدامة الأودي، عن إسماعيل بن عبدالله الصلعي، وكانت له صحبة قال: لمّا كثر الاختلاف بين أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقتل عثمان بن عفّان تخوّفت علىٰ نفسي الفتنة، فاعتزمت على اعتزال النّاس فتنحّيت إلىٰ ساحل البحر، فأقمت فيه حينًا، لا أدري ما فيه النّاس معتزلًا لأهل الهجر والأرجاف، فخرجت من بيتي لبعض حوائجي وقد هدأ الليل، ونام النّاس، فإذا أنا برجل علىٰ ساحل البحر يناجي ربّه ويتضرّع إليه بصوت شجي وقلب حزين، فنهضت إليه وأصغيت إليه من حيث لا يراني، فسمعته يقول: يا حسن الصحبة، يا خليفة النبيّين، يا أرحم الراحمين، البديء البديع الّذي ليس مثلك شيء، والدائم غير الغافل، والحي الّذي لا يموت: أنت كلّ يوم في شأن، أنت خليفة محمد، وناصر محمد، ومفضّل محمد أنت الّذي أسألك أن تنصر وصي محمد، وخليفة محمد، والقائم بالقسط بعد محمد، اعطف عليه بنصر، أو توفاه برحمة.

قال: ثمّ رفع رأسه وقعد مقدار التشهد، ثمّ أنّه سلّم فيما أحسب تلقاء وجهه، ثمّ مضىٰ فمشىٰ على الماء، فناديته من خلفه كلّمني يرحمك الله، فلم يلتفت، وقال: الهادي خلفك فاسأله عن أمر دينك. فقلت: من هو يرحمك الله؟ فقال: وصي محمد من بعده. فخرجت متوجهًا إلى الكوفة، فأمسيت دونها، فبت قريبًا

من الحيرة، فلمّا أجنني الليل إذا أنا برجل قد أقبل حتّىٰ استتر برابية ثم صف قدميه فأطال المناجاة، وكان فيما قال: اللّهم إني سرت فيهم ما أمرني رسولك وصفيك فظلموني، فقتلت المنافقين كما أمرتني فجهلوني، وقد مللتهم وملوني وأبغضتهم وأبغضوني، ولم تبق خلّة إلّا المرادي، اللّهم فعجّل له الشقاوة، وتغمدني بالسعادة، اللّهم قد وعدني نبيك أن تتوفاني إذا سألتك، اللّهم وقد رغبت إليك في ذلك.

قال: ثم مضىٰ فقفوته، فدخل منزله، فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السّلام، قال: فلم ألبث إذ نادى المنادي بالصلاة فخرج، واتّبعته حتّىٰ دخل المسجد، فعمّمه ابن ملجم لعنه الله بالسيف».

وروى ابن شهرآشوب رحمه الله في المناقب قال: «روي أنّه عليه السّلام في تلك الليلة قال لابنته أم كلثوم: يا بنيّة إنّي أراني قلّ ما أصحبكم، قالت: وكيف ذلك يا أبتاه؟ قال رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في منامي وهو يمسح الغبار عن وجهي، ويقول: يا عليّ لا عليك، قد قضيت ما عليك. قالت: فما مكثنا حتّىٰ ضرب تلك الليلة الضربة».

وروىٰ غير واحد من أصحابنا وغيرهم، كالشيخ المفيد في الإرشاد، والراوندي في الخرائج، وابن شهرآشوب في المناقب، وأيضًا روى الخوارزمي في المناقب ص ٢٨٢، والزرندي في نظم درر السمطين ط ١، ص ١٣٧، وابن الأثير في أسد الغابة: ج ٤، ص ٣٥ والكامل، قالوا: ما معناه «أنَّ أمير المؤمنين عليه السّلام كان يفطر في هٰذا الشهر [يعني شهر رمضان الّذي استشهد فيه] ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند عبدالله بن جعفر (٣٩)، ولا يزيد علىٰ ثلاث

(٣٩) هٰذا هو الصحيح، الموافق لما أورده السمهودي في الذكر (١٤) من القسم الثاني من كتاب جواهر العقدين الورق ٢٣٨ / ب، وفي الحديث (١٤١٣) من ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق: ج ٣، ص ٣٥٨، وبعض كتب التواريخ والمقاتل أبدل ابن جعفر بابن عباس، وهو وهم، لأنَّ ابن عباس لم يثبت حضوره في الشهر الّذي قتل فيه

←

لقم فقال له أحد ولديه الحسن أو الحسين عليهما السّلام في ذلك ، فقال: يا بني يأتي أمر الله وأنا خميص، وإنّما هي ليلة أو ليلتان».

وروى ابن شهرآشوب في المناقب، عن الحسن البصري: إنّه قال: إنّ عليًّا عليه السّلام سهر في تلك الليلة لصلاة الليل علىٰ عادته، فقالت أم كلثوم: ما هٰذا السهر؟ قال: إني مقتول لو قد أصبحت. فقالت: مُر جعدة فليصلِّ بالنّاس، قال: نعم مروا جعدة ليصلِّ، ثمّ مرَّ عليه السّلام وقال: لا مفرَّ من الأجل، وخرج قائلًا:

خلوا سبيل الجاهد المجاهد   في الله ذي الكتب وذي المجاهد

في الله لا يعبد غير الواحد   ويوقظ النّاس إلى المساجد

أقول: ويدلّ علىٰ صدق هٰذه الحكاية ما ذكره معنعنًا، في الحديث ٤، من الباب ٤٧، من الكتاب ٤، من الكافي، ص ٢٥٩، عن الحسن بن الجهم قال: «قلت للرّضا عليه السّلام: إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قد عرف قاتله، والليلة الّتي يقتل فيها، والموضع الّذي يقتل فيه؛ وقوله لما سمع صياح الإوز في الدار: «صوائح تتبعها نوائح» وقول أم كلثوم: «لو صليت داخل الدار وأمرت غيرك يصلي بالنّاس» فأبىٰ عليها، وكثر دخوله وخروجه بلا سلاح، وقد عرف عليه السّلام أنّ ابن ملجم قاتله بالسيف...»».

وذكر الحسن البصري علىٰ ما في المناقب قال:

→ أمير المؤمنين عليه السّلام بالكوفة، ولو ثبت حضور ابن عباس بالكوفة لم يصح أيضًا افطار أمير المؤمنين عليه السّلام في بعض الليالي عنده علىٰ سبيل النوبة كما هو المستفاد من هٰذا الخبر المستفيض، لأنّه لم يكن لابن عباس في الكوفة أهل حتّىٰ يفطر أمير المؤمنين عليه السّلام في بعض الليالي عنده، بل الأمر بالعكس، يعني ابن عباس بما أنّه ضيف كان إفطاره عند أمير المؤمنين عليه السّلام، فالصحيح الّذي يناسب العرف وعادة البشر، هو انه عليه السّلام فرّق إفطاره في الليالي علىٰ بيت السيدين الحسن والحسين، وعلىٰ بيت عبدالله بن جعفر ابن أخيه لأنّه كان من ساكني الكوفة، وكان ابن أخيه، وكانت بنت أمير المؤمنين عليه السّلام زينب الكبرىٰ زوجته.

وكان عليه السّلام في تلك الليلة يكثر الخروج والنظر إلى السماء وهو يقول: «والله ما كذبت، وإنها الليلة الّتي وعدت بها» ثمّ يعاود مضجعه، فلمّا طلع الفجر أتاه ابن النباح ونادى الصلاة فاستقبله الأوز في وجهه [فطردوهنّ] فقال عليه السّلام: «دعوهنّ فإنهنّ صوائح تتبعها نوائح»، ولمّا أراد الخروج تعلّقت حديدة من الباب على مئزره، فشدّ إزاره يقول:

أشدد حيازيمك للموت فإنّ الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت إذا حلّ بواديكا

وقال ابن الأثير في الكامل: «وقال الحسن بن كثير، عن أبيه، قال: خرج عليٌّ من الفجر، فأقبل الإوز يصحن في وجهه، فطردوهنّ عنه، فقال: ذروهنّ فإنهنّ نوائح(٤٠)، فضربه ابن ملجم في ليلته.

ثمّ قال الحسن بن عليّ [عليه السّلام] يوم قتل عليّ: «خرجت البارحة وأبي يصلي في مسجد داره فقال لي: يا بُنَيّ إني بتُّ أوقظ أهلي لأنّها ليلة الجمعة صبيحة بدر، فملكتني عيناي فنمت فسنح لي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقلت: يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللّدد ـ قال: والأود: العوج، واللّدد: الخصومات ـ فقال لي: ادع عليهم. فقلت: اللّهم أبدلني بهم من هو خير منهم، وأبدلهم بي من هو شرّ منّي(٤١). فجاء ابن النباح فآذنه بالصلاة

(٤٠) وذكره مسندًا في ترجمة أمير المؤمنين عليه السّلام من أسد الغابة: ج ٤، ص ٣٦، ثم قال: وهٰذا يدل على انه عليه السّلام علم السنة والشهر والليلة الّتي يقتل فيها، والله أعلم.

قال أبو جعفر: ونعم ما استفاد وأنصف، ولكن كان عليه أن يضيف إلى ما ذكره لفظ الساعة ويقول: وهٰذا يدل على أنّه عليه السّلام علم السنة والشهر والليلة والساعة الّتي يقتل فيها، وكأنّه اتّقى من أهل نحلته.

(٤١) وقريب منه ذكره مسندًا في مقتله عليه السّلام من أسد الغابة: ج ٤، ص ٣٦ عن الحسين بن علي عليه السّلام. ثمّ قال ابن الأثير: كذا في هٰذه الرواية الحسين بن عليّ، وإنّما هو الحسن. ثم ذكر مرسلاً الحديث عن الحسن عليه السّلام ورواه ابن عساكر ←

فخرج وخرجت خلفه فضربه ابن ملجم فقتله، وكان عليه السّلام إذا رأى ابن ملجم قال:

أريــد حـياته ويـريد قـتلي عذيرك من خليلك من مراد

قال: وقيل من غير وجه: إنّ عليًّا عليه السّلام كان يقول: ما يمنع أشقاكم أن يخضب هٰذه من هٰذا ـ يعني لحيته من دم رأسه».

وقال المسعودي: «وقيل، إنّ عليًّا لم ينم تلك الليلة، وإنّه لم يزل يمشي بين الباب والحجرة وهو يقول: والله ما كذبت، ولا كذبت، وإنّها للّيلة الّتي وعدت فيها. فلمّا خرج صاح بطٌّ كان للصبيان، فصاح بهنَّ بعض من في الدار، فقال علي عليه السّلام: ويحك دعهنَّ فإنهنَّ نوائح.

ثمّ إنّه عليه السّلام قد خرج إلى المسجد، وقد عسر عليه فتح باب داره، وكان من جذوع النخل، فاقتلعه وجعله نـاحية، وانحـلَّ إزاره، فشـدَّه وجـعل ينشد:

أشدد حيازيمك للـمو ت فإنّ الموت لاقيكا

ولا تجزع مـن المـوت إذا حــلّ بــواديكــا

وأيضًا قال المسعودي: وكان عليّ عليه السّلام يخرج كلّ غداة أوّل الأذان

← بطرق في الحديث: (١٤١٦) وما حوله من ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق ج ٣، ص ٣٥٩، وروىٰ مسندًا عن الإمام الحسن عليه السّلام بطرق كثيرة، في تاريخ ابـن عساكر.

وقال ابن عبد ربّه، في العقد الفريد: ط ٢، ج ٣، ص ١٢٤: «قال الحسن بن عليّ صبيحة الليلة الّتي قتل فيها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه،: حدثني أبي البارحة في هٰذا المسجد، فقال، يا بُنَيّ إني صلّيت البارحة ما رزق الله، ثمّ نمت نومة فرأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فشكوت إليه ما أنا فيه من مخالفة أصحابي، وقلة رغبتهم في الجهاد، فقال: ادع الله أن يريحك منهم، فدعوت الله.

وقال الحسن في صبيحة تلك الليلة: أيها النّاس إنّه قتل فيكم الليلة رجل كـان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يبعثه فيكتنفه جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فلا ينثني حتىٰ يفتح الله له، ما ترك إلّا ثلاثمائة درهم».

يوقظ النّاس للصلاة، وقد كان ابن ملجم مرَّ بالأشعث وهو في المسجد، فقال له: فضحك الصبح[٤٢]، فسمعها حجر بن عدي، فقال: قتلته يا أعور قتلك الله؟

وخرج عليّ رضي عنه ينادي أيّها النّاس الصلاة، فشدَّ عليه ابن ملجم وأصحابه، وهم يقولون: الحكم لله لا لك وضربه ابن ملجم علىٰ رأسه بالسيف في قرنه؛ وأمّا شبيب فوقعت ضربته بعضادة الباب، وأمّا مجاشع بن وردان فهرب، وقال عليّ: لا يفوتنّكم الرّجل، وشدَّ النّاس على ابن ملجم يرمونه بالحصباء ويتناولونه ويصيحون، فضرب ساقه رجل من همدان برجله، وضرب المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب وجهه فصرعه، وأقبل به إلى الحسن، ودخل ابن وردان بين النّاس فنجا بنفسه.

وهرب شبيب حتّىٰ أتىٰ رحله، فدخل إليه عبدالله بن نجدة ـ وهو أحد بني أبيه ـ فرآه ينزع الحرير عن صدره، فسأله عن ذلك فخبره [خبره] فانصرف عبدالله إلىٰ رحله، وأقبل إليه بسيفه فضربه حتّىٰ قتله.

وقال الطبري: «وذكر أنّ محمد بن الحنفية[٤٣] قال: كنت والله إني لأصلّي تلك الليلة الّتي ضرب فيها عليّ في المسجد الأعظم، في رجال كثير من أهل المصر يصلّون قريبًا من السدّة، ما هم إلّا قيام وركوع وسجود، وما يسأمون من أوّل الليل إلىٰ آخره، إذ خرج عليّ لصلاة الغداة، فجعل ينادي أيّها النّاس الصّلاة

---

(٤٢) وقريب منه ذكره أيضًا سبط ابن الجوزي في التذكرة، ص ١٨٦، قال: «وذكر بعضهم أنَّ الأشعث بن قيس كان مواطئًا لهم علىٰ قتل أمير المؤمنين عليه السّلام فاجتمعوا في الليل في المسجد، وكان حجر بن عدي نائمًا في المسجد، فسمع الأشعث يقول: لهم أسرعوا فقد ضحك الصبح، فقال له حجر،: ما تقول يا أعور، ثمّ قصد عليًّا ليخبره فوجده قد جاء من موضع آخر، فقيل: فخرج يريد صلاة الصبح، فأقبلن الأوز يصحن في وجهه، فقال: إنهنّ نوائح، فلمّا حصل في المحراب هجموا عليه، فضربه ابن ملجم..».

(٤٣) وكذلك ذكره الزرندي في نظم درر السمطين: ط ١، ص ١٤١.

ولعل الصواب محمد بن عبدالله الأزدي ـ كما تقدم نقلًا عن السروي وأبي الفرج في أواسط البحث الثالث ص ٣٤٣ وص ٣٤٤، من هذه الطبعة ـ أو محمد بن حنيف، كما ذكره الخوارزمي في الحديث ٣، من الفصل ٢٦، من المناقب ط ١، ٢٧٧.

الصّلاة، فما أدري أخرج من السّدة فتكلم بهٰذه الكلمات أم لا، فنظرت إلىٰ بريق وسمعت: الحكم لله يا عليّ، لا لك ولا لأصحابك، فرأيت سيفًا ثم رأيت ثانيًا، ثمّ سمعت عليًّا يقول: لا يفوتنّكم الرجل(٤٤)؛ وشدّ النّاس عليه من كلّ جانب. قال: فلم أبرح حتىٰ أخذ ابن ملجم، وأدخل علىٰ عليّ، فدخلت فيمن دخل من النّاس فسمعت عليًّا يقول: النّفس بالنّفس، إنْ أنا متُّ فاقتلوه كما قتلني، وإنْ بقيت رأيت فيه رأيي. ثم قال الطبري: وذكر أنّ النّاس دخلوا على الحسن فزعين لما حدث من أمر عليّ، فبينما هم عنده وابن ملجم مكتوف بين يديه، إذ نادته أم كلثوم بنت عليّ وهي تبكي: أي عدوّ الله لا بأس علىٰ أبي والله مخزيك. قال: فعلىٰ من تبكين؟ والله لقد اشتريته بألف، وسممته بألف، ولو كانت هٰذه الضربة علىٰ جميع أهل المصر ما بقي منهم أحد».

وذكره أيضًا الشيخ المفيد رحمه الله في الإرشاد الطبعة الثالثة، بيروت ص ١٨، قال: «فأخرج [ابن ملجم] من بين يديه عليه السّلام وانّ النّاس ينهشون لحمه بأسنانهم كأنّهم سباع، وهم يقولون: يا عدوّ الله ما فعلت، أهلكت أمة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وقتلت خير النّاس، وإنّه لصامت لم ينطق فذهب به إلى الحبس، وجاء النّاس إلىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام فقالوا: يا أمير المؤمنين مرنا بأمرك في عدوّ الله، والله لقد أهلك الأمّة وأفسد الملّة. فقال لهم: إنْ عشت رأيت فيه رأيي، وإنْ هلكت فاصنعوا به كما يصنع بقاتل النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، اقتلوه ثم حرّقوه بعد ذلك بالنّار(٤٥) ...».

---

(٤٤) وروى ابن الأثير في ترجمة أمير المؤمنين عليه السّلام من أسد الغابة ج ٤، ص٣٨، معنعنًا عن هارون بن أبي يحيىٰ، عن شيخ من قريش: أنّ عليًّا لمّا ضربه ابن ملجم قال: فزت وربّ الكعبة.

(٤٥) وقريب من ذيل الرواية مذكور في الحديث (١٤٢٣) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السّلام من تاريخ دمشق ج ٣، ص ٣٦٧، وفي النسخة المخطوطة المرسلة ص ١٥٠ ـ بحذف السند ـ وقال أيضًا في ترجمته عليه السّلام من تاريخه ١٥٣: أخبرنا أبو عليّ ابن السبط، قال:

←

تنبيه:

قد استقرت آراء الفرقة المحقّة علىٰ أنّه عليه السّلام كان في الصلاة حين ضربه اللعين، فلمّا أحس عليه السّلام بالضربة قال: فزت وربّ الكعبة، ثمّ نادىٰ: أيّها النّاس لا يفوتنكم الرّجل.

فإنْ سأل سائل: بأنّه هل هٰذه العقيدة مستند، وهل تعرَّض أحد هٰذه المسألة، أو هل يمكن استخلاص دليل لهٰذه الآراء من كلام المؤرخين أو المحدّثين، أو غيرهم من علماء الإسلام، أم هٰذه عقيدة مجرَّدة غير مدعمة بعماد، ولا لها استناد؟

والجواب: إنَّ هٰذا المعنىٰ ذكره غير واحد من علماء المسلمين كما أشار إليه أبو عمر في الإستيعاب، حيث قال:

«اختلفوا في صفة أخذ ابن ملجم، فلمّا أخذ قال عليّ رضي الله عنه: احبسوه فإنْ متُّ فاقتلوه، ولا تمثلوا به، وإنْ لم أمت فالأمر إليّ في العفو والقصاص.

واختلفوا أيضًا هل ضربه في الصلاة، أو قبل الدخول فيها، وهل استخلف من أتمّ بهم الصلاة أو هو أتمّها؟ والأكثرون أنّه استخلف جعدة بن هبيرة، فصلّىٰ بهم تلك الصلاة، والله أعلم.

وشيعة أهل البيت ـ وهم الّذين لم يفارقوهم أبدًا، وفدوهم بنفسهم ونفيسهم ـ لا ريب عندهم، أنّه عليه السّلام ضرب وهو في الصلاة، ويشعر به كلام الطبري وغيره ممّن عبَّر بتعبيره، حيث قال: فشدَّ النّاس على ابن ملجم فأخذوه، وتأخر عليّ، ودفع في ظهر جعدة ليصلّي بالنّاس الغداة... وذكره أيضًا سبط ابن الجوزي في التذكرة ص ١٦٢ قال: فلمّا حصل عليّ في المحراب!! هجموا

← لمّا ضرب ابن ملجم عليًّا الضربة قال علي: افعلوا به كما أراد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنْ يفعل برجل أراد قتله، فقال: اقتلوه ثمّ حرّقوه. وهٰذا قد تقدم أيضًا برواية ابن شهرآشوب في المناقب في أواسط البحث الثالث ص ١١٢، وسيجيء أيضًا شواهد أخر في تعليقات المختار: (٦٨) من هذا الباب ج ٨ من الطبعة الجديدة.

عليه فضربه ابن ملجم، وتأخر عليّ عن المحراب، وقدَّم جعدة فصلّىٰ بالنّاس...

وهٰذا ظاهر في أنّه عليه السّلام كان في المحراب حين وقع عليه سيف اللعين.

فإنْ قلت أوّلًا: إنّ هٰذا التعبير معارض بما ذكره الطبري وغيره من قول الراوي: «ما أدري أن عليًّا دخل السّدة أم لا، إذ رأيت بريق سيف وسمعت قائلًا يقول: «الحكم لله يا عليّ لا لك ولا لأصحابك» ثمّ رأيت بريق سيف آخر وسمعت عليًّا يقول «فزت وربّ الكعبة، أيّها النّاس لا يفوتنكم الرّجل...». فإنّ هٰذا الكلام ظاهر بل صريح بأنّه عليه السّلام ضرب بالسيف بمجرّد دخوله في السّدة، أو في آن دخوله في المسجد.

وثانيًا: إنّ المستفاد من عبارة الطبري ومن حذا حذوه في التعبير هو الإشعار بما ذكرت، والإشعار ليس بحجة، بل لابدّ في الدلالة من الصراحة أو الظهور، وهما مفقودان.

قلت: أمّا قول الراوي: «ما أدري أدخل السّدة أم لا إذ سمعت قائلًا يقول» فمحمول علىٰ أنّه لم تطل المدة بين دخوله عليه السّلام وبين وقوع الضربة عليه.

وأمّا الإشكال الثاني فمدفوع، بأنّا لم نجعل تعبير الطبري دليلًا، بل قلنا فيه إشعارًا بالمطلب، لا سيما بملاحظة أن القدماء من المحدّثين والمؤرّخين كانوا خائفين من ذكر مناقب عليّ عليه السّلام وأولاده، وكانوا يلوّحون إلى المطلب خيفة من بعض أتباع معاوية حيث كانوا يعتقدون أنّ عليًّا عليه السّلام لا يصلّي!!

وقد روىٰ شيخ الطائفة رحمه الله في الحديث ١٨، من المجلس ١٣، من الأمالي معنعنًا، عن الإمام السجاد عليه السّلام قال: «لمّا ضرب ابن ملجم لعنه الله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام وكان معه آخر فوقعت ضربته على الحائط، وأمّا ابن ملجم فضربه فوقعت الضربة وهو ساجد على الضربة الّتي كانت، فخرج الحسن والحسين عليهما السّلام وأخذا ابن ملجم وأوثقاه،

واحتمل أمير المؤمنين فأدخل داره، فقعدت لبابة عند رأسه، وجلست أم كلثوم عند رجليه، ففتح عينيه فنظر إليهما فقال: الرفيق الأعلىٰ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا، ضربة بضربة أو العفو إن كان ذلك، ثم عرق عليه السّلام ثمّ أفاق فقال: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يأمرني بالرواح إليه عشاءً [ثلاث مرات]».

وممّن تعرّض وصرّح بوقوع الضربة علىٰ رأسه الشريف في حال الصلاة، هو محمد بن طلحة، في مطالب السؤول ص ١٨٤، قال: «فلمّا كانت الليلة الّتي تقدم ذكرها، خرج من منزله لأجل صلاة الصبح، وكان في داره شيء من الإوز، فلمّا صار في صحن الدار تصايح الإوز في وجهه، فقال عليه السّلام: صوائح تتبعها نوائح، ثمّ خرج فلمّا وقف في موضع الأذان أذّن ودخل المسجد وقد كان ابن ملجم في تلك الليلة في بيت قطام، فلمّا سمعت صوت عليّ عليه السّلام قامت إلىٰ ابن ملجم وقالت: يا أخا مراد هذا أمير المؤمنين عليّ، فقم واقضِ حاجتنا وارجع قرير العين، ثمّ ناولته سيفه، فأخذ السيف وجاء ودخل المسجد ورمىٰ بنفسه بين النيام، وأذّن عليّ ودخل المسجد فجعل ينبّه من بالمسجد من النيام، ثمّ صار إلىٰ محرابه فوقف فيه، واستفتح وقرأ فلمّا ركع وسجد سجدة ضربه علىٰ رأسه، فوقعت الضربة علىٰ ضربة عمرو بن عبد ودّ يوم الخندق بين يديّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم..».

وأيضًا روىٰ ابن عساكر في الحديث (١٤٢٠ ـ ١٤٢٢) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق ط ٣، ج ٣، ص ٣٦٣ قال: أخبرنا أبو القاسم اسماعيل بن أحمد: أنّ عبد الرّحمٰن بن ملجم ضرب عليًّا في صلاة الصبح علىٰ دهش، بسيف كان سمّه بالسمّ، ومات من يومه، ودفن بالكوفة ليلًا.

البحث الخامس

في ذكر العوّاد وما قالوا لأمير المؤمنين عليه السّلام وما قال لهم.

فمن كتاب دستور معالم الحكم، وتاريخ ابن عساكر ص ١٥٣، وكشف

الغمّة عن الإمام الحسن عليه السّلام قال: «دخلت علىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام وهو يجود بنفسه لمّا ضربه ابن ملجم، فجزعت لذلك، فقال لي: أتجزع؟ فقلت: وكيف لا أجزع وأنا أراك علىٰ هٰذه الحالة؟ فقال عليه السّلام: ألا أعلمك خصالاً أربع، إنْ أنت حفظتهنّ نلت بهنّ النجاة، وإنْ أنت ضيعتهنّ فاتك الداران، يا بُنَيّ لا غنىٰ أكبر من العقل، ولا فقر مثل الجهل، ولا وحشة أشد من العجب، ولا عيش ألذ من حسن الخلق(٤٦)».

وروىٰ شيخ الطائفة رحمه الله في الحديث ٤٢٩ / ٢١، من المجلس التاسع من أماليه: ص ٢٤٧ (طبعة دار الثقافة ـ قم)، معنعنًا، عن ميثم رحمه الله قال: «سمعت عليًّا أمير المؤمنين عليه السّلام وهو يجود بنفسه يقول: يا حسن، فقال الحسن: لبيّك يا أبتاه، قال: إنّ الله تعالىٰ أخذ ميثاق أبيك ـ وربما قال: أعطىٰ ميثاقي ـ وميثاق كلّ مؤمن علىٰ بغض كلّ منافق وفاسق، وأخذ ميثاق كلّ منافق وفاسق علىٰ بغض أبيك».

وروى الصّدوق رحمه الله معنعنًا عن حبيب بن عمرو قال: «دخلت علىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام في مرضه الّذي قبض فيه، فحلّ عن جراحته، فقلت

---

(٤٦) هٰذا الّذي ذكرناه أوردناه من ترجمة أمير المؤمنين عليه السّلام من كتاب كشف الغمّة.
وأمّا ابن عساكر فقد روىٰ بسنده عن أحمد بن محمّد بن المحلي ـ كما في الحديث: (١٤٢٦) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السّلام من تاريخ دمشق: ج ٣، ص ٣٦٨، قال: «أخبرنا أبو السعود أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن المحلي، قال: لمّا ضرب ابن ملجم عليًّا دخل عليه الحسن وهو باك، فقال له: ما يبكيك يا بُنَيّ؟ قال: ومالي لا أبكي وأنت في أوّل يوم من الآخرة، وآخر يوم من الدّنيا. فقال: يا بُنَيّ احفظ أربعًا وأربعًا، لا يضرّك ما عملت معهنّ. قال: وما هنّ يا أبة؟ قال: إنّ أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العجب، وأكرم الكرم حسن الخلق. قال: قلت يا أبة هٰذه الأربع، فأعطني الأربع الأخر. قال: إيّاك ومصادقة الأحمق، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرك، وإياك ومصادقة الكذاب، فإنّه يقرّب إليك البعيد، ويبعّد عليك القريب، وإياك ومصادقة البخيل، فإنّه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصادقة الفاجر، فإنّه يبيعك بالتافه».

يا أمير المؤمنين: ما جرحك هٰذا بشيء وما بك من بأس. فقال لي: يا حبيب أنا والله مفارقكم الساعة. قال: فبكيت عند ذلك، وبكت أم كلثوم، فقال لها: يا بنيّة ما يبكيك؟ فقالت: ذكرت يا أبة أنك تفارقنا الساعة فبكيت. فقال لها: يا بنيّة لا تبكينَ فوالله لو ترين ما يرىٰ أبوك ما بكيت. قال حبيب: فقلت له: وما الّذي ترىٰ يا أمير المؤمنين فقال: يا حبيب أرىٰ ملائكة السماوات والنبيين بعضهم في أثر بعض وقوفًا إلىٰ أن يتلقوّني، وهٰذا أخي محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جالس عندي يقول: أقدم فإنَّ أمامك خير لك ممّا أنت فيه. قال [حبيب]: فما خرجت من عنده حتّىٰ توفيّ عليه السّلام...».

وعن القطب الراوندي رحمه الله في كتاب الخرائج، عن عمرو بن الحمق رحمه الله قال: «دخلت علىٰ عليّ أمير المؤمنين عليه السّلام حين ضرب الضربة بالكوفة، فقلت: ليس عليك بأس إنّما هو خدش. قال عليه السّلام: لعمري إني لمفارقكم الساعة، ثمّ أغمي عليه، فبكت أم كلثوم، فلمّا أفاق قال: لا تؤذيني يا أم كلثوم، فإنّك لو ترين ما أرىٰ [ما بكيت]، إن الملائكة من السماوات السبع بعضهم خلف بعض، والنبيين يقولون: انطلق يا عليّ فما أمامك خير ممّا أنت فيه..» كما في البحار: ج ٩، ص ٦٥٥، طبع الكمباني.

وعن ابن الأثير معنعنًا في أسد الغابة: ج ٤، ص ٣٨، عن عمرو ذي مرّ قال: «لمّا أصيب عليّ بالضربة دخلت عليه وقد عصب رأسه، فقلت: يا أميرَ المؤمنين أرني ضربتك، فحلّها، فقلت: خدش وليس بشيء. قال إني مفارقكم، فبكت أم كلثوم من وراء الحجاب، فقال لها: أسكتي فلو ترين ما أرىٰ لما بكيت. فقلت: يا أمير المؤمنين ماذا ترىٰ؟ قال: هٰذه الملائكة وفود والنبيون، وهٰذا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: يا عليّ أبشر فما تصير إليه خير ممّا أنت فيه.

وروىٰ أبو الفرج عن أبي مخنف عن عبدالله بن محمد الأزدي قال: أُدخل ابن ملجم علىٰ عليّ عليه السّلام، ودخلت عليه فيمن دخل، فسمعت عليًّا عليه السّلام يقول: النّفس بالنّفس إن أنا متُّ فاقتلوه كما قتلني، وإن سلمت رأيت فيه رأيي، فقال ابن ملجم: ولقد اشتريته ـ يعني السيف ـ بألف، وسممته بألف، فإن

خانني فأبعده الله(٤٧)».

وعن كثير من أرباب التاريخ والتأليف: «أنّه قال اللعين: سألت الله أنْ يقتل به شرّ خلقه. فقال عليّ عليه السّلام: قد أجاب الله دعوتك، يا حسن إذا متُّ فاقتله بسيفه(٤٨). قال أبو الفرج: فنادته أم كلثوم: يا عدوّ الله قتلت أمير المؤمنين. قال: إنّما قتلت أباك. قالت: يا عدوّ الله إنّي لأرجو أن لا يكون عليه بأس. قال: فأراك إنّما تبكين عليه، والله لقد ضربته ضربة لو قسمت بين أهل الأرض لأهلكتهم.

قال أبو الفرج: وانصرف النّاس من صلاة الصبح فأحدقوا بابن ملجم ينهشون لحمه بأسنانهم كأنّهم السباع ويقولون: يا عدوّ الله ماذا صنعت أهلكت أمّة محمد وقتلت خير النّاس، وإنّه لصامت ما ينطق.

قال: ثم جمع له أطباء الكوفة، فلم يكن منهم أحد أعلم بجرحه من أثير ابن عمرو بن هاني السكوني ـ وكان متطببًا صاحب كرسي يعالج الجراحات، وكان من الأربعين غلامًا الّذين كان ابن الوليد أصابهم في عين التمر فسباهم ـ فلمّا نظر أثير إلىٰ جرح أمير المؤمنين عليه السّلام دعا برئة شاة حارة، فاستخرج منها عرقًا وأدخله في الجرح ثمّ نفخه، ثمّ استخرجه وإذا عليه بياض الدماغ فقال: يا أمير المؤمنين اعهد عهدك فإنَّ عدوّ الله قد وصلت ضربته إلىٰ أمّ

(٤٧) وذكره الكنجي الشافعي مسندًا في الحديث ١ من الباب العاشر من كفاية الطالب ص ٣١٨، في عنوان ذكر ما صنع بقاتله وما قال فيه. عن قثم مولى الفضل قال: «لمّا قتل ابن ملجم لعنه الله عليًّا عليه السّلام ودخلت عليه فيمن دخل، سمعته يقول للحسن والحسين ومحمد بن الحنفية: النّفس بالنّفس إنْ أنا متُّ فاقتلوه كما قتلني، وإنْ سلمت رأيت فيه رأيي...»

(٤٨) وقال الزرندي في نظم درر السمطين ص ١٤٥: وأخذوا ابن ملجم وأتوا به عليًّا عليه السّلام فقال له: أي عدوّ الله ألم أحسن إليك؟ قال: بلىٰ، قال: فما حملك علىٰ هٰذا؟ قال: شحذته أربعين صباحًا، وسألت الله أن يقتل به شرّ خلقه. قال عليّ عليه السّلام: فلا أراك إلّا مقتولًا به، ولا أراك إلّا من شرّ خلق الله.

رأسك[٤٩] فدعا عليّ عليه السّلام عند ذلك بدواة وصحيفة وكتب وصيّته: هٰذا ما أوصىٰ به أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، أوصىٰ ... وساق الوصيّة الشريفة بمثل ما يجيء في المختار: (٦٨) ص ٤٤١ من هذا الباب، باختلاف طفيف في بعض الألفاظ.

قال أبو الفرج: «وروىٰ أبو مخنف عن أبي الطفيل، أنّ صعصعة بن صوحان استأذن علىٰ عليّ عليه السّلام وقد أتاه عائدًا لمّا ضربه ابن ملجم، فلم يكن عليه إذن، فقال صعصعة للآذن: قل له يرحمك الله يا أمير المؤمنين حيًّا وميتًا، فلقد كان الله في صدرك عظيمًا، ولقد كنت بذات الله عليمًا، فأبلغه الآذن مقالته، فقال [أمير المؤمنين عليه السّلام]: قل له: وأنت يرحمك الله فلقد كنت خفيف المؤنة كثير المعونة».

وروى الشيخ المفيد رحمه الله في الحديث ٣، من المجلس ٤٢، من أماليه ص ٣٥١، والشيخ الطوسي رحمه الله أيضًا في الحديث ١٩١ / ٤، من المجلس ٥، من أماليه: ص ١٢٢، عن أبي بكر محمد بن عمر الجعابي، قال حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني، قال حدثنا أبو عوانة موسىٰ بن يوسف العطار الكوفي، قال حدثنا محمد بن سليمان المقري الكندي، عن عبد الصمد بن عليّ النوفلي عن أبي إسحاق السبيعي: عن الأصبغ بن نباتة العبدي قال: «لمّا ضرب ابن ملجم أمير عليّ بن أبي طالب عليه السّلام عَدَوْنا عليه نفر من أصحابنا أنا والحرث وسويد ابن غفلة وجماعة معنا، فقعدنا على الباب فسمعنا البكاء فبكينا، فخرج إلينا الحسن بن عليّ عليه السّلام، فقال: يقول لكم أمير المؤمنين: انصرفوا إلىٰ منازلكم. فانصرف القوم غيري، واشتدّ البكاء من منزله فبكيت، فخرج الحسن عليه السّلام فقال: ألم أقل لكم انصرفوا فقلت لا والله يا بن رسول الله ما تتابعني نفسي ولا تحملني رجلي أن أنصرف حتّىٰ أرىٰ أمير

---

(٤٩) ورواه أبو عمر بن عبد البرّ معنعنًا في الاستيعاب بهامش الإصابة: ج ٣، ص ٦٢ إلّا أنّه لم يشر إلى الوصية الشريفة.

المؤمنين عليه السّلام، قال: فبكيت فدخل فلم يلبث أن خرج فقال لي: ادخل، فدخلت علىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام، فإذا هو مستند معصوب الرأس بعمامة صفراء، قد نزف واصفرّ وجهه، ما أدري وجهه أصفر أم العمامة، فأكببت عليه فقبّلته وبكيت، فقال لي: لا تبك يا أصبغ فإنّها والله الجنّة، فقلت له: جعلت فداك إني أعلم والله أنك تصير إلى الجنّة، وإنّما أبكي لفقدي إياك، يا أمير المومنين جعلت فداك، حدثني بحديث سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وآله، فإني أراك لا أسمع منك حديثًا بعد يومي هذا أبدًا.قال: نعم يا أصبغ، دعاني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يومًا فقال لي: يا عليّ انطلق حتّىٰ تأتي مسجدي ثم تصعد منبري ثمّ تدعو النّاس إليك، فتحمد الله تعالىٰ وتثني عليه وتصلي عليَّ صلاة كثيرة ثم تقول:

أيّها النّاس إني رسول رسول الله صلّى الله عليه وآله إليكم، وهو يقول لكم: أن لعنة الله ولعنة ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين ولعنتي علىٰ من انتمى إلىٰ غير أبيه، أو ادّعى إلىٰ غير مواليه، أو ظلم أجيرًا أجره.

فأتيت مسجده صلّى الله عليه وآله وصعدت منبره، فلمّا رأتني قريش ومن كان فيها في المسجد أقبلوا نحوي، فحمدت الله وأثنيت عليه وصلّيت علىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله صلاة كثيرة ثم قلت: أيّها النّاس إني رسول رسول الله صلّى الله عليه وآله إليكم، وهو يقول لكم: ألا إن لعنة الله ولعنة ملائكته وأنبيائه المرسلين ولعنتي علىٰ من انتمىٰ إلىٰ غير أبيه، أو ادّعى إلىٰ غير مواليه، أو ظلم أجيرًا أجره، قال: فلم يتكلم أحد من القوم إلّا عمر بن الخطاب، فإنّه قال قد أبلغت يا أبا الحسن ولكنك جئت بكلام غير مفسّر، فقلت: أبلغ ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله، فرجعت إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله فأخبرته الخبر، فقال: ارجع إلىٰ مسجدي حتّىٰ تصعد منبري فاحمد الله واثن عليه وصلّ عليّ ثمّ قل:

يا أيّها النّاس ما كنا لنجيئكم بشيء إلّا وعندنا تأويله وتفسيره، ألا وإنّي

أنا أبوكم، ألا وإنّي أنا مولاكم، ألا وإنّي أنا أجيركم(٥٠)».

وروى ابن شهرآشوب في المناقب طبع النجف، ج ٣، ص ٩٦ قال: وفي خبر عن الأصبغ أنّ عليًّا عليه السّلام قال: «لقد ضربت في الليلة الّتي قبض فيها يوشع بن نون، ولأقبض في الليلة الّتي رفع فيها عيسىٰ بن مريم».

البحث السادس:

قال أبو جعفر المحمودي: ربّما تخيّل متخيّل، وتمسّك غافل، وتعلق متجاهل، بقول أمير المؤمنين عليه السّلام: «كم أطردت الأيّام أبحثها عن مكنون هٰذا الأمر، فأبى الله إلّا إخفاءه، هيهات علم مكنون» ويقول: إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام لم يكن عالمًا تفصيلًا بزمان قتله، وإنّما كان عالمًا إجمالًا، لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أخبره بنحو الإجمال، لا بالصراحة والتفصيل.

وتقريب التمسك والاستدلال: إنّ معنىٰ قوله عليه السّلام: «كم أطردت الأيّام أبحثها عن مكنون هٰذا الأمر»: مازلت أبحث عن كيفية قتلي يومًا فيومًا، فإذا لم أجده في يوم طردته وانصرفت عنه واستقبلت يومًا آخر، وهٰكذا حتّىٰ وقع المقدور، وهٰذا يدلّ علىٰ أنّه عليه السّلام لم يعلم خصوصيات ما جرىٰ عليه وابتلي به.

أقول: هٰذا الكلام خبط من قائله، وسهو من ناسجه، وتيه من مستدلّه.

أمّا أولًا: فلإجمال هٰذه الفقرات من كلامه عليه السّلام وتعدّد الوجوه المحتملة منه، وصلاحيته للحمل علىٰ معنىٰ صحيح لا ينافي ساحة صاحب الولاية، ووصيّ رسول الله، وحافظ الدّين القويم والشريعة الأبدية؛ وقابليته لأنْ يراد منه معنًى لا يصادم الأخبار المتواترة الدالة علىٰ أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام كان عالمًا بجميع الحوادث بتعليم من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم

---

(٥٠) أقول: ويجيء ما يوضحه، ويبيّن اجماله في ص ٣٨٦ هٰذه.

وإفاضة من الله تبارك وتعالىٰ.

والمعنى الّذي يصحّ أن يحمل الكلام عليه: هو أن يراد من الكلام: أني مرارًا وفي كثير من الأوقات أردت أن أخبركم بمكنون أمري وما لاقيته وسألاقيه من الفتن الحاجزة بيني وبين وصولي إلىٰ حقّي وتسنّمي منصبي الخلافة، فأبى الله إلّا إخفاءه عنكم، لأنّه علم مكنون لا يمسّه إلّا المطّهرون ممّن لم ينقدح الشك في قلوبهم، ولأنّي لو أخبرتكم لتضعضعتم ووهنتم عن جهاد أعدائي معي وهم أعداء الله ـ الجهاد الّذي غايته العظمىٰ إعلام المجتمع البشري وإلفات أنظار العقلاء إلىٰ أنّي ومن تبعني بواد، وعدوّي ومن تبعه ومن أسّس أساسه بوادٍ آخر.

فعلىٰ هٰذا يكون هٰذا الكلام مثل قوله عليه السّلام في المختار(٥) من خطب نهج البلاغة: «بل اندمجت علىٰ مكنون أمر لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطّوي البعيدة» فالمراد من إباء الله إلّا اخفاء الأمر، إخفاؤه علىٰ أصحابه عليه السّلام لا إخفاؤه عليه.

ويصح أيضًا أن يريد عليه السّلام من قوله: «كم اطردت الأيّام أبحثها عن مكنون هٰذا الأمر...». الشهادة في سبيل الله، والفوز بلقاء الله، ومرافقة الصديقين والشهداء والصالحين، لأنّه عليه السّلام كان آنس بالموت من الطفل بثدي أمّه، وكان مشتاقًا إلى لقاء ربّه، فيرجع معنى الكلام إلىٰ أنّه عليه السّلام لفرط اشتياقه الشهادة كان يطلبها في كلّ يوم فإذا لم ينلها فيه يستقبل يومًا آخر، ويتمنّى الشهادة والقتل في سبيل الله فيه، وهٰكذا حتّىٰ وقع المقدور، ومعنىٰ قوله: «فأبى الله إلّا إخفاءه» أي أبى الله إظهاره بوقوعه قبل وقته المقدّر له، بل أخفاه بإبقائه إلى الزمان الّذي قدّر وقوعه فيه ولهٰذا الاحتمال شواهد.

منها: أنّه عليه السّلام بكىٰ يوم استشهد حمزة وبعض أهل بيته، فسأله رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن سبب بكائه، فقال: يا رسول الله لأني لم أفز بالشهادة كما فازوا، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لا تبك فإنّ الشهادة من ورائك، فكيف صبرك إذا خضبت هٰذه من هٰذا بدم؟ وأشار صلّى الله

عليه وآله وسلّم بيده إلى لحيته ورأسه. فقال عليّ: يا رسول الله أمّا إن تثبت لي ما أثبت فليس ذلك من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشرىٰ والكرامة».
كما رواه ابن الأثير في ترجمة أمير المؤمنين عليه السّلام من كتاب أسد الغابة: ج ٤، ص ٣٤، وغيره.

ومنها: ما يأتي في المختار ١١، من هذا الباب، من قوله عليه السّلام: «والله ما فجأني من الموت وارد كرهته، ولا طالع أنكرته، وما كنت إلّا كقارب ورد، وطالب وجد، وما عند الله خير للأبرار» حيث إنّه عليه السّلام شبّه نفسه الكريمة في طلب الموت والشهادة في سبيل الله بعطشان حمله العطش علىٰ طلب الماء ليلًا، ولم يمكّنه التصبُّر إلى الصباح، أو ظمآنٍ طوى السباسب والبراري لورود الماء وقد قرب منه ولم يبق بينه وبين الماء إلّا يومان، أو ليلة.

وحينئذٍ فمعنىٰ قوله عليه السّلام «كم اطردت الأيّام أبحثها عن مكنون...» أني لشدة ظمئي في الشهادة، وفرط رغبتي في القتل في سبيل الله لا زلت أطلبها من الأيّام، وأبحثها عن مطلوبي وأمنيتي، فإذا لم أجدها في يوم طردته وتركته واستقبلت يومًا آخر، إلّا أن الله عزّ وجلّ أخّر وقتها ولم يعجلها لمصالح اقتضت ذلك.

وأمّا ثانيًا: فلوجوب رفع اليد وارتكاب التأويل لو فرض أن الكلام ظاهر أو صريح فيما ادّعي من دلالته علىٰ ما ذكروه، إذ الأدلة القاطعة متواترة علىٰ أنّه عليه السّلام كان عالمًا بالبلايا والمنايا، وأخبر بوقوع الحوادث قبل وقوعها فكان الأمر علىٰ ما أخبر، وأجمع أئمّة أهل البيت عليهم السّلام علىٰ أنّهم عالمون ـ بإفاضة من الله ووراثة من رسول الله ـ بما كان وما يكون إلىٰ يوم القيامة، واحتجّوا على المرتابين بوجوه:

منها: أنّه يستحيل أن يوجب الله طاعة شخص على العالمين ثم يحجب عنه خبر السماء والأرض.

ومنها: أنّهم عليهم السّلام قالوا للشاكين: ويلكم إنَّ ميثم التمار ورشيد

الهجري وأمثالهم كانوا يعلمون علم المنايا والبلايا، فكيف لا يعلمه قوّام دين الله، وحفّاظ الشريعة الخالدة؟!

فإن قلت: قد دلّت غير واحدة من الآيات القرآنية علىٰ أنّ الغيب لله، وأنّ مفاتح الغيب عند الله، وأنّه لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلّا الله، إلىٰ غير ذلك من الآيات الكريمات فكيف يصحّ ادّعاء إجماع أهل البيت علىٰ أنّهم يعلمون الغيب؟

قلت: إنّ كلّ واحدة من الآيات ناظرة إلىٰ جهة خاصة لا تنافي اتفاق أئمّة أهل البيت عليهم السّلام علىٰ أنّهم يعلمون الغيب، وحيث لا مجال لنا فعلًا لبيان تلك الجهات الخاصة الّتي كانت ملحوظة في الآيات المذكورة، فلنذكر ما هو أقرب لتفنيد تلك المزعمة، وأسهل لعرفان صحة ما أجمع عليه خزّان علم الله، وورثة رسول الله، فنقول:

إنّ القرآن المقدّس مشحون بالإخبار بالغيب، وكذلك تواتر عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه أخبر بالغيب ثم وقع الأمر علىٰ ما أخبر به؛ أخبر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّ أبا لهب يموت على الكفر، وسيصلىٰ هو وامرأته نارًا ذات لهب [كما في سورة المسد] وأخبر صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّ جماعة المستهزئين سيهلكون، قال الله تعالىٰ: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ وأخبر أن جماعة معهودة من الكفار لا يؤمنون، كما في الآية ٦ من سورة البقرة ﴿إنّ الّذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾، وأخبر أن الكفّار سيُغلَبون ويموتون على الكفر، كما في قوله ﴿قل للّذين كفروا ستغلَبون وتحشرون إلىٰ جهنم﴾ [آل عمران / ١٢] وأخبر أن الفرس سيغلبون بعد غلبتهم وظفرهم، وأن الروم سيغلبون بعد مغلوبيتهم وانهزامهم، قال الله تعالىٰ ﴿الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين﴾ إلىٰ غير ذلك من الآيات، ولعلّ الأخبار الغيبية لا تقل عن عشر القرآن المقدّس، فإنْ كنت قاصر الهمة عن لحاظها بجملتها، فالحظ على الأقل سورة الفتح، فإنّ فيها عدّة أخبار غيبية تغنيك عن ملاحظة سائر الآيات، وعمّا أخبره

الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم ببيانه الشريف.

وحينئذ نسأل المنكرين لعلم الغيب لغير الله ونقول: أأنتم مذعنون ومصدّقون بما أخبر الله ورسوله به؛ أم أنتم منكرون أو شاكّون؟ ونقول: أيضًا أكان سلفكم وأكابركم في عهد الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم مؤمنين بهٰذه المغيّبات الّتي أخبر الله ورسوله بها إيمانًا قطعيًا وتصديقًا علميًا أم كانوا منكرين لها أو شاكين فيها؟

فإن قلتم: إنا مع سلفنا منكرون لها، وغير مصدِّقيها، أو شاكون فيها، لا مصدّقون ولا مكذبون ولا مذعنون ولا رادون.

قلنا لكم: يا معشر المنكرين والمكذِّبين، ويا ملأ الشاكين والمرتابين، إنَّ مسألتنا هٰذه فرع التصديق بالقرآن الكريم والرسول العظيم، تعالوا إلى البحث في إعجاز القرآن وهل أنّه حجّة الله وبرهانه لإثبات نبوة من جاء به وتحدّىٰ به، أم لا؟ فإذا فرغنا من ذلك نتكلم بأنّه هل يصح لحافظ القرآن والمهيمن على الشريعة أن يعلم الغيب أم لا؟ إذ إنْ إثبات الفرع قبل الأصل غير ممكن.

فإن قلتم: إنا كأسلافنا مصدِّقون بما في القرآن العظيم تصديقًا يقينيًا، وإيمانًا قطعيًّا، فكان سلفنا يعلمون بإخبار الله ونبيه أن أبا لهب يموت ويصلىٰ مع امرأته نارًا ذات لهب، وأنَّ المعهودين من الكفار لا يؤمنون سواء أنذرهم الرسول أم لم ينذرهم، وأن الفرس سيُغلَبون، وأن الروم سيَغلِبون، وأن الله سيفتح لهم فتحًا مبينًا، إلى الكثير من المغيبات الّتي ورد الإخبار عنها في الكتاب العزيز.

قلنا: ثبّتكم الله أيّها المصدِّقون، أليس تصديق أسلافكم وتصديقكم هٰذا تصديقًا وعلمًا بالغيب؟ أليس هٰذا إذعانًا بالشيء قبل وقوعه، وعلمًا بأمر يغيب عن الحواس والقوى الإدراكية؟ وهل العلم بالغيب إلّا الاعتراف العلمي بشيء يغيب عن الحواس؟

فإنْ قلت: إنّ هٰذا علم بالغيب بنحو جزئي وليس مثل ما ادّعيتم لأئمة

أهل البيت عليهم السّلام، من أنَّ هٰذا القسم خارج عن محلّ النزاع لأنّه بإعلام الله لنبيّه بالوحي، والنبي أيضًا أعلم أمّته بذلك.

قلنا: إنّكم ادعيتم ان المستفاد من الآيات أنّ الغيب لله، ويستحيل أنْ يعلمه غير الله، وإلّا يكون مناقضًا للآيات ومخالفًا لها وهو باطل، وقد اعترفتم أنَّ التصديق ببعض ما غاب عنّا والعلم بشيء ما، لا ينافي الآيات، وهٰذا المقدار يكفينا في نفي ما قلتم من أنّه لا يعلم الغيب إلّا الله، وفي عدم التنافي بين كون الغيب لله وعلم الأئمة بالغيب.

وأمّا ما قلتم: «إنَّ هٰذا خارج عن محلّ البحث، لأنّه بإعلام القرآن والنبيّ فعجيب». لأنّ هٰذا عين ما ندّعيه لأنا نعتقد أن الرسول يتلقّى الغيب من الله تعالىٰ كما قال الله تعالىٰ: ﴿عالم الغيب فلا يظهر علىٰ غيبه أحدًا إلّا من ارتضىٰ من رسول﴾ [الجن / ٢٦] والأئمة يتلقون من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في الخبر المتواتر: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»، .كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام في الخبر الصحيح المتفق عليه: «علّمني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ألف باب من العلم، يفتح من كل باب ألف باب». وفي خبر: «ينفتح من كلّ باب ألف باب من العلم».

نعم، قد يلهم الله تبارك وتعالىٰ وليّه ببعض الغيوب بلا وساطة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كما أنّه تبارك قد يُري ويلهم نبيّه في المنام أو في اليقظة ببعض الغيوب بلا واسطة أمين الوحي، كما أرىٰ نبيّه أنّه دخل المسجد الحرام مع أصحابه محلّقين آمنين، وكما أراه في المنام أنَّ جماعة من بني أمية ينزون علىٰ منبره نزو القردة.

بل قد يُلهم الله بالغيب غير النبيّ والولي أيضًا كما قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وأوحينا إلىٰ أمّ موسىٰ أنْ أرضعيهِ فإذا خِفْتِ عليهِ فألقيهِ فـي ٱليَـمِّ ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادُّوهُ إليكِ وجاعِلُوهُ مِنَ ٱلمُرْسَلِينَ﴾(٥١) فقد تبيَّن ممّا

---

(٥١) الآية ٧ من سورة القصص: ٢٨.

ذكرنا أنّ القول بأنّ الأئمّة عليهم السّلام لا يعلمون الغيب باطل، ومرجعه إمّا الجهل بالحقائق ومقامات أولياء الله عليهم السّلام، وإمّا الغفلة عن قدرة الله والتجاهل عن شؤون أصفيائه، وإمّا العناد واللجاج والمشّاقة لتراجمة وحي الله وحفظة سرّ الله.

أمّا الطائفة الثالثة فلا يقنعهم شيء ولو جئنا بكل نبيّ ووصيّ، ومعجز تكويني، إذ لا يعدون أن يقولوا ـ كأسلافهم الجهّال المردة ـ ﴿إنْ هٰذا إلّا سحرٌ مبين﴾[٥٢]، والبرهان الوحيد الّذي أعدَّ الله تبارك وتعالى لهؤلاء هو الخلود في النّار.

وأمّا الطائفتان الأوليان فيكفيهم ما ذكره علماؤنا قدّس الله أسرارهم وقد أتينا علىٰ نبذة منه، ونذكر أيضًا شذرة أخرىٰ.

ولنا طريقة أخرىٰ لإثبات العلم بالغيب لأوصياء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وتقريره:

إنّا معاشر الإماميّة نقول: الإطّلاع علىٰ ما غاب عنّا ـ سواء أكان موجودًا فعلاً، أم لا ـ أمر ممكن وشيء جائز، والله الغالب القاهر قادر علىٰ كل ممكن، والأئمّة المعصومون عليهم السّلام قابلون وصالحون لأن يكونوا محلًّا لهٰذه الموهبة المفاضة من الله، وهم عليهم السّلام أهل للاتصاف بهٰذه الصفة الكمالية، والأدلة على اتصافهم بها متواترة متكاثرة، وكلّما كان الأمر علىٰ ما وصفنا يجب أن يكونوا عالمين بالغيب، ويجب على النّاس أن يقرّوا لهم بذلك.

ومنكر هٰذه الخصيصة لأهل بيت الوحي إمّا أن يقول باستحالة الأمر الأوّل وأنّه غير معقول، فنقول له: بيّنوا لنا ما وجه استحالته وعدم إمكانه، هل يلزم من امكانه اجتماع النقيضين أو الخلف والدور أو التسلسل أو شيء آخر من جهات الامتناع؟ وكلّ ذلك مفقود، وهو كسائر الأمور الممكنة. ويقال له: أليس وقوع الشيء أدل دليل علىٰ إمكانه؟ وأنتم قد اعترفتم بتحققه للأنبياء، وقد تواتر

(٥٢) الآية ١١٠، من سورة المائدة: ٥.

عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه أخبر ببعض المغيبات، وقد نطق القرآن المجيد علىٰ أنّ المسيح عليه السّلام كان يخبر بني إسرائيل بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم.

وإمّا أن يقول بعدم القدرة لله تعالى لإفاضة التمكين علىٰ عبد من عباده بالإطلاع علىٰ ما غاب عنه، ولا نعهد أحدًا من أهل الإسلام أنكر قدرته تعالىٰ شأنه.

وإمّا أن يقول المنكر: إنّ سيد العترة أمير المؤمنين وأولاده الطاهرين غير صالحين لأنْ يكونوا محلًا لهٰذه الموهبة، ولا جديرين بالاتصاف بهٰذه الصفة.

وهٰذا أيضًا ممّا لم يلتزم به أحد من المسلمين، بل من عرف أمير المؤمنين وأولاده عليهم السّلام يذعن ويعترف بأنّه ليس في الكون من هو أحقّ منهم بأن يكونوا موردًا للفيوضات الربّانية والعنايات الرحمانية.

ولو فرض أنّ بعض من لم يخرج من قلبه حبّ الأوثان وبغض كاسر الأصنام، ادّعىٰ ذلك، وقال بعدم صلاحية أمير المؤمنين والمعصومين من أولاده للاتّصاف بهٰذه الخصيصة والتحلّي بهٰذه الموهبة، فهو محجوج بقول الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» وبقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أنا مدينة الحكمة وعليّ بابها» وبقوله: «عليّ أقضاكم» إلىٰ غير ذلك ممّا تواتر عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم في شأن أمير المؤمنين وأولاده الأئمة الاثني عشر عليهم السّلام.

وأيضًا يردُّ قول هٰذا المنكر المعاند للحقّ، بما أجمع عليه المسلمون ـ حتّىٰ خصوم أمير المؤمنين عليه السّلام كمعاوية وأضرابه ومن علىٰ شاكلته ـ من اختصاص أمير المؤمنين عليه السّلام بعلوم ليس عندهم، ولذا كان عليه السّلام ملجأهم في المشكلات، ومفزعهم في الملمّات، وكان عمر بن الخطاب إذا ضاق به الخناق يراجع أمير المؤمنين عليه السّلام فإذا حلَّ الإمام مشكلته، ورفع بعلمه عليه السّلام معضلته، قال: «لولا عليّ لهلك عمر» أو قال: «لا أبقاني الله لمعضلة

ليس لها أبو الحسن» إلىٰ غير ذلك ممّا تواتر عن الصحابة.

وكان معاوية مع تصلّبه في عداء أمير المؤمنين وتمركز الغلّ والعناد في قلبه، وكونه محورًا للحقد والبغضاء، ومعدنًا للشنآن والشحناء ـ يقول ـ بعد ما استشهد أمير المؤمنين عليه‌السّلام ـ: مات العلم والفقه بموت ابن أبي طالب.

وإمّا أن يقول المنكر: كلّ ما قدّمتموه فهو حقّ، أي إنّ الإطلاع علىٰ ما غاب عن الحسّ ممكن لا سيّما للنفوس الكاملة. وكذلك قدرة الله تعالىٰ قاهرة ومسيطرة علىٰ كلّ ممكن، فلا ممكن إلّا وهو خاضع لقدرته الغالبة وإرادته القاهرة، فله تعالىٰ أن يُطلع ويظهر علىٰ غيبه من شاء وأراد. وكذلك سيّد العترة أمير المؤمنين عليه السّلام حقيق علىٰ أن يكون مأوى للفيوضات الربوبية والعنايات الإلٰهية. إلّا أنّ الأدلّة في مقام الإثبات غير ناهضة علىٰ أن الله تبارك وتعالىٰ مكّن أمير المؤمنين عليه السّلام من الاتّصاف بهٰذه الصفة وهي العلم بالغيب، فالممنوع هو المقدّمة الرابعة، أي إنّه لم يقم لنا دليل علىٰ أنّه عليه السّلام كان متّصفًا بعلم الغيب، ولم ندّع قيام الدليل علىٰ عدم اتّصافه به.

والجواب أنّه لا ينبغي لمن له أدنى إلمام بتاريخ أمير المؤمنين عليه السّلام من كتب الفريقين أن يشكّ في اتّصاف أمير المؤمنين عليه السّلام بعلم الغيب وإخباره ببعض الحوادث قبل وقوعها، وإنّما ارتاب من ارتاب في علمه عليه السّلام بخصوصيات شهادته لصدور هٰذا الكلام المجمل منه عليه السّلام بعد ما ضربه اللعين ابن ملجم. وقد بيّنا أنّ هٰذا الكلام لو كان ظاهرًا أو صريحًا يجب تأويله وصرفه إلىٰ معنًى يطابق الأدلّة القاطعة الحاكمة بأنّ أمير المؤمنين عليه السّلام كان عالمًا بخصوصيات ما جرىٰ عليه، فضلًا عمّا لو كان الكلام مجملًا ومحتملًا لمعانٍ كثيرة، وقد تبيّن أنّه مجمل. وتحقّق أيضًا ممّا ذكرنا في سيرته عليه السّلام مع ابن ملجم قبل أن يضربه، أنّه عليه السّلام كان عالمًا تفصيلًا بما سيجري عليه، وكذا من إخباره عليه السّلام لابنته أم كلثوم: «بأنّي لو قد أصبحت قتلت» وكذا قوله عليه السّلام لمّا بلغه قدوم ابن ملجم: «أما إنّه ما بقي عليّ غيره وهٰذا أوانه». وكذا قوله عليه السّلام في الليلة الّتي ضرب فيها: «والله

إنها للّيلة الّتي وعدت فيها، ما كذبت ولا كذبت» إلىٰ غير ذلك ممّا ذكر وممّا لم يذكر هنا، وذكره أصحابنا في محالها، لا سيما ما ذكره السيّد البحراني رحمه الله والشيخ الحرّ رحمه الله في كتابي مدينة المعاجز، وإثبات الهداة، فإنّهما أتيا بما فوق المراد.

ولنختم المقام ببعض ما ثبت عنه عليه السّلام ونقله الأجلّاء، والشواهد الداخلية والخارجية قائمة علىٰ صدقه، ليكون نموذجًا لما لم يذكر هنا، وليكون لما أسّسنا سندًا، ولما مهدّنا دعائم وعمدًا، فنقول:

الكلام الأول: روىٰ ثقة الإسلام الكليني قدّس الله نفسه، بثلاثة أسانيد: «أنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان كثيرًا ما يقول: «أنا قسيم الله بين الجنّة والنّار، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا صاحب العصا والميسم، ولقد أقرّت لي جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقروا به لمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، ولقد حملت علىٰ مثل حمولته وهي حمولة الربّ(٥٣)، وأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يُدعىٰ فيُكسىٰ، وأدعىٰ فأكسىٰ، ويستنطق، وأستنطق، فأنطق علىٰ حدّ منطقه، ولقد أعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي، علّمت المنايا والبلايا، والأنساب وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني، ولم يعزب عني ما غاب عني(٥٤) أبشّر بإذن الله، وأؤدي عنه، كلّ ذلك من الله، مكّنني فيه بعلمه»، الحديث ١، من الباب ١٤، من كتاب الحجة، من أصول الكافي: ج ، ص ١٩٦، وقريب منه في الحديث ٢ و٣ منه.

---

(٥٣) حملت علىٰ بناء المتكلم المجهول، والحمولة بالضم: الإحمال، يعني كلّفني الله ربّي بمثل ما كلف محمدًا صلّى الله عليه وآله وسلّم من أعباء التبليغ والهداية، وحمولة الربّ أي الأحمال الّتي وردت من الله سبحانه لتربية النّاس وتكميلهم.

(٥٤) المنايا والبلايا: آجال النّاس ومصائبهم. وفصل الخطاب. أي الخطاب المفصول الّذي لا يشتبه على المخاطب والسامع. ولم يعزب، أي لم يغب ولم يخف عليّ علم ما سيأتي.

يا معشر العقلاء، أيجوز أن يعرف عليه السّلام آجال النّاس ومصائبهم ولم يخف عليه شيء ومع ذلك لا يعرف خصوصيات ما يجري عليه؟!

الكلام الثاني: ما رواه عنه عليه السّلام جماعة كثيرة من الخاصة والعامة، وقد بلغ حدَّ التواتر ـ كما سننقله بألفاظه الخاصة في شرح المختار: (٢٠٧) من خطب نهج البلاغة ـ ونذكره هنا ـ بلفظ ثقة الإسلام في كتاب الكافي ـ محذوف الإسناد، لئلا يطول الكلام، فنقول:

«قال سليم بن قيس: قلت لأمير المؤمنين عليه السّلام: إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذرّ شيئًا من تفسير القرآن وأحاديث عن نبيّ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم غير ما في أيدي النّاس، ثمّ سمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي النّاس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبيّ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنتم تخالفونهم فيها، وتزعمون أنَّ ذلك كلّه باطل، افترى النّاس يكذبون علىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله متعمدّين؟ ويفسُرون القرآن بآرائهم؟ قال [سليم] فأقبل [أمير المؤمنين عليه السّلام] عليَّ فقال: قد سألت فافهم الجواب:

إنَّ في أيدي النّاس حقًّا وباطلًا، وصدقًا وكذبًا، وناسخًا ومنسوخًا، وعامًّا وخاصًّا، ومحكمًا ومتشابهًا، وحفظًا ووهمًا، وقد كُذب علىٰ رسول صلّى الله عليه وآله وسلّم علىٰ عهده حتّىٰ قام خطيبًا فقال: «أيّها النّاس قد كثرت عليَّ الكذابة، فمن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوّأ مقعده من النّار» ثمّ كُذب عليه من بعده، وإنّما أتاكم الحديث من أربعة ليس معهم خامس، [ثمّ شرح عليه السّلام أن كلّ ما جاءت به الطوائف الأربع لا مساس له بالواقع، بل هو عن الحقّ والصدق لناكب، وإنّما الصحيحة منها منحصرة فيما خرج من بيتي وبيت من تبعني] ثمّ قال عليه السّلام:

وليس كلّ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يسأله عن الشيء فيفهم، وكان منهم من لا يسأله ولا يستفهمه، حتّىٰ أن كانوا ليحبُّون أن يجيء الأعرابي والطارئ[٥٥] فيسأل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّىٰ

---

(٥٥) الطارئ: الغريب؛ خلاف الأصلي، جمع طرّاء وطُراء.

يسمعوا، وقد كنت أدخل علىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كلّ يوم دخلة وكلّ ليلة دخلة، فيخلّيني فيها، أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه لم يصنع ذلك بأحد من النّاس غيري، فربّما كان في بيتي يأتيني رسول الله صّلى الله عليه وآله وسلّم أكثر ذلك في بيتي، وكنت إذا دخلت عليه بعض منازله أخلاني وأقام عني نساءه فلا يبقىٰ عنده غيري، وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا أحد من بنيّ، وكنت إذا سألته أجابني، وإذا سكتُّ عنه وفنيت مسائلي ابتدأني، فما نزلت علىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم آية من القرآن إلّا أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطّي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصّها وعامها، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله، ولا علماً أملاه عليّ وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئًا علّمه الله من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي كان أو يكون ولا كتاب منزل علىٰ أحد قبله من طاعة أو معصية إلّا علّمنيه وحفظته فلم أنسَ حرفًا واحدًا، ثمّ وضع يده علىٰ صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي فهمًا وحكمًا ونورًا[٥٦]، فقلت: يا نبيّ الله بأبي أنت وأمي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنسَ شيئًا، ولم يفتني شيء لم أكتبه، أفتتخوّف عليّ النسيان فيما بعد؟ فقال: لا، لست أتخوّف عليك النسيان والجهل».

الثالث ـ ما ذكره السيّد رحمه الله في المختار ١٨٧، من خطب نهج البلاغة عنه عليه السّلام حيث قال عليه السّلام في تلك الخطبة بعد كلام طويل:

« قد علمتم موضعي من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد، يضمني إلىٰ صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسّني جسده، ويشمّني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم

(٥٦) وليلاحظ ما ورد في تفسير الآية (١٢) وهي قوله تعالىٰ ﴿وتعيها أذن واعية﴾ من سورة الحاقة من كتاب شواهد التنزيل: ط ٢، ج ٢، ص ٣٦١ ـ ٣٨١.

يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل، ولقد قرن الله به صلّى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيمًا أعظم ملك من ملائكة، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت أتّبعه اتباع الفصيل أثر أمّه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علمًا، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد في الإسلام يومئذ غير رسول الله صلّى الله عليه وآله، وخديجة وأنا ثالثهما، أرىٰ نور الوحي والرسالة، وأشمّ ريح النبوة، ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقلت: يا رسول الله! ما هٰذه الرنّة؟ فقال: هٰذا الشيطان أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترىٰ ما أرىٰ، إلّا أنّك لست بنبيّ ولكنّك وزير، وإنك لعلىٰ خير [إلىٰ آخر كلامه الشريف]».

الرابع ـ ما رواه أيضًا السيّد رحمه الله في المختار ١٧٠ أو ١٧٥، من الباب الأوّل، من نهج البلاغة، قال عليه السّلام في تلك الخطبة:

«والله لو شئت أن أخبر كلّ رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ألا وإني مفضيه إلى الخاصة ممّن يؤمن ذلك منه، والّذي بعثه بالحق واصطفاه على الخلق، ما أنطق إلّا صادقًا، وقد عهد إليّ بذلك كلّه، وبمهلك من يهلك، ومنجىٰ من ينجو، ومآل هٰذا الأمر، وما أبقىٰ شيئًا يمرّ علىٰ رأسي إلّا أفرغه في أذني، وأفضىٰ به إليّ...»».

فنسألكم يا ذوي البصائر ـ يا أهل الإنصاف والوجدان، يا صاحبي العقول الراقية، والأنظار الثاقبة يا حماة الإنصاف، يا من لا ينطوي قلبه علىٰ إنكار الحقائق، يا من لا تجيش مراجل أضغان أمير المؤمنين في قلبه، يا من لا يضمر في قلبه حقد كاسر الأصنام، وحبّ الأرجاس والأوثان ـ أيجوز عندك أن يجهل حاله وما يجري عليه، من كان في صغره يرىٰ نور النبوة، ويشمّ ريح الرسالة؟ أم يسوّغ عقلك أن يكون جاهلًا بتفصيلات حياته، من شهد له الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنّه يسمع كلّ ما يسمعه الرسول،

ويرىٰ كلّ ما يراه، غير أنّه ليس بنبيّ بل وزير ووصي؟ بالله عليكم، هل يمكن أن لا يكون عالمًا بخصوصيات ما يجري عليه، من كان علمه بحيث لو أراد يخبر جميع مخاطبيه ـ وهم ملايين ـ بجميع شؤونهم لفعل، ولكنه لم يفعل لأنه خاف منهم أن يكفروا فيه برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟

سبحان الله! إنّ مثل أمير المؤمنين عليه السّلام يحلف بالله بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قد عهد إليه بهلك من يهلك، ومنجىٰ من ينجو، وأنه صلّى الله عليه وآله وسلّم ما أبقىٰ شيئًا يمرّ عليه ويبتلي به إلا وقد أخبره وأفضى إليه، وهو عليه السّلام وعاها بأذنه الواعية، ومع ذلك كلّه يقول أناس: إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام لم يكن عالمًا بخصوصيات الحوادث الجارية عليه، إنّ هٰذا لشيء عجاب!!

الكلام الخامس ـ ما ذكره أيضًا السيّد الرضي رحمه الله في بداية المختار ٩٠ من خطب نهج البلاغة، من قوله عليه السّلام:

فاسألوني قبل أنْ تفقدوني، فو الّذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مائة، أو تضلّ مائة، إلّا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحطّ رحالها، ومن يقتل من أهله قتلًا، ومن يموت منهم موتًا[٥٧] (إلىٰ آخر بيانه الكريم العزيز).

وقد تواتر عنه عليه السّلام أنّه في غير واحد من مقاماته كان يصيح على الأعواد: سلوني قبل أن تفقدوني فإنّ بين الجوانح مني لعلمًا جمًّا.

وكان عليه السّلام أحيانًا يكشف عن صدره منبع العلوم ويقول: هٰذا لعاب رسول الله صلّى الله عليه وآله، وهٰذا ما زقّني رسول الله زقًّا. وأحيانًا كان

---

(٥٧) ورواه قبله مسندا ابن أبي شيبة في أواخر كتاب الفتن برقم: (١٩٥٨٠) من كتاب المصنف ط ١، ج ١٥، ص ٢٣٨.

وعند العلامة الأميني في ثمرات الأسفار: ج ١، ص ٢٠٦.

ورواه أيضًا عنه السيوطي في أواسط مسند عليّ عليه السّلام من جمع الجوامع ط ١، ج ٢، ص ١٧١.

عليه السّلام يشير إلىٰ قلبه ينبوع الحكمة ويقول: إن هٰهنا لعلمًا جمًّا لو أصبت له حملة. وقد كان عليه السّلام يقول: لو ثنيت لي لوسادة وجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم...

وكان عليه السّلام يحرق أعداءه بنار الرعب والحسد برجزه:

ولي السبقة في الإسلام طفلًا ووجيها
ولي الفضل على النّا س بفاطم وبنيها
ثم فخري برسول الله إذ زوّجنيها
وإذا أنزل ربّي آية علّمنيها
ولقد زقّني العلم لكي صرت فقيها

وكان عليه السّلام في أحايين يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله إني بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض!

ونعم ما قال بعض محبيه عليه السّلام:

ومن ذا يساميه بمجد ولم يزل يقول سلوني ما يحلّ ويعظم
سلوني ففي جنبي علمًا ورثته عن المصطفىٰ ما فات مني به الفم
سلوني عن طرق السماوات إنّني بها من سلوك الطرق في الأرض أعلم

أيقال: إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام غير عالم بتفصيلات ما يجري عليه، وقد قال وارثه ومتحمل العلوم عنه: الإمام الخامس من ولده، ـ أعني الإمام الصادق عليه السّلام ـ: قد ولدني رسول الله صلّى الله عليه وآله وأنا أعلم كتاب الله، وفيه بدء الخلق، وما هو كائن إلىٰ يوم القيامة، وفيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر الجنّة، وخبر النّار، وخبر ما كان وما هو كائن، أعلم ذلك كما أنظر إلىٰ كفي، إنّ الله يقول فيه: ﴿تبيانًا لكلّ شيء﴾[٥٨].

---

(٥٨) الآية ٨٩ من سورة النحل: ١٦.

ـ ٩ ـ

ومن وصيّةٍ لَهُ عليه السّلام

إلىٰ سيّديّ شباب أهل الجنّة الحسن والحسين عليهما السّلام

أُوصِيكُما بِتَقْوى اللهِ وَأَنْ لَا تَبْغِيَا الدُّنيا وَإِنْ بَغَتْكُمَا(١) وَلا تَبكِيا عَلىٰ شَيْءٍ [منها] زُوِيَ عَنْكُما(٢)، وَقُولا الْحَقَّ وَارْحَما الْيَتِيمَ، وأغيثا الْمَلْهُوفَ(٣)، وَاصْنَعا لِلآخِرَةِ(٤) وَكُونا لِلظّالِمِ خَصْمًا، وِلِلْمظلُومِ ناصرًا(٥)، وَاعْمَلا بِما في الكِتابِ، ولا تَأْخُذْكُما فِي اللهِ لَومَةُ لائِمٍ.

ثمّ نظر عليه السّلام إلىٰ محمد بن الحنفية فقال: هل حفظت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم، قال: فإنّي أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخـويك لعـظيم حقّهما عليك، فاتّبع أمرهما، ولا تقطع أمرًا دونهما، ثمّ قال عليه السّلام: أوصيكما

---

(١) بغىٰ ـ من باب رمىٰ يرمي ـ بغاء وبغيًا وبغية كابتغىٰ وتبغي الشيء أي طلبه، أي لا تكونا طالبي الدُّنيا وإنْ كانت الدُّنيا طالبة لكم.

(٢) وفي مروج الذهب والنهج: ولا تأسفا علىٰ شيء منها زوي عنكما. وزوي ـ علىٰ بناء المجهول من باب رمىٰ يرمي ـ زويًا وزيًّا الشيء: نحاه ومنعه وقبضه، أي ما قبضه أهل الباطل من دنياكم ومنعوكم منه ونحوه عنكم لا تبكيا عليه ولا تجزعا له، وهٰذا كقوله تعالىٰ ﴿لكيلا تأسوا علىٰ ما فاتكم﴾ الخ.

(٣) وفي المروج: وأعينا الضعيف، وفي الكامل: وأعينا الضائع.

(٤) وفي النهج: واعملا للأجر، وفي بعض النسخ منه، واعملا للآخرة.

(٥) وفي المروج والنهج: وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عـونًا، وفي الكـامل: وكـونا للـظالم خصيمًا.

به فإنّه شقيقكما وابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبّه.

ثمّ أوصى [الإمام] الحسن عليه السّلام بالوصيّة التالية كما في تاريخ الطبري: ج ٤، ص ١١٣ و ١٢٣. ومروج الذهب: ج ٢، ص ٤٢٥. وكامل ابن الأثير: ج ٣، والمختار (٤٧) من نهج البلاغة. وذكره مع التالي في كشف الغمة وكذلك في نظم درر السمطين ط ١، ص ١٤٠ بل المستفاد منه تعدّد طرق هٰذه الوصيّة وأشار إليها أيضًا أبو الفداء في تاريخه، وكذا ابن كثير، بل أشار هو إلىٰ أنّه عليه السّلام كتب الوصيتين لهما عليهما السّلام، ورواها مع التالي والمختار (٥٤) الخوارزمي في المناقب، ص ٢٧٨، من الفصل ٢٢، في الطبعة الأولىٰ، قال: وذكروا أن جندب بن عبدالله دخل علىٰ عليّ عليه السّلام يسليه، فقال: يا أمير المؤمنين إن فقدناك فلا نفقدك، فنبايع الحسن؟ قال: نعم: ثمّ دعا حسنًا وحسينًا فقال: أوصيكما بتقوى الله... ورواها عنه العلامة المجلسي رحمه الله في البحار: وفي الطبعة الحديثة، ج ٩، ص ٦٦٠.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ـ ١٠ ـ

ومن وصيّة له عليه السّلام

إلى السّبط الأكبر أبي محمد الحسن الزّكيّ عليه السّلام

أُوصِيكَ أيْ بُنَيَّ بِتَقْوَى اللهِ، وَإِقامِ الصَّلاةِ لِوَقْتِها، وَإيتاءِ الزَّكاةِ عِنْدَ مَحَلِّها، وَحُسْنِ الوُضُوءِ فَإِنَّهُ لا صَلاةَ إلّا بِطَهُورٍ، وَلا تُقْبَلُ صَلاةٌ مِنْ مَانِعِ زَكاةٍ، وَأُوْصِيكَ بِغَفْرِ الذَّنْبِ[١] وَكَظْمِ الغَيْظِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وِالحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ[٢] وَالتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ، وَالتَّثَبُّتِ فِي الأمْرِ، وَالتَّعاهُدِ لِلْقُرآنِ[٣] وَحُسْنِ الْجِوارِ، وَالأمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَاجْتِنابِ الفَواحِشِ[٤].

قال الطبري: فلمّا حضرته الوفاة أوصىٰ، فكانت وصيّته: بسم الله الرحمٰن الرحيم، هٰذا ما أوصىٰ (إلىٰ آخر ما يجيء في المختار ٦٨).

أقول: وهٰذه الوصيّة الشريفة ذكرها أيضًا الحسن بن علي بن شعبة رحمه الله في المختار (١١٨) من تحف العقول، إلّا أنّه رحمه الله لم يذكر قوله عليه السّلام «وحسن الوضوء فإنّه لا صلاة إلاّ بطهور، ولا تقبل صلاة من مانع زكاة».

---

(١) غفر الذنب: ستره والعفو عنه. وهو مصدر قولهم: غفر يغفر (من باب ضرب) غفرًا وغفيرًا وغفرانًا ومغفرة وغفورًا له الذنب أي غطّىٰ عليه وعفا عنه. وفي تحف العقول: «وأوصيك بمغفرة الذنب» وهو أظهر.

(٢) وفي تحف العقول: «والحلم عند الجاهل». وفي كامل ابن الأثير: «والحلم عن الجاهل». وهو أظهر.

(٣) وفي تحف العقول: والتعهّد للقرآن.

(٤) وفي تحف العقول: واجتناب الفواحش كلّها في كلّ ما عصي الله فيه.

- ١١ -

ومن كلام له عليه السّلام

قاله قبل وفاته علىٰ سبيل الوصيّة لمّا ضربه اللّعين ابن ملجم المراديّ

وَصِيَّتي لَكُمْ أنْ لا تُشْرِكوُا بِاللهِ شَيْئًا، وَمُحَمَّدٌ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وَسَلَّمَ] فَلا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ، أقِيمُوا هٰذينِ الْعَمُودَينِ، وَأوْقِدُوا هٰذَينِ الْمِصْباحَينِ، وَخلاكُمْ ذَمٌّ، أنَا بِالأَمْسِ صاحِبُكُم، وَالْيَومَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَدًا مُفارِقُكُمْ، إنْ أبْقَ فَأنا وَلِيُّ دَمي، وَإنْ أفْنَ فَالْفَناءُ مِيعادي، وَإنْ أعْفُ فَالْعَفوُ لِي قُرْبَةٌ، وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ، فَاعْفُوا ألا تُحِبُّونَ أنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ، واللهِ ما فجأني مِنَ الْمَوْتِ وارِدٌ كَرِهْتُهُ، وَلا طالِعٌ أنْكَرْتُهُ وَمَا كُنْتُ إلّا كَقارِبٍ وَرَدَ[1]، وَطَالِبٍ وَجَدَ، وَما عِندَ اللهِ خَيْرٌ لِلأبْرارِ.

المختار (٢٤) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

---

(١) المحكي عن الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله: ان القارب يقال لطالب الماء ليلًا، ولا يقال لطالبه نهارًا. وقيل: القارب الّذي يسير إلى الماء وقد بقي بينه وبين الماء ليلة واحدة، والاسم القرب ـ كقفل وجمل ـ والقوم قاربون، ولا يقال مقربون. وقيل: القرب طلب الماء ليلًا، أو أن لا يكون بينه وبين الماء إلّا ليلة، أو إذا كان بينكما يومان فأوّل يوم تطلب فيه الماء القرب، والثاني الطلق ـ محركًا ـ. وقد قرب الإبل ـ كنصر ـ قرابة ـ بالكسر ـ وأقربتها.

ـ ١٢ ـ

ومن وصيّة له عليه السّلام

إلىٰ أولاده وخواص شيعته

قال المسعودي رحمه الله: روي أنّ أمّ كلثوم بكت [لمّا رأت أباها علىٰ تلك الحالة] فقال لها أمير المؤمنين عليه السّلام، يا بُنيّة ما يبكيك؟ لو ترين ما أرىٰ ما بكيت[1] إنّ ملائكة السبع سماوات لراكب [مواكب «خ»] بعضهم خلف بعض، والنّبيون خلفهم، كلّ نبيّ كان قبل محمد، وها هو ذا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عندي، آخذ بيدي، يقول لي انطلق يا عليّ فإنّ أمامك خير لك ممّا أنت فيه، ثمّ قال عليه السّلام: أخلوني وأهل بيتي أعهد إليهم، فقام النّاس إلّا اليسير من شيعته، فجمع عليه السّلام أهل بيته وهم اثنا عشر ذكرًا فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال [عليه السّلام]:

---

(١) وروى العياشي رحمه الله عن عمرو بن الحمق قال: «دخلت علىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام حين ضرب علىٰ قرنه، فقال لي: يا عمرو إنّي مفارقكم، ثم قال: سنة السبعين فيها بلاء، قالها ثلاثًا، فقلت: فهل بعد البلاء رخاء؟ فلم يجبني، وأغمي عليه، فبكت أمّ كلثوم فأفاق، فقال: يا أمّ كلثوم تؤذيني، فإنك لو قد ترين ما أرىٰ لم تبكي، إنّ الملائكة في السماوات السبع بعضهم خلف بعض، والنبيّون خلفهم، وهٰذا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم آخذ بيدي يقول: انطلق يا عليّ فما أمامك خير لك ممّا أنت فيه، فقلت: بأبي أنت وأمي قلت: إلى السبعين بلاء، فهل بعد السبعين رخاء؟ قال: نعم يا عمرو إنّ بعد البلاء رخاء، ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمُّ الكتاب...» كما في الحديث ٦٢، من باب النسخ من البحار الطبعة الحديثة، ج ٢، ص ١٣٩، وج ٤، ص ١٢٠.

انظر ما تقدم في عنوان: «البحث الخامس» في شرح المختار: (٨)، ص ٣٦٠.

إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ أَحبَّ أنْ يَجْعَلَ فِيَّ سُنَّةَ نَبِيِّه يَعْقُوب، إِذْ جَمَعَ بَنِيهِ وَهُمْ اثْنا عَشَرَ ذَكَرًا فَقالَ: إِنِّي أُوصِي إِلىٰ يُوسُفَ فَاستَمِعُوا لَهُ، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ.

وَإِنِّي أُوصِي إِلى الحَسَنِ وَالحُسَينِ، فَاسْتَمِعُوا لَهُما، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُمَا.(٢) الخبر.

---

(٢) قال المسعودي رحمه الله: «فقام إليه عبدالله، فقال: يا أمير المؤمنين أدون محمد بن الحنفية؟ فقال عليه السّلام له: أجرأة في حياتي، كأنّي بك قد وجدت مذبوحًا في خيمتك※ ثمّ أوصىٰ عليه السّلام إلى الحسن، وسلّم إليه الاسم الأعظم والنّور والحكمة ومواريث الأنبياء وقال: إذا أنا متّ فغسّلني وكفّ وحنّطني وادخلني قبري، فإذا أشرجت عليّ اللبن فارفع أوّل لبنة فاطلبني فإنّك لن تراني. وانظر ما يأتي في المختار (٥٨)، ص ٣٩٦ والمختار (٦١) ص ٣٧٠ من ج ٢ من هذا الباب، الطبعة الجديدة.

ثمّ قال المسعودي رحمه الله: وقبض في ليلة الجمعة لتسع ليالٍ بقين من شهر رمضان، فكان عمره عليه السّلام خمسًا وستين سنة، منها مع النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم خمس وثلاثون سنة، وبعده ثلاثون سنة، ودفن (ع) بظاهر الكوفة بالغري». انتهىٰ.

وروى الشيخ الجليل ابن شاذان قدّس الله نفسه، عن الأصبغ بن نباتة قال: «لمّا ضرب أمير المؤمنين عليه السّلام الضربة الّتي كانت وفاته فيها اجتمع إليه النّاس بباب القصر، وكان يراد قتل ابن ملجم لعنه الله، فخرج الحسن عليه السّلام فقال: معاشر النّاس إنّ أبي أوصاني أن أترك أمره إلىٰ وفاته، فإنْ كان له الوفاة وإلّا نظر هو في حقّه، فانصرفوا يرحمكم الله، قال: فانصرف النّاس ولم أنصرف، فخرج ثانية وقال لي: يا أصبغ أما سمعت قولي عن قول أمير المؤمنين عليه السّلام؟ قال: قلت: بلىٰ، ولكنني رأيت حاله، فأحببت أن أنظر إليه فأسمع منه حديثًا، فاستأذن لي رحمك الله، قال:

※ (قال أبو الفرج في مقاتل الطالبيين طبع النجف، ص ٩١، وطبعة بيروت، ص ٨٨ وعبدالله بن عليّ بن أبي طالب، وأمّه ليلىٰ بنت مسعود بن خالد بن مالك بن ربعي بن سلمىٰ بن جندل بن نهشل بن دارم بن حنظلة. قتله أصحاب المختار بن أبي عبيدة يوم المدار. وكان صار إلى المختار وسأله أن يدعو إليه، ويجعل الأمر له، فلم يفعل، فخرج فلحق بمصعب بن الزبير فقتل في الواقعة وهو لا يعرف).

←

. . . .

← فدخل ولم يلبث أن خرج فقال لي: ادخل، فدخلت فإذا أمير المؤمنين عليه السّلام معصب بعصابة، وقد علت صفرة وجهه على تلك العصابة، وإذا هو يرفع فخذًا ويضع أخرى من شدة الضربة وكثرة السم، فقال لي: يا أصبغ أما سمعت قول الحسن عن قولي؟ قلت: يا أمير المؤمنين ولكني رأيتك في حالة فأحببت النظر إليك، وأن أسمع منك حديثًا، فقال لي: اقعد، فما أراك تسمع حديثًا مني بعد يومك هذا، أعلم يا أصبغ أني أتيت رسول الله صلّى الله عليه وآله عائدًا كما جئت الساعة، فقال: يا أبا الحسن أخرج فناد في النّاس الصلاة جامعة، واصعد المنبر، وقم دون مقامي بمرقاة، وقل للنّاس: ألا من عق والديه فلعنة الله عليه، ألا من أبق من مواليه فلعنة الله عليه ألا من ظلم أجيرًا أجرته فلعنة الله عليه. يا أصبغ ففعلت ما أمرني به حبيبي رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقام من أقصى المسجد رجل فقال: يا أبا الحسن تكلمت بثلاث كلمات وأوجزتهن فاشرحهن لنا، فلم ارد جوابًا حتّى أتيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقلت ما كان من الرّجل، قال الأصبغ ثمّ أخذ بيدي، وقال ابسط يدك، فبسطت يدي فتناول إصبعًا من أصابع يدي وقال: يا أصبغ كذا تناول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إصبعًا من أصابع يدي، كما تناولت إصبعًا من أصابع يدك، ثمّ قال: مه يا أبا الحسن، ألا وإنّي وأنت أبوا هذه الأمّة، فمن عقّنا فلعنة الله عليه. ألا وإنّي وأنت موليا هذه الأمّة، فعلى من أبق عنّا لعنة الله. ألا وإنّي وأنت أجيرا هذه الأمّة، فمن ظلمنا أجرتنا فلعنة الله عليه. ثمّ قال آمين، فقلت آمين.

قال الأصبغ ثم أغمي عليه عليه السّلام، ثمّ أفاق فقال لي: أقاعد أنت يا أصبغ؟ قلت: نعم، يا مولاي. قال: أزيدك حديثًا آخر؟ قلت: نعم، زادك الله من مزيدات الخير. قال: يا أصبغ لقيني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في بعض طرقات المدينة، وأنا مغموم، قد تبين الغم في وجهي، فقال لي: يا أبا الحسن أراك مغمومًا، ألا أحدثك بحديث لا تغتم بعده أبدًا؟ قلت: نعم، (يا رسول الله). قال: إذا كان يوم القيامة نصب الله منبرًا يعلو منابر النبيين والشهداء، ثمّ يأمرني الله أصعد فوقه، ثم يأمرك أن تصعد دوني بمرقاة ثمّ يأمر الله ملكين فيجلسان دونك بمرقاة، فإذا استقللنا على المنبر لا يبقىٰ أحد من الأوّلين والآخرين إلاّ حضر، فينادي الملك الّذي دونك بمرقاة: معاشر النّاس ألا من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا رضوان خازن الجنان، ألا إنّ الله بمنه وكرمه وفضله وجلاله أمرني أن ادفع مفاتيح الجنّة إلى محمد صلّى الله عليه وآله

←

إثبات الوصيّة ص ١٢٥، والحديث السادس من الباب ٦٤، من الكتاب ٥، من الكافي.

← وسلّم، وإنّ محمدًا صلّى الله عليه وآله وسلّم أمرني أن أدفعها إلىٰ عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، فاشهدوا لي عليه. ثمّ يقوم ذلك الّذي تحت ذلك الملك بمرقاة مناديًا يسمع أهل الموقف: معاشر النّاس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي أنا مالك خازن النيران، ألا إنّ الله بمنه وفضله وكرمه وجلاله قد أمرني أن ادفع مفاتيح النّار إلىٰ محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وإنّ محمدًا صلّى الله عليه وآله وسلّم قد أمرني أن أدفعها إلىٰ عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، فاشهدوا لي عليه. فآخذ مفاتيح الجنان والنيران. ثمّ قال: يا عليّ فتأخذ بحجزتي. وأهل بيتك يأخذون بحجزتك، وشيعتك يأخذون بحجزة أهل بيتك قال عليه السّلام: فصفقت بكلتا يدي، وإلى الجنّة يا رسول الله؟ قال: أي وربّ الكعبة. قال الأصبغ: فلم أسمع من مولاي غير هٰذين الحديثين، ثمّ توفي صلوات الله عليه» انتهى. فضائل شاذان بن جبرئيل رحمه الله كما في الأنوار البهية ٦٧، للمحدث القمي رحمه الله.

وروى الصّدوق رحمه الله في الباب (٥٢) من معاني الأخبار ص ١١٨، معنعنًا عن أنس بن مالك قال: «كنت عند عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، في الشهر الّذي أصيب فيه، وهو شهر رمضان، فدعا ابنه الحسن عليه السّلام، ثمّ قال: يا أبا محمد أعل المنبر، فاحمد الله كثيرًا واثن عليه، واذكر جدك رسول الله صلّى الله عليه وآله بأحسن الذكر، وقل: لعن الله ولدًا عقّ أبويه، لعن الله ولدًا عقّ أبويه، لعن الله ولدًا عقّ أبويه، لعن الله عبدًا أبق من مواليه، لعن الله غنمًا ضلّت عن الراعي. وانزل.

فلمّا فرغ من خطبته ونزل اجتمع عليه النّاس، فقالوا: يا ابن أمير المؤمنين وابن بنت رسول الله نبينا الجواب. فقال: الجواب علىٰ أمير المؤمنين عليه السّلام.

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: إنّي كنت مع النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في صلاة صلّاها، فضرب بيده اليمنى إلىٰ يدي اليمنىٰ فاجتذبها، فضمّها إلىٰ صدره ضمًا شديدًا، ثمّ قال لي: يا عليّ! قلت: لبيك يا رسول الله صلّى الله عليه وآله. وقال: أنا وأنت أبوا هٰذه الأمّة، فلعن الله من عقّنا، قل آمين،قلت: آمين. ثم قال: أنا وأنت موليا هٰذه الأمّة، فلعن الله من أبق عنا، قل آمين، قلت: آمين. ثمّ قال: أنا وأنت راعيا هٰذه الأمّة، فلعن الله من ضلّ عنا، قل آمين، قلت آمين. قال أمير المؤمنين عليه السّلام: وسمعت قائلين يقولان معي: آمين، فقلت: يارسول الله! ومن القائلان معي؟ آمين؟ قال: جبرئيل وميكائيل عليهما السّلام».

ـ ١٣ ـ

ومن وصيّة له عليه السّلام

لمّا حضرته الوفاة

شيخ الطائفة رفع الله مقامه[١] عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسىٰ، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السّلام.

وإبراهيم بن عمر، عن أبان رفعه إلىٰ سليم بن قيس رضي الله عنه، قال سليم: شهدت وصيّة أمير المؤمنين عليه السّلام، حين أوصى إلى ابنه الحسن، وأشهد علىٰ وصيته الحسين عليهما السّلام ومحمدًا وجميع ولده، ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثم دفع إليه الكتاب والسلاح، ثم قال لابنه الحسن:

يا بُنَيَّ أمَرَني رَسُولُ اللهِ صلّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ أنْ أُوصِيَ إلَيكَ، وَأنْ أدْفَعَ إلَيكَ كُتُبي وَسِلاحِي كَما أَوصىٰ إلَيَّ رُسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَدَفَعَ إلَيَّ كُتُبهُ وَسِلاحَهُ.

وَأَمَرَني أنْ آمُرَكَ إذا حَضَرَكَ المَوتُ أنْ تَدْفَعَ ذٰلِكَ إلىٰ أخِيكَ الحُسيَنِ:

(قال) ثمّ أقبل على ابنه الحسين، فقال:

وَأمَرَكَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ أنْ تدفَعَهُ إلىٰ ابْنِك هٰذا.

---

(١) سيجيء بعد الفراغ من كلامه عليه السّلام أسانيد علية أخرى للوصيّة الشريفة.

ثمّ أخذ بيد ابن ابنه عليّ بن الحسن وهو صبي فضمّه إليه، ثمّ قال لعليّ بن الحسين.

يَا بُنَيَّ وَأَمَرَكَ رَسُولُ اللهِ صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ تَدفَعَهُ إِلىٰ ابْنِكَ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ فَاقْرَأهُ مِنْ رَسُولِ الله صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ ومِنِّي السَّلَام.

ثمّ أقبل على ابنه الحسن فقال:

يَا بُنَي أنْتَ وَلِيُّ الأمْرِ، وَوَلِيُّ الدَّمِ فإنْ عَفَوْتَ فَلَكَ وَإنْ قَتَلْتَ فَضَرْبَةٌ مكانَ ضربةٍ، وَلَا تأْثَمْ.

ثمّ قال: اكتب:

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم، هٰذا ما أوصىٰ بِهِ عَلَيُّ بْنُ أَبِي طَالِب، أوصىٰ أنَّهُ يَشْهَدُ أنْ لا إِلٰهَ إِلّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أرْسَلَهُ بِالْهُدىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، صلّى اللهُ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ إنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَماتِي للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ، لا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذلِكَ أُمِرْتُ وَأنا مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ.

ثُمَّ إِنِّي أُوصِيكَ يا حَسَنُ، وَجَمِيعَ وُلْدِي، وَمَنْ بَلَغَهُ كِتابِي مِنَ الْمُؤْمِنين: بِتَقْوَى اللهِ رَبِّكُمْ، وَلا تَمُوتُنَّ إِلّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، وَاعتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ يَقُولُ: صَلاحُ ذاتِ البَينِ أَفْضَلُ مِنْ عامَّةِ الصَّلاةِ وَالصَّومِ[٢]، وَإِنَّ الْبِغْضَةَ حالِقَةُ

(٢) وفي نسخة كتاب من لا يحضره الفقيه وغير واحد من المصادر: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصّلاة والصيام.

الدِّينِ[٣] وَفَسادُ ذاتِ البَينِ، وَلا قُوَّةَ إلّا بِاللهِ.

أُنظُرُوا ذَوِي أَرحامِكُمْ فَصِلُوهُمْ، يُهَوِّنِ ٱللهُ عَلَيكُمُ الحِسابَ.

وَٱللهَ ٱللهَ فِي الأَيْتامِ، فَلا تُغِبُّوا أَفْواهَهُمْ[٤] وَلا يُضَيَّعُوا بِحَضْرَتِكُمْ، فَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ يَقُولُ مَنْ عالَ يَتِيماً حَتّىٰ يَستَغنيَ أَوجَبَ اللهُ لَهُ الجَنَّةَ، كَمَا أَوْجَبَ لآكِلِ مالِ الْيَتِيمِ ٱلنّارَ.

وَٱللهَ ٱللهَ فِي الْقُرآنِ فَلا يَسْبِقَنَّكُمْ إِلى العَمَلِ بِهِ غَيرُكُمْ[٥].

وَٱللهَ ٱللهَ فِي بَيْتِ اللهِ، فَلا يَخْلُوَنَّ مِنكُم ما بَقِيتُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ يُتْرَكْ لَمْ تُناظَرُوا، وإنّ أدنىٰ مَا يَرجِعُ بِهِ مَن أَمَّهُ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ ما قَدْ سَلَفَ[٦].

وَٱللهَ ٱللهَ فِي الصَّلاةِ، فَإِنَّها خَيرُ الْعَمَلِ، وَإِنَّها عَمُودُ دِينِكُم.

وَٱللهَ ٱللهَ فِي الزَّكاةِ، فَإِنَّها تُطْفِئُ غَضَبَ رَبِّكُمْ.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

---

(٣) وفي المحكي عن نسخة الدر النظيم: خالعة الدِّين.

(٤) وفي كتاب من لا يحضره الفقيه، ومحكي الدر النظيم: فلا تعر أفواههم، وكأنّه مأخوذ من قولهم: عرّه يعرّه عرًّا، من باب مدّ ـ: أي ساءه أو لطخه بمكروه أو أدخل عليه الأذىٰ، أي لا تجعلوا اليتامىٰ بحيث يلطخ بهم المكروه، ويدخل عليهم الأذىٰ من عفونة أفواههم، وعدم ألفتها الطعام، والغذاء. وتعرّ وتغبّ بمعنىٰ واحد، يقال، أغبّ الماشية، أي أوردها الماء يومًا وتركها يومًا ظمأىٰ. وأغبّ القوم، أي جاءهم يومًا وتركهم يومًا، وأغببه الحمّىٰ وأغبت عليه، أي أخذته يومًا وتركته آخر، وأغب الطعام، أي انتن. والمقصود علىٰ جميع الوجوه تعاهد الأيتام، وعدم التغافل عنهم.

(٥) وفي كتاب من لا يحضره الفقيه ومحكي الدر النظيم زيادة قوله عليه السّلام: «ٱللهَ ٱللهَ في الجيران، فإنّ الله ورسوله أوصيا بهم...».

(٦) وفي كتاب من لا يحضره الفقيه هٰكذا: «ٱللهَ ٱللهَ في بيت ربّكم، فلا يخلونّ منكم ما بقيتم، فإنّه إن ترك لم تناظروا، فإنّ أدنىٰ ما يرجع به من أمّه أن يغفر له ما سلف من ذنبه...».

قوله عليه السّلام: «لم تناظروا» أي لم تمهلوا. وأمّه أي قصده.

وَٱللهَ ٱللهَ فِي شَهْرِ رَمَضانَ، فَإِنَّ صِيامَهُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ.

وَٱللهَ ٱللهَ فِي الْفُقَراءِ وَالمَساكِينَ، فَشارِكُوهُم فِي مَعِيشَتِكُمْ.

وَٱللهَ ٱللهَ فِي الجِهادِ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّما يُجاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ رَجُلانِ: إِمامُ هُدًى، وَمُطِيعٌ لَهُ، مُقْتَدٍ بِهُداهُ.

وَٱللهَ ٱللهَ فِي ذُرِّيَةِ نَبِيِّكُمْ، فَلا تُظْلَمُنَّ بينَ أظْهُرِكُمْ، وَأَنْتُمْ تَقْدِرُونَ عَلَى الدَّفْعِ عَنهُمْ.

وَٱللهَ ٱللهَ فِي أَصْحابِ نَبِيِّكُمْ الَّذِينَ لَمْ يُحْدِثُوا حَدَثًا، وَلَمْ يُؤوا مُحْدِثًا، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وآلِهِ أَوصىٰ بِهِمْ وَلَعَنَ الْمُحْدِثَ مِنهُمْ وَمِنْ غَيرِهِم، وَالمُؤْوِيَ لِلمُحْدِثِ.

وَٱللهَ ٱللهَ فِي النساءِ وَما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ، لا تَخافُنَّ فِي اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ، فَيَكْفِكُمُ ٱللهُ مَنْ أَرادَكُمْ وَبَغىٰ عَلَيْكُمْ، قُولُوا حَسَنًا كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ[٧]، وَلا تَتْرُكَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ فَيُوَلِّي اللهُ الْأَمْرَ شِرارَكُمْ، وَتَدْعُونَ فَلا يُسْتَجابُ لَكُمْ[٨].

عَلَيكُمْ يا بَنِيَّ بالتَّواصُلِ وَالتَّباذُلِ وَالتَبارِّ. وَإِيّاكُمْ وَالنِّفاقَ! وَالتَّدابُرَ وَالتَّقاطُعَ وَالتَّفَرُّقَ! وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوىٰ، وَٱتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقابِ.

حَفَظَكُمُ اللهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ، وَحَفَظَ فِيكُمْ نَبِيَّكَمْ، أَسْتَوْدِعكُمُ اللهُ وَأَقرَأُ

---

(٧) وفي نسخة من لا يحضره الفقيه: «قولوا حسنًا كما أمركم الله عزّ وجلّ...».

(٨) وفي نسخة من لا يحضره الفقيه، ومحكى الدر النظيم: «فيولي الله الأمر منكم شراركم، ثمّ تدعون فلا يستجاب لكم، الخ».

عَلَيْكُمُ السَّلامُ.

ثم لم يزل يقول عليه السّلام: «لا إلـه إلاّ الله» حتّىٰ قبض عليه السّلام، في أوّل ليلة من العشر الأواخر من شهر رمضان، ليلة إحدىٰ وعشرين[٩]، ليلة جمعة، سنة أربعين من الهجرة.

قال شيخ الطائفة رحمه الله: وزاد فيه إبراهيم بن عمر قال: قال أبان: قرأتها علىٰ عليّ بن الحسين عليه السّلام، فقال: صدق سليم.

الحديث الأخير من الفصل ٦، من باب الوصايا، من كتاب التهذيب.

وأيضًا رواها الشيخ رحمه الله في كتاب الغيبة ص ١٢٧، ط ١، عن أحمد ابن عبدون، عن ابن أبي الزبير القرشي، عن عليّ بن الحسن بن فضال، عن محمد ابن عبدالله بن زرارة، عمّن رواه عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السّلام، قال: هٰذه وصيّة أمير المؤمنين عليه السّلام إلى الحسن عليه السّلام، وهي نسخة كتاب سليم بن قيس الهلالي، دفعها إلىٰ أبان، وقرأها عليه. قال أبان: وقرأتها علىٰ عليّ بن الحسين عليهما السّلام، فقال: صدق سليم رحمه الله.

قال سليم: فشهدت وصيّة أمير المؤمنين عليه السّلام حين أوصى إلى ابنه الحسن عليه السّلام، وأشهد علىٰ وصيّته الحسين (عليه السّلام) ومحمدًا وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، وقال:

«يا بُنَيَّ أمرني رسول الله صلّى الله عليه وآله أن أوصي إليك، وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي، ثمّ أقبل عليه فقال: يا بُنَيَّ أنت وليّ الأمر، ووليّ الدم، فإن عفوت فلك، وإن قتلت فضربة مكان ضربة، ولا تأثم..

ثمّ ذكر الوصيّة إلىٰ آخرها، فلمّا فرغ من وصيّته قال:

حفظكم الله، وحفظ فيكم نبيّكم، واستودعكم الله وأقرأ عليكم السّلام ورحمة الله».

---

(٩) ويجيء في تعليقات المختار: (٦٨) ما يتعلق بالمقام.

ثمّ لم يزل يقول: «لا إلـه إلّا الله» حتّىٰ قبض ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان، ليلة الجمعة، سنة أربعين من الهجرة، وكان ضرب ليلة إحدىٰ وعشرين من شهر رمضان.

ورواها أيضًا ثقة الإسلام رضوان الله عليه، في الحديث الأوّل من باب النصّ علىٰ إمامة السبط الأكبر: الحسن عليه السّلام، من أصول الكافي ص ٢٩٦:ـ عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسىٰ، عن إبراهيم بن عمر اليماني، وعمر بن أذينة، عن أبان، عن سليم بن قيس.

ورواها أيضًا في الحديث (٥) من الباب، عن عدّة من أصحابنا، عن أحمد ابن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن حمّاد بن عيسىٰ، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السّلام.

والوصيّة الشريفة رواها أيضًا، صدوق الشريعة وحافظ الشيعة الشيخ الصّدوق رحمه الله، في كتاب الوصايا، من كتاب من لا يحضره الفقيه، عن سليم ابن قيس رحمه الله.

وأشار إليها أيضًا، القاضي نعمان رحمه الله في الحديث (٣) من كتاب الزكاة، من دعائم الإسلام ص ٢٤٠. وذكرها أيضًا مع زيادات كثيرة في ج ٢، ص ٣٤٦، وسنذكرها.

ورواها أيضًا يوسف بن حاتم الشامي، في كتاب الدر النظيم، عن عبد الرّحمان بن الحجاج، عن أبي عبدالله عليه السّلام. وعمّن رواه عن عمرو بن شمر، عن جابر بن عبدالله، عن أبي جعفر عليه السّلام، كما في مقدمة كتاب سليم ابن قيس ص ١٤.

وهٰهنا فوائد

القائدة الأولىٰ:

رویٰ ثقة الإسلام الكليني رحمه الله، في الحديث (٤) من باب مولد أمير

المؤمنين عليه السّلام، من كتاب الحجّة، من الكافي: ج ٢، ص ٤٥٤، عن أسيد ابن صفوان صاحب رسول الله صلّى الله عليه وآله، قال:

لمّا كان اليوم الّذي قبض فيه أمير المؤمنين عليه السّلام ارتجّ الموضع بالبكاء، ودهش النّاس، كيوم قبض النبيّ صلّى الله عليه وآله، وجاء رجل باكيًا، وهو مسرع مسترجع، وهو يقول: «اليوم انقطعت خلافة النبوّة» حتّىٰ وقف علىٰ باب البيت الّذي فيه أمير المؤمنين عليه السّلام، فقال:

رحمك الله يا أبا الحسن، كنت أوّل القوم إسلامًا، وأخلصهم إيمانًا، وأشدّهم يقينًا، وأخوفهم لله، وأعظمهم عناءً، وأحوطهم علىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله، وآمنهم علىٰ أصحابه، وأفضلهم مناقب، وأكرمهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم من رسول الله صلّى لله عليه وآله، وأشبههم به هديًا وخلقًا وسمتًا وفعلًا، وأشرفهم منزلة، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله وعن المسلمين خيرًا، قويت حين ضعف أصحابه، وبرزت حين استكانوا[١٠]، ونهضت حين وهنوا، ولزمت منهاج رسول الله صلّى الله عليه وآله إذ همّ أصحابه، وكنت خليفته حقًّا، لم تنازع ولم تضرع، برغم المنافقين، وغيظ الكافرين، وكره الحاسدين، وصغر الفاسقين، فقمت بالأمر حين فشلوا، ونطقت حين تتعتعوا، ومضيت بنور الله إذ وقفوا، فاتبعوك فهدوا، وكنت أخفضهم صوتًا، وأعلاهم قنوتًا[١١] وأقلهم كلامًا، وأصوبهم نطقًا، وأكبرهم رأيًا، وأشجعهم قلبًا، وأشدّهم يقينًا، وأحسنهم عملًا، وأعرفهم بالأمور، كنت والله يعسوب الدّين أوّلًا وآخرًا، الأوّل حين تفرّق النّاس، والآخر حين فشلوا، كنت للمؤمنين أبًا رحيمًا، إذ صاروا عليك عيالًا، فحملت أثقال ما عنه ضعفوا، وحفظت ما

---

(١٠) الإستكانة: الخضوع والذّلّ.

(١١) كذا في أصلي. وفي المختار ٣٦، من خطب نهج البلاغة: «وكنت أخفضهم صوتًا، وأعلاهم فوتًا..». وهو أظهر. والفوت السبق. ويقال: قنت يقنت (من باب نصر) قنوتًا، أي أطاع وأمسك عن الكلام. تواضع لله.

وفي بعض نسخ الكافي: «وأعلاهم قدمًا، وأطيبهم كلامًا، وأصوبهم منطقًا».

أضاعوا، ورعيت ما أهملوا، وشمّرت إذ اجتمعوا، وعلوت إذ هلعوا[١٢] وصبرت إذ أسرعوا، وأدركت أوتار ما طلبوا، ونالوا بك ما لم يحتسبوا، كنت على الكافرين عذابًا صبًّا ونهبًا، وللمؤمنين عمدًا وحصنًا، فطرت والله بنعمائها، وفزت بحبائها، وأحرزت سوابقها، وذهبت بفضائلها، لم تفلل حجّتك، ولم يزغ قلبك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك ولم تخر، كنت كالجبل لا تحرّكه العواصف، وكنت كما قال عليه السّلام: «آمن النّاس في صحبتك وذات يدك» وكنت كما قال عليه السّلام[١٣]: ضعيفًا في بدنك، قويًا في أمر الله، متواضعًا في نفسك، عظيمًا عند الله، كبيرًا في الأرض، جليلًا عند المؤمن، لم يكن فيك مهمز، ولا لقائل فيك مغمز، ولا لأحد فيك مطمع، ولا لأحد عندك هوادة، الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتّىٰ تأخذ بحقّه، والقويّ العزيز عندك ضعيف ذليل حتّىٰ تأخذ منه الحقّ، والقريب والبعيد عندك في ذلك سواء، شأنك الحقّ والصدق والرفق، وقولك حكم وحتم، وأمرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم فيما فعلت، وقد نهج السبيل، وسهل العسير، وأطفئت النيران، واعتدل بك الدّين، وقوي بك الإسلام، فظهر أمر الله ولو كره الكافرون، وثبت بك الإسلام والمؤمنون، وسبقت سبقًا بعيدًا، وأتعبت من بعدك تعبًا شديدًا، فجللت عن البكاء، وعظمت رزيتك في السماء، وهدّت مصيبتك الأنام، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، رضينا عن الله قضاه، وسلمنا لله أمره، فوالله لن يصاب المسلمون بمثلك أبدًا، كنت للمؤمنين كهفًا وحصنًا، وقنةً راسيًا، وعلى الكافرين غلظةً وغيظًا، فألحقك الله بنبيّه، ولا أحرمنا أجرك، ولا أضلّنا بعدك.

وسكت القوم حتّىٰ انقضىٰ كلامه وبكىٰ، وبكىٰ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله، ثمّ طلبوه فلم يصادفوه.

---

(١٢) أي استقللت بالأمر حين جزع أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وفزعوا من القيام بالأمر، كما في غزوة الأحزاب وغير واحد من مقامات أخر.

(١٣) كأنّه من باب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، أي كما قلت عليك السّلام. وكثير من هذه الجمل ممّا قد وصف عليه السّلام نفسه بها، كما في المختار الـ(٣٦) من خطب نهج البلاغة.

ورواه أيضًا الشيخ الصّدوق رحمه الله معنعنًا، في كتاب إكمال الدّين.

وقال اليعقوبي رحمه الله: (لمّا دفن أمير المؤمنين عليه السّلام): فقام القعقاع بن زرارة علىٰ قبره فقال: رضوان الله عليك يا أمير المؤمنين، فوالله لقد كانت حياتك مفتاح خير، ولو أنّ النّاس قبلوك لأكلوا من فوقهم، ومن تحت أرجهلم، ولكنّهم غمطوا النعمة(١٤) وآثروا الدّنيا على الآخرة.

وروى العلامة المجلسي رحمه الله في البحار: ج ٩، ص ٦٧٥: قال:

لمّا دفن أمير المؤمنين عليه السّلام وقف صعصعة بن صوحان رضي الله عنه على القبر، ووضع إحدىٰ يديه علىٰ فؤاده، والأخرىٰ قد أخذ بها التراب وضرب به رأسه، ثمّ قال:

بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين، ثمّ قال: هنيئًا لك يا أبا الحسن، فلقد طاب مولدك وقوي صبرك، وعظم جهادك، وظفرت برأيك، وربحت تجارتك، وقدمت علىٰ خالقك، فتلقّاك الله ببشارته، وحفّتك ملائكته، واستقررت في جوار المصطفىٰ، فأكرمك الله بجواره، ولحقت بدرجة أخيك المصطفىٰ، وشربت بكأسه الأوفىٰ، فأسأل الله أن يمنّ علينا باقتفائنا أثرك، والعمل بسيرتك، والموالاة لأوليائك، والمعاداة لأعدائك، وأن يحشرنا في زمرة أوليائك، فقد نلت ما لم ينله أحد، وأدركت ما لم يدركه أحد، وجاهدت في سبيل ربّك بين يدي أخيك المصطفىٰ حقّ جهاده، وقمت بدين الله حقّ القيام، حتّىٰ أقمت السنن وأبرت الفتن، واستقام الإسلام، وانتظم الإيمان، فعليك مني أفضل الصلاة والسّلام، بك اشتدّ ظهر المؤمنين، واتضحت أعلام السبل، وأقيمت السنن، وما جمع لأحد مناقبك وخصالك، سبقت إلىٰ إجابة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم مقدمًا مؤثرًا، وسارعت إلىٰ نصرته، ووقيته بنفسك، ورميت سيفك ذا الفقار في مواطن الخوف والحذر، قصم الله بك كلّ ذي بأس شديد، وذلّ بك كلّ جبّار عنيد، وهدم بك حصون أهل الشرك والكفر والعدوان والرداء، وقتل بك أهل الضلال من العدىٰ،

(١٤) أي احتقروها وازدروها ولم يشكروها.

فهنيئًا لك يا أمير المؤمنين، كنت أقرب النّاس من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قربىٰ، وأوّلهم سلمًا، وأكثرهم علمًا وفهمًا، فهنيئًا لك يا أبا الحسن، لقد شرّف الله مقامك، وكنت أقرب النّاس إلىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نسبًا، وأوّلهم إسلامًا، وأوفاهم يقينًا، وأشدّهم قلبًا وأبذلهم لنفسه مجاهدًا، وأعظمهم في الخير نصيبًا، فلا حرمنا الله أجرًا، ولا أذلّنا بعدك، فوالله لقد كانت حياتك مفاتح للخير، ومغالق للشرّ، وإنّ يومك هٰذا مفتاح كلّ شرّ، ومغلاق كلّ خير، ولو أنّ النّاس قبلوا منك لأكلوا من فوقهم، ومن تحت أرجلهم، ولكنهم آثروا الدّنيا على الآخرة.

ثمّ بكىٰ بكاءً شديدًا، وأبكىٰ كلّ من كان معه، وعدلوا إلى الحسن والحسين ومحمد وجعفر والعباس ويحيىٰ وعون وعبدالله، فعزّوهم في أبيهم صلوات الله عليهم، وانصرف النّاس، ورجع أولاد أمير المؤمنين عليهم السّلام وشيعتهم إلى الكوفة، ولم يشعر بهم أحد من النّاس.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الفائدة الثانية:

في نبذ ممّا قيل من الشعر في رثائه عليه السّلام

قال السبط الأكبر الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السّلام:

أين من كان لعلم الـ   ـمصطفىٰ في النّاس بابا
أين من كان إذا ما   أقحط النّاس سحابا
أين من كان إذا نو   دي في الحرب أجابا
أين من كان دعاه   مستجابًا ومجابا

وقال في المناقب: ج ٣، ص ٩٧: قال: قال صعصعة بن صوحان في مرثيته عليه السّلام

ألا من لي بأنسك يا أخيّا   ومن لي أنْ أبثّك ما لديّا
طوتك خطوب دهر قد توالىٰ   كذاك خطوبه نشرًا وطيّا

فلو نشرت طواك لي المنايا شكوت إليك ما صنعت إليّا
بكيتك يا عليّ بدرّ عيني فلم يغن البكاء عليك شيّا
كفىٰ حزنًا بدفنك ثمّ إنّي نفضت تراب قبرك من يديّا(١٥)
وكانت في حياتك لي عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيّا
فيا أسفًا عليك وطول شوقي إليك لو أنّ ذلك ردّ شيّا

وقال أبو بكر ابن حماد التاهرتي، علىٰ ما في الإستيعاب وغيره:

قل لابن ملجم والأقدار غالبة هدمت ويلك للإسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشي علىٰ قدم وأوّل النّاس إسلامًا وإيمانا
وأعلم النّاس بالقرآن ثمّ بما سنّ الرسول لنا شرعًا وتبيانا
صهر الرسول ومولاه وناصره أضحت مناقبه نورًا وبرهانا
وكان منه علىٰ رغم الحسود له مكان هارون من موسىٰ بن عمرانا
وكان في الحرب سيفًا صارمًا ذكرًا ليثًا إذا لقي الأقران أقرانا
ذكرت قاتله والدمع منهدر فقلت سبحان ربّ النّاس سبحانا
إنّي لأحسبه ما كان من بشر كلاّ ولكنه قد كان شيطانا
أشقىٰ مراد إذا عدّت قبائلها وأخسر النّاس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الأولى الّتي جلبت علىٰ ثمود بأرض الحجر خسرانا
قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها قبل المنيّة أزمانًا فأزمانا(١٦)
فلا عفا الله عنه ما تحمّله ولا سقىٰ قبر عمران بن حطانا
لقوله في شقيّ ظلّ مجترمًا ونال ما ناله ظلمًا وعدوانا

---

(١٥) وهٰذان الشطران وتاليهما رواهما ابن عبد ربّه عن أبي العتاهية أنّه قالها عند دفن ولده ـ ولعله أخذها من صعصعة رحمه الله ـ كما في عنوان «الوقوف على القبور» من كتاب الزمرّدة في التعازي من العقد الفريد، طبع بيروت، ج ٣، ص ١٩٩.

ورواها أيضًا يحيى بن الحسين الشجري مسندة كما في عنوان: «الحديث التاسع في فضل ليلة النصف من شعبان» من ترتيب أماليه: ط ١، ج ٢، ص ١٠٧.

(١٦) وفي بعض النسخ: قبل المنية أشقاها وقد كانا.

يـا ضربـة مـن تـقيّ مـا أراد بهـا إلّا ليبلغ من ذي العرش رضوانـا
كأنّــه لم يــرد قـصدًا بـضربته إلّا ليـصلىٰ عـذاب الخـلد نـيرانـا

وقال الحاج محمد رضا الأزري رحمه الله:

مصاب رمىٰ ركـن الهـدىٰ فـتصدّعا ونـادىٰ بـه نـاعي السّماء فأسمـعا
وضـجّت له الأفـلاك في مـلكوتها وأوشك عــرش الله أن يـتضعضعا
ومن يك أعلى النّاس شأنًـا ومـفخرًا يكن رزؤه في النّاس أدهـىٰ وأفـظعا
مـصاب عـلى الإسـلام ألقىٰ جِرانـه وبـــرقع بــالغيّ الهــدىٰ فــتبرقعا
فـيا نـاشد الإسـلام قـوّض سـفره وصــاح بـه داعـي النّـفير فـجعجعا
وأصـبح كـالذود الظّـماء بـقفرةٍ من الذّوّ لم تـعهد بهـا الدّهـر مـربعا
ولم تــر عــقد الدّيــن إلّا مـبدّدًا ولم تــر شمـل الدّيــن إلّا مــوزّعا
وإنْ قــتيلًا شـيّد الدّيــن سـيفه جـدير عـليه الدّيــن أن يـتصدّعا
فــيا هـل درى الإسـلام أنّ زعـيمه لقىٰ حـوله جـبريل يـنعىٰ فـلا نـعىٰ
وأن عــماد الدّيــن بــان عـميدها وودّعــها داعـي الهـدىٰ يـوم ودّعـا
ويــا هــل درى المخــتار أنّ حـبيبه بسـيف عـدو الله أمـسىٰ مـقنّعا
وأقــسم لو أنّ النــعي لقــبره بكـــاه أسىٰ في قــبره وتـفجّعا
ومـن عـجب أن يـنزل المـوت داره وقــد كــان لا يــلقاه إلّا مـروّعا
لتبكِ الطـوال الغـلب مـن آل هـاشم طـويل ذرىٰ حكّ السّهـىٰ فـتصدّعا
ليسبكِ التـقىٰ مـنه مـنار هـدايـة وتــنعى الوغـىٰ منه كـميا سمـيدعا
وان يـبكه الإسـلام وجـدًا وحـسرة فـقد كـان للإسـلام حـصنًا ومـفزعا
وان يــبكه البـيت الحـرام فـطالما بــه كــان محـميّ الجـوار ممـنّعا
وان يــبكِ جـبريل له فـلشدّما بخـدمته جــبريل كــان ممـتّعا
وان يــبكه بــدر السّماء فــإنّما بكى البدر بـدرًا منه أسـنىٰ وأرفـعا
ولو عقلت شمس الضحىٰ يـوم دفـنه لحطّت له في عينهـا الشّمس مـضجعا
إمــام دعــا لله حــتّىٰ انـتهى له ألا هٰكــذا فـليدع لله مــن دعــا

ولم يمضِ حتّىٰ أنْ شأىٰ كلّ سابق ولم يبقَ في قوس الفضائل منزعا
وان عدّ في نسك فلم يبق أورعا وان عدَّ في فتك فلم يبقَ أروعا
لقد طبق الآفاق بأسًا ونائلًا فذلّت له الأعناق خوفًا ومطمعا
كأنّ مقاليد السّماء بكفه فلم يكُ إلّا ما أراد وأرفعا
أمّا والهجان القود تدمىٰ نحورها ومن بمنىٰ يرمي الجمار تطوّعا
وبالبيت ذي الأستار والنّفر الأولىٰ بأرجائه تهوي سجودًا وركّعا
وبالأبطح الأعلىٰ ومروة والصفا وبالحجر الملموس والركن أجمعا
لقد صُرع الإسلام ساعة قتله فيا مصرع الإسلام عظمت مصرعا
فكيف ودار الوحي أمست ربوعها خلاء وأمسىٰ منزل الدِّين بلقعا
أجدك من للدِّين أبقيت كالئًا ومن لعلوم الغيب أصبحت مودعا
ويا ربّ دمع كان صعبًا قياده فأصبح مستقادًا ليومك طيّعا
وان يغدُك في الأرضين رزؤك مفظعًا فقد راح في أهل السماوات أفظعا
ويومك في الإسلام ثلم ثلمة وأوسع خرقًا في الهدىٰ لن يرقعا
فلا بطشت إلّا بساعد أجذم ولا عطست إلّا بمارن أجدعا

وقال الشيخ كاظم البستي النجفي رحمه الله:

خطب ألمّ بركن الدِّين فانهارا أروى الغداة بقلب المصطفىٰ نارا
فأي حادثة في الدِّين قد وقعت فألبسته من الأشجان أطمارا
كرت وقد شمّرت عن ساقها فرمت فجدّلت بطلًا في الحرب كرارا
هٰذي المحاريب أين القائمون بها والليل مرخ من الظّلماء أستارا
جار الزّمان عليهم كم بهم ملأ الدّ نيا مصابًا وكم أخلىٰ لهم دارا
هٰذي منازلهم بعد الأنيس فلا ترىٰ بها غير وحش القفر زوّارا
أضحى المؤمل للجدوي يجيل بها طرفًا وليس يرىٰ في الدار ديّارا
بالله يا راكبًا حرفًا معودة طي السّباسب انجادًا واغوارا
يمّم بها بمنىٰ من غالب فئة وجوهها سطعت في الليل أقمارا
مطعامة الجدب ان كف به بخلت وأسرة الحرب ان نقع لها ثارا

فأي طود هدىً من مجدكم مارا وأي بحر ندىً من جودكم غارا
هٰذا عليّ أمير المؤمنين لقى مضرجًا بدم من رأسه فارا
قد حجب الخسف بدرًا منه مكتملًا وغيّض الحتف بحرًا منه تيّارا
أودىٰ ومن حوله للمسلمين ترى من دهشة الخطب إقبالًا وادبارا
وافت إليه بنوه الغرّ مسفرة عن أوجه تملأ الظلماء أنوارا
تدعوه والعين عبرىٰ تستهل دمًا والحزن أجّج في أحشائها نارا
يا نيّرًا غاب عن أفق الهدىٰ فأرىٰ أفق الهدىٰ لا يرى للصبح إسفارا
أبكيك في الجدب مطعامًا سواغبها وفي لظى الحرب مقدامًا ومغوارا
فلا أرىٰ بعد حامي الجار من أحد يجيرنا من صروف الدّهر لو جارا
فلا بدا بعده بدر ولا طلعت شمس ولا فلك في أفقها دارا

وقال السيد صالح النجفي القزويني رحمه الله في قصيدته:

تالله لا أنساه في محرابه لله يسجد في الظلام ويركع
وجلا ابن ملجم والظّلام مجلّل سيف المنيّة والبريّة هجّع
وقضىٰ عليه به وقنّع رأسه لله رأس بالحسام مقنّع
فهناك أعول جبرئيل مناديًا فوق السّما من في البسيطة يسمع
اليوم أشق الأشقياء قد غال أتق الأتقياء وله الجميل مضيّع
اليوم منعمر الهدىٰ متهدّم اليوم منهمر الندىٰ متقشّع
اليوم روض العلم ألوىٰ والتقىٰ أودىٰ وعرنين المكارم أجدع
قتل ابن عم المصطفىٰ قتل الوصيّ المرتضىٰ قتل الإمام الأورع
يقضي أمام المسلمين مخضّبًا والمسلمون لهم قلوب هجّع
فمن المعزي أحمدًا بوصيّه أرداه صمصام بسمّ منقّع
ومن المعزي فاطمًا بحميها قد قدّ مفرقه الحسام الأقطع
ومن المعزي المجتبىٰ بملمّة كادت له السبع العُلىٰ تتصدّع
ومن المعزي المستضام بفارس الإسلام جرعه الحمام الأوضع
ومن المعزي جبرئيل بمن به جبريل سبّح والملائك أجمع

أفـهل درت آل الهـدىٰ أنّ الهدىٰ أودىٰ ودكّ شمامـــــه المــترفّع
أم هـل درى الدّيـن المبين بـنكبة نـزلت فـخذّ الدّيـن منها أضرع
عـجبًا لقـلب لا يـذوب ومـقلةٍ جـزعًا له بـدمائها لا تـدمع
عـجبًا لأرض لا تمـور ولجّ بحـرٍ لا يـغور وعـارض لا يـقلع
عـجبًا لبـدر التم يسـفر مشرقًا لم بـالسواد عـليك لا يـتبرقع
عـجبًا لعـرش الله جـلّ جـلاله كـيف اسـتقام وركـنه متضعضع
عـجبًا لقـبر قـد حـواك ولم يضق بـنداك وهـو مـن البسيطة أوسـع
لكـن حـواك فـقرّ فـيك وأنّـه لولاك لهـو الخـاشع المـتصدّع
لا كـان يـومك يـا عـليّ فـانّه يـوم بـه الدِّين الحنيف مضعضع
أصمىٰ مصابك قلب كلّ موحد واصمّ نـعيك كـلّ أذن تسـمع
أدرىٰ ضريحك كم حوىٰ بك من علىٰ سـام له انحـط الضّراح الأرفـع
مازلت مضطهدًا تـغضّ عـلى القـذىٰ جـفنًا وقـلبك بـالنوائب مـوجع
وهـجرت لله المـضاجع قـائمًا فكأنمـا لك في قـيامك مـضجع
ورُزئت بـالطهر البـتول ومـا انقضىٰ رزء الرسـول ولم تجـف الأدمـع
هجموا علىٰ بنت الرّسول وروّعوا قـلب البـتول وأي قـلب روّعـوا
تـدعو فـيغضي المسـلمون كأنّها لم تـدعهم وكأنهـم لم يسـمعوا
أتـباح حـرمتها ويسـقط حملها مـا بـينهم وتـرضّ منها الأضـلع
لهـفي لهـا غـضبىٰ تموت ومالها مـتوجّع مـنهم ولا مـتفجّع
ودفـنتها سرًّا كـما أوصت وقـد هـجعوا لكـيلا يحضروا ويشيّعوا
ومنعتهم عـن نـبش مـرقدها وهـم لولاك عـمّا حـاولوا لم يـرجـعوا

الفائدة الثالثة:

في ترجمة الرواة، ونقدّم الأوّل فالأوّل.

أمّا الحسين بن سعيد بن حمّاد بن مهران الأهوازي من موالي عليّ بن الحسين

عليهما السّلام، فقد وثّقه الشيخ رحمه الله في الرّجال والفهرست، وأثنىٰ عليه ابن النديم.

قال الشيخ في كتاب الفهرست ص ٨٣: «الحسين بن سعيد بن حمّاد بن سعيد بن مهران الأهوازي من موالي علي بن الحسين عليه السّلام ثقة. روىٰ عن [الإمام] الرّضا، وأبي جعفر الثاني وأبي الحسن الثالث عليهم السّلام، وأصله كوفي، وانتقل مع أخيه الحسن [رضي الله عنه] إلى الأهواز، ثمّ تحوّل إلىٰ قم، فنزل على الحسن بن أبان، وتوفّي بقم، وله ثلاثون كتابًا، وهي:

كتاب الوضوء، وكتاب الصلاة، وكتاب الزكاة، وكتاب الصوم، وكتاب الحج، وكتاب النكاح، وكتاب الطلاق، كتاب الوصايا، كتاب الفرائض، كتاب التجارات، كتاب الإجارات، كتاب الشهادات، كتاب الأيمان والنذور والكفارات، كتاب الحدود والديات، كتاب البشارات، كتاب الزهد، كتاب الأشربة، كتاب المكاسب، كتاب التقية، كتاب الخمس، كتاب المروءة والتجمل، كتاب الصيد والذبائح، كتاب المناقب، كتاب المثالب، كتاب التفسير، كتاب المؤمن، كتاب الملاحم، كتاب المزار، كتاب الدعاء، كتاب الرد على الغالية، كتاب العتق والتدبير.

أخبرنا بكتبه ورواياته ابن أبي جيد القمي، عن محمد بن الحسن، عن الحسين بن الحسن بن أبان، عن الحسين بن سعيد بن حمّاد بن سعيد بن مهران.

قال ابن الوليد: وأخرجها إلينا الحسين بن الحسن بن أبان بخط الحسين ابن سعيد، وذكر أنّه كان ضيف أبيه.

وأخبرنا بها عدة من أصحابنا، عن محمد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه. ومحمد بن الحسن، ومحمد بن موسىٰ بن المتوكل، عن سعد بن عبدالله. والحموي عن أحمد بن محمد بن عيسىٰ، عن الحسين بن سعيد.

وذكره النجاشي رحمه الله، وأطال الكلام في طرقه إلىٰ كتب الحسين بن سعيد رحمه الله».

وقال ابن النديم في محكي فهرسته: «الحسن والحسين، ابنا سعيد

الأهوازيان، من أهل الكوفة، من موالي عليّ بن الحسين عليه السّلام من أصحاب [الإمام] الرّضا عليه السّلام، كانا أوسع أهل زمانهما علمًا بالفقه والآثار والمناقب وغير ذلك من علوم الشيعة، وصحبا أيضًا أبا جعفر ابن الرّضا عليه السّلام. ثمّ ذكر رحمه الله أسامي كتبه كما مرّ عن الشيخ رحمه الله.

وأمّا حمّاد بن عيسى الجهني البصري المتوفىٰ سنة تسع ومائتين، وقيل: ثمان ومائتين، فهو من أصحاب الإمام الصادق والكاظم عليهما السّلام، وأدرك الإمام الرّضا وابنه أبا جعفر عليهما السّلام».

وقال معلّم الأمّة الشيخ المفيد رحمه الله: «وكان أصله كوفيًا، ومسكنه البصرة، وعاش نيّفًا وتسعين، ولحق بأبي عبدالله عليه السّلام، ومات بوادي قناة بالمدينة، وهو واد يسيل من الشجرة إلى المدينة، ومات سنة تسع ومائتين.

حدثنا جعفر بن الحسين المؤمن ـ رحمه الله ـ عن محمد بن الحسن، عن محمد بن الحسن الصفّار، عن محمد بن عيسىٰ بن عبيد، عن حمّاد بن عيسىٰ، قال: دخلنا علىٰ أبي الحسن الأوّل عليه السّلام، فقلت له: جعلت فداك، أدع الله لي أن يرزقني دارًا وزوجة وولدًا وخادمًا والحجّ في كلّ سنة. فقال: اللّهم صلّ علىٰ محمد وآل محمد، وارزقه دارًا وزوجة وولدًا وخادمًا، والحجّ خمسين سنة. قال حمّاد: فلمّا اشترط خمسين سنة، علمت أني لا أحجّ أكثر من خمسين سنة. قال حمّاد: وحججت ثماني وأربعين حجة، وهٰذه داري قد رزقتها، وهٰذه زوجتي وراء الستر تسمع كلامي، وهٰذا ابني، وهٰذه خادمتي، قد رزقت كلّ ذلك.

فحجّ بعد هٰذا الكلام حجتين تمام الخمسين، ثمّ خرج بعد الخمسين حاجًا فزامل أبا العباس النوفلي القصير، فلمّا صار في موضع الإحرام، دخل يغتسل في الوادي فحمله فغرّقه الماء رحمة الله عليه، وأتاه قبل أن يحج زيادة علىٰ خمسين(١٧) عاش إلىٰ وقت [الإمام] الرّضا عليه السّلام، وتوفي سنة تسع

---

(١٧) هٰذا الحديث رواه الكشي أيضًا، ورواه أيضًا الحميري في قرب الإسناد ـ كما في البحار: ج ١١، ص ٢٤٤، ولكن اختلفوا في ضبط هٰذه الفقرة، ففي نسخة الاختصاص ←

ومائتين، وكان من جهينة».

وحكي عن الكشي رحمه الله أنّه قال: «أجمعت العصابة علىٰ تصحيح ما يصحّ عنه، وأقرّت له بالفقه».

وذكره الشيخ رحمه الله في رجاله في أصحاب الإمام الصادق عليه السّلام، وذكره أيضًا في الفهرست ص ٨٦ قال: «حمّاد بن عيسى الجهني غريق الجحفة، ثقة، له كتاب النوادر، وكتاب الزكاة، وكتاب الصلاة، أخبرنا بها عدّة من أصحابنا، عن أبي المفضّل، عن ابن بطة، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه، عن حمّاد. ورواه ابن بطة، عن أحمد بن محمد بن عيسىٰ، عن عبد الرّحمان بن أبي نجران، وعليّ بن حديد، عن حمّاد بن عيسىٰ.

وأخبرنا بها ابن أبي جيد، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن محمد بن أبي الصهبان، عن أبي القاسم الكوفي، عن إسماعيل بن سهل، عن حمّاد.

وفي محكي الخرائج وكشف الغمة عن أحمد بن هلال، عن أمية بن علي العبسي [القيسي «خ»] قال: دخلت أنا وحمّاد بن عيسىٰ علىٰ أبي جعفر عليه السّلام بالمدينة لنودّعه، فقال لنا: لا تخرجا، أقيما إلىٰ غدٍ، فلمّا خرجنا من عنده، قال حمّاد: أنا أخرج فقد خرج ثقلي. قلت أمّا أنا فأقيم، فخرج حمّاد، فجرى الوادي تلك الليلة، فغرق فيه، وقبره بسيالة»(١٨).

وحكي عن المحقق الفيض رحمه الله أنه قال: حمّاد الّذي يروي عنه الحسين بن سعيد، فإنّه ابن عيسى الثقة الجهني الّذي يروي غالبًا عن حريز.

وقال المحقق النجاشي قدّس الله نفسه: «حمّاد بن عيسىٰ أبو محمد الجهني

← المطبوعة، والمحكي عن نسخ أخرىٰ، ضبط (أتاه) بالمثناة الفوقية. وفي محكي قرب الإسناد هكذا: «فجاء الوادي فحمله، فغرق فمات رحمنا الله وإيّاه، الخ. وفي نسخة مطبوعة من الكشي والمحكي من نسخ أخرىٰ: فجاء الوادي فحمله فغرّقه الماء، رحمه الله وأباه...».

(١٨) وهذه الفقرة مذكورة في ذيل رواية قرب الإسناد أيضًا (علىٰ ما في البحار) وقيل في بيانه: السيالة ـ بالمثناة التحتانية ـ علىٰ زنة سحابة: موضع بقرب المدينة، علىٰ مرحلة منها لمن يريد مكة.

مولىٰ، وقيل عربي، أصله كوفي؟ سكن البصرة. وقيل: إنّه روىٰ عن أبي عبدالله عليه السّلام عشرين حديثًا، وروىٰ عن أبي الحسن والرِّضا عليه السّلام، ومات في حياة أبي جعفر الثاني عليه السّلام، ولم يحفظ عنه رواية عن الرِّضا ولا عن أبي جعفر.

وكان ثقة في حديثه، صدوقًا، قال: سمعت من أبي عبدالله عليه السّلام سبعين حديثًا، فلم أزل أدخل الشك علىٰ نفسي، حتّىٰ اقتصرت علىٰ هٰذه العشرين(١٩) وله حديث مع أبي الحسن موسىٰ عليه السّلام في دعائه بالحجّ، وبلغ من صدقه أنّه روىٰ عن جعفر بن محمد، وروىٰ عن عبدالله بن المغيرة، وعبدالله بن سنان، وعبدالله بن المغيرة، عن أبي عبدالله.

له كتاب الزكاة أكثره عن حريز وبشير عن الرّجال(٢٠)، أخبرنا به الحسين بن عبيد الله، قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن سفيان، قال: حدثنا حميد ابن زياد، قال: حدثنا محمد بن عبدالله بن غالب، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الزعفراني، عن حمّاد به.

وكتاب الصلاة، أخبرنا به، محمد بن جعفر، عن أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثنا عليّ بن الحسن بن فضال، قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن ناجية،

(١٩) الظاهر من سوق هٰذا التعبير أنّ حمّادًا ذكر لبعض الرواة ما رواه عن الإمام الصادق عليه السّلام، أو أراه ما كتبه عن الإمام عليه السّلام من العشرين حديثًا، فقال لحمّاد: أهٰذا جميع ما ترويه من الإمام عليه السّلام أم لك بقية؟ فأجابه حمّاد: بأن جميع ما رويته وسمعته من الإمام كان سبعين حديثًا، فلم أزل أدخل الشك علىٰ نفسي حتّىٰ اقتصرت علىٰ هٰذه العشرين. الخ.

(٢٠) كذا في المطبوعة من رجال النجاشي، فقيل: إنّ مراد النجاشي رحمه الله من هٰذه العبارة: أنّ حمّاد يروي أكثر كتاب زكاته عن حريز وبشير عمّن يروي عن الإمام عليه السّلام.

وقيل: إنّ لفظ بشير ـ بالموحدة التحتانية ثم الشين المعجمة ـ غلط، والصواب يسير ـ بالمثناة التحتانية ثمّ السين المهلمة ـ ومعناه أنّ أكثر روايات كتاب الزكاة لحمّاد يرويه عن حريز، وأقله ويسيره عن آخرين.

قال الحسن بن فضال: ورجل يقرأ عليه كتاب حمّاد في الصلاة، قال أحمد بن الحسين رحمه الله: رأيت كتابًا فيه عبر ومواعظ، وتنبيهات علىٰ منافع الأعضاء من الإنسان والحيوان، وفصول من الكلام في التوحيد، وترجمته مسائل التلميذ، وتصنيفه عن جعفر بن محمد بن عليّ عليه السّلام وتحت الترجمة ـ بخط الحسين ابن أحمد بن شيبان القزويني ـ التلميذ: حمّاد بن عيسىٰ، وهٰذه المسائل سأل عنها جعفرًا وأجابه.

وذكر ابن شيبان: أنّ عليّ بن حاتم أخبره بذلك، عن أحمد بن إدريس قال: حدثنا محمد بن عبد الجبّار، قال: حدثنا محمد بن الحسن الطائي، رفعه إلىٰ حمّاد.

وهٰذا القول ليس بثبت، والأوّل من سماعه من جعفر بن محمد أثبت.

ومات حمّاد بن عيسىٰ غريقًا بوادي قناة، وهو واد يسيل من الشجرة إلى المدينة، وهو غريق جحفة، في سنة تسع ومائتين. وقيل: سنة ثمان ومائتين، وله نيّف وتسعون سنة، رحمه الله».

وأمّا عمرو بن شمر، فهو من أصحاب الإمامين الهمامين، الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السّلام، كما ذكره الشيخ رحمه الله في الرّجال والفهرست.

وضعّفه بعضهم، ولعلّه لروايته بعض أسرار آل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، لأنّه قد نال حظًّا وافرًا، وحاز قسمة عظيمة من السرّ المستصعب والمنهل العذب، من علوم آل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وما خصهم الله به من الفضائل والمكارم.

وقد فحصنا عن رواياته، وسبرناها فلم نجد فيها شيئًا يوجب ضعف راويه، أو حط مقامه وسقوطه عن الاعتبار، اللّهم إلّا أن يدّعي مدّع، أو يقول قائل: إن شرط قبول الرواية وصدق الراوي أن تكون رواياته خالية من مناقب آل البيت، أو مشتملة علىٰ حطّ مقامهم ومدح أعدائهم!!

وأمّا جابر بن يزيد بن الحارث بن عبد يغوث، أبو عبدالله وقيل: أبو محمد الجعفي المتوفىٰ سنة (١٢٨) فهو أيضًا من أصحاب السيدين الإمام الباقر

والصادق عليهما السّلام، وقد وثّقه جماعة كثيرة من علماء الخاصة والعامة، وزينّوا كتبهم بذكر أحاديثه ومروياته، وتشرّفوا بحضره للأخذ منه والاستضاءة من قبساته، فقد روي عن سفيان الثوري أنّه قال: «جابر الجعفي صدوق في الحديث إلّا أنّه كان يتشيع[٢١] وحكي عنه أيضًا أنّه قال: «ما رأيت أورع بالحديث من جابر».

وفي تاريخ بغداد في ترجمة محمد بن إسحاق صاحب السيرة بسنده، عن شعبة قال: قال شعبة: «أمّا محمد بن إسحاق وجابر الجعفي فصدوقان». وزاد ابن حنبل: في الحديث.

وفي ميزان الاعتدال للذهبي ذكر له علامة (د ت ق) إشارة إلىٰ أنّه أخرج حديثه أبو داود والترمذي وابن ماجة القزويني، ثمّ قال: «جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي الكوفي، أحد علماء الشيعة، قال ابن مهدي عن سفيان: كان جابر الجعفي ورعًا في الحديث، ما رأيت أورع منه في الحديث. ابن مهدي سمعت سفيان يقول: ما رأيت في الحديث أورع من جابر الجعفي ومنصور».

وقال شعبة: صدوق. وزاد في تهذيب التهذيب: في الحديث.

وعن شعبة: كان جابر إذا قال: أنبأنا وحدثنا وسمعت فهو من أوثق النّاس. وقال وكيع: ما شككتم في شيء فلا تشكّوا أنّ جابر الجعفي ثقة. وقال ابن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: قال سفيان الثوري لشعبة: لئن تكلمت في جابر الجعفي لأتكلّمن فيك. أنبأ كثير بن معاوية، سمعت جابر بن يزيد يقول: عندي خمسون ألف حديث ما حدّثت منها بحديث، ثمّ حدّث يومًا فقال: هٰذا من الخمسين ألفًا. وقال سلام بن أبي مطيع: قال لي جابر الجعفي: عندي خمسون ألف باب من العلم ما حدثت بها أحدًا، فأتيت أيوب فذكرت هٰذا له فقال: أمّا الآن فهو كذاب[٢٢]. وقال عبد الرّحمان بن شريك: كان عند أبي، عن جابر

---

(٢١) جميع مانقلناه هنا عن علماء العامة ذكره السيّد الأمين رحمه الله في كتاب أعيان الشيعة في ترجمة جابر.

(٢٢) إنّ أرباب القياس لمّا نظروا ورأوا أنّ بضاعة أئمّتهم من العلم مزجاة، وصفقتهم من

الجعفي عشرة آلاف مسألة.

وقال عبد الرّحمان بن مهدي: ألا تعجبون من سفيان بن عيينة [يقول:] لقد تركت لجابر الجعفي ـ لما حكىٰ عنه ـ أكثر من ألف حديث، ثمّ هو يحدّث عنه. وعن الأعمش أنّه قال: أليس أشعث بن سوار يسألني عن حديث؟ فقلت: لا، ولا نصف حديث، ألست أنت الّذي تحدّث عن جابر الجعفي؟! وقيل لشعبة: تركت رجالًا ورويت عن جابر الجعفي؟ قال: روىٰ أشياء لم أصبر عنها. وفي تهذيب التهذيب: لِمَ طرحت فلانًا ورويت عن جابر؟ قال: لأنّه جاء بأحاديث لم نصبر عنها.

ورأيت زكريا بن أبي زائدة يزاحمنا عند جابر، فقال لي سفيان: نحن شباب وهٰذا الشيخ ما له يزاحمنا؟ ثمّ قال لنا شعبة: ألا تنظروا إلىٰ هؤلاء المجانين الّذين يقعون في جابر؟ هل جاءكم بأحد لم يلقه. وقال ابن عديّ: عامّة ما قذفوه به أنّه كان يؤمن بالرجعة!!

وليس لجابر الجعفي في سنن أبي داود والنسائي سوىٰ حديث واحد في سجود السهو.

وروى ابن حبّان بسنده، عن الجرّاح بن مليح قال سمعت جابرًا يقول عندي سبعون ألف حديث، عن أبي جعفر عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كلّها.

سأل رجل سفيان: أرأيت يا أبا محمد الّذين عابوا علىٰ جابر الجعفي قوله: حدثني وصيّ الأوصياء؟! فقال سفيان: هٰذا أهونه.

وفي تهذيب التهذيب: جابر بن يزيد بن الحارث بن عبد يغوث الجعفي أبو عبدالله، ويقال: أبو زيد. ثمّ ذكر ما مّر من كتاب ميزان الاعتدال وزاد: عن

← الكمال خاسرة، قاسوا مدائن علم الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم والآخذين منهم عليهم السّلام بأئمتهم، ولم يعلموا أنّه لا يستوي الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون ولم يفطنوا للمثل السائر: وليس سواء عالم وجهول. ولو فطنوا وأنصفوا لم يبادروا إلىٰ تكذيب وعاة العلم ودعاة الحقّ.

زهير بن معاوية: كان جابر إذا قال: «سمعت» أو «سألت» فهو من أصدق النّاس. وسئل شريك عن جابر فقال: «ماله العدل الرضيّ» ومدّ بها صوته. وقال ابن حبّان: وأخبرني ابن فارس حدّثنا محمد بن رافع [قال]: رأيت أحمد بن حنبل في مجلس يزيد بن هارون ومعه كتاب زهير عن جابر الجعفي، فقلت: يا أبا عبدالله! تنهوننا عن حديث جابر وتكتبونه؟! قال: لنعرفه. إلىٰ غير ذلك من كلماتهم، وما تحمّله عنه أكابرهم منه.

ووثّقه من أعاظم الخاصة: ابن الغضائري رحمه الله الّذي قلّما يسلم من قدحه أحد ـ ومعلّم الأمّة، الشيخ المفيد في رسالته الّتي صنّفها في الردّ علىٰ أصحاب العدد، ووصفه في جملة من وصفه: بأنّهم فقهاء أصحاب أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السّلام، والأعلام والرؤساء المأخوذ منهم الحلال والحرام، والفتيا والأحكام، الّذين لا مطعن عليهم، ولا طريق إلىٰ ذمّ واحد منهم، وهم أصحاب الأصول المدوّنة، والمصنفات المشهورة.

وكذلك وثّقه المحقق النجاشي رحمه الله والشيخ الطوسي رحمه الله، وجلّ من تأخرّ عنهم.

ونقل عن الفقيه الجليل الفضل بن شاذان قدّس الله نفسه: أنّ علم الأئمة عليهم السّلام انتهى إلىٰ أربعة نفر: سلمان الفارسي، وجابر، والسيّد، ويونس بن عبد الرّحمان.

وقال الحافظ ابن شهرآشوب عطّر الله مرقده في ترجمة الإمام الباقر عليه السّلام: جابر بن يزيد بن الحارث بن عبد يغوث من أصحاب السيدين باقر العلوم والصادق عليهما السّلام، وقد نال مرتبة عظيمة من العلم وحمل الأسرار، وتشرّف بمقام منيع حتّىٰ صار بابًا للإمام الباقر عليه السّلام(٢٣). وإن شئت العثور علىٰ شموخ مقامه، وعلوّ درجته، فارجع إلى الروايات الواردة عنه، في ترجمته أو في معاجز الأئمة عليهم السّلام.

---

(٢٣) هٰذا ليس نص كلام ابن شهرآشوب، بل نقل بالمعنىٰ.

نعم، لمّا رأىٰ بعض الجاهلين بمقامات أهل البيت، الناصبين لهم العداء والمقت ما تضمّنته كتبه، أو رواه عنه الثقات، أو سمع هو منه مشافهة من مناقبهم، وعلوّ مقامهم عند الله، وما اختار الله لهم من الكرامات الباهرة، والمزايا الموهوبة، والعلوم الموروثة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، اشمأزت قلوبهم، واضطربت عروقهم الأموية، وجاش شنآنهم الموروث عن أسلافهم، فرموه بالضعف، لكن البصير يعلم أن هٰذا ليس أوّل قارورة كسرت في الإسلام، ويترنّم بأنّه: شنشنة أعرفها من أخزم، فكم من موحّد أوحدي رموه بالكفر والزندقة! وكم من ورع تقيّ نسبوه إلى الإلحاد والتفرقة! وسعوا في استئصاله بشتّى الوسائل! ولذا اضطر بعض للتوقي عن بوائقهم، والفرار من غوائلهم، إلىٰ تصديقهم، والسكوت عمّا يفترونه وينسبونه إلى البررة الكرام! إلى الله أشكو معشرًا جهّالًا، ويموتون ضلّالًا.

ولنعم ما قال بعض العلماء من أن: «خفاء فضل الفاضل، وتضييع حقّ المحقّ من لوازم الفضل والتمسّك بالحقّ».

ولنعم ما أفاد الحكيم الشيخ أبو علي ابن سينا متضجّرًا من الهمج والرعاع، ومشيرًا إلىٰ طريق التخلّص من أولي الجور والعداء.

وأمّا إبراهيم بن عمر الصنعاني اليماني أبو إسحاق، فهو من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السّلام، وهو عند المحققين من الثقات المعوّل عليهم، المأخوذ منهم.

قال النجاشي رحمه الله: «إبراهيم بن عمر اليماني الصنعاني شيخ من أصحابنا ثقة، روىٰ عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السّلام، ذكر ذلك أبو العباس وغيره، له كتاب يرويه عنه حمّاد بن عيسىٰ وغيره، أخبرنا محمد بن عثمان، قال: حدثنا أبو القاسم جعفر بن محمد قال: حدثنا عبيد الله بن أحمد بن نهيك قال: حدثنا ابن أبي عمير، عن حمّاد بن عيسىٰ، عن إبراهيم بن عمر ـ به».

وذكره شيخ الطائفة رحمه الله في غير موضع من رجاله، وذكره أيضًا «في فهرسته ص ٣٢ قال: إبراهيم بن عمر اليماني، وهو الصنعاني، له أصل، أخبرنا به

عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن الحسن بن الوليد، عن أبيه، عن محمد ابن الحسن الصفّار، عن أحمد بن محمد بن عيسىٰ، عن الحسين بن سعيد، عن حمّاد بن عيسىٰ، عنه. وأخبرنا أحمد بن عبدون، عن أبي طالب الأنباري، عن حميد بن زياد عن ابن نهيك، والقاسم بن إسماعيل القرشي ـ جميعًا ـ به».

وحكي عن المحقق الورع المجلسي الكبير رحمه الله أنّه قال: «إنّ أصوله معتمدة عند الأصحاب».

وحكي عن ابن حجر أنّه قال في التقريب: «إنّ إبراهيم بن عمر اليماني الصنعاني أبا إسحاق، صدوق من السابعة».

وأمّا أبان بن أبي عياش[٢٤]، أبو إسماعيل البصري الزاهد، مولىٰ عبد القيس، المتوفىٰ سنة ١٣٨ هـ، فهو الّذي التجأ به سليم بن قيس رحمه الله واستجاره لما فرّ من الطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي، فأجاره أبان بن أبي عياش وخلّصه من سيف الحجاج، فبقي سليم عنده مختفيًا حتّىٰ دنا أجله، فطلب أبانًا، وشكره علىٰ صنيعه، وأودعه كتابه، وشرط عليه أن لا يظهره، ولا يحدّث به ما دام سليم حيًّا، وأن يودعه عند قرب أجله ودنوّ وفاته من كان معتمدًا من شيعة عليّ أمير المؤمنين عليه السّلام، فقبل أبان، ووفّىٰ بما اشترطه سليم رحمه الله فأودع كتابه عند حضور أجله عند عمر بن أذينه رحمه الله.

وحكي عن ميزان الاعتدال: «أن سليمان العلوي قال لحمّاد بن زيد: يا بنيّ عليك بأبان، فذكر ذلك لأيوب السختياني، فقال: ما زال نعرفه بالخير منذ كان».

وحكي عنه أيضًا: «أن أبانًا رئي في النوم، فقال أوقفني الله بين يديه، فقال: ما حملك علىٰ أن تكثر للنّاس من أبواب الرجاء؟ فقلت: يا ربّ أردت أن أحبّبك إلىٰ خلقك. فقال: قد غفرت لك».

وأمّا سليم بن قيس الهلالي أبو صادق رحمه الله، فهو من أصحاب أمير

---

(٢٤) واسم أبي عياش: فيروز، وقيل: دينار.

المؤمنين عليه السّلام، وحاملي أسراره، وصاحب الأصل القديم المعتبر عند أعيان الطائفة، والمعتمد لدى المحققين جميعًا.

وبقي حتّىٰ أدرك الحجاج، فطلبه ليقتله كما قتل نظراءه مثل سعيد بن جبير، وكميل بن زياد، وغيرهما رضوان الله عليهم، ففرّ منه، وأخفىٰ شخصه، وتوارىٰ عن النّاس، حتّىٰ أدركه الموت وهو في جوار أبان بن أبي عيّاش رضوان الله عليهما.

وبموته ضاع ما انفرد بحفظه وحمله من أسرار أمير المؤمنين عليه السّلام، إلّا ما أودعه في كتابه، ولعلّ أكثر ما في كتابه أيضًا قد امّحىٰ وأتىٰ عليه الدّهر، لاستيلاء أعداء أهل البيت على الأقطار الإسلامية، وسعيهم في استئصال الشيعة وقتلهم تحت كل حجر ومدر.

والأصل الموجود من كتاب سليم الّذي وصل إلينا من السلف الصالح يدًا بيد، موافق للحقّ والحقيقة، وما ظنّ فيه من القدح يمكن تصحيحه وحمله علىٰ ما لا ينافي الحقائق، أو عدالة صاحبه ووثاقته.

نعم، بعض من غفل عن تاريخ سليم وما ابتلي بـه، جـعله هـدفًا لسهم الانتقاد، لوجوده في أصل ما لا يقبل الصحة ـ بحسب نظره ومبلغ علمه ـ ولم يلتفت المسكين إلىٰ أنّه لا يتصوّر عادة تصديق جميع النّاس لما كتبه أو حـقّقه غير المعصوم، ولم يدر أنّه لا يوجد في أُمّة من الأُمم، ومذهب من المذاهب، كتاب أو أمر حقّقه البشر ـ غير المؤيد من الله وغير المعصوم ـ ثمّ يكون جميع ما اشتمل عليه موردًا لقبول الجميع، وتصديق الكلّ، ولو كان صاحبه في نهاية العظمة، وغاية الدقة، وكان حظّه من الحياة والعيش مع أبناء عصره حظًّا أوفىٰ، ونصيبًا أعلىٰ، وكتابه في كلّ عصر بمرأىٰ ومسمع من النّاس. فكيف بالكتاب الّذي صاحبه مرعوب وجل، وعاش في زاوية الاختفاء مطرودًا عن أهله ومصره، وكان مطلوبًا للقتل والصلب من قبل ألدّ الخصوم، وأسفك الأنام للدماء، وهو الحجّاج بن يوسف والي الأمويين، الّذين يرون حبّ عليّ وأولاده ومتابعتهم أكبر من كلّ زندقة وإلحاد؛ ولعنهم والبراءة منهم، وستر مناقبهم،

وإظهار شخصيات معانديهم، أعظم من كلّ قربة ورشاد.

هٰذا كلّه بالنسبة إلىٰ صاحب الكتاب، وأمّا الكتاب ومطالبه فعند أعداء أهل البيت عين الكفر والإلحاد، ولأجله كان في أغلب الأعصار، مخزونًا عند أهله لا يطمثه إنس ولا جان، كلّ ذلك خوفًا من القتل والاستئصال وهتك الحرمات، واسترقاق البنين والبنات.

وهٰذه الأمور من الأسباب العادية للتلف، ومحق بعض الحقائق، لا سيّما في العصور القديمة الّتي كانت الكتب فيها غير مطبوعة، ولذا شنّت غارات الحوادث علىٰ جلّ كتب المتقدّمين من علماء الإمامية، فكم من صحائف مكرمة قد أكلتها دوابّ الأرض، وكم من زبر معظمة قد أغرقتها الأمطار فمحتها من صفحة الوجود، وكم من حقائق مرقومة قد جنت عليها أيادي الظالمين وأعداء الدِّين بالحرق والغرق، والتمزيق والسحق، ومحوها بالبزاق والبصاق!!

فلولا عناية الباري بحفظ دينه، وآثار أوليائه، لأصبحت تلك الآثار اسماً بلا مسمّىٰ، كالعنقاء.

أضف إلىٰ جميع ما ذكرنا السهو والنسيان، وهو ما لا يخلو منه أحد، حتّىٰ قيل: إنّه طبيعة ثانوية، وقيل: الإنسان مجبول على السهو والنسيان: فأيّ محقّق في صنعته لم يصدر منه في أموره خطأً أو سهو أو نسيان، وأيّ ذي عناية في عمل من الأعمال، لم يبتل بالغفلة والذهول، وأيّ كاتب لم يبدل العقول بالبقول، والفصول بالفضول؟!

والحاصل إنّ سليم بن قيس الهلالي رحمه الله، من أعيان الطائفة، وكتابه من الأصول المعتبرة، وحسبك شاهدًا علىٰ بروزه وكونه من أولياء أمير المؤمنين عليه السّلام، موته في ديار الغربة وهو خائف يترقّب، ومرعوب وجلٌ، مع أنّه لو كان مريدًا للدّنيا، ويروقه التقرب إلىٰ سلاطين زمانه، وطواغيت أيامه أمثال أبي هريرة، وسمرة بن جندب، ومن علىٰ شاكلتهما ـ لكان متمكنًا بشتّى الوسائل من التقرّب إليهم، وهضم حلواهم، ولبس زيّهم، وأكل فريستهم، لأنَّ الملوك وآكلي أموال النّاس بالباطل، في حاجة شديدة إلى التشبث بأهل العلم والصلاح،

ليتخذوا بهم مال الله دولاً، وعباد الله خولاً، فيأكلوا الدّنيا باسم الدين، ويسيطروا على أموال الفقراء والمساكين، ويتأمّروا على العالمين، ولأجله ينوّهون باسم من يوافقهم ويعظّمونه فوق حد التعظيم، ولو لم يميز السين من الشين، ولم يعرف الصاد من الضاد، ويحطّون من مقام من خالفهم ولو كان أعلم أهل الأرض، بل ولو كان نفس القداسة والروحانية، وعين العلم والعدالة والإنسانية!!

ومن صعب عليه تصديق ما ذكرناه، وتشخيص أهل زمانه، فليراجع تاريخ بني أمية، وما صنعوا مع أمير المؤمنين عليه السّلام وأوليائه، وما اصطنعوا له ولهم من أعداء ومبغضين، فإنّه يرى الأمر جليًّا، فيصدّق ما قلناه، لأن الزمان أشباه،

والبشر أشكال.

وأمّا كتابه فكفىٰ في اعتباره أنّ علماءنا خلفًا عن سلف تمسّكوا بمطالبه، وجعلوها دليلًا ومصدراً لدعاويهم.

وأمّا ابن عبدون، فهو أحمد بن عبد الواحد بن أحمد البزّاز أبو عبدالله المتوفىٰ سنة ٤٢٣ هـ

قال النجاشي رحمه الله: «هو شيخنا المعروف بابن عبدون، له كتب، منها أخبار السيد ابن محمد، كتاب تاريخ؛ وكتاب تفسير خطبة فاطمة عليها السّلام معرّبة، وكتاب عمل الجمعة، وكتاب الحديثين المختلفين، أخبرنا بسائرها.

وكان رحمه الله قويًّا في الأدب، قد قرأ كتب الأدب علىٰ شيوخ أهل الأدب، وكان قد لقي أبا الحسن، عليّ بن محمد القرشي المعروف بان الزبير، وكان علوًّا في الوقت(٢٥)».

---

(٢٥) قيل: المراد به مدح ابن الزبير، وإنّما كان علوًّا في الوقت، لأنّه كان يروي عن عليّ بن فضال بلا واسطة، كما يظهر ذلك من الغضائري في ترجمة المفضل بن صالح، ومثل الكشي ـ الّذي في مرتبة الكليني ـ يروي عنه بتوسط العياشي، وكان ناهز مائة سنة، كما صرح به الشيخ في رجاله أقول: بل مقصود النجاشي رحمه الله من هذه العبارة مدح ←

وقال الشيخ رحمه الله: «أحمد بن عبدون المعروف بابن الحاشر، يكنىٰ أبا عبدالله، كثير السماع والرواية، سمعنا منه، وأجاز لنا جميع ما رواه، مات سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة.

وأمّا ابن أبي الزبير، فهو عليّ بن محمد بن الزبير القرشي الكوفي المتوفى سنة ٣٤٨، وكان رحمه الله شيخ الشيوخ، وأستاذ أهل الكمال والنبوغ، وراوي الأصول، ومجيز الأكابر والفحول».

قال الشيخ رحمه الله في باب من لم يرو عن الأئمة عليهم السّلام من رجاله ص ٤٨٠: «عليّ بن محمد بن الزبير القرشي الكوفي، روىٰ عن عليّ بن الحسن بن فضال جميع كتبه، وروىٰ أكثر الأصول، روىٰ عنه التلعكبري، وأخبرنا عنه أحمد بن عبدون، ومات ببغداد سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، وقد ناهز مائة سنة، ودفن في مشهد أمير المؤمنين عليه السّلام. ويكنىٰ بأبي الحسن، كما يعلم ذلك ممّا ذكره النجاشي رحمه الله في ترجمة ابن عبدون من قوله ـ في وصفه ـ: وكان ابن عبدون قد لقي أبا الحسن عليّ بن محمد القرشي المعروف بابن الزبير، وكان علوًّا في الوقت(٢٦)».

وأرّخ النجاشي أيضًا وفاته كالشيخ رحمه الله، فقال في ترجمة أبان بن

← ابن عبدون، وإنّما كان مدحًا له، للملازمة العادية بين الاتصال بعلية النّاس، وبين العلىٰ، كما يمدح مثلًا سلمان بأنّه أخذ عن أهل البيت واتصل بهم عليهم السّلام دون غيرهم، وذلك في العرفيات فوق حدّ الإحصاء، ونظمه الشعراء فقالوا: عن المرء لا تسأل وسل عن خدينه.. وقال آخر:

فاعتبر الأرض بأسمائها   واعتبر الصاحب بالصاحب

(٢٦) قال في التعليقة علىٰ ما حكىٰ عنه: الأقرب رجوع الضمير ـ في قوله: وكان علوًّا ـ إلىٰ عليّ بن محمد ـ والعلوّ ـ بالمهملة علىٰ ما في النسخ ـ الظاهر أنّ المراد به علوّ الشأن، وإكثار رواية ابن عبدون عنه قرينة ظاهرة.

والمحكي عن المحقق الداماد أنّه قال: عليّ بن محمد بن الزبير المعروف عند الأصحاب، شيخ الشيوخ، وراوية الأصول. قال النجاشي: كان علوًّا في الوقت، أي كان في غاية الفضل والعلم والثقة والجلالة في وقته وأوانه.

تغلب: «أخبرنا أحمد بن عبد الواحد قال: حدثنا عليّ بن محمد القرشي سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ـ وفيها مات ـ قال: حدثنا عليّ بن الحسن بن فضّال، عن محمد بن عبدالله بن زرارة، عن محمد بن أبي عمير عن عبد الرّحمان بن الحجاج قال: كنّا في مجلس أبان بن تغلب، فجاءه شاب، فقال: يا أبا سعيد أخبرني كم شهد مع عليّ بن أبي طالب عليه السّلام من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ فقال له أبان: كأنك تريد أن تعرف فضل عليّ بمن تبعه من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ قال: فقال الرجل: هو ذلك. فقال: والله ما عرفنا فضلهم إلّا باتّباعهم إيّاه. قال: فقال أبو البلاد: عضّ ببظر أمّه رجل من الشيعة في أقصى الأرض وأدناها يموت أبان ولا يدخل مصيبته عليه. فقال له أبان: يا أبا بلاد! تدري من الشيعة؟ الشيعة الّذين إذا اختلف النّاس عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أخذوا بقول عليّ، وإذا اختلف النّاس عن عليّ أخذوا بقول جعفر بن محمد عليه السّلام».

وأمّا عليّ بن الحسن بن فضّال، فقد أجمع أصحابنا إلّا النادر منهم، علىٰ قبول روايته والوثوق بقوله، وأنّه من الأعاظم، ومن فقهاء أصحابنا وعدّه الشيخ رحمه الله في رجاله في أصحاب الإمام الهادي والإمام العسكري عليهما السّلام، وقال في فهرسته: «عليّ بن الحسن بن فضّال فطحي المذهب، ثقة كوفي، كثير العلم، واسع الرواية والأخبار، جيّد التصانيف، غير معاند، وكان قريب الأمر إلىٰ أصحابنا الإمامية، القائلين بالاثني عشر، وكتبه في الفقه مستوفاة، وفي الأخبار حسنة. قيل إنّها ثلاثون كتابًا، منها: كتاب الطبّ، وكتاب فضل الكوفة، وكتاب الدلائل، وكتاب المعرفة، وكتاب المواعظ، وكتاب التفسير وكتاب البشارات، وكتاب الجنّة والنّار، وكتاب الوضوء، وكتاب الصلاة، وكتاب الحيض، وكتاب الزكاة، وكتاب الصوم، وكتاب الرّجال، وكتاب الوصايا، وكتاب الزهد، وكتاب الحج، وكتاب العقيقة، وكتاب الخمس، وكتاب النكاح، وكتاب الطلاق، وكتاب الجنائز، وكتاب صفات النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وكتاب المثالب، وكتاب أخبار بني إسرائيل، وكتاب الأصفياء.

أخبرنا بجميع كتبه ـ قراءة عليه أكثرها، والباقي إجازة ـ أحمد بن عبدون، عن عليّ بن محمد بن الزبير سماعًا وإجازة عنه». وقال النجاشي رحمه الله: «عليّ ابن الحسن بن عليّ بن فضّال بن عمر بن أيمن مولىٰ عكرمة بن ربعي الفياض أبو الحسن، كان فقيه أصحابنا بالكوفة، ووجههم وثقتهم وعارفهم بـالحديث، والمسموع قوله فيه، سمع منه شيئًا كثيرًا، ولم يعثر له علىٰ زلّة فيه، ولا ما يشينه، وقلّ ما روىٰ عن ضعيف، وكان فطحيًا، ولم يرو عن أبيه شيئًا، وقـال: كـنت أقابله ـ وسنيّ ثمان عشرة سنة ـ بكتبه، ولا أفهم إدراك الروايات، ولا استحلّ أن أرويها عنه. وروىٰ عن أخويه عن أبيهما.

وذكر أحمد بن الحسين رحمه الله، أنّه رأىٰ نسخة أخرجها أبو جعفر ابن بابويه، وقال: حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثنا عليّ بن الحسن بن فضّال، عن أبيه، عن الرّضا. ولا يعرف الكوفيون هٰذه النسخة، ولا رويت من غير هٰذا الطريق. وقد صنّف كتبًا كثيرة منها ما وقع إلينا.

ثمّ عدّد كتبه كما ذكره رحمه الله، وزاد عدّة كتب، منها: كـتاب الأنبياء، وكتاب الفرائض، وكتاب الدعاء، وكتاب الملاحم، وكتاب إثبات إمامة عبدالله، وكتاب ما روي في الحمام، وكتاب المتعة، وكتاب الغـيبة، وكـتاب أسماء آلات رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأسماء سلاحه، وكتاب العلل ونحوها، ثمّ قال: ورأيت جماعة من شيوخنا يذكرون: أنّ الكتاب المنسوب إلىٰ عـليّ بـن الحسن بن فضّال المعروف بأصفياء أمير المؤمنين عليه السّلام (ويقولون: إنّـه) موضوع عليه لا أصل له، والله أعلم.

قالوا: وهٰذا الكتاب ألصق روايته إلىٰ أبي العباس، ابن عقدة، وابن زبير، ولم نر أحدًا ممن روىٰ عن هٰذين الرجلين يقول: قرأته على الشيخ، غـير أنّـه يضاف إلىٰ كلّ رجل منهما بالإجازة حسب.

قرأ أحمد بن الحسين كتاب الصـلاة والزكـاة ومـناسك الحـج والصـيام والطلاق والنكاح والزهد والجنائز والمـواعـظ والوصـايا والفـرائـض والمـتعة

والرّجال علىٰ أحمد بن عبد الواحد في مدّة سمعتها معه، وقرأت أنا كتاب الصيام عليه في مشهد العتيقة، عن ابن الزبير عن عليّ بن الحسن، وأخبرنا بسائر كتب ابن فضّال بهٰذا الطريق.

وأخبرنا محمد بن جعفر في آخرين، عن أحمد بن محمد بن سعيد، عن عليّ ابن الحسن ـ بكتبه».

ومجمل القول إنّ الرّجل عند المحققين من أكمل الثقات.

وأمّا محمد بن عبدالله بن زرارة. فهو أيضًا ممّن ورث المجد والعظمة من أبيه وعشيرته الأكرمين الموالين للأئمّة الطاهرين عليهم السّلام.

أبو غالب الزراري رحمه الله، في رسالته المشتملة علىٰ ترجمة آل أعين إجمالًا: «ومن ولد زرارة محمد بن عبدالله بن زرارة، وكان كثير الحديث، وروىٰ عنه عليّ بن الحسن بن عليّ بن فضّال حديثًا كثيرًا».

وأمّا عمر بن أذينة رحمه الله، فقد أصفق الأصحاب رضوان الله عليهم علىٰ جلالته ووثاقته، وعدّه الشيخ رحمه الله في رجاله من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم عليهما السّلام، وذكره أيضًا في فهرسته مع طريقه إلىٰ كتبه.

وقال الكشي رحمه الله: قال حمدويه: «سمعت أشياخي منهم العبيدي وغيره، أنّ ابن أذينة كوفي، وكان هرب من المهدي، ومات باليمن، فلذلك لم يرو عنه كثير، ويقال: اسمه محمد بن عمر بن أذينة، غلب عليه اسم أبيه، وهو كوفي مولى لعبد القيس».

وقال المحقق النجاشي رضوان الله عليه: «عمر بن محمد بن عبد الرّحمان ابن أذينة بن سلمة بن الحارث بن خالد بن عائذ بن سعد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن نهشة [بهته «خ»] بن جديمة بن الديل بن شنّ بن أفصي بن عبد القيس بن أفصي بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ابن معد بن عدنان، شيخ أصحابنا البصريين ووجههم، روىٰ عن أبي عبدالله عليه السّلام بمكاتبة له كتاب الفرائض، أخبرنا أحمد بن محمد، عن أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثنا محمد بن مفضل بن إبراهيم، عن محمد بن زياد، عن عبيد الله بن أحمد بن نهيك،

وأحمد بن سقلاب جميعًا، عن محمد بن أبي عمير، عن عمر بن أذينة».

وينبغي لنا أن نذكر ما جرىٰ بينه وبين ابن أبي ليلى لفوائده الجمّة، وخلوّ أكثر الكتب منه.

قال القاضي نعمان رحمه الله: «روينا عن عمر بن أذينة، وكان من أصحاب أبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السّلام أنّه قال: دخلت يومًا علىٰ عبدالرّحمان بن أبي ليلىٰ بالكوفة وهو قاضٍ، فقلت: أردت أنْ أسألك عن مسائل ـ وكنت حديث السن ـ. فقال: سل يا ابن أخي عمّا شئت. قلت: أخبرني عنكم معاشر القضاة، ترد عليكم القضية في المال والفرج والدم، فتقضي أنت فيها برأيك، ثمّ ترد تلك القضية بعينها علىٰ قاضي مكة، فيقضي فيها بخلاف قضيتك، ثم ترد علىٰ قاضي البصرة وقاضي اليمن، وقاضي المدينة، فيقضون فيها بخلاف ذلك، ثمّ تجتمعون عند خليفتكم الّذي استقضاكم، فتخبرونه باختلاف قضاياكم، فيصوّب رأي كلّ واحد منكم، وإلهكم واحد، ونبيّكم ودينكم واحد! أفأمركم الله بالاختلاف فأطعتموه، أم نهاكم عنه فعصيتموه، أم كنتم شركاء الله في حكمه، فلكم أن تقولوا وعليه أن يرضىٰ، أم أنزل الله دينًا ناقصًا فاستعان بكم في تمامه، أم أنزل الله تامًّا فقصّر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن أدائه، أم ماذا تقولون؟

فقال: من أين أنت يا فتىٰ؟ قلت: من أهل البصرة. قال: من أيّها؟ قلت: من عبد القيس. قال: من أيّهم؟ قلت: من بني أذينة. قال: ما قرابتك من عبدالرّحمان بن أذينة؟ قلت: هو جدّي. فرحّب بي وقربني وقال: أي فتىٰ! لقد سألت فغلظت، وانهمكت فتعوّصت، وسأخبرك إن شاء الله.

أمّا قولك في اختلاف القضايا، فإنّه ما ورد علينا من أمر القضايا ممّا له في كتاب الله أصل، أو في سُنّة نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم فليس لنا أن نعدو الكتاب والسُنّة، وأمّا ما ورد علينا ممّا ليس في كتاب الله ولا في سُنّة نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم فإنّا نأخذ فيه برأينا.

قلت: ما صنعت شيئًا، لأنَّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ما فرطنّا في الكتاب

من شيء﴾ وقال: ﴿تبيانًا لكلّ شيء﴾ أرأيت لو أنّ رجلًا عمل بما أمر الله به، وانتهىٰ عمّا نهى الله عنه، أبقي عليه شيء يعذبه الله عليه إنْ لم يفعله، أو يثيبه عليه إن فعله؟ قال: وكيف يثيبه علىٰ ما لم يأمره به، أو يعاقبه علىٰ ما لم ينهه عنه؟! قلت: وكيف يرد عليك من الأحكام ما ليس له في كتاب الله أثر، ولا في سنّة نبيّه خبر؟! قال: أخبرك يا ابن أخي حديثًا حدثناه بعض أصحابنا، يرفع الحديث إلىٰ عمر بن الخطاب، أنّه قضىٰ قضية بين رجلين، فقال له ـ أدنى القوم إليه مجلسًا ـ: أصبت يا أمير المؤمنين، فعلاه عمر بالدرّة، وقال: ثكلتك أمّك، والله ما يدري عمر أصاب أم أخطأ، إنّما هو رأي اجتهدته، فلا تزكّونا في وجوهنا.

قلت: أفلا أحدثك حديثًا؟ قال: وما هو؟ قلت: أخبرني أبي، عن أبي القاسم العبدي، عن أبان، عن عليّ بن أبي طالب عليه السّلام أنّه قال: القضاة ثلاثة، هالكان وناج، فأمّا الهالكان فجائر جار متعمدًا، ومجتهد أخطأ، والناجي من عمل بما أمر الله به. فهٰذا نقض حديثك [حديثكم «خ»] يا عمّ. قال: أجل والله يا ابن أخي، فتقول أنت: إنّ كلّ شيء في كتاب الله عزّ وجلّ؟ قلت: الله قال ذلك، وما من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي إلّا وهو في كتاب الله عزّ وجلّ، عرف ذلك من عرفه، وجهله من جهله، ولقد أخبرنا الله فيه بما لا نحتاج إليه، فكيف بما نحتاج إليه. قال: كيف قلت؟ [وما هو «خ»]»؟ قلت: قوله ﴿فأصبح يقلّب كفيّه علىٰ ما أنفق فيها﴾ قال: فعند من يوجد علم ذلك؟ قلت: عند من عرفت. قال: وددت لو أني عرفته، فأغسل قدميه، وآخذ عنه، [وأخدمه «خ»] وأتعلم منه. قلت: أناشدك الله هل تعلم رجلًا كان إذا سأل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم شيئًا أعطاه، وإذا سكت عنه ابتداه؟ قال: نعم [هو] عليّ بن أبي طالب عليه السّلام. قلت: فهل علمت أنّ عليًّا سأل أحدًا بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن حلال أو حرام؟ قال: لا. قلت: هل علمت أنّهم كانوا يحتاجون إليه ويأخذون عنه؟ قال: نعم. قلت: فذلك عنده. قال: فقد مضىٰ فأين لنا به؟ قلت: تسأل في ولده، فإنّ ذلك العلم عندهم [فيهم «خ»]. قال:

وكيف لي بهم؟ قلت: أرأيت قومًا كانوا بمفازة [في مفازة «خ»] من الأرض، ومعهم أدلّاء، فوثبوا عليهم، فقتلوا بعضهم وجافوا [وأخافوا «خ»] بعضهم، فهرب واستتر من بقي لخوفهم، فلم يجدوا من يدلّهم، فتاهوا في تلك المفازة حتّىٰ هلكوا، ما تقول فيهم؟ قال: إلى النّار، واصفرّ وجهه، وكانت في يده سفرجلة فضرب بها الأرض فتهشمت، وضرب بين يديه وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون».

المقدمة الأخيرة من كتاب دعائم الإسلام: ج ١، ص ٩٢ ونقله عنه المجلسي رحمه الله في البحار: ج ٢٤، ص ٥، طبع الكمباني. ورواه أيضًا عن الدعائم الشيخ حسين النوري رحمه الله في أبواب صفات القاضي في أوّل كتاب القضاء من كتاب مستدرك الوسائل ج ٣، ص ١٧٤.

وأمّا العدّة الّتي وقعت في الطريق الثاني من الكافي عن أحمد بن محمد... الخ. فإنّهم الآن غير معلومين لي تفصيلًا وتعيينًا، إذ يحتمل أحمد بن محمد أن يكون الأشعري، ويحتمل أن يكون البرقي، فإن كان الأشعري فقد تقدمت ترجمته وترجمة عدّته في تعليقات المختار الأوّل من هٰذا الباب.

وإنْ كان المراد منه البرقي فستجيء ترجمته وترجمة عدته.

وأمّا الحسين بن سعيد وحماد بن عيسىٰ وعمرو بن شمر وجابر، فقد مضت خلاصة القول في تراجمهم.

تعليق تفسيري نقلي:

علىٰ قوله عليه السّلام: واعتصموا بحبل الله، الخ.

روى النعماني رحمه الله مسندًا عن الإمام السجاد عليه السّلام قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله ذات يوم جالسًا ومعه أصحابه في المسجد، فقال: يطلع عليكم من هٰذا الباب رجل من أهل الجنّة يسأل عمّا يعنيه، فطلع رجل طوال شبيه برجال مصر، فتقدم فسلّم علىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فجلس فقال: يا رسول الله إني سمعت الله عزّ وجلّ يقول فيما أنزل: ﴿وَٱعْتَصِمُوا

بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا[٢٧]﴾ فما هٰذا الحبل الّذي أمرنا الله بالاعتصام به، و[أن] لا نتفرق عنه؟ فأطرق رسول الله صلّى الله عليه وآله مليًا، ثمّ رفع رأسه، فأشار بيده إلىٰ عليّ وقال: هٰذا حبل الله الّذي من تمسك به عصم به في دنياه ولم يضل في آخرته. فوثب الرّجل إلىٰ عليّ، فاحتضنه من وراء ظهره وهو يقول: اعتصمت بحبل الله وحبل رسوله، ثم قام فخرج، فقام رجل من النّاس، فقال: يا رسول الله ألحقه فأسأله أن يستغفر لي؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا تجده موفقا. قال: فلحقه الرّجل فسأله أن يستغفر له، فقال له: أفهمت ما قال لي رسول الله صلّى الله عليه وآله، وما قلت له؟ قال: نعم. قال: فإن كنت متمسكًا بذلك فغفر الله لك، وإلّا فلا غفر الله لك. كما في الحديث الثاني، من تفسير الآية المباركة، من البرهان.

وروي أيضًا في الحديث الرابع، من تفسير الآية الشريفة، عن السيد الرضي رحمه الله في الخصائص معنعنًا، عن أبي الحسن عليه السّلام، في خطبة خطبها رسول الله صلّى الله عليه وآله في مرضه، وفي الخبر: فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أدعوا عمي ـ يعني العباس ـ فدعي له، فحمله وعليّ عليه السّلام حتّىٰ أخرجاه، فصلّىٰ بالنّاس وانه لقاعد، ثمّ حمل فوضع على المنبر بعد ذلك، فاجتمع لذلك جميع أهل المدينة من المهاجرين والأنصار حتّىٰ برزت العواتق من خدرها، فبين باك وصائح، والنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يخطب ساعة، ويسكت ساعة، وكان فيما ذكر من خطبته أنْ قال: يا معشر المهاجرين والأنصار ومن حضر في يومي هٰذا وساعتي هٰذه من الإنس والجن! ليبلغ شاهدكم غائبكم، ألا وإني خلّفت فيكم كتاب الله فيه النور والهدىٰ والبيان لما فرض الله تبارك وتعالىٰ من شيء، حجة الله عليكم، وحجتي وحجة وليي؛ وخلفت فيكم العلم الأكبر، علم الدّين، ونور الهدىٰ، وضياءه وهو علي بن أبي طالب عليه السّلام، وهو حبل الله، ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا،

(٢٧) الآية ١٠٣ من سورة آل عمران.

وَٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ، فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوانًا، وَكُنْتُمْ عَلىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها، كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

أيّها النّاس هٰذا عليّ، من أحبه وتولاه اليوم وبعد اليوم فقد أوفىٰ بما عاهد عليه الله، ومن عاداه وأبغضه اليوم وبعد اليوم جاء يوم القيامة أصم وأعمىٰ لا حجة له عند الله.

وفي الحديث الخامس منه معنعنًا، عن عبدالله بن عباس قال: «كنا عند رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، إذ جاء أعرابي فقال: يا رسول الله سمعتك تقول: واعتصموا بحبل الله جميعًا، فما حبل الله الّذي نعتصم به؟ فضرب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يده في يد عليّ (عليه السّلام) وقال: تمسكوا بهٰذا، فهٰذا هو الحبل المتين».

وفي الحديث السادس، من تفسير الآية، عن العياشي، عن ابن يزيد قال: «سألت أبا الحسن عليه السّلام عن قوله: «واعتصموا بحبل الله جميعًا..» قال: عليّ بن أبي طالب حبل الله المتين».

وفي الحديث السابع، عنه أيضًا، عن جابر قال: «آل محمد عليهم السّلام هم حبل الله الّذي أمر بالاعتصام به فقال: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرّقوا﴾».

وعن رشيد الدّين ابن شهرآشوب رحمه الله، عن محمد بن عليّ العنبري، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم، أنه سأله أعرابي عن هٰذه الآية: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرّقوا﴾، فأخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بيد عليّ عليه السّلام وقال: يا أعرابي هٰذا حبل الله فاعتصم به. فدار الأعرابي من خلف عليّ عليه السّلام، واحتضنه وقال، اللّهم أني أشهدك أني اعتصمت بحبلك. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من سرّه أن ينظر إلىٰ رجل من أهل الجنّة فلينظر إلىٰ هٰذا.

ثمّ قال ابن شهرآشوب: «وروي نحوًا من ذلك عن الإمام الباقر عليه

السّلام. كما في الحديث الثامن، من تفسير الآية».

وروي في الحديث التاسع، من تفسير الآية، عن الثعلبي باسناده إلىٰ جعفر ابن محمد عليه السّلام، في قوله تعالىٰ ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرّقوا**﴾ قال: نحن حبل الله الّذي قال الله ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرّقوا**﴾ ورواه أيضًا أبو الفتوح الرازي، عن أبان بن تغلب، عن الإمام الصادق عليه السّلام.

وروي عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري قال: «سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: يا أيّها النّاس إني تركت فيكم خليفتين إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، إنّ الله اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتّىٰ يردا عليَّ الحوض».

وعن الإمام السجاد عليه السّلام قال: «الإمام منا لا يكون إلّا معصومًا، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها، ولذلك لا يكون إلّا منصوصًا. فقيل له: يابن رسول الله صلّى الله عليه وآله: فما معنى المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ هٰذَا القرآنَ يَهدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ[٢٨]﴾ نقله في الصافي، في تفسير الآية الكريمة، عن معاني الأخبار».

وعن تفسير القمي: «إنّ حبل الله هو التوحيد والولاية». والآثار في ذلك كثيرة جدًا، وللكلام بقية نبحث عنها فيما سيأتي.

---

(٢٨) الآية ٩، من سورة الإسراء.

فهرست القسم الاول

المختار من باب وصايا أميرالمؤمنين(ع) من نهج السعادة

رقم المختار رقم الصفحة

المقدمة ٥

١ـ المختار الاول من وصاياه(ع) في الحث علىٰ العلم ٦

البحث الاول: حول سند الوصية ١٠

البحث الثاني: ماهية العلم الذي حثّ الشارع علىٰ
طلبه و عمن ينبغي له أخذه ٢٣

البحث الثالث: فضيلة العلم و العلماء في الحديث ٣٥

البحث الرابع: فضيلة العلم و العلماء في كلام الحكماء ٤١

البحث الخامس: فضيلة العلم و العلماء في الشعر ٤٥

٢ـ المختار الثاني من وصاياه(ع) في الحث علىٰ التقوى ٤٨

البحث الاول: حول رواة الوصية ٥١

البحث الثاني: تعليقات حول التقوىٰ في اللغة و الشرع ٥٢

تعليق في ذكر بعض الآثار الواردة في الزهد في الدنيا ٥٦

اقوال بعض الحكماء في الزهد ٦٤
البحث الثالث: بعض ما قيل في الزهد من الشعر ٦٦
٣ـ المختار الثالث من وصاياه(ع) في مكارم الاخلاق ٧١
التعليق الاول: الحث على اكتساب المعاش ٧٢
التعليق الثاني: الحث على صلة الرحم ٧٤
التعليق الثالث: ماورد في مدح السخاء و ذمّ البخل ٧٩
٤ـ المختار الرابع من وصاياه، وصيته(ع) حينما كان ينصرف من الصلاة .. ٨٢
٥ـ المختار الخامس من وصاياه، وصيته(ع) في الحث على مداراة الناس .. ٨٣
٦ـ المختار السادس من وصاياه، وصيته(ع) لابنه محمّد بن الحنفية ٨٥
التعليق الاول: بعض رسالة الحقوق للامام السجاد(ع) ٨٩
التعليق الثاني: بعض الحقوق في حديث الامام الصادق(ع) ٩٩
التعليق الثالث: فضل قراءة القرآن في كل يوم ١٠٠
شطر آخر من الوصيّة الشريفة ١٠٤
المأثور من الحديث في معنى المروءة ١٠٤
شطر آخر من الوصيّة الشريفة ١٠٧
تعليق و تحقيق: حول العجب و بعض ماورد فيه في الحديث ١٠٨
التعليق الثاني: فيما ورد في الشريعة من سوء الخلق و ذمه في الحديث ١١٥
التعليق الثالث: في الآثار الدالة على ذمّ قلة الصبر و الضجر ١١٨
شطر من الوصيّة الشريفة ١١٩
الفائدة الأولى: في الآثار الواردة في القرين الصالح و من ينبغي مجالسته ١٢٢
الفائدة الثانية: فيما يناسب المقام من الاشعار ١٢٥
الفائدة الثالثة: في الآثار الدالة على وجوب الفرار من الأنذال والفسّاق ١٢٧

الفائدة الرابعة: في بعض ما ورد في المقام من الشعر في مجانبتهم ١٣١
الفائدة الخامسة: معنى الأدب في اللغة والحديث ١٣٤
ماقاله الحكماء و العظماء في الادب ١٣٧
ماقيل في الشعر في الادب ١٣٩
الفائدةالسادسة: حول المشاورة و بعض ماورد فيها من الحديث ١٤٣
الفائدةالسابعة: فيما قاله الحكماء والعظماء في المشاورة ١٤٧
الفائدةالثامنة: في نبذ مما قاله الشعراء في المشورة ١٤٩
الفائدةالتاسعة: في معنىٰ الصبر في اللغة و الحديث و الحث عليه ١٥٠
الفائده العاشرة: ماروي عن الحكماء والملوك و العظماء في التوصية ١٥٩
الفائدة الحادية عشر: بعض الشعر المأثور في الصبر ١٦٢
الفائدة الثانية عشر: في الآثار الدالة علىٰ وجوب الاعتصام بالله ١٦٦
شطر من الوصيّة الشريفة ١٧٤
المائدة الأولىٰ: في حقيقة الرزق لغة و شرعاً، و بعض أقوال المعتزلة و ١٨٢
المائدةالثانية: هل الرزق يقبل الزيادة والوفرة بالسعي و الاكتساب ١٩٠
المائدةالثالثة: بعض ما ورد من الشعر في ان الرزق مقسوم ١٩٨
المائدة الرابعة: في معنىٰ الحكمة، والآثار الواردة في شأنها ٢٠١
المائدة الخامسة: في بعض الآثار الواردة في حق الفقه و الفقيه ٢١١
المائدةالسادسة: في الآثار الدالة علىٰ مراعاة الناس و الرضىٰ لهم ٢١٣
المائدةالسابعة: في الأخبار الواردة في حسن الخلق و مدحه ٢١٦
المائدةالثامنة: في الآثار الواردة في مداراة الناس ٢٢٤
المائدةالتاسعة: في مدح السكوت،والتحذير عن ارخاء اللسان ٢٢٧
المائدة العاشرة: اقوال الحكماء والامراء و ذوي التجارب في الصمت ٢٣٧

المائدة الحادية عشر: في نزر من الاشعار المأثورة في الصمت والكلام ٢٤٢
المائدة الثانية عشر: التحذير عن التساهل في التزود للآخرة ٢٤٥
شطر آخر من وصيته(ع) لابنه محمّد بن الحنفية ٢٤٩
حول اسناد الوصية الشريفة و طرق روايتها ٢٥٤
العائدة الأولىٰ: بعض ما ورد في شأن الصديق و لوازم الصداقة ٢٥٧
العائدة الثانية: الصديق و الصداقة في الشعر ٢٦٥
العائدة الثالثة: من اقوال الحكماء والعلماء في الصداقة والصديق ٢٧٠
العائدة الرابعة: بعض الأخبار الدالة علىٰ رعاية حقّ الاخوان ٢٧٣
العائدة الخامسة: بعض الاشعار الدالة علىٰ مراعاة حق الاخوان ٢٧٦
العائدة السادسة: بعض ماقاله الحكماء والامراء في حقوق الاخوان ٢٧٨
العائدة السابعة: في الروايات الدالة علىٰ أنه ينبغي للمؤمن أن ٢٨٠
العائدة الثامنة: ماورد عن العظماء والحكماء في ذمّ الطمع وردعه ٢٨٧
العائدة التاسعة: في المأثور من أقوال الشعراء في الطمع والطامع ٢٨٨
تراجم رواة الوصيّة الشريفة ٢٩٢
٧ـ المختار السابع من وصاياه، وصيته(ع) إلى السبط الشهيد
ابي عبدالله الحسين(ع) ٣١٦
٨ـ المختار الثامن من وصاياه، وصيته(ع) لمّا ضربه ابن ملجم
المرادي لعنه الله ٣٢٢
البحث الأول: حول سند الوصية.............................. ٣٢٦
البحث الثاني: اخباره(ع) بشهادته.............................. ٣٢٩
البحث الثالث: في الآثار الواردة في كيفية شهادته(ع) و سببها ٣٣٨
البحث الرابع: اعماله(ع) في الليلة التي ضرب فيها ٣٥٠

في انه استشهد في الصلاة ٣٥٧
البحث الخامس: في ذكر الغواة و ما قالوا له(ع) وما قال لهم ٣٥٩
البحث السادس: علمه(ع) بما يجري عليه ٣٦٥
٩ـ المختار التاسع من وصاياه(ع)، وصيته إلى سيدي شباب أهل الجنة الحسن و الحسين(ع) ٣٨٠
١٠ـ المختار العاشر من وصاياه(ع)، وصيته إلى السبط الاكبر أبي محمّد الحسن الزكي(ع) ٣٨٢
١١ـ المختار الحادي عشر من كلامه(ع) قاله قبل وفاته على سبيل الوصية لمّا ضربه ابن ملجم لعنه الله ٣٨٣
١٢ـ المختار الثاني عشر من وصاياه(ع)، وصيته إلى اولاده و خواص شيعته ٣٨٤
عيادة عمرو بن الحمق والاصبغ بن نباته اياه ٣٨٤
١٣ـ المختار الثالث عشر من وصاياه(ع)، وصيته لمّا حضرته الوفاة ٣٨٨
اسناد آخر للوصية الشريفة ٣٩٢
الفائدة الأولى: بعض ما قيل في رثائه يوم وفاته(ع) ٣٩٣
الفائدة الثانية: في نبذ ممّا قيل من الشعر في رثائه(ع) ٣٩٧
الفائدة الثالثة: في ترجمة رواة الوصية الشريفة ٤٠٢
تعليق تفسيري نقلي: في تفسير قوله(واعتصموا بحبل الله) ٤٢٢

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي